# الدبلوماسي

السنة السابعة والعشرون - العدد 270 - 272
أغسطس - أكتوبر 2018 الثمن 10 جنيهات

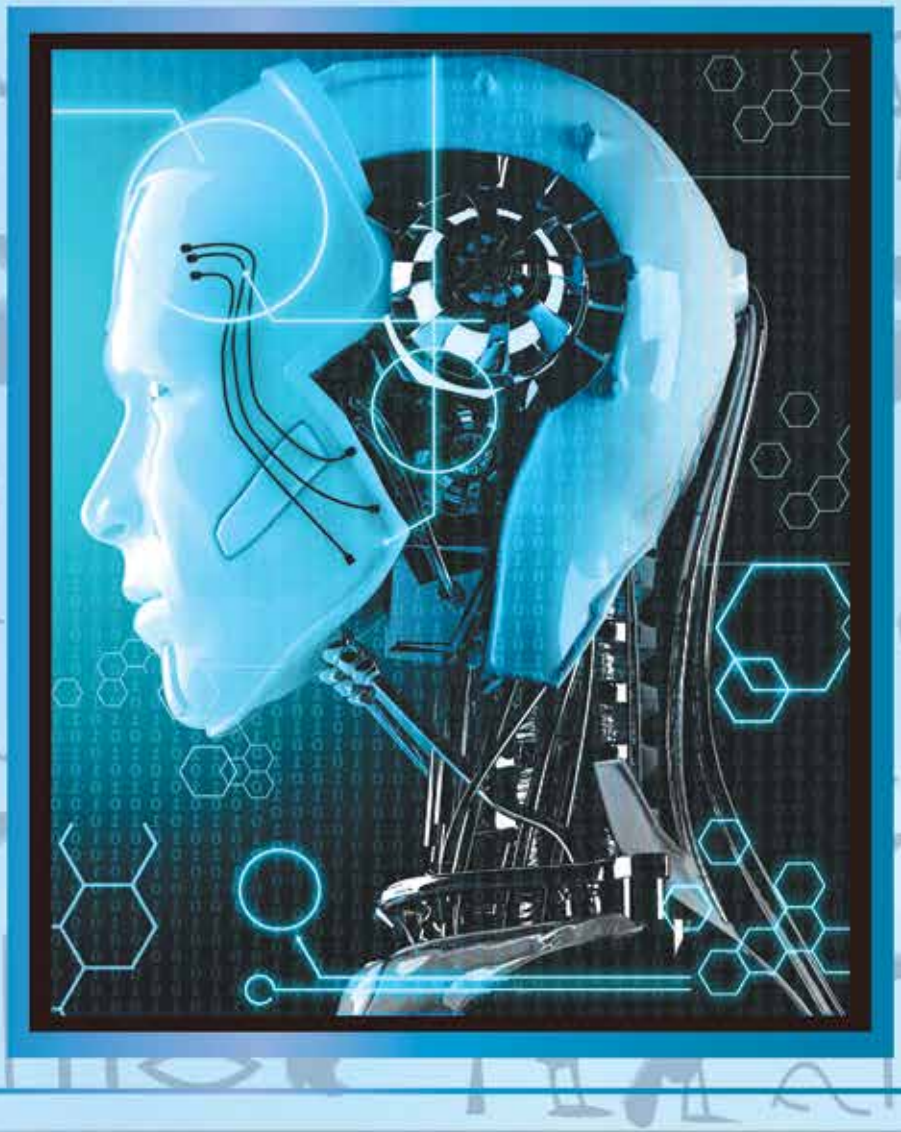

# فرص وتحديات الذكاء الإصطناعي

medmark
insurance brokerage

# Shape your own insurance solution

Whether it's your family or your employees you seek to protect, choosing the right formula of insurance solutions is key to getting the result you're after. Medmark has done the hard work for you & offers you unbiased advice on a selection of the most reputable international and local medical & life insurance brands. What's more, our Stronger Together philosophy means we'll be with you every step of the way to ensure you get the value and service quality you need. Call us now for a professional insurance consultation and proposal comparison.

stronger together

شركة ميدمارك شركة وساطة تأمينية مسجلة برقم ٢٦ بسجلات الهيئة العامة للرقابة المالية وخاضعة لاحكام القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٨١ و تعديلاته.

19247
www.medmark.eg

مجلة شهرية منوعة تصدر منذ مارس 1992 عن

## النادى الدبلوماسى المصرى

رئيسة مجلس إدارة النادى الدبلوماسى بالانابة
**سفيرة منى عمر**

رئيس تحرير مجلة الدبلوماسى
**سفير سعد الفرارجى**

المستشار القانونى
**رجائى عطية**

مستشار التحرير
**عادل عبد الصمد**

المستشار الفنى
**جمال عبد النبى**

سكرتير تحرير تنفيذى
**شادى غالى**

نواب رئيس التحرير

**سفير عبد الفتاح عز الدين**

**سفير هشام الزميتى**

**سفير رضا الطايفى**

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية - ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس +202 27735457

www.diplomategypt.com
facebook.com/diplomat.magazine.egypt
diplomatmagazine92@gmail.com

# أغسطس - أكتوبر - 2018


الذكاء الاصطناعى والتنمية والعلاقات الدولية .. بقلم السفير سعد الفرارجى 4
الحقيبة الدبلوماسية ..... 8

## سياســـــة

سوريـا.. معركة أخرى على إعادة الإعمار..... د. محمد حسين أبو الحسن 14
غـزة أولاً.. بين الجوانب الإنسانية والأهداف السياسية .... لواء محمد إبراهيم 17
الإرهاب المستفيد الأول من التجارة غير المشروعة للسلاح .... هادية الشربيني 20
ليبيـا ومكافحة الهجرة غير الشرعية....وزير مفوض د. محمد قدح 25
جهود حلحلة الأزمة الليبيـة .....مسلم هنيدى 28
حرب الحسابات الخاطئة بين أمريكا وإيران..... محمد صابرين 33
واشنطـن وطهـران بين التصعيد والحوار ..... د. أحمد سيد أحمد 36
قطـر والانقلابات.....سفير أسامة توفيق بدر 39
تحديات كبرى أمام السياسة الخارجية التركيـة ..... منى سليمان 40
أقليات إيـران وأسطورة الدولة الفارسية ..... محسن عوض الله 43
إثيوبيـا وإريتريـا.. عودة نصف العقل.....سفير عوض الحسن 47
الأمـن العربـى الأفريقـى .....سفير د. صلاح حليمة 50
آفاق التقارب الأمريكـى ـ الكـورى الشمالـى ... سفير رضا الطايفى 52
العلاقات الروسيـة الصينيـة فى عالم متغير ..... سفير د. عزت سعد 56
سياسات ترامب الصادمة لحلفاء أمريكا الأوروبيين .....سفير رخا حسن 58
أوجاع الناتو إلى أين تقود الحلف؟ .....أ.د. نورهان الشيخ 61
العالم العربى والحرب الباردة الجديدة ..... أ.د. هشام مراد 64
اتفاقية المركز القانونى الخاصة لبحر قزويـن.....أ. د. أيمن سلامة 68
شراكة متجددة بين مصر والبرتغـــال .....سفير على العشيرى 70
الحكمة الصينية تسهم فى استقرار الشرق الأوسط.....د. دينج جون 71
منتدى التعاون العربى الصينـى.....د. أحمد خميس 78
تفعيل مبادرة الحزام والطريـــق.....سفير د. نعمان جلال 80

## ملف العدد: الذكاء الاصطناعى

الذكـاء الاصطناعـى.. إلى أين؟ .....د. حسن المصرى 81
عصر الذكـاء الاصطناعـى والتحول الرقمى .....د. عادل عبدالصادق 84
ثورة الذكـاء الاصطناعـى..... سفير د. عزمى خليفة 87
قدرة الآلة على محاكـاة العقل البشرى ..... هبة عبدالعزيز 90

## ضيف العدد: تاكيهيـرو كاجـــاوا سفير اليابـان

تجربة التعليم بالأسلوب اليابانى..... 92

## اقتصـــــاد

بين صفقـة القـــرن وخطـة مارشـــال..... منى الدالى 98
تداعيات حرب ترامب التجارية ..... أحمد عبدالسلام 100
الحرب التجارية بين كبار المنتجين..... أمل عبداللطيف 102
عمالقة الاقتصاد العالمى عام 2050 ..... 106



الدبلوماسى

عدد 270 - 272


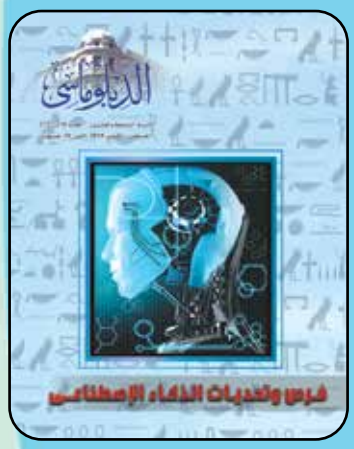


الغلاف للفنان
جمـال عبدالنبـى


جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبرعن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة،
والخرائط المنشورة توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك



توجه المراسلات والمقالات باسم رئيس التحرير
Email: diplomatmagazine92@gmail.com

للإعلان فى المجلة يرجى الاتصال برقم
0100 0722134


ترحب «الدبلوماسى» بإسهامات واقتراحات
السادة أعضاء السلك الدبلوماسى
والقنصلى بما يقدمونه من مقالات تثرى
المجلة بثقافاتهم وتجاربهم الدبلوماسية


جميع الحقوق محفوظة

## حمايـــة البيئـــة


كوكبنا يعانى تحت وطأة التحديات البيئية والمناخية- تقرير انتربرايز ..... 107


## منظمـات دوليـــة


مقتطفات عن تقرير ولاية مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى بالحق فى التنمية ..... سفير سعد الفرارجى 112


## دراســـــات وتوثيـــق


المناطق الخالية من الأسلحة النووية والاستخدامات السلمية للطاقة .... سفير د.سامح أبو العينين 117
البحر الأحمر والقرن الأفريقى وتهديدات المضايق ...سفير د. عادل السالوسى 120

مبادرة الحزام والطريق الصينيـــة ..... د. عدلى أنيس 122
نحو توثيق دقيـــق لتاريخنا المعاصـــر..... سفير محمد أبو الدهب 124


## قـــــراءات


المانيـــا والشرق الأوسط .....سفير عبدالفتاح عزالدين 126
مائة عام من الأدب الروســـى .....سفير عبدالفتاح عزالدين 127
واحـــة الغـــروب.. لبهاء طاهر..... سوسن رحمى 128
لماذا كان ماركـــس على حـــق؟ .....سفير د. وليد عبدالناصر 130
محطات فى حياتـــى.. سمير علام ..... عادل عبدالصمد 132


## بنـــت النيـــــل إعداد نادية الريس


أنشطة رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين..... 134
الرسم بالألـــوان الزيتيـــة ..... سالى سالم 137


## تاريخنـــا العظيـــم


لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية..... أ.د. محمد إبراهيم على 138
مظاهر حضارتنا المصرية العظيمة.....سفير محمد عهدى خيرت 145
بـــولاق أبـــو العـــلا .....أ.د. راندا بليغ 148
بوغوص بك يوسفيان..... مستشار ناجى غابـة 160


## ثقافـــة وفنـــون


مفاعل الزمن الجميل لتخصيب الخيال..... سفير د. محمد حسونة 162
جماليات الإبداع العربـــى والإسلامـــى.....أ.د. يوسف نوفل 164
زرافـــة محمد على فى موكب قطر الندى..... عادل عبدالصمد 168
وداعاً أحمد سعيد..... سفير محمد الشاذلى 171
فنـــون تشكيليـــة ..... سفير فخرى عثمان 172
دبلوماسية الرياضة «مونديال 2018..... سفير د. يوسف الشرقاوى 174
معرض فنى للإيحاء بصور سياسية..... سفير يسرى القويضى 176
لا تنه عن خلق وتأتى مثله..... سفير د. فتحى مرعى 177
شىء من الشعر عند الدبلوماسيين .....فاروق صالح باسلامة 178
مصارع الثيران يكسب 50 ألف جنيه فى العام.....شريفة التابعى 179

افتتاحية العدد

# الذكاء الاصطناعى والتنمية والعلاقات الدولية

**تعيش الإنسانية على إيقاع التطورات العلمية والتكنولوجية منذ انطلاق الثورة الصناعية الأولى، التى جاءت بدورها كنتيجة منطقية لكل من حركة الاكتشافات الجغرافية الكبرى وعصر «النهضة» وما ارتبط به عضوياً من حركة «الإصلاح الدينى» فى أوروبا. وقد تزايدت وتيرة تلك التطورات العلمية وتطبيقاتها العملية فى الآونة الأخيرة بمعدلات متسارعة وغير مسبوقة وانتقلت فى مراحل متتابعة ومتلاحقة حتى وصلنا حالياً إلى ما بات يسمى بحقبة الثورة الصناعية الرابعة.**

بقلم السفير

**سعد الفرارجى**

رئيس التحرير


وقد أحدثت هذه الثورة تغييراً نوعياً ملموساً وعميقاً فى حياة البشر فى البلدان المتقدمة أو البازغة أو النامية على حد سواء بسبب تأثيرها على مختلف جوانب حياتهم حالياً وفى المستقبل، لاسيما فى مجالات الصناعة والخدمات والاتصالات، وكذلك فى مجالات الطب والعلاج والرعاية الصحية والتعليم والبحث العلمى. ولعل من بين الأمثلة الحَرِيّة بالذكر لإيضاح مدى تأثير تلك الثورة فى المجالات التى امتدت إليها: القدرة على استرجاع وترميم الأنسجة الحيوية التى لم تعد قادرة على أداء وظائفها عبر تقنية الخلايا الجذعية، والتفاعل مع واقع الفجوات التكنولوجية فيما بين الأجيال المختلفة وآثاره وتوظيفه فى سياق أعم وأشمل لتعظيم قدرات اكتساب المعرفة، والهندسة الجينية والحيوية التى ساهمت فى استنباط سلالات من البذور أو الثمار ذات الصفات المرغوبة، وطفرات التكنولوجيا المعلوماتية المتوالية، والذكاء الاصطناعى، وعلوم التحكم الآلى والحوسبة، وكيفية التعامل مع البيانات الضخمة ومعالجتها واستغلالها.

وعلى صعيد آخر، فمن المؤكد أن تلك الثورة الصناعية الرابعة ستعيد رسم الخريطة العالمية لتوزيع مصادر الثروة والدخل ووسائل الإنتاج وأدواته، بل وستعيد تعريف مفهوم مركزى فى المجتمع، بل وفى الحياة، ألا وهو «العمل» بمكوناته ومحدداته ومعاييره الأساسية والفرعية. وكنتيجة لذلك، سيكون هناك رابحون وخاسرون. ومن المؤكد أيضاً أن هذه الثورة سوف تطرق أبواب مختلف المجتمعات البشرية، ليس فقط من الجوانب الاقتصادية، إنما من الجوانب الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية على حد سواء، بل ومن الجوانب الأمنية والإستراتيجية أيضاً. ومن بين معطيات ومفردات الثورة الصناعية الرابعة، يبرز مفهوم «الذكاء الاصطناعي» الذى يُستخدم عادة لوصف أنظمة الحاسب الآلى التى تعرض قدرات معينة ومتميزة ظلت مرتبطة بشكل أساسى بالذكاء البشرى، مثل الإدراك والفهم والتعلم والمنطق وحل المشاكل. وتُعد خدمات محرك البحث جوجل وسيرى وأليكسا والسيارات ذاتية التشغيل ومنظِّمات الحرارة الذكية مجرد أمثلة لبعض أنواع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعى التى بدأت فى تغيير واقع الحياة اليومية للبشر وللمجتمعات الإنسانية بشكل عام، وفى البلدان الصناعية المتقدمة بصورة خاصة. وبفضل النظم ذاتية التشغيل، أصبحت تكنولوجيا «الذكاء الاصطناعي» قادرة أيضاً على أداء العديد من المهام الإدارية التى كانت تتطلب وقتاً طويلاً من العاملين، وكذلك على إنجاز المهام بوتيرة أسرع وجودة أعلى وتكلفة أقل. وتتوقع دراسة لمعهد «اكسنتشر للأداء الرفيع»، الذى يهتم بالنظرة المستقبلية لقطاع الأعمال، أنه يمكن من خلال توظيف أمثل لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعى أن يتضاعف المعدل السنوى للنمو الاقتصادى فى البلدان الصناعية المتقدمة بحلول عام 2035 وذلك بناء على دراسة تعتمد على نماذج اثنتى عشرة دولة متقدمة.

لكن مثل ذلك التأثير الإيجابى المتوقع على معدلات النمو الاقتصادى سيجلب معه أيضاً تغييرات غير مسبوقة وقائمة على التكنولوجيا لاقتصاديات الدول النامية والأقل نمواً، من خلال التعامل مع عدد من التحديات الحيوية التى تواجه تلك البلدان. فلقد فاق أداء نظم الحاسب الآلى أداء البشر فى العديد من المهام التى تؤثر فى الحياة

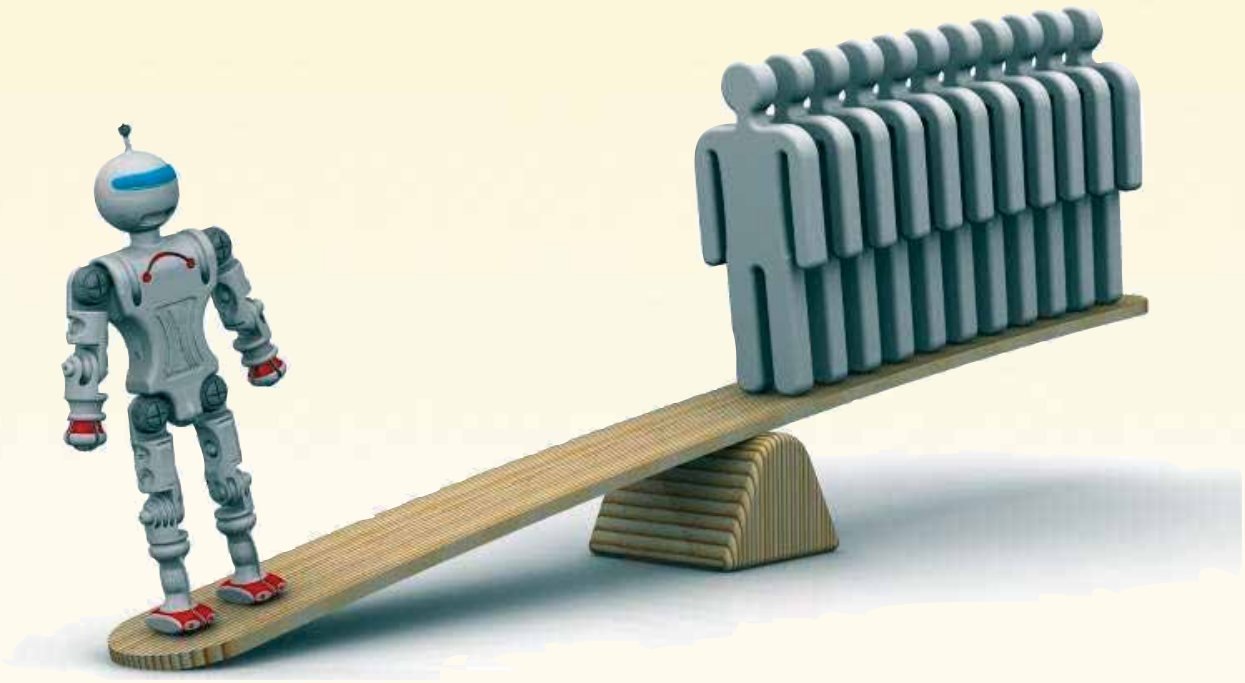

اليومية للأفـــراد والمجتمعات فى مجالات مثل النقل والاتصـــالات والطاقة والتمويل والرعاية الصحية والتعليم والبحث العلمى، فضلاً عـــن موضوعات أكثـــر حيوية مثل الدفاع والأمـــن؛ بل إن تلـــك التكنولوجيا باتت تتطور بوتيرة متســـارعة تعجز عن مواكبتها التطورات التـــى يجرى إدخالها على التشـــريعات القانونية. وبالتالى، لم يعد من قبيل المبالغة القول بأن «الحاسب الآلى وغيره من الأجهزة الرقمية المتطورة تفعل للقوة الذهنية.. ما فعله محرك البخار إبان الثورة الصناعية للقوة البدنية» حسبما ورد فـــى تقرير لمعهد ماساتشوســـتس للتكنولوجيا.

فعلى غرار ما نتج عن الثورة الصناعية الأولى، سوف يعيد الذكـاء الاصطناعـــى تحديد شـــكل العلاقة بين رأس المال واليد العاملة فى العالم على أســـس جديدة، وإن بدرجـــات متفاوتة فى البلـــدان المتقدمة والبلـــدان الناميـــة والأقل نمـــواً. فهناك صلة وثيقة، بل وعضوية، بين المكاســـب الاقتصادية المترتبة على استخدام الروبوت أو ما يُســـمى مجازاً الإنســـان الآلى وبين استبدال جزء من القوة العاملة. ففى حين أن المكاســـب الإنتاجية والاقتصادية التى يحققها الروبوت ستســـاعد الشركات على المحافظـــة على قدرتها التنافســـية وعلى توفير العديد من الوظائف الأعلى أجراً فى بعض البلدان المتقدمة، فإن قياس المنافع الاقتصادية المترتبة على استخدامها بدقة لا يزال يشـــكل تحدياً، خاصة فى مواجهة الآثار الاجتماعية لاستخدام الروبوت والتى من المتوقع أن تكون أكثر سلبية. إذ يمكن لتكنولوجيا الذكـاء الاصطناعـــى أن تقود إلى حدوث ثورة جديدة من شأنها أن تؤدى إلى انخفـــاض حاد فى الطلـــب على اليد العاملة الأمر الذى قـــد يعمل على خلخلة العقـــود الاجتماعية القائمـــة. وإذا كانت البلدان الأكثر ثـــراءً، والفئات الأعلى مهارة داخل هذه البلدان، هى المرشحة للاستفادة بشـــكل أكبر من تلك التحولات؛ فقد تجد البلدان النامية والأقل نمواً، لاســـيما الفئات الأشد فقراً فيها، أنه لا سبيل لديها فى كثير من الأحيان، حتى قبـــل دخول التطورات الســـابقة إلى حيز الواقع، كى تحصل على التكنولوجيـــا الأكثر تقدمـــاً أو المهارات المطلوبة أو الوصـــول للبيئة المواتية التى تمكنها من الاستفادة من تلك التكنولوجيا، بينمـــا تتحمل نفس تلـــك الفئات فى ذات الوقت القسط الأوفر من المخاطر الناتجة عن الاعتماد المتزايد على التكنولوجيا.

لكـــن ثمة خطر جوهـــرى يتمثل فى تفاقم أوجه عدم المساواة، سواء فيما بين البلدان المختلفة أو حتى داخل كل بلد. كما أنه من المتوقع أن تشـــهد البلدان النامية، التى تتخذ من برامج التنمية كثيفة العمالة القائمة على التركيـــز على قطاع التصدير مســـاراً للتخلص من الفقـــر، المزيد من تفاقم أوجه عدم المساواة مثل التفاوت فى الدخول والثروات. وللتدليل على ذلك، أشار تقرير لمنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية عام 2016 إلـــى أن 9 % من الوظائف فى الدول أعضاء المنظمـــة يمكن تنفيذها آلياً وهى دول تُعد فى مجملها صناعية متقدمة. وعلى الجانب الآخر، يمثل هذا الأمر إشكالية خاصـــة للبلدان ذات الدخـــل المنخفض، والتى يمثل الشـــباب الغالبية العظمى من سكانها، وينطبق ذلك على الغالبية العظمى من البلدان الأفريقية والعربية، والتى تحتاج إلى توفير فرص العمل بمعدلات متسارعة وبصورة مســـتمرة، لاســـتيعاب معدلات البطالة المرتفعة أصلاً ولاستيعاب الأعداد المتزايدة كل عام للقادمين لسوق العمل من الشباب.

ولا بـــد هنا مـــن إضافة حـــول أحد التحديـــات التـــى يفرضهـــا التنامـــى والتداخل المتزايدان لتكنولوجيا الذكـــاء الاصطناعـــى فى مناحى الحياة فى الدول النامية والمتقدمة على حد سواء. فمثل ذلك التنامى والتداخـــل والوتيرة التى يتخذانها ينبغى أن تســـترعى اهتمام كل القائمين على العمليات التعليمية بمختلف مراحلها لأنها باتت تتعلق بكيفية صياغة سياسات ومناهج التعليم. فإذا كان استمرار تحصيل العلم والمعرفـــة كأحد أهـــداف التعليم ســـيظل قائماً فإن الهدف الآخر وهو إعداد المتعلمين للانخراط فى سوق العمل يحتاج إلى جهود مبتكرة لتطوير ذلك الإعداد من حيث المناهج ومحتواها وقابليتها للتطوير ليواكب ما هو متوقع من متطلبات متغيرة على جانب ســـوق العمل. بـــل إن الأمر قد يســـتدعى التفكير فى أن تكون مؤسسات التعليم ذاتها منفتحة وفى علاقة مستمرة لا تنتهى بمجرد حصول الخريج على مؤهل بعينه بحيث يمكنه العـــودة مرة أو مرات أخرى لإكساب نفسه مهارات جديدة توائم الوظائف أو المهن المُستحدثة.

إن الواقـــع على مـــدار العقود القليلة الماضيـــة ينبيء بأن البشـــرية قد دخلت

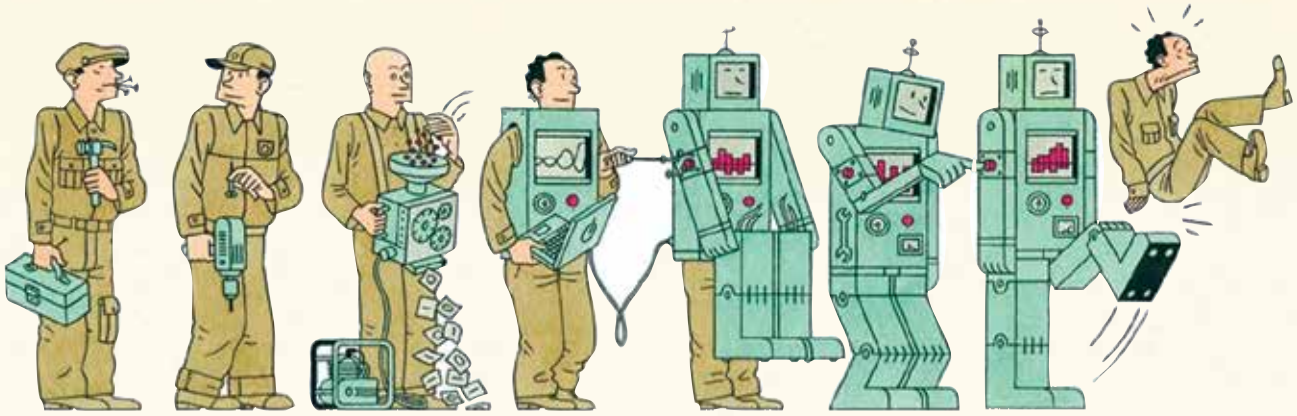

## الذكاء الاصطناعي والتنمية والعلاقات الدولية

بالفعل مرحلة يسهم فيها التغيير الهائل الذى تحدثه التكنولوجيا فى التغلب على العديد من التحديات، بما فيها تلك التحديات التى تواجهها اقتصاديات الدول النامية وتلك الأقل نمواً. وبقدر ما قد يُفترض من تأثير سلبى للذكاء الاصطناعى على اقتصاديات البلدان النامية فإنه يمكن أيضاً أن يكون لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعى، على وجه الخصوص، العديد من الآثار الإنمائية المهمة والمؤثرة. إلا أنه لا بد من التنويه إلى استمرار وجود عدد من العقبات أمام تطبيق هذه التكنولوجيا ومن بينها أن البنية التحتية المتوفرة لدى الدول النامية ليست قادرة بالضرورة على تحقيق التكامل بين جميع أنواع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعى. ومن ثمَّ، يجب إيلاء أولوية قصوى لبناء البنية الأساسية المطلوبة والملائمة فى البلدان النامية وتلك الأقل نمواً لإدماج بعض أنواع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعى ولتطوير الجيل القادم منها حتى يتسنى استخدام الذكاء الاصطناعى بشكل إيجابى اقتصادياً واجتماعياً فى تلك الدول. ولعل من أبرز مجالات الاستفادة الممكنة للبلدان النامية بشكل عام من الذكاء الاصطناعى، على سبيل المثال لا الحصر، قطاعات لها دلالاتها وتأثيرها المباشر وغير المباشر مثل: إمكانية زيادة محصول الأراضى الزراعية فى البلدان النامية وتلك الأقل نمواً وتوفير أساليب فعالة لمواجهة انتشار الأمراض وعلاجها. ولا شك أن مثل هذه التطبيقات ذات الفائدة لن تتأتى دون تكلفة اجتماعية، الأمر الذى يستوجب الاستعداد اللازم من الدول النامية للآثار السلبية المحتملة سواءً على صعيد إعادة تأهيل العاملين من الفئات غير المُدربة مثلاً لإدماجهم فى وظائف جديدة الأمر الذى ينطوى فى حد ذاته على صعوبات جمة فى ظل عدم كفاية البنية الأساسية للتعليم والتدريب فى الكثير من الدول النامية.

كما يُضفى الاعتماد المتزايد على الذكاء الاصطناعى أهمية خاصة على مفهوم حيوى وأساسى فى العلاقات الدولية، ألا وهو «نقل التكنولوجيا» الذى يمثل محور التماس بين موضوع الذكاء الاصطناعى ذى الأهمية المتصاعدة لجهود التنمية فى الدول النامية وبين مؤسساتها الرسمية القائمة على العمل الدبلوماسى، وفى المقدمة منها مصر. وقد تعرض مفهوم «نقل التكنولوجيا»، ومن وجهة نظر مصالح الدول النامية، لانتكاسة تمثلت فى تعثر ثم فض المفاوضات الدولية التى دارت لسنوات فى إطار مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية للتوصل إلى اتفاق حول مدونة قواعد سلوك دولية لنقل التكنولوجيا. ورغم ما تقدم، يجدر التنويه إلى أن مطلب نقل التكنولوجيا يظل مطروحاً من جانب البلدان النامية فى إطار العديد من المنظمات الدولية ذات العضوية العالمية وفى مقدمتها الأمم المتحدة وأجهزتها؛ فضلاً عن طرح الموضوع بقوة على جدول أعمال وكالات دولية متخصصة فى سياق منظومة الأمم المتحدة مثل منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) والمنظمة العالمية للملكية الفكرية (الوايبو). وهنا، من جديد، تبرز أهمية القدرات المختلفة للكوادر الدبلوماسية كعنصر من عناصر القوة الناعمة لكل دولة ومنظمة إقليمية أو شبه إقليمية، وكذلك للكوادر الدبلوماسية العاملة فى الأمانات العامة لتلك الوكالات الدولية المتخصصة.

فى ضوء ما سبق، لا يبدو مُستغرباً إذن أن يتسع مجال البحث لاستقراء التحديات التى يمثلها الاعتماد المتزايد على الذكاء الاصطناعى فى سياق أشمل وهو العلاقات الدولية. وفى هذا السياق، ترصد دراسة صادرة عن المعهد الملكى للعلاقات الدولية فى لندن «تشاتهام هاوس» الأدوار الممكنة للذكاء الاصطناعى فى مجال العلاقات الدولية من خلال دراسة تأثيره فى مستقبل الحروب والأمن الإنسانى والاقتصاد؛ فضلاً عن التنويه إلى ما بات متداولاً عن استغلال للذكاء الاصطناعى فى حملات دعائية من شأنها التأثير على العمليات الديمقراطية. وهذه إشارة إلى تلك الاستخدامات التى توصف عادة بأنها مُغرضة لأنها تسعى إلى استغلال البيانات المتاحة عن الأفراد من خلال وسائل التواصل الاجتماعى على سبيل المثال لتوجيه رسائل تسهم فى توجيه هؤلاء الأفراد على نحو معين؛ فبناءً على ما يتم جمعه من معلومات عن الناخبين يتم من خلال برمجيات الذكاء الاصطناعى التعامل مع هذه المعلومات لتصنيف الناخبين ثم صياغة رسائل موجهة ومتناسبة بهدف التأثير على أسلوب التصويت فى المناسبات الانتخابية وهو ما يمكن أن يفتح الباب للقدح فى سلامة العمليات الديمقراطية.

وترسم دراسة المعهد الملكى للعلاقات الدولية إطاراً يتوخى ثلاثة أنواع من الأدوار للذكاء الاصطناعى فى سياق العلاقات الدولية أولها هي: الأدوار التحليلية التى تشمل التعامل مع كميات ضخمة من المعلومات، وهى أدوار من شأنها تغيير أسلوب رؤية صناع القرار للعالم؛ وثانيها هى الأدوار فى مجال التنبؤ حيث يمكن للذكاء الاصطناعى الانخراط فى نماذج معقدة للمفاوضات مثلاً مع وجود بعض التحفظات على دقة تلك التنبؤات حتى الآن؛ وأخيرا الأدوار العملياتية للذكاء الاصطناعى والتى من أمثلتها أنظمة الأسلحة المستقلة آلياً والتى يثير تطويرها قضايا أخلاقية وقانونية لاسيما وأنها مستقلة تماماً بخلاف الطائرات المُسيرة مثلاً والتى يتم

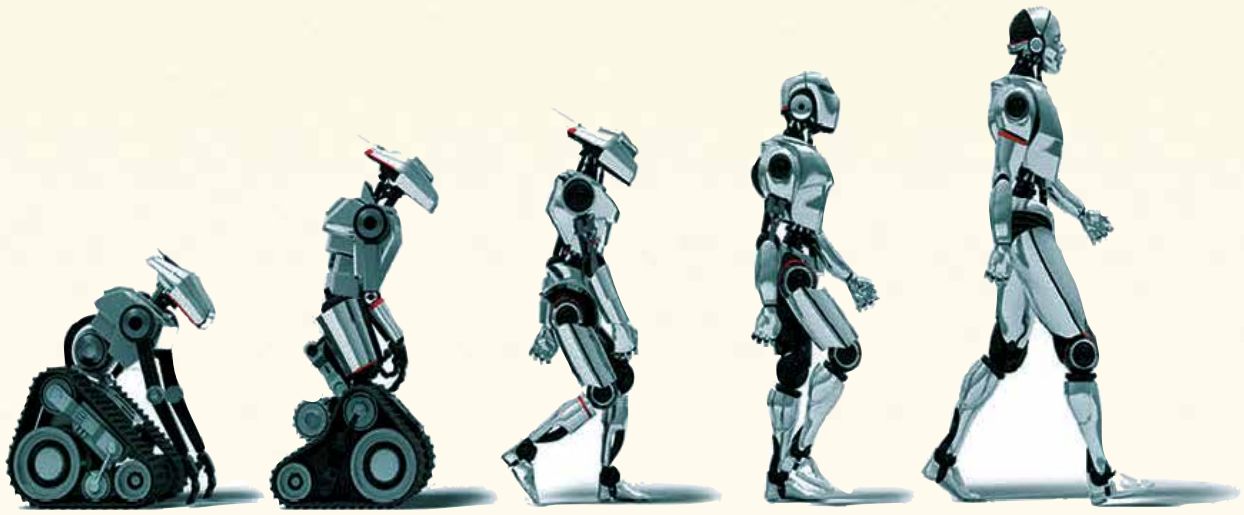

تشـــغيلها عن بُعد من خلال عامل بشري؛ ويُشـــار إلى أن القضايا الأخلاقية تثور هنا لأن اتخاذ قرارات تتعلق بحياة الإنسان فى حالة الأسلحة المســـتقلة تماماً سيخضع لبرمجيات الذكـــاء الاصطناعـــى وليس لرؤية فرد أو أفراد لديهم محددات يصعب حتـــى الآن تصـــور إدراك البرمجيات لها. وتخلص الدراســـة من خلال توخيها ما قد يكون لتقنية الذكـــاء الاصطناعـــى من آثار اقتصادية وعلـــى موازين القوى فى العالـــم إلى عدد مـــن التوصيات الموجهة إلى الحكومات والمنظمـــات الدولية غير الحكومية على النحو التالي:

• ضرورة ألا تقتصر خبرات الذكـــاء الاصطناعـــى على عدد محدود من الدول أو ضمن قطاعـــات ضيقة من المجتمعات وهو مـــا يضع على الحكومات مســـئولية الاســـتثمار فى تطويـــر وتوطين خبرات الذكـاء الاصطناعـــى وتوسيع قاعدة تلك الخبرات.

• نظراً لعدم وجود عائد مادى مباشر على القطـــاع الخاص فإنـــه ينبغى على الحكومـــات أن تخصص المـــوارد المالية اللازمـــة بالتعاون مع الشـــركات لتطوير ونشر تطبيقات الذكـاء الاصطناعـــى فى أطر ذات أهداف إنسانية مثل تقصير الزمن اللازم للاستجابة للاحتياجات الإنسانية فى حالات الطوارئ.

• إتاحة المعرفة الشاملة حول إمكانيات وحدود تطبيقات الذكـاء الاصطناعـــى مع إيلاء أولوية أكبر لقضية الإدراك بالجوانب الأخلاقية لدى مطورى الذكاء الاصطناعى.

• فى ضوء الصفـــة التجارية لمعظم عمليات تطوير الذكـــاء الاصطناعـــى فمن المهم التأكد من أن تطبيقات الذكـاء الاصطناعـــى ذات المهام الحرجة تتوخى السلامة والجوانب الأخلاقية وذلك من خلال توثيق علاقـــات العمل بين القطاعين العام والخاص، لاسيما فى مجالات الدفاع والأمن.

• ضرورة وضع مدونات سلوك لضمان إمكانية التشارك فى فوائد تطبيقات الذكـاء الاصطناعـــى بشكل واســـع مع تفادى مخاطرها المحتملة؛ على أن تراعى عملية وضع تلـــك المدونات ما قـــد يكون هناك من اختلافات جذريـــة بين محاولة تنظيم تداول أنظمة الذكـاء الاصطناعـــى وبين الممارسات التنظيمية السابقة فى مجالات مثل تنظيم تجارة الأسلحة أو حرية حركة السلع فى ســـياق تحرير التجارة العالمية، وإن كان ذلـــك لا يمنـــع من الاســـتعانة بالدروس المستفادة من مثل هذه الأمثلة.

• ضـــرورة إيلاء اهتمـــام خاص من جانب مطورى ومنظمى تطبيقات الذكـاء الاصطناعـــى لمســـألة العلاقة بين كل من الـــذكاء البشـــرى والاصطناعى، فكل منهما يختلـــف جذرياً عن الآخر لأن الذكاء البشـــرى قائم على «المعرفة» فى الأساس فى حيـــن أن الذكـــاء الاصطناعـــى يقوم على «المعلومـــات». ومن ثم، يتعين تصميم تطبيقـــات التعامل بينهما بحرص شديد ومراجعتها بشـــكل دورى لتفادى التداعيات الخطيـــرة واردة الحدوث نتيجة أخطاء التفاهم البشرى - الاصطناعى لدى استخدام العديد من التطبيقات.

ولعل تلك الإشارة المهمة فى التوصية الأخيـــرة إلى الاختـــلاف الجـــذرى بين «المعرفـــة» وبين «المعلومات» كأســـاس للذكـــاء البشـــرى والاصطناعـــى على التوالى من شأنها أن تبدد قدراً من التحسب الذى يصاحـــب طرح موضوع الذكـــاء الاصطناعـــى، لكنه يُمثل فى ذات الوقت حافزاً نحو ضرورة الاســـتعداد على كافة المستويات لما ســـيكون لتلك التكنولوجيا من تداعيـــات. فلا جدال إذن حول ضرورة التهيؤ لتداخل الذكـــاء الاصطناعـــى فى العديد من أوجه الحياة وللأبعاد المستقبلية لتأثيراته؛ فضلاً عما يطرحه ذلك من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية، ومن ثم، تتزايد الحاجة إلى تخصيص موارد بشرية ومادية مناســـبة لمواكبة القفزات الناجمة عن الاعتماد على تكنولوجيا الذكـاء الاصطناعـــى وفى القلب من ذلك، أهمية بلورة رؤية بعيـــدة المدى وكيفية التعامل مع تلك الثـــورة الصناعية الجديدة. وحريٌ بأفق مثل هذه الرؤية ألا يقتصر فحســـب على استخدام مختلف تطبيقات الذكـــاء الاصطناعـــى القائمة والمســـتقبلية. فتعظيم العائد وتحقيق الاســـتفادة المُثلى من التداخلات المتزايدة والمفيدة لتطبيقات الذكـــاء الاصطناعـــى فى مناحى الحياة لابد أن يتواكـــب مع اســـتدراك تأثيراتها المحتملة؛ فضلاً عن صياغة الأطر القانونية والتنفيذيـــة والدبلوماســـية التى تضمن مســـايرة تطورات تلـــك التكنولوجيا، بل وتستبقها إن أمكن، وطنياً وإقليمياً ودولياً.

إن الأهميـــة التى يكتســـبها موضوع الذكـــاء الاصطناعـــى باتت تفرضه على موائد البحث والنقاش العام والمتخصص على حد سواء وقد تناولته أقلام عدة حفزت «الدبلوماســـي» على أن تســـهم بقدر فى إلقاء مزيد مـــن الضوء عليه. ولعل من شأن المقالات التى يضمها ملف هذا العدد أن تفتـــح نوافذ جديدة للقـــارئ كى يطل على الموضوع من زوايـــا متعددة ما بين تحولات القوة التى يمكن أن يحدثها الذكـاء الاصطناعـــى، وإمكانيات الاستفادة من الفرص الواعدة له، والنظر إلى مســـتقبل الذكـاء الاصطناعـــى، وقدرة الآلة على محاكاة العقل البشرى وطريقة عمله.

# حقيبة الوزير

## تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

## السودان

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية د. الدردرى محمد أحمد وزير الخارجية السودانى الشقيق، حيث استهل اللقاء مشيداً بتطور العلاقات التاريخية، وهو ما عكسته النتائج الإيجابية للاجتماع التحضيرى للجنة المشتركة على مستوى كبار المسئولين الذى عقد بالقاهرة، مؤكداً أهمية وضع ما تم الاتفاق عليه موضع التنفيذ، حتى يلمس المواطنون ثمار التعاون المشترك فى مجال التنمية. وأكد وزير الخارجية أهمية الحفاظ على دورية انعقاد الاجتماعات التنسيقية بين وزارتى خارجية الدولتين، معرباً عن تطلعه لزيارة الخرطوم لعقد اجتماع لجنة التشاور السياسى، وكذلك عقد اجتماع اللجنة الرباعية المكونة من وزارتى الخارجية، ومديرى جهازى المخابرات، والتى عقد اجتماعها الأول بالقاهرة فى 8 فبراير ٢٠١٨ كما تناول خلال اللقاء عدداً من التطورات الإيجابية على المستوى الثنائى، مثل الاتفاق على توقيع مذكرة تفاهم للتعاون بين مركز التدريب ودعم القرار الدبلوماسى بوزارة الخارجية السودانية، ومعهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية المصرية خلال أعمال اللجنة الرئاسية العليا فى أكتوبر المقبل، فضلاً عن تنظيم دورات تدريبية للدبلوماسيين السودانيين بمقر المعهد بالقاهرة، منوهاً بنجاح أعمال اللجنة القنصلية ولجنة المنافذ البرية، والأثر المتوقع لذلك على المواطنين.

وفيما يتعلق بالقضايا الإقليمية، رحب وزير الخارجية بالجهود الحثيثة للأشقاء فى السودان لتحقيق السلام فى جنوب السودان، وما تمخضت عنه تلك الجهود من توقيع الأطراف الجنوب سودانية على اتفاق تقاسم السلطة، مؤكدا تأييد مصر الكامل لتلك الجهود. كما أشاد الوزير شكرى بجهود الحكومة السودانية لتحقيق الاستقرار فى كافة أرجاء البلاد خاصة فى مناطق دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق، داعياً جميع الأطراف السودانية للاستجابة لمبادرات الحكومة السودانية للحوار والتسوية. وقد تناولت المباحثات أيضاً موضوع أمن البحر الأحمر وأهمية التنسيق والتشاور بين الدول المشاطئة له، والأوضاع فى منطقة القرن الأفريقى، وملف مياه النيل وتطورات مفاوضات سد النهضة، حيث حرص وزير الخارجية على إحاطة نظيره السودانى بنتائج زيارته الأخيرة إلى أديس أبابا.

من جانبه، أشاد د. الدردرى بحرص الجانبين المصرى والسودانى على انعقاد اجتماعات اللجنة الوزارية المشتركة فى موعدها، وما يعكسه ذلك من جدية فى تنفيذ توجيهات القيادة السياسية فى البلدين بشأن وضع الشراكة الإستراتيجية موضع التنفيذ. كما أشار وزير خارجية السودان إلى أهمية انعقاد اجتماع آلية التشاور السياسى بين البلدين فى الخرطوم قريباً، وكذا اللجنة الرباعية بمشاركة وزيرى الخارجية ورئيسى جهازى المخابرات فى البلدين، مشيراً إلى أن استمرار التواصل والتنسيق على كافة المستويات من شأنه أن يحقق الشراكة الإستراتيجية المنشودة ويزيل أية معوقات أو تحديات تواجه تفعيل برامج التعاون المشترك، بما يضمن العودة بالنفع والمصلحة على شعبى وادى النيل.

## إثيوبيا

نقل سامح شكرى وزير الخارجية واللواء عباس كامل رئيس المخابرات العامة رسالة من الرئيس السيسى إلى رئيس الوزراء الإثيوبى تناولت تعزيز العلاقات المصرية الإثيوبية، وتنفيذ ما تم الاتفاق عليه على مستوى القيادتين، وتطورات مفاوضات سد النهضة، بالإضافة إلى القضايا الإقليمية وحرص الجانب المصرى على متابعة مسار تعزيز العلاقات مشيدا بالخطوات والمبادرات البناءة التى ينتهجها رئيس الوزراء الإثيوبى لتعزيز الاستقرار والسلام فى منطقة شرق إفريقيا. كما تم مناقشة تطورات مسار المفاوضات الثلاثية الخاصة بسد النهضة فى إطار الحرص المتبادل على تنفيذ اتفاق إعلان المبادئ لعام 2015، ومخرجات الاجتماع التساعى الأخير الذى عقد بأديس أبابا فى مايو 2018، حيث تم التأكيد على أهمية الدفع قدما بمسارات التفاوض القائمة وتذليل أية عقبات لضمان التوصل إلى التفاهم المطلوب حول مشروع سد النهضة بشكل يضمن تحقيق المصالح التنموية لإثيوبيا والحفاظ على أمن مصر المائى.

كما أكد الجانبان حرصهما على تفعيل الصندوق الثلاثى لتمويل المشروعات التنموية والاستثمارية بين مصر والسودان وإثيوبيا، وزيادة التبادل التجارى والاستثمارات المصرية فى إثيوبيا. كما تم بحث التطورات الإقليمية فى منطقة القرن الأفريقى، والجهود الجارية لتعزيز الأمن والاستقرار والسلام فى تلك المنطقة، لاسيما مع قرب تولى مصر رئاسة الاتحاد الأفريقى مطلع العام المقبل، وما توليه مصر من أهمية لتعزيز الأمن والاستقرار بدول القارة.

# مصر ترفض قانون يهودية الدولة فى إسرائيل

أعربت مصر عن رفضها لتبنى الكنيست الإسرائيلى لقانون «الدولة القومية للشعب اليهودي»، الذى ينص على أن إسرائيل هى الوطن القومى للشعب اليهودى الذى يعود له حصراً حق تقرير المصير، لتداعياته التى تكرس من مفهوم الاحتلال والفصل العنصرى، وتقوض من فرص تحقيق السلام والوصول إلى حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية، فضلاً عما ينطوى عليه من آثار محتملة على حق العودة للاجئين الفلسطينيين، وهو حق ثابت نصت عليه مقررات الشرعية الدولية وغير قابل للتصرف.

كما أبرزت القاهرة المخاطر المحتملة الناجمة عما نص عليه القانون بشأن الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل، لما له من تداعيات خطيرة على مستقبل التسوية الشاملة والعادلة للقضية الفلسطينية، وعملية السلام، لاسيما الجهود المبذولة لمحاولة تشجيع الأطراف على استئناف المفاوضات، مؤكدة موقف مصر الراسخ تجاه دعم حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة، وعلى رأسها قيام دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية.

وطالبت مصر المجتمع الدولى بالاضطلاع بدوره فى الحفاظ على الحقوق التاريخية والقانونية للشعب الفلسطينى، والعمل على استئناف المفاوضات والدفع بعملية السلام على أساس حل الدولتين وفقاً لمقررات الشرعية الدولية ذات الصلة.

**** **** ****

## ليبيـــــا

أعربـــت مصر عـــن قلقها العميـــق ازاء التطورات الســـلبية والخطيرة التي شـــهدتها ليبيا في الفترة الماضية، وبخاصة المواجهات المســـلحة التي تشـــهدها العاصمة طرابلس وضواحيها، وأكدت القاهرة أهمية اســـتعادة الاستقرار واضطلاع مؤسسات الدولة بواجباتها رعاية لمصالح الشـــعب الليبي الشقيق، وعلى رأسها المؤسســـة العســـكرية والمؤسسات الأمنية، والنأي بليبيا عن فوضى الميليشـــيات حتى يتمكن الشعب الليبي الشقيق من استعادة السيطرة على مقدراته ووضع يده على ثرواته لبناء الدولة الليبية الحديثة المستقرة الموحدة التي يتطلع إليها الجميع.

## بـــــورونـــدى

استقبل سامح شـــكرى وزير الخارجية «باســـكالنيا بيندا» رئيـــس الجمعية الوطنية البوروندية حيث استهل اللقاء بتأكيد الاهتمام بتطوير العلاقات البرلمانية بين البلدين وارتياح مصر لمستوى التعاون والتنسيق القائم، وتطلع مصر لتعزيزه فى كافة المجالات خاصة التعاون فى مجال الدعم الفنى ونقل الخبرات وتدريب الكوادر البوروندية فى عدد من المجالات على رأسها قطاع الصحة من خلال الوكالة المصرية للشـــراكة من أجل التنمية، مشـــيراً إلى أنه تم تسليم آخر شـــحنة مستلزمات طبية فى أبريل 2018، تضمنـــت أجهزة غســـيل كلوى. كما نوه الوزير شـــكرى إلى استجابة مصر لطلب بوجمبورا تقديم كميات مـــن الصاج المعرج لتستخدم كأسطح للمنازل لحمايتها، والتى تم شحن جزء منها في أغسطس 2018.

وأكد الوزير شـــكرى اهتمام مصر بدعم قطاعى الزراعة والطاقة فى بوروندى فى ضوء حرصها على نقل خبراتها للأشقاء فى بوروندى وكافة دول حـــوض النيل، بالإضافة إلى تعزيز التبادل التجارى وزيادة الاستثمارات، بما يرقى لمستوى العلاقات السياسية الممتازة.

ومن جانبه، أكـــد رئيس الجمعية الوطنية البوروندية علـــى عمق العلاقات التاريخية بين البلدين، وتقدير بلاده للدعم المصرى وتطلعه لاستمرار هذا الدعم لتحقيق الاستقرار والتنمية. كما أشار رئيس الجمعية الوطنية إلى اهتمامه بتلقى البرلمانييـــن البوروندين التدريب فى مصر، وكذا تطلع بلاده إلى زيادة الاستثمارات المصرية فى بوروندى وتشجيع القطاع الخاص على زيارتها لاستكشـــاف مجالات الاستثمار المتاحة. وأكد رئيس الجمعية الوطنية استمرار موقف بلاده المتفهم لأهمية مياه النيل للشعب المصرى، ودعم بوروندى لكل جهد يســـتهدف الحفاظ على أمن مصر المائى.

## ايـــطاليـــــا

عقد وزير الخارجية ســـامح شـــكرى، مباحثات مع نظيره الإيطالى «إنزوموافرو ميلانيزي» فى زيارة تعد الأولى على هذا المســـتوى منـــذ عام 2015، حيث أعرب عن تطلعـــه لأن تمثل الزيارة قوة دفع جديدة لتطوير العلاقات حيث تعد إيطاليا الشـــريك الثانى لمصر أوروبيـــاً والرابع عالمياً بحجم تبادل تجـــارى 4,75 مليار يورو، وتعد أكبر مســـتورد من مصر بقيمـــة 1.8 مليار دولار، وخامس أكبر مســـتثمر أجنبى فى مصر بقيمة 7 مليارات يورو. وفى هذا الإطار، أشـــاد شكرى بقرار الحكومة الإيطالية بافتتاح مكتـــب لوكالة ضمان الصادرات الإيطالية SACE بالقاهرة، حيث تقدم الوكالة ضمانات حكومية للشـــركات الإيطالية التى ترغب فى الاســـتثمار فى مصر، معرباً عن تطلعه لتفعيل مجلس رجال الأعمال المشترك المتوقف منذ عام 2016. كما أشاد الوزير شـــكرى بالدور المحورى الذى تلعبه إيطاليا لمساندة مصر فى مساعيها للتحول إلى مركز إقليمى لتداول الطاقة ونقلها إلى القارة الأوروبية، مشـــيراً إلى استمرار عمليات التنقيب والاستكشـــاف التى تقوم بها شركة ENI ، فضلاً عن العقد الموقع مؤخراً بين وزارة البترول وشـــركة TECHNIP الإيطالية لرفع القدرة التكريرية لمعمل MIDOR بالإسكندرية بتكلفة تتجاوز 1.5 مليار دولار.

ونوه وزير الخارجية إلى أن الرئيس السيسى أعلن أن 2019 عام التعليم المصرى، مشـــيراً إلى أن هناك اهتماماً بالغاً من قبل الحكومة المصرية بمشـــروع إنشاء جامعة إيطالية فى مصر عبر إطلاق شـــراكة بين جامعة حكومية والجامعات والمؤسســـات الأكاديمية الإيطالية المهتمة بالمشـــروع. وتناول الوزيران أيضاً سبل تعزيز التعاون الاقتصادى والتنموى، حيث أعرب وزير خارجية إيطاليا عن رغبة بلاده فى ضخ المزيد مـــن التمويل لدعم قطاع الصناعات الصغيرة والمتوســـطة فى مصر، وكذا دعم قطاع الزراعة وتزايد الاعتماد على الصادرات الزراعية المصرية.

وفيما يتعلق بقضية الهجرة غير الشـــرعية، أوضح شكرى أن مصر استطاعت أن توقف تدفقات الهجرة غير الشرعية من الســـواحل المصرية منذ سبتمبر 2016، مما يعزز من مصداقية مصر فى هذا المجال، مشيراً إلى أن مصر تتحمل الكثير من الأعباء وأثبتت أنها شـــريك رائد للاتحاد الأوروبى، وأن مصـــر تتعامل مع قضية اللاجئين فى المنطقة من منظور إنســـانى وترفض أى حلول قائمة على إيداع المهاجرين واللاجئين فى معسكرات أو مراكز تجميع وعزلهم عن المجتمع.

وفيما يتعلق بالملفات الإقليمية، تنـــاول الجانبان تطورات الأوضاع فى ليبيا حيث استعرض الوزير شـــكرى رؤية مصر تجاه الأزمة الليبية والجهود التى تبذلها لتحقيق الاســـتقرار، مرحباً بالتعاون مع الجانب الإيطالى للتوصل إلى صيغة شـــاملة تحقق الاســـتقرار السياســـى والأمنى فى ليبيا، وتواجه الإرهاب، وتعيد بناء مؤسسات الدولة الليبية، وتعالج الخلل القائم فى توزيع المـــوارد بين المناطق الليبية المختلفة، وتتيح إجـــراء الانتخابات النيابية والرئاســـية فى أقرب فرصة. كما تطرقـــت المباحثات إلى تطورات القضية الفلسطينية، حيث استعرض الوزير شكرى نتائج اتصالاته مع الأطراف الإقليمية والدولية لوقف عمليات التصعيد وتشجيع الأطراف على استئناف المفاوضات وإعادة إطلاق عملية السلام ومسار الرعاية المصرية لعملية المصالحة الفلسطينية. وقد ناقش الوزيران أيضاً الأوضاع فى القارة الأفريقية، وعلى وجه الخصوص منطقة القرن الأفريقى والصومال، حيث توافقت الرؤى بشأن سبل دعم الاستقرار ومكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية والتهريب فى تلك المنطقة التى تهم البلدين.

ومن جانبه، أعرب الوزير ميلانيزى عن سعادته البالغة بزيارة القاهرة وتطلعه لأن تمثل تلك الزيارة أساســـاً لانطلاق العلاقات بين البلدين لأفق أرحب، ووجه «ميلانيزي» الدعوة للوزير شكرى للمشاركة فى منتدى روما لحوار المتوسط فى شهر نوفمبر القادم. واتصالاً بقضية الباحث الإيطالى جوليـــو ريجينى، أعرب وزير الخارجية الإيطالى عن تطلعه إلى إنهاء هذه القضية فى أقرب فرصة ممكنة ومحاسبة المسئولين عنها، مشيداً بالتعاون القائم بين الجهات القضائية فى البلدين. ومن جانبه، أكد الوزير شـــكرى أن مصر ملتزمة باستمرار التعاون بين البلدين، وتعتزم بذل كافة الجهود لإظهار الحقيقة حـــول الجريمة وتقديم مرتكبيها إلى العدالة. كما أعرب شـــكرى عن تقديره للحكومة الإيطالية على تســـليم مصر القطع الأثرية التى ضبطتها السلطات الإيطالية فى ميناء مدينة ســـاليرنو عام 2017، مؤكداً أهمية استمرار تعاون الجانب الإيطالى فى القضايا المماثلة.

## الـولايـات المتحـدة الأمريكية

عقد سامح شكرى وزير الخارجية مباحثات مع «مايك بومبيو» وزير الخارجية الأمريكى عكست الرغبة المشتركة فى أن تشهد العلاقات الثنائية قوة دفع جديدة خلال المرحلة المقبلة، وذلك من خلال تكثيف الزيارات الثنائية، وعقد جولة جديدة من الحوار الإستراتيجى وآلية 2+2 على مستوى وزيرى الخارجية والدفاع فى أقرب فرصة ممكنة. كما حرص «شكري» على إطلاع «بومبيو» على مستجدات الأوضاع السياسية والاقتصادية فى مصر، مستعرضاً ملامح برنامج الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى الذى تتبناه الحكومة المصرية، كما تناول اللقاء بشكل مستفيض الجهود المصرية فى محاربة الإرهاب، لاسيما على ضوء النجاح المتحقق فى العملية العسكرية الشاملة «سيناء 2018 ».

من جانبه أكد بومبيو أن مصر شريك إستراتيجى للولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط، وأن هناك حرصاً من الإدارة الحالية على تعزيز علاقتها مع مصر، مؤكداً على التزامها بدعم مصر سياسياً واقتصادياً وتنموياً من خلال آليات التعاون القائمة بين البلدين، بما فى ذلك برنامج المساعدات الأمريكى لمصر بشقيه الاقتصادى والعسكرى، وبما يعزز من القدرات المصرية فى مواجهة التحديات الأمنية وتعزيز الاستقرار الإقليمى، مشيداً بالتقدم الملحوظ فى أداء الاقتصاد المصرى على مدار الأعوام الأخيرة.

وقد نالت القضايا الإقليمية حيزاً كبيراً من مناقشات الوزيرين، حيث تطرقا للأوضاع فى سوريا على ضوء التطورات على الأرض وتقييم مسار العملية السياسية. وأعاد الوزير شكرى تأكيد محددات الموقف المصرى تجاه سوريا الذى يتأسس على أهمية دعم تطلعات الشعب السورى وحمايته وحدته الوطنية والحفاظ على مؤسساته من خلال التوصل إلى حل سياسى على أساس المرجعيات الدولية، يتوافق عليه كافة أطراف الأزمة. كما بحث الوزيران تطورات الشأن الفلسطينى، حيث أشار شكرى إلى الجمود الذى يصيب عملية السلام وخطورة استمرار الوضع الحالى الذى تغيب فيه الرؤية الدولية الموحدة لكيفية استئناف المفاوضات. وقد أشاد بومبيو بالجهود التى تقوم بها مصر لتحقيق المصالحة الفلسطينية. وتخفيف معاناة الشعب الفلسطينى فى قطاع غزة. كما حرص شكرى على استعراض الجهود المصرية القائمة من أجل تقريب وجهات النظر بين الأطراف الليبية المختلفة والمساعدة على توحيد المؤسسة العسكرية الليبية لتمكينها من أداء مهامها فى استعادة الأمن والاستقرار والقضاء على الإرهاب. وقد رحب وزير الخارجية بالجهود المصرية المبذولة للمساعدة فى حل الأزمة الليبية.

واتفق الوزيران على تكثيف التواصل خلال المرحلة القادمة بشكل يضمن توفير الدعم الكامل للعلاقات المصرية الأمريكية، والتشاور بشأن القضايا الإقليمية لإيجاد حلول لأزمات المنطقة تعزز من استقرار الشرق الأوسط.

## عمليـة السـلام

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية السيد جيسون جرينبلات المساعد الخاص للرئيس الأمريكى والممثل الخاص للمفاوضات الدولية، حيث تناول اللقاء تطورات الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية المحتلة وسبل الدفع بعملية السلام. واستعرض شكرى الرؤية المصرية تجاه التطورات على الساحة الفلسطينية، ولاسيما استمرار حالة التصعيد ضد المدنيين العزل بقطاع غزة، والتوتر الناجم عنها، والممارسات الأخيرة التى تهدد الحقوق التاريخية والقانونية للشعب الفلسطينى، محذراً من سلبيات مرحلة الجمود الحالية التى تمر بها عملية السلام وما تنطوى عليه من تداعيات خطيرة على أمن واستقرار المنطقة.

استعرض جرينبلات من جانبه نتائج الاتصالات التى قام بها مع عدد من الأطراف الإقليمية والدولية للتمهيد لطرح الرؤية الأمريكية لدعم عملية السلام، معرباً عن تقدير الإدارة الأمريكية البالغ للجهود التى تبذلها مصر لتحقيق المصالحة الفلسطينية، والتى اعتبرها خطوة أساسية ومحورية لمعالجة الوضع فى غزة، وجزءاً لا يتجزأ من أية خطة شاملة لتحقيق السلام. كما تطرق الحديث إلى مستقبل الأونروا والموقف الأمريكى منها، حيث أكد وزير الخارجية من جانبه على الدور المهم الذى تضطلع به الأونروا لدعم الاحتياجات المعيشية الأساسية للاجئين الفلسطينيين، والتى هى قضية لا يمكن فصلها عن أى تصور لحل شامل وعادل ودائم للقضية الفلسطينية. وقد أكد الوزير شكرى ضرورة وجود أفق سياسى واضح لتحقيق التسوية السلمية، وهو الأمر الذى من شأنه أن يعزز من فرص استئناف المفاوضات بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى. وأردف أن اللقاء تناول أيضاً سبل تحسين الوضع الاقتصادى ومستوى معيشة المواطنين فى الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث أكد وزير الخارجية على الأهمية التى توليها مصر للتخفيف من وطأة الأزمة الإنسانية التى يعانى منها الشعب الفلسطينى.

## غرفة التجارة الأمريكية

اجتمع سامح شكرى وزير الخارجية مع مديرى ومسئولى كبرى الشركات الأمريكية المستثمرة فى مصر أو الراغبة فى الاستثمار، ومنها شركات أباتشى وإكسون موبيل وهانى ويل وميت لايف وكارجيل ولوكهيد مارتن حيث استعرض ملامح برنامج الإصلاح الاقتصادى الذى تبنته الحكومة المصرية من أجل تحسين البيئة الاقتصادية لتصبح أكثر استقراراً وجاذبة للاستثمارات الأجنبية، متطرقاً لسبل الارتقاء بمستوى التبادل التجارى والاستثمارى وداعياً رجال الأعمال لزيادة استثماراتهم فى إطار الشراكة الإستراتيجية بين مصر والولايات المتحدة التى تقتضى تعزيز التعاون فى مختلف قطاعات الاقتصاد وعدم قصرها على مجالى الطاقة والبترول، مستعرضاً قانون الاستثمار الجديد الذى يخلق بيئة مواتية تشجع رجال الأعمال على الاستثمار فى مصر، بالإضافة إلى سن قانون جديد للخدمة المدنية من أجل الارتقاء بمستوى العاملين بالجهاز الإدارى للدولة، وقانون جديد لأسواق رأس المال يسهل على المستثمرين إجراءات الدخول فى مشروعات جديدة. كما أشار وزير الخارجية إلى الأولوية التى تمنحها الحكومة المصرية حالياً للارتقاء بقطاعى الصحة والتعليم، وهو ما يقود بالتبعية إلى الارتقاء بمستوى القوة العاملة لجعلها قادرة على الاستجابة للمنافسة فى ظل تحديات الاقتصاد العالمى، مشيراً إلى أن هذه الإجراءات الإصلاحية بدأت تؤتى ثمارها، حيث ارتفع معدل النمو الاقتصادى فى البلاد، وانخفض معدل البطالة، كما ارتفع حجم احتياطى النقد الأجنبى. واستعرض وزير الخارجية المشروعات القومية التى تنفذها الحكومة المصرية حالياً، خاصة مشروع العاصمة الإدارية الجديدة، ومشروعات البنية التحتية فى مجال النقل، موضحاً أن مشروع محور قناة السويس يعد من أبرز المشروعات الضخمة التى ستحول مصر إلى مركز إقليمى وعالمى للتجارة والصناعة. ودعا شكرى رجال الأعمال لإنشاء منطقة اقتصادية أمريكية فى المنطقة الصناعية التابعة لمحور قناة السويس. كما أكد وزير الخارجية أن مصر تستهدف أن تكون مركزاً إقليميا للطاقة، فى أعقاب اكتشافات احتياطيات كبيرة من الغاز البحرى فى شرق المتوسط، بالإضافة إلى ما هو مخطط لأن تتحول مصر إلى منصة لتصدير الطاقة النظيفة والمتجددة من أفريقيا إلى أوروبا.

وقد أشاد ممثلو القطاع الخاص الأمريكى وأعضاء الغرفة بالتقدم المحرز على مسار تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادى والمالى، وما تشهده مصر من نقلة نوعية وطفرة حقيقية نتيجة تنفيذ عدد من المشروعات القومية العملاقة التى تمثل عنصر جذب أساسى للاستثمار الأجنبى، مشيرين إلى التقدم الملحوظ الذى أحرزته الدولة خلال الفترة الأخيرة بشهادة المؤسسات المالية الدولية. كما شهد اللقاء نقاشاً حول سبل دعم علاقات التعاون بين مصر والولايات المتحدة، حيث استعرض شكرى كافة جوانب العلاقات المصرية الأمريكية، مشيراً إلى أنها ذات طبيعة إستراتيجية، وتمثل حجر الزاوية للاستقرار والسلام فى المنطقة، فضلا عن أنها تعكس إدراك الطرفين لأهمية تلك العلاقة وضرورة توفير كافة عناصر الدعم لها. كما حرص وزير الخارجية على استعراض النجاح الذى حققته مصر فى مجال مكافحة الإرهاب.

## الأمم المتحدة

عقد الوزير سامح شكرى لقاء مع «نيكولاى مادينوف» المنسق الخاص للأمم المتحدة لعملية السلام فى الشرق الأوسط، للتباحث بشأن المستجدات على الساحة الفلسطينية وسبل الدفع بعملية السلام، حيث استعرض الرؤية والمساعى التى تقوم بها مصر من أجل تحقيق التهدئة بالأراضى الفلسطينية، فى ضوء ما شهده قطاع غزة مؤخراً من تصعيد ضد المدنيين العزل، محذراً من خطورة استمرار الوضع القائم دون استئناف عملية السلام على أساس حل الدولتين، والتوصل إلى حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية وفقاً لمقررات الشرعية الدولية ذات الصلة.

ومن جانبه أعرب المسئول الأممى عن تقدير ودعم الأمم المتحدة للجهود المصرية إزاء الدفع بعملية المصالحة الوطنية الفلسطينية وإنهاء الانقسام، وحرصها على تكثيف التنسيق مع مصر خلال هذه المرحلة الحرجة، وفى هذا الإطار اتفق الطرفان على مواصلة التشاور والتنسيق بين الجانبين خلال المرحلة المقبلة من أجل الدفع بعملية السلام فى المنطقة واستئناف المفاوضات لإرساء دعائم الأمن والاستقرار فى المنطقة بأكملها.

## سريلانكا

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية «كاروجايا سوريا» رئيس البرلمان السريلانكى، حيث أعرب عن تقدير مصر للعلاقات التاريخية بين الدولتين، وهو ما عكسه الاحتفال العام الماضى بمرور 60 عاماً على بدء العلاقات الدبلوماسية، مؤكدا تطلع مصر لتعزيز التعاون خاصة فى مجالات الصحة والسياحة والتعليم وتعزيز التبادل التجارى. وأشار إلى أهمية عقد الجولة الثانية للجنة المشاورات السياسية وانعقاد اللجنة المشتركة للتعاون الاقتصادى، وكذا تفعيل عمل مجلس رجال الأعمال المصرى السريلانكى الذى تأسس فى أبريل 2008، وإعطاء دفعة للعلاقات الثنائية. كما رحب وزير الخارجية بمبادرة الجانب السريلانكى لإطلاق جمعية الصداقة البرلمانية مع مصر فى مايو 2018، والتى تضم 14 نائباً يمثلون الأطياف السياسية والعرقية والدينية فى سريلانكا.

وأكد الوزير شكرى أهمية الإرث المصرى فى جزيرة سيلان، حيث أشرف الزعيم أحمد عرابى خلال إقامته على الجزيرة بعد نفيه من مصر على إنشاء مدرسة حديثة فى كولومبو عام 1891، والتى تحمل اسم «المدرسة الزاهرة»، فضلاً عن تحول منزله إلى متحف يضم مقتنياته الشخصية ولوحات ووثائق، وحيث أعرب عن تطلع مصر للاستفادة من هذا الإرث الثقافى والتاريخى الكبير ثقافياً وسياحياً، وهو ما يتطلب القيام بمراجعة الاتفاق الثقافى الموقع عام 1961، وذلك لإضافة مجالات جديدة للتعاون. كما تناول الوزير شكرى جهود الحكومة المصرية للتطوير فى مختلف المجالات خاصة من خلال تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادى وجذب الاستثمارات الأجنبية، معرباً عن استعداد مصر لزيادة الاستثمارات وتبادل الخبرات فى شتى المجالات. كما أبرز جهود الحكومة المصرية فى مجال تمكين الشباب والمرأة.

وفيما يتعلق بمكافحة الإرهاب والفكر المتطرف، أوضح وزير الخارجية جهود مصر فى هذا المجال سواء على المستوى الأمنى أو الفكرى من خلال دور الأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية فى مكافحة الفكر المتطرف. كما ثمن التعاون القائم بين البلدين فى المحافل الدولية.

ومن جانبه، أكد رئيس البرلمان السريلانكى أهمية العلاقات التاريخية، مشيراً إلى حرصه على تعزيز العلاقات الثنائية فى كافة المجالات على ضوء الفرص الكبيرة المتاحة للتعاون، وأخذاً فى الاعتبار الموقع المتميز للدولتين وما يوفره من مزايا فى هذا الصدد.

## برنامج الغذاء العالمى

عقد سامح شكرى وزير الخارجية لقاء مع «مانجستا بهايلي» الممثل المقيم ومدير مكتب برنامج الغذاء العالمى فى مصر؛ لمناقشة جهود الحكومة المصرية فى توسيع شبكة الحماية الاجتماعية وتحقيق الأمن الغذائى، حيث أعرب «شكري» عن شكره للدعم الذى قدمه البرنامج ومدير المكتب فى مصر خلال جلسة اعتماد الخطة الإستراتيجية لمصر للفترة ما بين 2018-2023 بتكلفة إجمالية قدرها 454 مليون دولار يتحملها البرنامج، والتى تعد إحدى أكبر الخطط الإستراتيجية للبرنامج فى منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط، كما استعرض خطة مصر حال توليها منصب نائب رئيس مكتب المجلس التنفيذى للبرنامج للعام الجارى ورئيساً للمجلس التنفيذى عام 2019، مؤكداً استمرار مصر فى تقديم الدعم اللازم لإدارة البرنامج ومكاتبه الإقليمية والوطنية، فى ضوء الدور الإنسانى والتنموى للبرنامج فى دعم جهود دول المنطقة فى تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

ومن جانبه قدم المسئول الأممى عرضاً للمشروعات التى يضطلع بها المكتب فى مصر والمنطقة، مشيراً إلى الاهتمام الخاص الذى يوليه البرنامج لدعم برامج التضامن الاجتماعى التى تتبناها الحكومة المصرية، وكذلك توفير الاحتياجات الغذائية للاجئين على الأراضى المصرية خاصّة السوريين.

## منظمة التعاون الإسلامى

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية السيد يوسف العثيمين أمين عام منظمة التعاون الإسلامى حيث أكد أهمية الدور الذى تلعبه منظمة التعاون الإسلامى باعتبارها المنبر الأساسى للعمل الإسلامى المشترك، وحرص مصر على دعم كافة الجهود الرامية إلى تطوير آليات العمل بها من أجل خدمة قضايا الأمة والشعوب الإسلامية، ودعم مصر لما يقدم من أفكار بناءة من أجل دفع العمل داخل منظمة التعاون والارتقاء بمستوى الأداء، منوها فى هذا السياق إلى أهمية مواجهة أية محاولة لتوظيف المنظمة وأجهزتها المختلفة لتحقيق مصالح ذاتية لا تتسق بالضرورة مع أهدافها ومقاصدها العليا. وتناول اللقاء الأزمات التى تشهدها العديد من الدول الإسلامية والتى تمتد تداعياتها لتؤثر على المنطقة برمتها، وضرورة التوصل إلى حلول سياسية لمختلف هذه الأزمات من أجل تعزيز أمن واستقرار العالم الإسلامى. كما تطرق شكرى إلى استضافة مصر للمؤتمر الرابع لوزراء المياه بمنظمة التعاون الإسلامى خلال الفترة من 14 - 16 أكتوبر 2018 مشيراً إلى تطلعه لأن تُسهم مخرجات المؤتمر فى دعم قدرات الدول الأعضاء إزاء قضية إدارة موارد المياه العابرة للحدود.

وأكد وزير الخارجية أيضاً على أهمية مد جسور التعاون والتنسيق بين منظمة التعاون الإسلامى وبين الأزهر الشريف ومرصده لمكافحة الإرهاب والتطرف، بما يساعد على نصرة قضايا العالم الإسلامى ومواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا.

ومن جانبه، استعرض أمين عام المنظمة المبادرات والمشروعات التى تنخرط فيها فى التوقيت الحالى لتفعيل ودعم التعاون بين الدول الإسلامية فى المجالات المختلفة، مقدماً الشكر لمصر ودورها المشهود فى دعم أنشطة منظمة التعاون الإسلامى وتعزيز دورها. وقد أعرب وزير الخارجية من جانبه عن تقدير مصر للجهود التى تبذلها الأمانة العامة من أجل متابعة تنفيذ القرارات الصادرة عن منظمة التعاون الإسلامى بأكبر قدر من الحيادية، منوهاً إلى حرص مصر على التشاور والتنسيق الدائم مع الأمين العام وتقديم يد العون والمساعدة له فى أداء مهام منصبه بما يصب فى النهاية فى صالح المنظمة.

**** **** ****

## الإعداد لمؤتمر التعاون جنوب – جنوب

استضافت وزارة الخارجية بالتعاون مع الأمم المتحدة أعمال الاجتماع التشاورى الحكومى للإعداد لمؤتمر الأمم المتحدة رفيع المستوى للتعاون جنوب – جنوب، حيث افتتح الاجتماع السفير هانى سليم مساعد وزير الخارجية للتعاون الدولى للتنمية، وخورخى شدياق مبعوث أمين عام الأمم المتحدة للتعاون جنوب – جنوب، وشارك فيه مسئولون من الخارجية المصرية وأكثر من 60 دولة ومنظمة دولية وإقليمية، إضافة لمؤسسات التمويل ووكالات التنمية الدولية لعرض رؤية مصر، كرئيس حالى لمجموعة الـ 77 والصين وباعتبارها الرئيس القادم للاتحاد الأفريقى، لسبل تطوير التعاون فيما بين دول الجنوب بهدف تحقيق أهداف التنمية المستدامة ونهضة شعوب الجنوب وصياغة تصور واضح لتطوير التعاون فيما بين دول الجنوب من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة وفقاً لأجندة التنمية الدولية 2030، ولمواجهة التحديات المختلفة بعد 40 عاماً من التوقيع على إعلان «بوينس أيرس للتعاون جنوب-جنوب» عام 1978.

## وكـالـــــــة أونـــــروا

عرب االمتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية عن قلق مصر البالغ إزاء الأوضاع الإنســـانية للاجئين الفلسطينيين، والتي تزداد صعوبة يوماً بعد يوم، لاســـيما مع تزايد التضييق على وكالـــة أونـــروا وعدم تمكينها من الاضطلاع بدورهـــا الهام في رعاية الشـــئون الحياتية والضرورية للاجئين، مشـــيراً إلى أن القرار الامريكي الأخير جاء في توقيت حرج، تتضافر فيه الجهود الدولية من أجل الحفاظ على وتيرة العمل الإنساني للوكالة، ومؤكدا موقف مصر الراسخ تجاه دعم القضية الفلسطينية بشكل عام، وحقوق اللاجئين الفلسطينيين بشكل خاص. وأضاف المتحدث أن مصر حريصة كل الحرص على التواصل مع كافة الأطراف الدولية خلال الفترة المقبلة لدعم أونـــروا، واتخاذ كل ما هو ضروري للحفاظ على وتيرة العمل الإنســـاني للوكالة كركيزة من ركائز الاستقرار لأوضاع اللاجئين الفلســـطينيين، والعمل على اســـتمرار ولايتها وهياكلها القائمة.

## اجتماع مجلس السلم والأمن الأفريقى مع مجلس الأمن

شهد مقر الأمم المتحدة بنيويورك أعمال الاجتماع التشاورى السنوى المشترك الثانى عشر بين كل من مجلس السلم والأمن التابع للاتحاد الأفريقى ومجلس الأمن. بمشاركة مصر على ضوء عضويتها فى مجلس السلم والأمن الأفريقى، وحيث ركز الاجتماع على التباحث حول تطورات الأوضاع فى كل من جنوب الســـودان والكونغو الديمقراطية، بالإضافة إلى مســـألة تمويل أنشطة السلم والأمن التابعة للاتحـــاد الأفريقى، وجهود المجلســـين فى منع النزاعات، فضلاً عن العملية القائمة للإصلاح المؤسســـى لكل من الأمم المتحـــدة والاتحاد الأفريقى. وقد التقى مجلس الســـلم والأمن بكل من نائب ســـكرتير عام الأمم المتحـــدة والمجموعة الأفريقيـــة بنيويورك ومجموعـــة الدول الأفريقية الأعضاء بمجلـــس الأمن، إضافة إلى جولات تفاوضية مـــع الدول الأعضاء بمجلـــس الأمن للإعداد للبيان السياســـى المشترك بين المجلسين، وهى الجهود التى أدت فى النهاية إلـــى التوافق حول اعتماد البيان بنجاح فى ختام الاجتماع والذى جاء فى توقيت مهم للغاية، حيث تشـــهد جهود تعزيز المشاركة بين الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقى زخماً كبيراً، لاسيما فى موضوعات السلم والأمن والموضوعات التنموية، وهى المســـائل التى تضطلع مصر فى إطارها بدور رئيســـى، لاسيما وأن مصر أحد الآباء المؤسسين لمنظمة الوحدة الأفريقية وكذا إحدى أكبر الدول المســـاهمة فى ميزانية الاتحـــاد الأفريقـــى ككل، بالإضافة إلى رئاستها لمجموعة الـ77 والصين.

## التـحالف الـدولى ضـد داعـــش

دعت مصر إلى وضع مدونة ســـلوك لوســـائل الإعلام المرئية والرقمية للقضاء على خطاب الكراهية والتحريض وأكدت محورية دور المؤسسات الدينية المصرية فى مكافحة الفكر المتطرف، وذلك خلال اجتماع مجموعة عمل إستراتيجية الاتصال والإعلام التابعة للتحالف الدولى ضد داعش، والتى انعقدت بواشنطن، حيث تم تأكيد أهمية ما تمثله هذه المرحلة الدقيقة من عمر التحالف، بعد توجيه ضربات قاسمة لتنظيم داعش ميدانياً، وأن يـــدرك أعضاؤه خطورة المرحلة ومتطلباتها التـــى تقتضى خوض غمار معركة إعلامية وفكرية شرســـة ضد خطاب التطرف والكراهية والعنف والتصدى بشـــكل جاد لخطاب الكراهية والعنف، لأن دواعش أخرى قد تظهر بغض النظر عما تحقق من انتصار عسكرى، وأنه لا سبيل للقضاء على داعش أو غيره من التنظيمات دون التصدى لهذا الخطاب الشاذ بكافة صوره وأشـــكاله وأياً ما كان مصدره. وطالب وفد مصر مجموعة عمل إستراتيجية الاتصال والإعلام بضرورة وضع مدونة ســـلوك أو معايير استرشادية للتصدى لخطاب الكراهية المنتشـــر فى بعض القنوات الفضائية ومنصات التواصل الاجتماعى المختلفة، وعدم الســـماح لمروجى الكراهية والعنف بالتخفى خلف ســـتار حرية الرأى والتعبير، وضرورة وضع محددات وضوابط واضحة لإزالة أى وجه للالتباس بين مفردات الكراهية والعنف ومبدأ حرية الرأى والتعبير الذى نحرص عليه جميعاً. كما طالبت مصر شركات التواصـــل الاجتماعى ببذل المزيد من الجهد من أجل التوصل إلى آلية فعالة لحذف العدد اللانهائى من رسائل الكراهية والعنف عبر منصاتها المختلفة بشكل فورى وتلقائى، وكذا التعامل مع إشـــكالية القنوات التحريضية التى تبث سموم الكراهية والعنف عبر الأقمار الصناعية فى بعض الدول الأوروبية، منوهاً إلى أهمية معالجة الثغرات القانونية والعوائق البيروقراطية التى تسمح لهذه القنوات بالاستمرار فى الترويج لأفكار التطرف والإرهاب.

كما أكـــدت مصر أهمية أن يكون لمجموعة العمل مســـاهمة إيجابية لإثراء النقاش الدائر حول مختلف جوانب مكافحة الإرهاب بالعديد من المنظمات الدولية، وعلى رأسها الأمم المتحدة، وتفعيـــل المبادرات التى طرحتها بعض الدول أعضاء التحالف بشـــكل فردى، ومنها على سبيل المثال ما قدمته مصر من إسهامات خلال عضويتها فى مجلس الأمن عامى 2016 و2017 ورئاســـتها للجنة مكافحة الإرهاب آنذاك، والتى أسفرت عن اعتماد القرار رقم 2354 بشأن الإطار العام لمواجهة أيديولوجية التطرف. كما تم تأكيد ضرورة توحيد الرسالة الإعلامية لدول التحالف والتحدث بصوت واحد لقطع الطريق أمام المزايدين الذين يلعبون على غموض المصطلحات والتباينات الواضحة فى مواقف دول التحالف، واستغلالها لتبرير ممارســـاتهم الهدامة وأيديولوجياتهم المنحرفة، وضرورة التوقف عن اســـتخدام المعايير المزدوجة والعبارات الفضفاضة والملتبســـة فى وصف الإرهاب دون سند علمى أو قانونى واضح، والتى تصل فى بعض الأحيان إلى تشبيه أعمال الإرهاب بأحداث التمرد. كما نقل وفد مصر وجهـــة النظر المصرية القائمة على حتمية المواجهة الشـــاملة مع الإرهاب أمنياً وفكرياً، مشـــيراً إلى ما تمتلكه مصر من مؤسسات دينية لها باع طويل فى مواجهة خطاب الكراهية والتطرف وتقديم صحيح الدين، وعلى رأسها مؤسسة الأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية، وحجم التأثير الواسع لتلك المؤسسة العريقة وما تتمتع به من إجلال وإكبار على مستوى العالم الإسلامى، وهو ما ينبغى على التحالف الدولى تعظيم الاستفادة منه.

# سوريا.. معركة أخرى على إعادة الإعمار

**عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، عقد الحلفاء المنتصرون اجتماعاً لمنع تكرار الحرب الرهيبة، سأل الرئيس الأمريكى ترومان الزعيم السوفيتى ستالين عن أفضل السبل لإنجاز ذاك الهدف، سرح ستالين بخياله بعيداً، ثم نفث دخان غليونه بكثافة، وقال: «المنتصر يفرض شروطه وإرادته، لذلك فإن قواتنا ستثبت احتلالها للجزء الشرقى من ألمانيا، بينما تستمر قواتكم فى هيمنتها على الجزء الغربي». اتفق المنتصرون على أن تقسيم ألمانيا هو الحل، للحيلولة دون اندفاع شعبها المقاتل إلى محاولات التوسع فى أوروبا والعالم مرة ثانية، بينما طالبوا جيران بولندا بالكف عن اعتبارها «كعكة» يتسابقون على قضمها ونهشها.**

**د. محمد حسين أبوالحسن**

**مدير تحرير الأهرام**

**m_ha7@hotmail.com**

سوريا اليوم – فى مخيلة الكثيرين بالمنطقة وخارجها- مزيج من ألمانيا وبولندا فى آن واحد، تنظر دوائر صنع القرار فى واشنطن ومعظم العواصم الغربية إلى الدور السورى فى الشرق الأوسط بوصفه شبيهاً بدور ألمانيا داخل أوروبا، دولة تتحدى جاراتها وتقلق أمنها: تركيا والعراق ولبنان والأردن وإسرائيل. ترى هذه الدوائر أن التنافس الحاد والتدخلات الغاشمة فى الحالة السورية، طيلة السنوات الثمانى الماضية، أتت لضبط التوتر والإزعاج الذى تنشره سوريا بالمنطقة، ومحاولة جاراتها ضمان سلامة الحدود معها، وقضم ما يمكن من «كعكة إعادة إعمارها»، بعد أن انخرط هؤلاء الأقارب والأباعد فى مهمة هدم الكيان السورى على رؤوس أهله، كل من زاوية مصالحه ومطامعه.

وتأسيساً على «قاعدة ستالين»، كان الموقع الجيوسياسى لسوريا، وسيبقى، ذا أهمية حاسمة فى معادلة الصراع مع إسرائيل، ومواجهة مخطط الهيمنة الأمريكية بالمنطقة، تصورت أمريكا، بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، أنه يمكنها أن تعيد صياغة الشرق الأوسط، بـ«الفوضى الخلاقة»، ثم يذهب الغرب إلى النوم مرتاحاً، لا يتطفل أحد على أحلامه السعيدة، حاول ذلك جورج بوش الابن بديمقراطية الدبابة فى العراق، وتابعه خلفه باراك أوباما بتشجيع ما عرف بـ«الربيع العربي»، النتيجة كما هو معلوم خليط مفجع من الكوارث والأوهام، تحت ظلال الاحتلال والديكتاتورية، ازدهر الإرهاب والخراب، والتدخلات الأجنبية.

فالأزمة السورية تكتب آخر فصولها، وتتهيأ لترسيخ قواعد اللعبة «الستالينية»، لكن أعظم مشكلة أمام الانتقال من ميدان الرماية بالقنابل والرصاص إلى ميدان إعادة الإعمار، هو تضارب أجندات الفاعلين الكثيرين على الأراضى السورية، تروم الولايات المتحدة أن تكون سوريا «حائط صد» أمام الصعود الإيرانى والجيوبوليتيكين الروسى والصينى وإنهاء القضية الفلسطينية، على النقيض تسعى روسيا إلى أن ترث ليس فى سوريا وحدها، إنما فى الشرق الأوسط برمته، للدفاع عن وجودها فى القوقاز وأوكرانيا وآسيا الوسطى، ومنع توسّع الإرهاب نحو أراضيها، رسم بوتين الخريطة ووضعها فى جيبه، لاعباً على تناقضات الجميع، وفى عباءته تتدثر الصين، بلغ التقارب الأمريكي- الروسى حداً غير مسبوق فى قمة «هلسنكي»، تأسيساً على تفاهمات روسية- إسرائيلية صلبة، بلورتها ثمانى قمم جمعت نتنياهو ببوتين، فإسرائيل لاعب أساسى فى المأساة السورية، مثلما برز فى تهريب أفراد «الخوذ البيضاء».

تحولات وشيكة فى الاصطفافات الإقليمية والدولية، بسوريا وحولها، نجحت قوات النظام السورى فى بسط سيطرتها على خط الحدود مع الأردن والجولان، كما انتقل الأردن من داعم لفصائل مسلحة بالجنوب السورى، إلى وسيط فى إتمام تسويات، تطور أملته موازين القوى وتغير خريطة المواقف. فى السياق ذاته تأتى مفاوضات الأكراد مع النظام للوصول إلى اتفاق، يمكن النظام من السيطرة على المناطق الكردية، مع التزامه بحفظ حقوق القومية الكردية فى إطار «السيادة السورية». والجميع بانتظار «أم المعارك» السورية، وربما آخرها، فى إدلب التى تضم أكبر تجمع لمقاتلى «القاعدة» والجماعات الإرهابية.

## تركيا على كل الموائد

وتأكل تركيا على كل الموائد، سعت منذ بداية «الثورات العربية، للاستعانة بحلفائهـــا «جماعة الإخوان» الإرهابية، لخلق صدام بين الدول العربية والإخوان فيتدمّـــر الاثنان وتتحطّـــم الجيوش، لتبزغ «خلافـــة عثمانية جديدة»، عبر تدمير العراق وســـوريا، وإلحاق قسم من أراضيهما بتركيا، وهى تتابع بقلق، ميل واشنطن لتســـليم سوريا لروسيا، نظير تقليص الوجود العسكرى لإيران وحلفائهـــا بســـوريا، وتحويل الدور الإيرانى من عســـكرى إلى اقتصادى وسياســـى، بعد أن نجحـــت طهران فى بنـــاء تفاعلات وامتـــدادات تتمتّع بوزن من أفغانســـتان إلى باكســـتان والعراق واليمن، وصولاً إلى ســـوريا ولبنان. وتواجه أنقرة أســـئلة صعبة حول إمكانية التعاون مع نظام الأسد، ومصير ألوف المقاتلين من الجماعات الإرهابيـــة الذين يدينـــون بالولاء لها، بعد سقوط ملاذهم الأخير المتوقع فى إدلب؟، وتلويح النظام الســـورى بأنه لن يقبـــل بالانتهاكات والوجود التركى بالشمال السورى، قال بشار الجعفرى المندوب السورى بالأمم المتحدة، فى معرض إجابته عن ســـؤال بخصوص «الانتهاكات» التركية لاتفاق أســـتانا: «سبق للعثمانيين أن بقوا فى أراضينا أربعمائة سنة، وطردناهم، هذه المرة لن نســـمح لهم بالبقاء أربعمائة سنة، ولا أربع سنين، وسنطردهم».

## أدوات تهريجية خارج الزمن

لقد أفصحت الأزمة الســـورية عن حقائق صادمة فى المشـــهد العربى، كثير مـــن الأنظمـــة العربيـــة، وفى مقدمتها النظام القطرى مثلت أدوات تهريجية خارج الزمـــن، تواطأت مع الغزاة الأجانب، وانهمرت سيول المال الخليجى على جماعات العنف والإرهاب فى سوريا – وغيرها- تحقيقاً لأجندات لا تمت للمصلحة الســـورية أو العربية بصلة، اعترف حمد بن جاســـم وزير

الخارجية القطرية الأســـبق بأن بلاده أنفقت عشرات المليارات من الدولارات مع آخرين، وأن الجميع تهاوشوا على الطريدة السورية، لكنها أفلتت منهم!

أســـهم «البترودولار» فى تحويل دول عربية «شقيقة» إلى «كانتونات»، يرتبـــط ولاؤهـــا وتقســـيمها بلعبة الصراع بيـــن الجيوبوليتيـــك الدولى والإقليمى المســـعور، مـــا يفضى إلى إنتاج «موزاييـــك» يقاتل بعضه بعضاً بلا نهاية، مع شـــيطنة «الإسلام» الذى يُراد تحويله من دين إلى أداة سياسيّة للسيطرة على مليار وأربعمائة مليون مسلم، لســـببين: الأول مجابهة الصين وروسيا بذرائع دينية، والثانى الإمساك بالمســـلمين كمســـتهلكين أبديّيـــن لصناعات الغـــرب، بالإبقاء على دولهم على درجة عالية من التخلّف والتبعية.

من هذا المنطلق يمكن النظر إلى موقع ســـوريا الإســـتراتيجى الحاكم فـــى المنطقـــة، وإلى ثرواتهـــا التى يســـيل لها لعاب المتنافسين، مصايد الغـــاز الطبيعى تحـــت أراضيها وفى المتوسط واعدة للغاية، كل يطمح فى نصيب معتبر من الكعكة. ترامب رجل «فهلـــوي»، يريد الانســـحاب والأموال وجيوشاً بديلة، ثم يأخذ ثمرة جهودها وينسبها لنفســـه، يحتل ربع أراضى سوريا، ويريد أن يسلمها إلى آخرين، ليحققوا مصلحته لا مصلحتهم. بينما يتحفـــظ بعـــض أركان إدارته على «انســـحاب أمريكا» من شرق الفرات الغنى بالنفـــط والغـــاز، ومن هؤلاء البنتاجون. الجنـــرال جوزيف فوتيل قائد القيادة المركزية الأمريكية صرح بأن «الجزء الصعب، لم يأت بعد»، فى إشارة إلى دور بلاده المنتظر، بإعادة الإعمار فى مرحلة ما بعد الصراع. دول خليجية رحبت بالمقتـــرح الأمريكى والمشـــاركة بالأموال والقوات، لإبراز دورها وإرضـــاء واشـــنطن وعرقلة المشـــروع التوســـعى الإيرانى، سواء عبر جيـــوش نظامية أو مرتزقة «بلاك ووتر»، وفقاً لوسائل إعلام غربية.

## مصر تحظى بثقة يفتقدها آخرون

هنا نأتـــى إلى الـــدور المصرى بســـوريا، كانت مصر وســـوريا دولة واحدة، أحقاباً طويلة، منذ رمســـيس الثانـــى حتى عبدالناصـــر، يبدأ الأمن القومى المصرى من هضبة الأناضول، وأثبتت الأحداث طيلـــة العقود الأربعة الماضية أن تـــآكل أدوار القاهرة فتح شـــهية الطامعين بالمنطقـــة، ولأنها الوحيـــدة التى لم تتلـــوث يدها بدماء السوريين، تحظى مصر بثقة يفتقدها الآخرون، دخلت شريكاً برعاية «مناطق

اجتماع وزراء دفاع روسيا وسوريا وإيران فى طهران

## سوريـا.. معركة أخرى على إعـادة الإعمـار

خفض التوتر»، لإطفاء الحريق المشتعل ومد يد العون لمن تقطعت بهم السبل، فى خطوة مرحلية على درب كشف الغمة، نسجت القاهرة بهدوء شبكة علاقات إقليمية ودولية، تشكل رافعة لأدوارها، تجعلها محل ترحيب غالبية القوى المتنافسة - ليس كلهم بالطبع- الطريق مملوء بالأشواك، لكن لا بديل عن النهج المصرى لتبريد الجبهات، ووقف التشتت العربى والاحتراب الإقليمى، وكبح الهرولة فى فلك القوى الكبرى التى تعيد حياكة الشرق الأوسط على مقاسات مصالحها، بينما ترقص إسرائيل على جثث الجميع.

يلوح خط نهاية الأزمة السورية من بعيد، فى صورة تسوية ما، برعاية موسكو ورضا واشنطن وحلفائهما، بينما يحجب هدير المدافع والكر والفر بين وفود النظام والمعارضة فى ردهات التفاوض، احتراباً من نوع آخر، الصراع الشرس للفوز بنصيب من «كعكة إعادة الإعمار»، قدرت التقارير تكلفتها المبدئية بنحو 400 مليار دولار. ماراثون عالمى بين روسيا وإيران وتركيا وأمريكا وأوروبا والصين، على سبيل المثال، أفادت صحيفة «ينى شفق» بأن تركيا بدأت مد شبكة طرق إلى المناطق التى تسيطر عليها شمال سوريا، لفتحها أمام الحركة التجارية ورجال الأعمال الأتراك - خاصة مع تردى أوضاع الاقتصاد التركي- بعد نجاح عمليتى «درع الفرات» و«غصن الزيتون» العسكريتين فى حلب السورية، فى حين طالبت فصائل سورية تركيا بإعلان الوصاية على مناطقهم فى إدلب وحماة وسواهما، بينما تكتفى الدول العربية بدور المشاهد أو المخرب، على نحو لا يليق.

وبمجرد أن تضع الحرب أوزارها، فإن المدن السورية سوف تبنى من جديد، البنية التحتية، محطات الكهرباء والماء وشبكات الصرف الصحى والطرق والكبارى، والمصانع، ومشاريع الإسكان.. وكلها مجالات تحوز فيها الشركات المصرية خبرات مرموقة، ويمكن أن تشكل رافداً مهماً لتنمية الاقتصاد فى مصر وسوريا، بل إن معظم مشكلات الاقتصاد المصرى يمكن أن تنتهى، لو اغتنمت القاهرة الفرص المتاحة لإعادة الإعمار ليس فى سوريا فحسب، بل فى ليبيا والعراق أيضاً، والتى تتجاوز قيمتها تريليون دولار، بعض الخبراء المصريين قدروا نصيب مصر من إعمار العراق بنحو 30 مليار دولار، وسوريا 125 مليارا، وليبيا 120 ملياراً: عمالة وشركات وشراكات من الباطن مع كيانات عالمية..إلخ. مما يحقق مصلحة شعوب هذه البلدان جميعا، ويعيد للدور المصرى زخماً يحتاجه خلال الفترة الراهنة التى يجرى فيها إعادة تشكيل المنطقة، وربما كان فرض دمشق رسوماً إضافية أخيراً على السيراميك المصرى، رسالة للقاهرة أن المتوقع منها أكبر من الراهن.

تنضج شروط التسوية السورية وتتبلور رويداً رويداً، خصوصاً وأن العالم - وأوروبا بالذات- ضج من طوفان اللاجئين الذين بدأ بعضهم رحلة العودة بالفعل إلى الديار، سوريا ترمومتر الشرق الأوسط، جرح لا تطببه الأعشاب، تتحول تدريجياً من «ميدان رماية» دولى، إلى مشارف إعادة الإعمار، إنها «معادلة ستالين» تتجسد مرة أخرى، فى طرقات الشام وعلى مناراتها، لكن هذه المرة برعاية الثعلب بوتين، مع أن دمشق لا تزال تنسج على أنوال الحزن والألم، بانتظار «نجدة» الأصدقاء والأشقاء الحقيقيين، لا المزيفين.

## لا يمكن الفصل بين الموقفين الأمريكى والإسرائيلى

# غـزة أولاً... بين الجوانب الإنسانيـة والأهداف السياسيـة

**أثيرت خلال الفترة الأخيرة مسألة شـــديدة الأهمية تدور كلها حول عنوان واحد وهو غزة أولاً وبعبارة أكثر شـــمولاً وضوح إهتمام المجتمع الدولى بقطاع غزة والتركيز على كيفية تحســـين الأوضاع المعيشية أو الإقتصادية داخل القطاع، ولاشك أن هذا الموضوع يحمل فى جانبه المعلن معطيات إنســـانية وإقتصادية لرفع شأن القطاع ولكنه من جانب آخر يحمل أبعاداً سياسياً قد لا تتضح كل معالمها حالياً ولكنها بالقطع تؤثر على مستقبل القضية الفلسطينية كلها وليس على الوضع فى قطاع غزة فقط.**

**لواء محمد ابراهيـم**

**عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية**

**mohamedeldewery@yahoo.com**


السؤال الذى يفرض نفسه فى البداية يتعلق بأســـباب هذا الإهتمـــام المفاجئ بالقطاع ولماذا شـــاهدنا كل هذا التدافع نحـــوه، وفى رأيى أن هنـــاك مجموعة من الأســـباب لهذا التوجه نوضـــح أهمها فى سببين رئيسيين أولهما أن التركيز الدولى على الأوضاع الإنســـانية فى القطاع أمر لا يمكن أن يثير أية شـــبهات من حيث المبدأ ولكنه قد يكون غطاء جيد لأية مشـــروعات سياسية غير مقبولة عربياً وفلسطينياً يمكن تمريرها فى مرحلة لاحقـــة، وثانيهما أن الحديث بهذه الكثافة عن قطاع غزة يبعدنا تماماً عن الحديث حول القضية الفلسطينية نفسها وأية تسويات أو مفاوضات مرتبطة بها وهو ما يتمشـــى فى مجمله مع أهداف بعض القوى والأطـــراف وخاصة الجانب الإسرائيلى.

وفى هذا الإطار مـــن الضرورى إلقاء الضوء على المواقف الرئيســـية للأطراف الأربع المهتميـــن بهذا الموضوع (مصر – إسرائيل – فلســـطين – الولايات المتحدة) بحيث ســـيؤدى بنا توضيح وشرح مواقف هذه الأطراف إلى تحديد مســـتقبل عملية غزة أولاً وهل سيكتب لها النجاح من عدمه؟ وكيف يمكن التعامل معها أو مواجهتها إذا لزم الأمر؟

### أولاً: الموقف المصرى:

هناك أربعة محددات للموقف المصرى تجاه القطاع كما يلى:

المحـــدد الأول أن قطاع غزة بحدوده البالغة 14 كم مع الحـــدود المصرية فى الإتجاه الشـــمالى الشـــرقى يدخل فيما نســـميه بدائرة الأمن القومى المباشر مثله مثل الحـــدود المصرية مع ليبيا فى الغرب وإسرائيل فى الشرق والسودان فى الجنوب وهى دائرة تتعامل معها مصر بإستراتيجية محددة وجادة لا تهاون فيها.

المحـــدد الثانى أن مصـــر تتعامل مع القطاع فى إطـــار تعاملها مع القضية الفلســـطينية ككل. فمصر لم ولن تتعامل مع القطاع ككيان منفصل عن كل الجســـم الفلســـطينى حيث أن القطـــاع والضفة الغربية يمثلان سوياً وليس أحدهما الدولة الفلسطينية المستقلة المنتظرة.

المحدد الثالث أن مصر لم ولن يكون لها أية أطماع أو مصالح خاصة فى القطاع، ولذا فهى تتحـــرك بكل جدية بل أن دورها أصبح مطلوباً ومرغوباً بقوة من جانب كافة الأطياف الفلسطينية.

المحدد الرابع أن الإمتداد الجغرافى بين ســـيناء وقطاع غزة يمثل إهتماماً أمنياً خاصاً لمصر حيث أن إســـتقرار الأوضاع فى غزة يؤثر على إستقرار الأوضاع الأمنية فى سيناء والعكس، ولنا فى مسألة إنتشار الأنفاق وأنشـــطة الجماعات الإرهابية فى سيناء خير دليل على ذلك.

وفى نفس الوقت من المهم إلقاء الضوء على محـــاور التحرك المصـــرى فى هذا المجال:

المحـــور الأول ويتعلـــق بالمجال الإنســـانى حيث إتخذت مصر قراراً بفتح معبر رفح البرى من أجل تسهيل تحركات ســـكان القطاع إلـــى العالـــم الخارجى مع إغلاقـــه على فترات لإعتبـــارات أمنية ولوجيستية.

المحـــور الثانى ويرتبـــط بالوضع الإقتصادى حيـــث تتبنى مصـــر مبدأ ألا تتدهـــور الحياة اليومية لســـكان القطاع فى ظل طبيعة حصار الجانب الإسرائيلى والإجراءات التى يتخذها ولاســـيما إغلاق معبر كرم أبو سالم على فترات ولذا تتدخل مصر مـــن جانبها ســـواء لإدخال بضائع ومســـاعدات ضرورية للقطاع أو تضغط على إسرائيل لتخفيف إجراءاتها التعسفية.

المحـــور الثالث ويتعلـــق بالتدخل العاجـــل لتحجيم أية إحتمـــالات لإنفجار الوضع العسكرى بين إســـرائيل والقطاع حيث تســـارع مصر بالتدخل للمســـاعدة من أجل التوصـــل إلى تهدئة بين الجانبين كلما تصاعد التوتر بينهما سواء بالقصف الإســـرائيلى للقطاع أو إطـــلاق صواريخ وغيرها مـــن القطاع فى إتجاه إســـرائيل ومن المؤكد أنه بـــدون الجهود المصرية لم تكـــن هناك أية فرصة للوصول إلى هذه التهدئات المتكررة، ولا يمكن لأحد أن ينكر الدور المصرى الرئيسى فى إقرار التهدئة فى أعقاب الحروب الإسرائيلية الثلاثة على القطاع أعوام 2009 و2102 و2104.

المحور الرابع وهو فتح قنوات إتصال دائمة مـــع كافة الفصائـــل والتنظيمات الفلســـطينية الموجودة فى القطاع دون إســـتثناء من أجل تنفيذ إتفاق المصالحة الذى تم التوصل إليـــه فى الرابع من مايو عام 2011.

المحور الخامس وهو التواصل الدائم مع السلطة الفلســـطينية برئاسة الرئيس أبو مازن من أجل تنســـيق أهم الخطوات الضرورية فى كافة التحركات التى تتم .

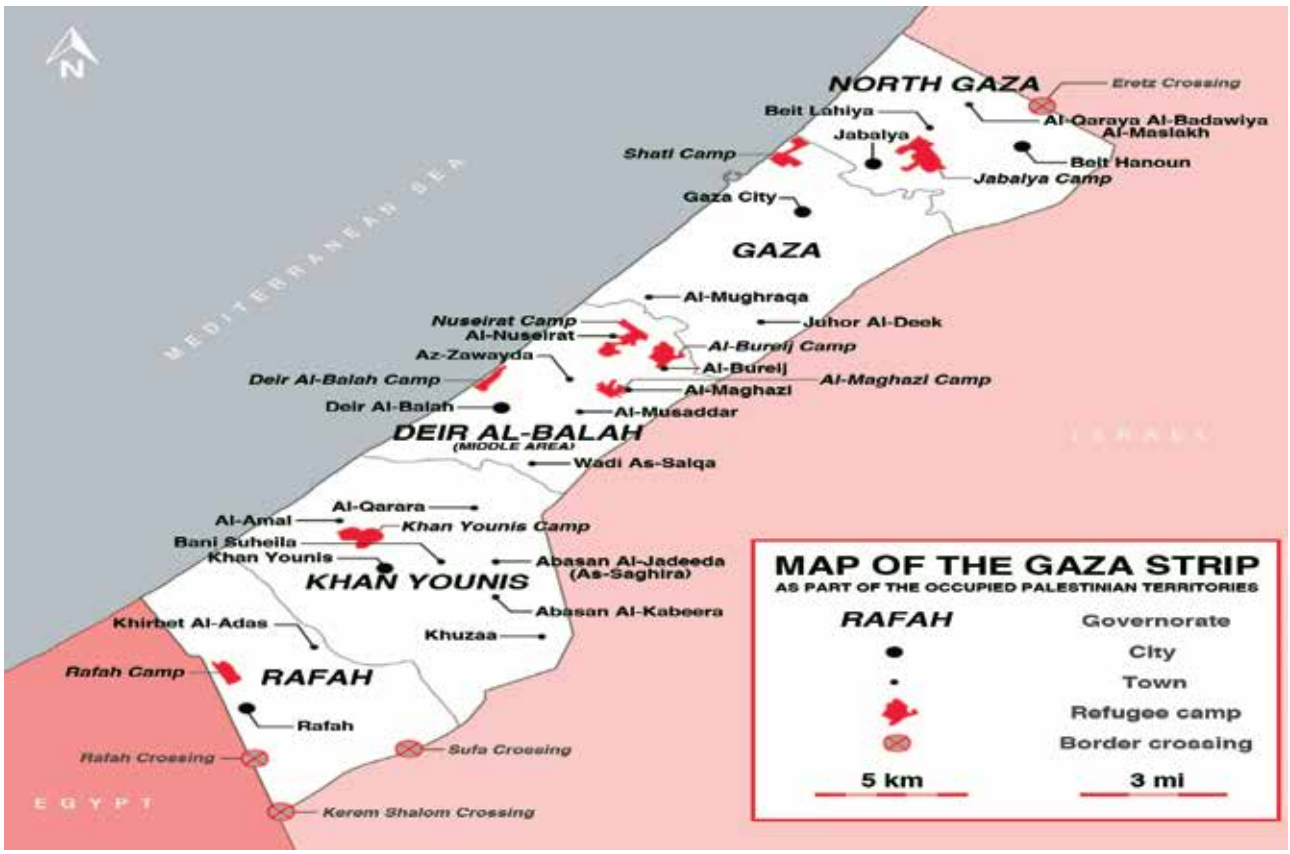


## غـزة أولاً... بين الجوانب الإنسانيـة والأهداف السياسيـة

### ثانياً: الموقف الإسرائيلى

لاشك أن إسرائيل تعد أكثر المستفيدين من مسـألة التركيز على غزة أولاً فى ضوء ما يلى:

أن هذا الأمر يؤدى إلى إبعاد التركيز على القضيـة الفلسـطينية ومفاوضات السـلام وهو نفس الموقف الـذى تتبناه حكومـة ناتانياهو التى أسـقطت عملية السلام من حساباتها بل إتجهت إلى مزيد من التشدد من خلال إقرار الكنيست فى 17 يوليو 2018 لقانون القومية اليهودية الذى يعد أحد أهم القوانين السيئة المتخذة ضد الفلسطينيين وعرب إسرائيل.

أن أية مطالبـات يمكن أن يوجهها المجتمع الدولى لإسـرائيل فى هذا الشأن سـوف تتركز فى الموضوعـات المتعلقة برفع الحصار عن القطـاع وفتح المعابر والبحث عن ميناء بحرى لتسهيل حركة نقل البضائع للقطاع وكافة القضايا الإنسـانية والإقتصادية وهى كلهـا قضايا بعيدة عن مطالبتها بأية مرونة فى مواقفها السياسية.

أن التركيز علـى القطاع بوضعيته الحالية سـوف يؤدى إلـى تثبيت حكم حركة حمـاس فى القطـاع بإعتبار أنها تمثل السـلطة الفعلية الحاكمة هناك كما أنها المسـئولة عن كافة الجوانب الأمنية والإقتصادية فى القطاع وهو ما يتمشى فى النهاية مع المصلحة الإسرائيلية.

أن ما يهم إسـرائيل حالياً من قطاع غزة وتسـعى حكزمـة ناتانياهو لإنجازه بكافة الطرق يتمثل فى مسألتين رئيسيتين أولهما تحييـد القطاع كأحـد المهددات الأمنيـة لإسـرائيل ( إطـلاق الصواريخ والبالونـات الحارقة من القطـاع تجاه إسرائيل ) وثانيهما الإفراج عن جثث الجنود الإسرائيليين وبعض المفقودين المتواجدين لدى حركة حماس بأى إسـلوب حتى من خلال صفقة تبادل أسرى .

### ثالثاً: الموقف الفلسطينى

لا يمكن الحديث حول موقف فلسطينى موحد تجـاه التطـورات الجارية فهناك موقف للسلطة الفلسطينية برئاسة الرئيس أبو مازن الذى يسيطر على الضفة الغربية وهنـاك موقف آخر لحركـة حماس التى تسيطر على قطاع غزة الذى يلقى حالياً كل الإهتمام والتركيز من قبل الأطراف الدولية المختلفة، ومن المؤكـد أن هناك إختلافاً واضحاً فى المواقف والتوجهات والأهداف بين كل من السـلطة الفلسـطينية وحتى حركة فتح وبين حماس.

تتمثل قناعات السلطة الفلسطينية فيما يلى:

أنهـا هى وحدها المسـئولة عن كل فلسطين بما فى ذلك قطاع غزة بالطبع وأن أية تحركات إقليمية أو دولية تجاه غزة أو تنفيذ مشروعات ضخمة يجب أن تمر عبر بوابة السلطة الشرعية فى رام الله.

أن حركة حمـاس تتعمد عدم تنفيذ إتفاق المصالحـة الذى تـم توقيعه فى القاهرة فى الرابع من مايو عام 2011 نظراً لرغبتها فى إسـتمرار حكمها وسيطرتها على القطاع.

أن مـا يثار حول إتفـاق تهدئة بين إسرائيل وحركة حماس لمدة عشر سنوات أمر مرفوض تماماً نظراً لأنه يحقق مصالح حماس ولكنه من جانب آخر سـوف يؤدى إلى تقويض حقيقى القضية الفلسـطينية وتمرير ما يسـمى بصفقـة القرن التى ترفضها السـلطة الفلسـطينية شـكلاً وموضوعاً.

أن أيـة جهـود لإتمـام المصالحة الفلسطينية وإنهاء الإنقسام يجب أن تؤدى فى النهاية إلى وجود سلطة واحدة وقانون واحد وسـلاح واحد وهو أمـر لن يتأتى مادامت حماس ترفض التنازل عن مواقفها.

وفى الجانب المقابل ترى حركة حماس ما يلى:

أن السـلطة الفلسـطينية تفرض حصـاراً علـى القطاع ممـا يحول دون توفير الحياة المعيشـية الكريمة لسكان القطاع ولاسيما فى الموضوعات المتعلقة

بالمرتبات والموظفين والكهرباء.

أن حماس وافقت على كافة المقترحات المصرية من أجل إتمام عملية المصالحة إلا أن حركة فتح هى التى تتعنت فى مواقفها ولا تريد من المصالحة إلا مايسمى بتمكين الحكومة وإعادة سيطرتها على كل مقدرات الأمور فى غزة دون حل المشكلات الأساسية التى تقف عقبة فى طريق المصالحة.

أن الحركة لن تقبل بألا تقوم بالرد على الإعتداءات الإسرائيلية على القطاع بل ستحاول الوصول إلى مرحلة الردع ومواجهة هذه الإعتداءات بكل مالديها من أسلحة كما أنها على إستعداد للدخول فى تهدئة مع الجانب الإسرائيلى فى إطار صفقة شاملة مقبولة من جميع الفصائل.

أن الحركة لن توافق على أية عمليات تبادل للأسرى مع إسرائيل إلا بشروطها والتى يتمثل أهمها فى الإفراج عن الأسرى المحررين فى صفقة شاليت عام 2011 والتى أعادت إسرائيل إعتقال العشرات منهم مرة أخرى

## رابعاً: الموقف الأمريكى

لا يمكن لنا أن نفصل بين الموقفين الأمريكى والإسرائيلى سواء فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ككل أو مسألة قطاع غزة أولاً فهناك تناغم وتوافق بين الموقفين تماماً، ومن ثم كان الموقف الأمريكى واضحاً وهو يتحدث عن وجود العديد من المشروعات التى ستؤدى إلى رفع المعاناة عن سكان القطاع وتحسين الظروف المعيشية والإقتصادية وهو الجانب الذى لا يمكن لأى من الأطراف أن يرفضه بإعتبار أنه يمثل الجانب الإنسانى الضرورى للقطاع رغم تناقض ذلك مع الإجراءات التعسفية التى إتخذتها الإدارة الأمريكية بشأن قطع بعض المعونات المادية عن السلطة الفلسطينية وعن وكالة غوث اللاجئين التى تعتبر ضرورية لحياة الفلسطينيين فى غزة.

أما فيما يتعلق بصفقة القرن فإن الجانب الأمريكى يحجم عن الإعلان عن تفاصيل هذه الصفقة التى لازال مايتسرب عنها يعتبر مخالفاً للموقفين العربى والفلسطينى، ولاشك أن الإدارة الأمريكية إستشعرت أن هذه الصفقة لن يمكن تمريرها بسهولة فى ضوء قناعة الزعامات العربية والفلسطينية بإستحالة قبول أية تسوية سياسية تتعارض مع الثوابت الفلسطينية ولا سيما فيما يتعلق بقضيتى القدس واللاجئين التى تحاول كل من واشنطن وتل أبيب إبعادهما عن أية مفاوضات سياسية بل جاء قانون القومية اليهودية ليزيد من تعقيدات الموقف السياسى فى عملية السلام فى الشرق الأوسط.

## التحرك المصرى تجاه مسألة غزة أولاً

فى النهاية فمن الضرورى الإقرار بحقيقة ثابتة وهى أن ما يحدث فى قطاع غزة يؤثر على الأمن القومى المصرى سلباً أو إيجاباً ولذلك هناك مجموعة من التوصيات المرتبطة بالتحرك المصرى تجاه مسألة غزة أولاً أوجزها فيما يلى:

حتمية إستمرار الدور المصرى فى غزة بدون فترات إنقطاع مع شمول هذا التحرك كافة المجالات الممكنة من أجل المشاركة الفعالة فى ضبط الأوضاع فى القطاع مع التركيز بصفة مبدئية على جوانب ثلاثة وهى ضبط الحدود وتحقيق المصالحة الفلسطينية وعدم تدهور الوضع الإقتصادى.

ضرورة التنسيق المصرى مع السلطة الفلسطينية حتى تكون كل التحركات فى إطار متوافق عليه ثنائياً على الأقل فى خطوطه الرئيسية على أن يتمثل الهدف النهائى فى عودة القطاع إلى الجسم الفلسطينى.

أن تحرص مصر على التجاوب مع كافة الجهود الإقليمية والدولية لتحسين الأوضاع المعيشية فى القطاع ولكن من الجانب الإنسانى فقط وألا يصل الأمر إلى محاولة تمرير بعض الأطراف تسويات سياسية تؤدى إلى تقويض القضية الفلسطينية وخلق دويلة فى غزة فى مرحلة قادمة أو على الأقل تثبيت الوضع الحالى وأنا على يقين بأن القيادة السياسية المصرية واعية تماماً لهذا الأمر وأنها ستقف بقوة وحزم تجاه أية محاولات تستشعر أنها تضر بالقضية العربية المحورية وهى القضية الفلسطينية.

أن تبدى كل من حركتى حماس وفتح أقصى درجات المرونة فيما يتعلق بتنفيذ إتفاق المصالحة حيث أن كافة الجهود ستكون قاصرة ومؤقتة مادام الإنقسام اللعين جاثماً بقوة فوق الأرض الفلسطينية.

أن تحرص كل من حركتى حماس والجهاد الإسلامى وفصائل المقاومة على عدم وصول الوضع العسكرى مع إسرائيل إلى مرحلة التفجر التى لا يمكن العودة عنها حتى لا يتعرض الوضع فى القطاع لمزيد من التدهور مع ضرورة إلتزام كل الفصائل بكافة محددات الرؤية المصرية للتهدئة مادام هناك إلتزاماً من الطرف الآخر.

والخلاصة، تظل مصر بثقلها الإقليمى والدولى مؤهلة لأن تتحرك بالتوازى مع كل الجهود الكبيرة التى تقوم بها حالياً من أجل إعادة الحياة مرة أخرى إلى المسار السياسى لحل القضية الفلسطينية فى إطار مبدأ حل الدولتين مهما كانت الصعوبات وذلك حتى لا تفرض علينا أية أطراف أخرى تسويات مؤقتة أو صفقات دائمة أو رؤى مشبوهة أو منقوصة تنال من حقوق الشعب الفلسطينى تحت شعار الجوانب الإنسانية، ومن المؤكد أن القيادة السياسية برئاسة الرئيس عبد الفتاح السيسى لن تقبل مطلقاً بأقل مما يمكن أن يقبله الجانب الفلسطينى وستكون مصر كما عودتنا على مدار التاريخ الأكثر حرصاً على المصالح والثوابت الفلسطينية بالقدر الذى تحرص فيه على الأمن القومى المصرى.

# الإرهاب المستفيد الأول من التجارة غير المشروعة للسلاح..

**سجل حجم الإنفاق العسكرى العالمى ارتفاعا كبيرا خلال عام 2017 يعد هو الأعلى منذ الحرب الباردة ووفقاً لإحصائيات معهد ستوكهولم الدولى لأبحاث السلام فإن حجم الانفاق الدفاعى فى هذا العام المذكور وصل إلى 1.7 تريليون دولار أمريكى والذى ارتفع بنسبة 1.1 فى المائة مقارنة بعام 2016.**

هادية الشربيني
sherfayez@yahoo.com

وتشير التقارير الدولية إلى أن مستويات الإنفاق الدفاعى ظلت ثابتة فى الفترة ما بين 1999 حتى عام 2011 ولكن ارتفاعها إلى مثل هذا المستوى عام 2017 يعد بمثابة مؤشر للغلق لما يترتب عليه من تأثيرات سلبية محتملة على تحقيق الاستقرار العالمى ومساعى حل النزاعات سلمياً.

ووفقاً لتقرير معهد ستوكهولم الدولى لأبحاث السلام فإن الولايات المتحدة مازالت تتصدر قائمة الإنفاق العسكرى عالميا بأكثر من 600 مليار دولار وتليها الصين التى تعد ثانى أكبر دولة فى حجم الإنفاق العسكرى والتى تنفق 228 مليار دولار بنسبة 13 فى المائة من الناتج المحلى خلال عام 2017.. ونتيجة للتهديدات الأمنية فى منطقة الشرق الأوسط والتهديد الإيرانى لمنطقة الخليج واندلاع الحرب فى اليمن فقد حققت المملكة العربية السعودية رقماً قياسياً حيث وصل حجم إنفاقها العسكرى إلى 69 مليار دولار عام 2017 مما جعلها تحتل المرتبة الثالثة عالميا بدلاً من روسيا التى لم يتجاوز إنفاقها العسكرى فى نفس العام 66.3 مليار دولار..

وفى حلبة السباق الدولى نحو الإنفاق العسكرى تحتل الهند المرتبة الخامسة بحجم إنفاق يصل إلى 63 مليار دولار وتليها فرنسا بـ 57 مليار دولار ثم المملكة المتحدة بـ 47 مليار دولار ثم اليابان بـ 45 مليار دولار ثم ألمانيا بـ 44 مليار دولار ثم كوريا الجنوبية بـ 39 مليار دولار بينما تأتى كل من إيطاليا والبرازيل فى المرتبتين العاشرة والحادية عشرة بـ 29 مليار دولار تليهما استراليا بـ 27 مليار دولار ثم تركيا بـ 18 مليار دولار.

## سباق تسلح متنامى

يعتقد المحللون والخبراء العسكريون بأن حجم الإنفاق العسكرى العالمى من المتوقع أن يرتفع بنسبة 3.3٪ خلال عام 2018 وذلك من خلال تعزيز الولايات المتحدة لحجم إنفاقها العسكرى حيث أقر الكونجرس الأمريكى ميزانية وزارة الدفاع «البنتاجون» للسنة المالية عام 2018 بما يقدر بقيمة 700 مليار دولار وهى الأعلى خلال ما يقرب من عشرة أعوام وذلك لتتناسب مع الأهداف الرئيسية التى تسعى إدارة الرئيس دونالد ترامب لتحقيقها والتى تتعلق بـ «أمريكا الأقوى عسكرياً»

و«الانتشـــار العســـكرى الأمريكى فى جميع أنحاء العالم».. وبالتوازى مع هذه السياســـة الأمريكية تسعى دول كبرى كالصين وروســـيا بالعمل على تحدى الهيمنة الأمريكية العســـكرية وتحدى الحلفاء الغربيين حيث أشـــارت العديد من التقارير العســـكرية الدولية إلى أن روسيا عادت من جديد ومنذ بداية القرن الحادى والعشـــرين للعمل على زيادة إنفاقها العسكرى وشـــرعت فى تنفيذ برنامج تسليح حكومى طموح فى الفترة من 2011 حتى 2020 يهدف إلى إجراء عملية إصلاحية لقواتها المســـلحة بما يقدر بـــ 705 مليارات دولار يخصص 647 مليار دولار منها لـــوزارة الدفاع وباقى المبلغ يخصص لقوات أخرى مثل حرس الحدود وقوات الأمن الداخلى وذلك على مدى الفترة الزمنية المذكورة.. كما تتبنى الصين أهدافاً طموحة تهدف إلى التأكيد على أحقيتها فى أن تكون دولة عظمى صاعدة وذلك من خلال انتهاجها سياســـة لتطوير الجيش فى ظل رئاسة «شـــى جين بينج» حيـــث قامت على ســـبيل المثال بتطوير طائرة من طراز تشنجدو وهى طائرة شبح لديها القدرة على التخفـــى من الرادارات مما يجعلها منافساً قوياً للولايات المتحدة التى كانت تحتكر هذا المجال..

كما تمتلـــك الصين صاروخاً جو - جو جديداً من طـــراز PL-15 وحققت أهدافاً طموحة فى مجال البحرية حيث بلغ عدد الســـفن الحربيـــة والمدمرات والفرقاطات والغواصات التى صنعتها الصين منذ عام 2000 أكثر مما صنعته اليابان وكوريا الجنوبية والهند معاً كما تنشيء الصين حالياً أول قاعدة عسكرية لها خارج البلاد فى جيبوتى.

ووفقاً للتقرير الســـنوى الشـــامل للمعهد الدولى للدراسات الإستراتيجية فى لندن والذى تأسس عام 1958 فإن وزراء دفاع حلف شـــمال الأطلنطى قد بحثوا خـــلال اجتماعاتهم خلال الفترة الماضية فى بروكسل سبل تعزيز قدرات قواتهم الخاصة وذلك فى إطار رد فعل دول الحلف على السياسة الروسية التى يرونها سياســـة عدوانية.. وقد أوضح الأمين العام للحلف «بنس ستو لتنبرج» بأن دول الحلف وضعت خططاً تهدف لزيادة الإنفاق الدفاعى ليصل إلى نسبة 2٪ من إجمالى الناتج المحلى لكل دولة من الدول الأعضاء بحلول عام 2024.. كما حفز ارتفاع حجم الإنفاق العسكرى العالمى دولاً كأســـتراليا واليابان وهما حلفاء للولايات المتحدة على زيادة حجم الإنفاق العســـكرى. وذكـــرت صحيفة فايننشـــال تايمـــز البريطانية فى هذا الصدد أن اســـتراليا لديهـــا النية فى رفع مســـتوى الإنفاق الدفاعى السنوى بنسبة 80٪ على مدى العقد القادم كما تسعى اليابان للعمل نحو زيادة الإنفاق العسكرى والاستمرار فى مثل هذا الخط على مدى السنوات القادمة.. ومع تصاعد بؤر التوتر فى منطقة الشـــرق الأوسط انتقلت عدوى ســـباق التسلح المحموم للمنطقة حيث سجلت السعودية ارتفاعاً فى الإنفاق العســـكرى بنسبة 9.2 فى المائة عام 2017 وسجلت إيران ارتفاعاً بنســـبة 19٪ والعراق بنســـبة 22٪ .. وبالرغم من أن إســـرائيل تحاول دائماً إخفاء أى معلومات عـــن حجم إنفاقها العسكرى إلا أن ميزانيتها العسكرية فى تصاعد مســـتمر منذ عام 2012 وحتى وقتنا هذا.

## قضية شائكة ومعقدة

وفـــى إطار هذا الســـباق المحموم نحو التسلح وتعاظم الإنفاق العسكرى تبرز قضية مهمة تثير مشاعر القلق لدى المزيد من دول العالـــم وهى تلك التى تتعلق بتجارة الأســـلحة غير المشروعة بصفتها قضية دولية شـــائكة ومعقدة تـــؤرق الإنتربول وأجهـــزة المخابرات فـــى كافـــة دول العالم ولاســـيما وأن هذه الأســـلحة غالباً ما تصل بين أيدى الإرهابييـــن والمتمردين والمليشـــيات المسلحة وهو أمر جد خطير يهدد الأمن الدولى.

وتقـــدر قيمة الأســـلحة المتداولة بصفة غير مشروعة بين أيدى الجماعات الإرهابية والمتمردين بما يتعدى 40 مليار دولار وأغلبها ينحصر فيما يعرف بالرشاشات والقنابل والذخيرة ويروح ضحيتها سنوياً ما يتعدى نصف مليون إنسان وهذه الأســـلحة التى يتم تداولها بصفة غير مشـــروعة عن طريق تجار الموت معظمهـــا من صناعـــة الدول الخمس الكبرى وبعض الدول النامية.

وتهريب السلاح بصفة غير مشروعة يتم بطرق شـــائكة وملتوية حتى يصل فـــى نهاية الأمر إلى أيدى المليشـــيات والعصابـــات المنظمـــة المتطرفة من أمثال تنظيـــم القاعدة وطالبان وداعش والمليشـــيات الإرهابية والمتمردة فى أفريقيا التـــى لا تعد ولا تحصى والثوار والمتمردين عبر العالم بشكل عام.. ومن المعروف أن تجارة الســـلاح بصفة غير مشروعة تنشط فى الدول التى تتعرض لاضطرابات وقلاقل وبنظرة سريعة على المنطقة العربية ســـوف نجد دولاً مثل ليبيا وســـوريا واليمن والعراق فسوف نجد أن ظروفها اســـتدعت إلى انتشار الأســـلحة بصفة غير مشروعة وتهريب البعض منهـــا إلى دول الجوار مما يزيد من حدة مشكلة انتشار الأسلحة وتصاعد العمليات الإرهابية فى المنطقة من جراء تداول الأســـلحة بصفة غير مشروعة.. ومما لا شـــك فيه أن هنـــاك علاقة بين تنامى الإرهاب وتداول الأســـلحة بصفة غير مشـــروعة والتى يتم توفيرها سواء عن طريق سماسرة السلاح وتجار الموت أو عن طريق السرقة والتصنيع المحلى وغير ذلك من الأساليب المتوفرة داخل أو خارج الدولة.

ومن الجدير بالذكر وكما هو واضح فإن تجـــارة الســـلاح لا تقتصر على التجارة الرســـمية فيما بين الدول ولكن هناك تجارة سرية تتم فى الخفاء سواء فيما بيـــن بعض الدول أو ما بين بعض الدول ومنظمات عســـكرية وإرهابية أو ما بين الشركات المنتجة للسلاح وهذه المنظمات وبواسطة عملاء متخصصين فى هـــذا المجال وقد يكون ذلك بمعرفة السلطات الرســـمية فى البلد المصدر

طرق تهريب السلاح غير المشروع

## الإنفاق العسكرى العالمى الأعلى منذ الحرب الباردة

أو بدون معرفتها ولذلك نشـــأت سوق موازية لتجارة الأســـلحة الرسمية وهى الســـوق الســـوداء حيث يمكن شـــراء الأسلحة المختلفة دون الثقيلة وبأسعار تخضع لقانون العرض والطلب وتعتبر تجارة الأسلحة الخفيفة من أنشط أنواع التجارة لسهولة نقلها وتهريبها ورخص ثمنها.

### ماذا بشأن الأسلحة الصغيرة؟

فى آخر تعريف للأســـلحة الخفيفة والصغيرة والـــذى أقـــره معهد الأمم المتحدة لنزع الســـلاح ذكـــر أنها هى الأسلحة التى تضم المسدسات والبنادق الهجومية والرشاشـــات والبنادق الآلية ونصف الآليـــة إضافة إلـــى القواذف الصاروخية المحمولة المضادة للطائرات والدبابـــات أو مدافع المورتر والألغام.. وبرزت مشكلة الاتجار غير المشروع فى الأسلحة الخفيفة والصغيرة وتحولت إلى ظاهرة فى حقبة التسعينيات مع ظهور المتغيرات الدولية التى نشأت إثر إنهاء الحرب الباردة وظهور تحديات ومعالم جديدة لشـــكل العالم علاوة على ظهور عصابات الجريمة المنظمة وانتشـــار تجارة المخدرات وازدياد الأيديولوجيات المتطرفة وقد أدى توافر هذا النوع من الأســـلحة إلى تفاقم الصراعات العرقية وتقوية مراكز تجار الحروب كما أسهم فى زيادة الخسائر المدنية بشكل مروع وخطير وقد كان ذلك واضحاً وبشـــكل كبير فى المناطق المليئة بالنزاعات فى القارة السمراء وفى أفغانستان والبلقان وأمريكا اللاتينية وغيرها وذلك على مدى العقد الأخير من القرن العشرين.

ومن الجديـــر بالذكر فإنـــه وفقاً للتقارير الدولية فإن الأســـلحة الخفيفة هى المفضلة لدى الكثيرين لأنها رخيصة الثمن ولا تشكل عبئا مادياً على ميزانيات الدول الفقيرة أو الجماعات المســـلحة المتورطة فى الحروب والصراعات وبما أنها ســـهلة النقل والإخفاء والاستعمال والإصلاح ولأنها صغيـــرة الحجم فهى دائمـــاً لهـــا الأولوية لـــدى المهربين والجماعات الإرهابية المدعومة من دول وشبكات الجريمة المنظمة ورجال حرب العصابات حيث أضحت هذه الجماعات الإرهابية هى المستفيدة الأولى والأخيرة من التجارة غير المشـــروعة للأسلحة الخفيفة ولاســـيما وأنه لا يوجد تسجيل دولى لتلك الأســـلحة ومن المتعذر تتبع طريقها ومن ثم تنتشر مثل هذه الأسلحة فى الكثير من مناطق النزاع فى العالم.

### جنى الأرباح من صناعة الموت

ومن هنا تثار عدة تســـاؤلات مهمة عن الســـر الكامن فيما وراء تســـابق الدول المصنعة للســـلاح فى إنتاج هذا الكم الهائـــل من الأســـلحة الصغيرة رغم خطورتهـــا التـــى لا تخفى على أحد حيث أضحـــت المنظمات الإرهابية هى المســـتفيد الأول مـــن التجارة غير المشـــروعة لهذه الأنواع من الأسلحة.. ويعتقد المحللون بـــأن الدول الكبرى تتسابق على إنتاج السلاح دون حدوث مواجهة مباشرة بينها ولكنها تسعى إلى تصدير التوتر والحـــروب للآخرين من أجل تصريف منتجاتها من السلاح ومن ثم فإن هنـــاك اتفاقات غير مكتوبة بين الدول الكبرى تمنع المواجهة بينها ولكن هذه المواجهات مسموح بها بشرط أن يكون الموت والقتل والدمار من نصيب شـــعوب الدول الصغـــرى بمعنى أن

الصغار يحاربون ويقتلون بينما الكبار يصنعون ويربحون.

ولقد ظلت صناعة السلاح فى الولايات المتحدة والدول الغربية هى الأولى بين الصناعات وظلت الدول الفقيرة تصطف فى الطوابير لشـــراء الســـلاح بدلاً من الغذاء.. ويعتقد المحللون السياســـيون أن ازدياد وتســـارع الإنفـــاق العالمى على التسلح كما تشير إحصاءات عامى 2017 و2018 يعـــد من أهم المعوقات فى طريق التنمية والتى تســـعى دول العالم إلى تحقيقها فمع ازدياد الإنفاق العســـكرى وإنتاج المزيد من الأسلحة فإن هذا يترجم فى ســـعى هذه الدول لخلق أســـواق لتصريف هذه الأسلحة وبالتالى إثـــارة المزيد من التوتر وبؤر النزاع حول كافة أنحاء العالم ومما يفتح الأبواب أيضاً أمام تجارة غير مشـــروعة للسلاح بمعنى وصول هذه الأسلحة إلى أيدى المنظمات الإرهابية والمتمردين أى أن الدول الكبرى المصنعة للسلاح هى المصدر الرئيسى لتجارة الموت والقتل والمغذى الرئيسى للإرهاب حول العالم دون معرفة حقيقية كيف يتم استخدام هذه الأســـلحة وكم الدمار الذى تشهده دول العالم جراء ذلك.

## الحد من الانتشار

بدأت الأمم المتحدة منذ تشكيلها بعد نهاية الحـــرب العالمية الثانية وتحديداً منذ أواخر الخمسينيات عقد اجتماعات تمهيدية لإقـــرار قوانين منظمة لتجارة الأســـلحة المشـــروعة وغير المشروعة وركزت فى البداية على الأسلحة النووية وجهود ضبط التسلح.

وفـــى 9 يوليـــو 2001 عقـــدت الأمم المتحـــدة مؤتمراً فـــى نيويورك يناقش خلالـــه القضاء علـــى التجارة غير المشروعة فى الأســـلحة الخفيفة وعقب أســـبوعين من المباحثات توصل المؤتمر إلى وثيقة تشكل أرضية يمكن استخدامها مســـتقبلاً لمراقبة الأسلحة الخفيفة وضعهـــا حينذاك معهد بحوث التســـلح للأمم المتحدة بأنها ليســـت اتفاقيـــة ولكنها بمثابـــة خلفية قوية للبداية.

**يظل الإرهاب المستفيد الأول من التجارة غير المشروعة للسلاح..**

ومن ثم فإن المجتمع الدولى اعتمد فى عام 2001 بروتوكول الأسلحة النارية والذى يعـــد برنامج عمل للأمم المتحدة لمنع الاتجار غير المشـــروع بالأسلحة الصغيرة والخفيفة بكل جوانبه ويهدف لمكافحة ذلك الاتجار والقضاء عليه.

وتلى ذلك انعقاد النـــدوة الإقليمية لمكافحة الاتجار غير المشروع بالأسلحة الخفيفة والصغيرة والتى نظمتها إدارة شـــئون نزع الســـلاح بالأمم المتحدة واســـتضافتها العاصمة الجزائرية من 11 إلـــى 13 أبريـــل 2005 حيث أكد المجتمعون على خطـــورة تداول هذه الأسلحة والتى تؤدى إلى مقتل الملايين من البشـــر معظمهم من المدنيين من النساء والأطفال وأن ظاهرة الاتجار غير المشروع بالأسلحة الخفيفة والصغيرة تأخذ أبعاداً خطيـــرة فى مناطق وبؤر التوتر والصراع حيث يتحرك السلاح فى هذه المناطق بشـــكل لا يمكن مراقبته.. ودعا المجتمعون إلـــى ضرورة التمييز الواضح والصريح بين ســـلاح المقاومة الذى يحارب المحتل وسلاح الجماعات الإرهابيـــة وبأهمية التعـــاون الدولى والإقليمـــى وتنظيم أســـاليب عمليات استيراد وتصدير تلك الأسلحة.. وتوالت اجتماعات حظر التجارة غير المشروعة للأسلحة الخفيفة والتى تستكمل ما تم التوصل إليه فى اجتماعات يوليو 2001 فكان اجتماع القاهرة عام 2003 للوقوف على مدى تطبيق الدول العربية لبرنامج عمل الأمم المتحدة لمنـــع الاتجار غير المشروع بالأسلحة الصغيرة والخفيفة وتوالـــت الاجتماعـــات فى مقـــر الأمم المتحدة بنيويورك سنوياً فى الفترة ما بيـــن 2005 و2006 وحتى عام 2012 حيث توصلت الـــدول الأعضاء فى الأمم المتحدة إلى مشـــروع معاهدة لتنظيم تجارة الســـلاح عالميـــاً ليتم التصويت عليها لاحقاً فى عام 2013..

وعلى المســـتوى العربى وفى إطار جامعة الدول العربيـــة انعقدت العديد من الاجتماعات التى تركز على مكافحة الاتجار غير المشروع بالأسلحة الخفيفة وصدقـــت غالبية الـــدول الأعضاء على الاتفاقية لمكافحة الإرهاب والتى دخلت حيز النفاذ عام 1999 كما انضمت جميع الدول العربية إلى الاتفاقية الدولية ذات الصلة بمكافحة الاتجار غير المشـــروع بالأســـلحة الصغيرة والخفيفة وأكدت على التزامها ببرنامـــج عمل الاتفاقية بخلاف قيام بعضها بإبـــرام مذكرات تفاهم وتعاون فى مجال التنسيق الأمنى مع جهات أمنية كالإنتربول.

## جهود مصرية مثمرة

منذ اندلاع الثورة الليبية فى فبراير 2011 تعانى ليبيا الجار الغربى لمصر

**مبادرة الاتحاد الافريقى "إسكات الأسلحة بحلول عام 2020" تحظى بدعم كبير**

## الإنفاق العسكرى العالمى الأعلى منذ الحرب الباردة

أوضاعاً أمنية متدهورة وأزمة سياسية طاحنة وقد حرصت مصر على بذل جهود مثمرة لحل الأزمة الليبية سواء من خلال التنسيق مع دول الجوار الليبى والشمال الأفريقى كما سعت للاتصال بكافة الأطراف الليبية من أجل إيجاد تسوية سياسية ترضى جميع الأطراف كما عملت مصر على دعم الجهود الدولية المبذولة فى هذا الإطار إيماناً من القيادة السياسية بأن استقرار ليبيا يدعم بما لا يدع مجالا للشك الأمن القومى المصرى.

وعلى الصعيد الأمنى فقد أكدت المصادر الأمنية المصرية على أن 70٪ من مساحة مطروح مناطق صحراوية وهى تحت السيطرة المتاحة للقوات المسلحة وبصفة خاصة قوات حرس الحدود التى هى على معرفة بكل الدروب الصحراوية وأماكن خطوط السير التى يسلكها المهربون القادمون من ليبيا ويتم التنسيق الدائم بين رجال الأمن المصرى وقوات حرس الحدود ولإحكام السيطرة على عمليات التهريب المستمرة عبر الحدود المصرية والليبية ولاسيما تهريب الأسلحة بهدف إيصالها للجماعات الإرهابية من أجل زعزعة الاستقرار والأمن المصرى.. وقد تمكنت قوات الأمن والقوات المسلحة المصرية ولاسيما حرس الحدود من إحباط العديد من عمليات التهريب على مدى السنوات الماضية والتى تضمنت تسلل عربات دفع رباعى محملة بكميات هائلة من الأسلحة والذخائر عبر الحدود الغربية والتى كانت تستهدف قوات الجيش والشرطة فى المنطقة.. وهناك تنسيق مستمر وعلى أعلى مستوى بين السلطات الليبية والمصرية من أجل ضبط الحدود المترامية بين البلدين.. ووفقاً للمصادر الأمنية فإن مراقبة الحدود المصرية الغربية تتم عبر استخدام وسائل تقنية متقدمة من بينها مجسات أرضية فضلاً عن تسيير دوريات أمنية على مدار الساعة بمشاركة القوات الجوية التى تشارك أيضاً فى مراقبة الحدود.

وقد تمكنت الدوريات الأمنية على الحدود مع ليبيا من إحباط إحدى محاولات تهريب غير شرعى للأسلحة تحتوى على كمية كبيرة من المتفجرات والأسلحة النارية والتى تحتوى على كلاشينكوف ورشاشات جرينوف وبنادق قنص تركية والعديد من الألغام والمتفجرات.

كما استطاعت القوات المسلحة وعن طريق عملية سيناء 2018 من ضبط الحدود الشرقية والحد من العمليات الإرهابية التى تهدف إلى تهديد أمن واستقرار البلاد وفى نهاية الأمر فإنه بالرغم من الجهود الدولية والإقليمية والوطنية الحثيثة التى تبذل للحد من التجارة غير المشروعة للسلاح حتى لا تصل إلى يد الجماعات الإرهابية المستفيد الأول من هذه الظاهرة ولكن تظل المسئولية الأخلاقية تقع بالأساس على عاتق الدول الكبرى المنتجة للسلاح وأهمية التزامها بضوابط حركة بيع السلاح ومنعها من الوقوع فى أيدى شبكات الإرهاب وتجار الموت لأن الإرهاب لن تقتصر آثاره على مناطق بعينها بل تمتد آثاره لكافة دول العالم وهناك حاجة ماسة لإيقاف حدة تعاظم الإنفاق العسكرى وتوجيه هذه النفقات لحماية البشرية من شر العنف والإرهاب عن طريق دعم جهود التنمية الدولية وحق الإنسان فى الحياة على كوكب الأرض فى طمأنينة وسلام.

## من منظور القانون الدولى

# ليبيـا ومكافحة الهجرة غير الشرعية وتهريب الأسلحة

**شاهدنا جميعاً كيف أدت أحداث الربيع العربى إلى انهيار أمنى فى عدد من دول منطقة الشرق الأوســـط وفوضى عارمة فى المنطقة امتدت تداعياتها لتطال الـــدول الأوروبية، حيث أصبحت التهديدات الإرهابية وموجات الهجرة غير الشرعية وعمليات تهريب الأسلحة هى الشواغل الأمنية الرئيسية لدول منطقة الشرق الأوســـط وأوروبا. وقد ارتبطت هذه المشكلات بالأزمتين السورية والليبية على وجه الخصوص.**

لذلـــك، تركـــز هـــذه المقالة على تداعيات هاتيـــن الأزمتين على تدفقات الهجرة غير الشـــرعية وعمليات تهريب الأسلحة فى البحر المتوسط، والإجراءات التى اتخذتها الدول الأوروبية والمجتمع الدولى لمواجهة هذه الظواهر والأنشطة الإجرامية فـــى منطقة أعالـــى البحر المتوسط قبالة السواحل الليبية، وبشكل خاص تكييف هذه الإجراءات من الناحية القانونية وعلاقتها باتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982.

### تدفقات الهجرة غير الشرعية فى البحر المتوسط:

تزايدت موجات الهجرة غير الشرعية من ســـوريا إلى الدول الأوروبية بشكل غير مسبوق عقب اندلاع الثورة السورية، وبلغت هذه الموجات أوجها فى خريف عام 2015 الذى شـــهد تدفقات بشرية ضخمة عبـــر طريق «غـــرب البلقان»، حتى أن ألمانيا وحدها استقبلت حوالى مليون لاجئ فى غضون بضعة شهور، مما أدى إلى اضطرابات سياسية وأمنية فى الدول الأوروبيـــة ومن بينها بصفة خاصة اليونـــان وألمانيا وإيطاليا. على إثر ذلك، سارعت الدول الأوروبية لإبرام اتفاق مع تركيا فى مـــارس 2016 تم بمقتضاه إغـــلاق طريق «غرب البلقان» مقابل عـــدة عطايا لتركيـــا من أهمها مساعدات بإجمالى (6) مليارات دولار على دفعتين.

بغض النظر عن ملابسات وشروط الصفقة السياســـية التى وقعتها الدول الأوروبية مع تركيا مقابل وقف موجات الهجرة غير الشـــرعية عبر طريق غرب

**وزير مفوض د. محمد قدح**

البلقان، فلم يكن متصـــوراً أن تتوقف عمليات الهجرة غير الشرعية من منطقة الشرق الأوســـط وغيرها باتجاه أوروبا خاصةً وأن الحروب فى المنطقة لا تزال مســـتعرة وتدفع بأعداد كبيرة للنزوح هرباً من الهلاك، كما أن الطموح الجامح فى الهجـــرة لأوروبا لأغراض اقتصادية كان على أشـــده بعدما ثبت نجاح مئات الآلاف من المهاجرين فى الوصول إلى ألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية الثرية الليبراليـــة. ولذا انتعـــش فجأة طريق «وســـط البحر المتوسط» – أى الطريق عبر منطقة وســـط البحر المتوسط– انطلاقاً من الســـواحل الليبية بالأساس إلى موانئ جنـــوب إيطاليا ومن أكثرها تأثراً لامبيدوزا.

من الثابـــت أن إيطاليا هى الأخرى كانت تعانى من عمليـــات الهجرة غير الشرعية بشكل متزايد منذ اندلاع الثورة الليبية عام 2011، وبمتوســـط حوالى (100) ألف لاجئ ســـنوياً، ولذا أنشأت الحكومـــة الإيطالية فى عـــام 2013 عملية «مار نوســـتروم» البحرية للبحث والإنقاذ أمام ســـواحلها. وكانت القطع البحريـــة الإيطالية تنقذ ضحايا الهجرة غير الشـــرعية فى منطقة أعالى البحار (وتنقلهم إلى الســـواحل الإيطالية لعدم قانونية إعادتهم إلى ليبيا)، وهو العمل الذى يتفق مع نص المـــادة (98) من اتفاقية الأمم المتحـــدة لقانون البحار والتـــى تطلب من كل الـــدول الأعضاء تكليف ربان ســـفنها بأن يقوموا «قدر وسعهم ودون تعريض السفينة أو ركابها أو طاقمها للخطر» بتقديم «المســـاعدة لأى شـــخص وُجد فى البحار معرضاً لخطر الضياع»، فضلاً عن «التوجه بكل ما يمكن من السرعة لإنقاذ أى أشخاص فى حالة اســـتغاثة». وكما كان متوقعاً، فقد مثلت العملية «مار نوستروم» عامل جذب أدى إلى زيادة أنشـــطة عصابات الهجرة غير الشرعية على طريق وسط البحر المتوسط.

أمـــام هـــذا التحـــدى المصحوب بانتقادات من الـــدول الأوروبية الأخرى وبصفـــة خاصة بريطانيـــا، إلى جانب شـــكاوى إيطاليا من غيـــاب التضامن الأوروبـــى معهـــا، وبعد مرور ســـنة واحدة على نشـــأة العمليـــة الإيطالية «مار نوستروم»، أنشأ الاتحاد الأوروبى العملية «تريتون» عـــام 2014، تحت قيـــادة إيطاليا، وبإســـهامات طوعية مـــن (16) دولة أوروبيـــة أخرى. لكن العملية «تريتـــون» اختلفت من حيث منطقة عملياتها التـــى كانت أقرب إلى السواحل الإيطالية، كما اقتصرت ولايتها على عمليات المســـح الميدانى وجمع المعلومات الاســـتخباراتية دون تكليف

واضح بالبحث والإنقاذ. وعلى الرغم من ذلك، استمرت موجات الهجرة غير الشرعية عبر طريق وسط البحر المتوسط بل وتزايدت خصوصاً بعد غلق طريق غرب البلقان فى مارس 2016 لتسجل حوالى (154) ألفاً خلال عام 2015 ثم حوالى (181) ألفاً عام 2016، كما ارتفع عدد ضحايا الغرق فى هذا الطريق إلى (2794) فرداً عام 2015 ثم إلى (4567) فرداً عام 2016. نفهم من ذلك أن الدول الأوروبية تجنبت الالتزام الكامل بنص المادة (98) من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار فيما يتعلق بواجب إنقاذ المهاجرين المعرضين للغرق، إلا أن هذا التحايل لم يساعدها، حيث أدت الظروف المحيطة إلى تفاقم تدفقات الهجرة غير الشرعية، مما عمق من الاضطرابات السياسية الداخلية فى الدول الأوروبية، كما لم تسلم هذه الدول من انتقادات واتهامات المنظمات الحقوقية بتحمل المسئولية عن ضحايا الغرق المتزايدين.

## رفض ليبيا دخول الأوروبيين للمياه أو الأراضى الليبية

أمام هذه المعضلة، سارعت الدول الأوروبية لتعديل المسار بهدف وقف تدفقات الهجرة غير الشرعية بكل السبل، وأنشأ الاتحاد الأوروبى العملية «صوفيا» فى مايو 2015. وهذه المرة جاءت العملية بولاية واسعة امتدت لتتضمن تكليفات داخل المياه والأراضى الليبية، حيث تضمنت ولاية العملية أربع مراحل متتابعة زمنياً تبدأ بجمع المعلومات، ثم ملاحقة مراكب تهريب المهاجرين والاتجار فى البشر فى أعالى البحر المتوسط، ثم مواصلة أعمال الملاحقة داخل المياه الإقليمية والداخلية الليبية، وأخيراً القيام بأعمال تتبع داخل الأراضى الليبية نفسها من أجل ضمان تدمير المراكب المستخدمة من جانب الشبكات الإجرامية، مع ملاحظة أن أعمال المرحلتين الثالثة والرابعة اقترنت بشرط الحصول على تفويض من مجلس الأمن أو رضاء ليبيا. وكما كان متوقعاً، رفضت السلطات الليبية تفويض العملية الأوروبية لدخول المياه أو الأراضى الليبية، كما لم يتسن استصدار قرار من مجلس الأمن يتضمن مثل هذا التفويض.

فى الوقت الذى كانت العملية «صوفيا» لا تزال فى مراحلها التنفيذية الأولى، صدر قرار مجلس الأمن رقم (2240) فى 9 أكتوبر 2015، وهو القرار الذى تضمن تفويضاً للدول الأعضاء والمنظمات الإقليمية بتفتيش المراكب التى تكون لديها أسباب معقولة للاعتقاد بتورطها فى تهريب المهاجرين أو الاتجار فى البشر فى أعالى البحر المتوسط. وعلى الرغم من عدم تضمن القرار الأممى تفويضاً بالعمل داخل المياه أو الأراضى الليبية، فقد حقق عدة مكاسب للجانب الأوروبى من أهمها دعم شرعية ولاية العملية «صوفيا» القائمة على ملاحقة مراكب تهريب المهاجرين والاتجار فى البشر القادمة من ليبيا، وإن كان الجانب الأوروبى ليس بحاجة لتفويض من المجلس للقيام بهذه المهام فى أعالى البحار. كما تضمن القرار تفويضاً ليس فقط لتوقيف المراكب التى لا تحمل علماً وإنما أيضاً تلك التى تحمل العلم الليبى، انطلاقاً من قاعدة أرساها القرار وهى أن ليبيا هى القاعدة الرئيسية للأنشطة التى يهدف لردعها.

يُلاحظ أن القرار (2240) تضمن نصاً واضحا فى الفقرة العاملة (11) بأن التفويضات التى يمنحها «لا تسرى إلا على حالة تهريب المهاجرين والاتجار فى البشر فى أعالى البحر قبالة الساحل الليبى، ولا تمس حقوق الدول الأعضاء أو التزاماتها أو مسئولياتها بموجب القانون الدولى، بما فى ذلك أى حقوق أو التزامات بموجب اتفاقية قانون البحار». فى المقابل، فإن اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار تضمنت فى فصلها السابع والخاص بأعالى البحار نصوصاً بحظر نقل الرقيق (المادة 99)، وقمع القرصنة (المادة 100)، وقمع الاتجار غير المشروع بالمخدرات أو المواد التى تؤثر على العقل (المادة 108)، وقمع البث الإذاعى غير المصرح به من أعالى البحار (المادة 109)، بينما لم تشر الاتفاقية صراحةً لجريمتى تهريب المهاجرين والاتجار فى البشر. غير أن المادة (110) من الاتفاقية تجيز التدخل ضد السفن الأجنبية فى أعالى البحار فى حالة وجود معاهدة دولية تبيح ذلك، وهو الشرط الذى تحققه هنا اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية وبروتوكولاتها الثلاث (اتفاقية باليرمو لعام 2000)، علماً بأن البروتوكول الأول يختص بمنع وقمع ومعاقبة الاتجار بالأشخاص، والثانى يختص بمكافحة تهريب المهاجرين عن طريق البر والبحر والجو.

لم تكتف الدول الأوروبية المتضررة من عمليات تهريب المهاجرين والاتجار فى البشر بالإجراءات السابقة، خاصةً وأن العملية «صوفيا» لم تنجح فى خفض تدفقات الهجرة غير الشرعية، ولذا سعت الدول الأوروبية الأعضاء فى حلف الناتو ومن بينها بصفة خاصة إيطاليا وألمانيا للحصول على دعم الحلف المتواجد بقوة فى البحر المتوسط من خلال عمليته «المسعى النشط»، وهو المطلب الذى استجاب له الحلف بالفعل بإصدار قرار من قمته فى وارسو فى يوليو 2016 بتحويل عملية «المسعى النشط» إلى عملية «حارس البحر» التى تتضمن ولايتها تقديم الدعم للعملية الأوروبية «صوفيا» فى إطار التضامن الأطلنطى. كما استعاضت الدول الأوروبية عن التفويض الذى كانت تطلبه لمكافحة تهريب المهاجرين والاتجار فى البشر داخل المياه والأراضى الليبية بتجهيز وتسليح وتدريب قوات خفر السواحل الليبية، بالتوازى مع وضع قوات من عدة دول من بينها إيطاليا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة على الأراضى الليبية تحت أغطية مختلفة لتحقيق أهداف العملية «صوفيا» وغيرها من المصالح الخاصة بهذه الدول. وبمرور الوقت وتراكم الإجراءات والتحركات الأوروبية، بدأت إرهاصات الغلق التدريجى لطريق وسط البحر المتوسط اعتباراً من العام الماضى 2017.

## تهريب الأسلحة فى البحر المتوسط:

من المعلوم أن ليبيا كانت مستودعاً

هائلاً للأسلحة في عهد الرئيس الراحل القذافـــى، خاصةً الأســـلحة الصغيرة والمتوسطة مثل الآر بى جى والصواريخ المحمولـــة كتفاً القادرة على إســـقاط الطائـــرات المدنيـــة علـــى ارتفاعات منخفضة والمدافع المضادة للطائرات وصواريخ جراد، وهى الأســـلحة التى انتشـــرت فى أنحاء المنطقة بعد الثورة الليبية لتصبح أحد أهم أســـباب أعمال العنف التى تعانـــى منها دول المنطقة ومـــن بينها مصـــر، كما تُعـــد العامل الرئيســـى وراء اشتعال منطقة الساحل والصحراء الأفريقية حالياً.

وفى الوقـــت الذى كانـــت الدول الأوروبية تكتـــوى بموجات الهجرة غير الشرعية عبر البحر المتوسط، كانت دول منطقة الشرق الأوسط هى الأخرى تدفع ثمناً باهظاً للفوضى الناتجة عن الثورة الليبية، ولذا طالبت هذه الدول نظيراتها الأوروبيـــة مراراً وتكـــراراً بالعمل على كبح عمليات تهريب الأسلحة فى البحر المتوســـط، خاصةً بعدما أطلق الاتحاد الأوروبـــى عمليته «صوفيـــا» لمكافحة تهريب المهاجرين والاتجار فى البشـــر قبالة السواحل الليبية، مقترحةً توسيع ولاية العملية الأوروبية لتشـــمل توقيف مراكب تهريب الأســـلحة، إلا أن الدول الأوروبيـــة لم تبد اســـتجابة فى بادئ الأمر نظـــراً لأنها ليســـت متضررة من تهريب الأسلحة ومقصدها الأساسى هو مكافحة الهجرة غير الشرعية. ثم بدأت الدول الأوروبية تستشعر رجاحة مطلب دول المنطقـــة من زاويـــة دعم جهود استعادة الأمن والسلام فى ليبيا والدول المجـــاورة، وبالتالى احتـــواء موجات الهجرة غير الشـــرعية وتهيئة الظروف لعودة المهاجرين غير الشـــرعيين إلى دول المنشـــأ، وبناء عليـــه قبلت الدول الأوروبية الاضطلاع بهـــذه المهمة، مع اشتراط اســـتصدار تفويض صريح من مجلـــس الأمن للعمليـــة «صوفيا» لهذا الغرض، وذلك علـــى النقيض من حالة مكافحة الهجرة غير الشرعية التى رأت الدول الأوروبية أنها لا تحتاج لتفويض من مجلس الأمن للقيام بها.

وبالفعل، أصدر مجلس الأمن قراره رقـــم (2292) فـــى 14 يونيو 2016

موجات الهجرة عبر سواحل ليبيـــا

والذى تضمن تفويضـــاً للدول الأعضاء والمنظمات الإقليمية بتوقيف الســـفن التى يكون لديها أسباب معقولة للاعتقاد بأنها تحمل أســـلحة إلـــى أو من ليبيا. وبعد تلكؤ دام عدة أشهر، بدأت العملية الأوروبية «صوفيـــا» تطبيق هذا القرار، إلا أن الدول الأوروبية كانت تتكتم على التطورات المرتبطة بذلك، على النقيض من تطورات مكافحة تهريب المهاجرين والاتجار فى البشـــر والتى كانت متاحة وبغزارة علـــى مواقع الإنترنت. وعندما حدثت تسريبات عن مركبين متورطين فى تهريب الأســـلحة ولا يتم توقيفهما، دفعت الـــدول الأوروبية بأنهما مركبان يحملان العلم الليبى وينطلقان من نقطة إلى أخرى داخل المياه الليبية وليس من الخارج إلى داخل ليبيا أو من داخلها إلى الخارج وفقاً لنص الولاية التى تضمنها قرار مجلس الأمن (2292). وتجب هنا ملاحظة أن ليبيا خاضعة لعقوبات من مجلس الأمن بحظر السلاح، وأن قواعد هذا الحظر هـــى الأخرى تقصر تطبيقه على إمداد ليبيا بالأســـلحة أو الحصول على أسلحة ليبية.

يوضح ما سبق أن الدول الأوروبية لم تكن متحمسة لمقترح تكليف العملية الأوروبية «صوفيا» بتوقيف السفن التى يُعتقـــد أنها تحمل أســـلحة فى منطقة أعالى البحار قبالة السواحل الليبية، فى الوقت الذى ســـارعت هذه الدول لإنشاء عملية وراء أخرى لمكافحة الهجرة غير الشرعية فى نفس هذه المنطقة وحتى داخل ليبيا ذاتها بطـــرق ملتوية ودون تفويـــض واضح من مجلـــس الأمن أو رضاء واضح من جانب السلطات الليبية. وذلك علـــى الرغم مـــن أن الاتجار فى الأســـلحة يعد جريمة تجيز التدخل ضد السفن الأجنبية وفقاً لنص المادة (110) من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، بمقتضى البروتوكـــول الثالث الملحق باتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية (اتفاقية باليرمو لعام 2000)، تمامـــاً مثلما هو الحال فيما يخص جريمتى تهريب المهاجرين والاتجار فى البشر.

إجمـــالاً، فـــإن تداعيـــات ظاهرة الهجرة غير الشرعية لاتزال تعتمل على الساحة الإقليمية بشكل أدى إلى الإطاحة بحكومات وآخرها فى إيطاليا، وصعود تيارات يمينية متشددة لسدة الحكم فى دول مثل بولندا والنمســـا وإيطاليا، فى الوقت الذى تواصل دول جنوب المتوسط وفى مقدمتها مصر جهودها لكبح جماح هذه الظاهرة وما يرتبط بها من تهديدات. ومن الزاوية القانونية، فمن الملاحظ أن بعض الدول الأوروبية التى طالما قدمت نفسها للعالم باعتبارها حامية لحقوق الإنسان والحريات الأساسية تتهرب من التزاماتها وفقاً للقانون الدولى سواء فيما يتعلق باستقبال طالبى اللجوء والحفاظ على أرواحهم أو مكافحة تجارة الأسلحة فى البحر المتوسط.

# جهود حلحلة الأزمة الليبيـــة

**فى مؤشـــر على قرب تنفيذ الجيش الوطنى الليبى لعملية عســـكرية موسعة لتحرير مدينة «درنة»، آخر معاقل الجماعات المتطرفة فى منطقة ســـاحل شرق ليبيا، زار القائد العام للجيش، المشير «خليفة حفتر»، بشـــكل مفاجئ نهاية أبريل الماضى وفور عودته من رحلة الاستشفاء بباريس، القاعدة الجوية العســـكرية فى مطار «الأبرق»، والتى تبعـــد 70 كيلو متراً غرب مدينة «درنة»، للاطلاع على آخر المســـتجدات العســـكرية فى غرفة عمليات «عمر المختار» الخاصة بمعركة تحرير المدينة التى تسيطر عليها جماعات متطرفة منذ 4 سنوات.**

**مُسَلّم هنيدى**

**متخصص فى الشؤون الأمنية ودراسات الأمن القومى**

**mosllam_future@yahoo.com**

وتزامنت هذه التطورات مع معلومات عن إعادة اســـتئناف الاجتماعات الرسمية التى تستضيفها القاهرة لتوحيد المؤسسة العسكرية الليبية خلال شهر مايو، إضافة إلى دعوة الســـلطات المصرية مسئولين فى المجلـــس الأعلى للدولـــة إلى زيارة القاهرة للمرة الأولـــى، عقب فوز القيادى فى «الإخوان المســـلمين» «خالد المشري» برئاســـة المجلس غير المعترف به دولياً الشهر الماضى.

وفى حين ناقش رئيس البعثة الأممية لدى ليبيا مع الأمين العام للجامعة العربية «أحمد أبو الغيط» فى القاهرة مدى التقدم الذى تم إحرازه فى خطة عمل الأمم المتحدة من أجل ليبيا، إضافة إلى الاجتماع الرباعى، الذى عقد فى مقر الجامعة العربية فى ذات السياق. والذى شاركت فيه كل من الجامعة العربية والاتحـــادان الأفريقى والأوروبى والأمم المتحدة، حيـــث ناقش المجتمعون مجموعـــة من الخطوات المشـــتركة التى تهدف إلى تشـــجيع الأطراف الليبية على المضى قدماً فى مســـار استكمال عملية الانتقال السياســـى، والوســـاطة لإتمام الاســـتحقاقات الدســـتورية والانتخابية المقررة بموجب اتفاق «الصخيرات». فقد شارك المشير «حفتر» فى الاحتفالات التى أقيمت بمناســـبة ذكرى انطـــلاق «عملية الكرامة»، التى أعلنت فـــى يوليو 2014، لينهى بذلك الحضور كل الجدل الذى أثير حول واقع حالتـــه الصحية ما بعد رحلته العلاجية فى مشافى باريس.

ومـــن ثم تســـتهدف تلك الســـطور تســـليط الضوء على مجمل مســـتجدات الواقع الليبى فى ســـياق تلـــك التطورات السياسية والميدانية على كل المستويات، وفى مقدمتها اســـتعراض مدى التغير فى الموقف السياســـى العـــام داخل وخارج ليبيا، فى ضوء الجهـــد المصرى المكثف والحثيث الذى تبذله القاهرة بغية الاقتراب بأطراف الأزمة القائمة منذ ســـنوات إلى منطقة اتفـــاق، يمكن لهم أن يتوصلوا من خلالها إلى مواءمة ترتضيها كل الأطراف ذات الصلة داخل وخارج البلاد.

تطورات الموقف الدولى

مـــا إن أطلق الجيـــش الليبى عملية «غضـــب الصحراء» قبل أشـــهر لملاحقة فلول العصابات والجماعات الإرهابية فى الصحراء الليبية، حتى ســـارعت الحكومة الإيطاليـــة بتزكية مـــن البرلمان الإيطالى بالموافقـــة على إرســـال قـــوات إضافية للأراضى الليبيـــة، ضمن أجندة لا تخفيها الحكومة الإيطاليـــة بل لطالما تعلنها على لسان رئيســـها «باولو جينتيلوني» وكأن ليبيا قد باتت جزءاً من الأراضى الإيطالية.

بيد أن الوجـــود الإيطالى أو أى وجود أجنبى آخر، مهما كانت مبرراته، لا يمكن فهمه إلا على أنه انتهاك للســـيادة الليبية، كونه لا ولن يستهدف سوى تأمين المصالح الذاتية لتلك الدول، وقد ســـبق لإيطاليا أن أرســـلت قطعاً بحرية عسكرية استفزازية إلى الشـــواطئ الليبية، بمجرد الإعلان على توافق بين المشير «خليفة حفتر» و«فائز السراج» فى باريس تنافساً على من تكون له اليد الطولى فى ليبيا.

وهو التدخل الذى تســـبب حينها فى غضب الشـــارع الليبى، واعتبرته النخب الليبية عودة للمســـتعمر القديم بترحيب ممن صفق أجدادهم للمســـتعمر قبل مائة عام، ليتكرر التاريخ بحنينهم للمســـتعمر والاستقواء به والتحصن خلفه، رغم خروج النخـــب المختلفة فى بيانات اســـتنكار وتنديد بهذا التطاول الإيطالى على الأراضى الليبية، فى ظل صمت حكومة «الوفاق»، إلا من بيان خجول هزيل وضعيف عبر مطلبه الإيضاح من الحكومة الإيطالية دون الجرأة على إدانة انتهاك السيادة الوطنية.

فإذا ما أضيـــف لتلك الأجواء فضيحة الســـفينة «آندروميدا»، التـــى احتجزتها الســـلطات اليونانية قبل نحو ثلاثة شهور وهى فى طريقها من تركيا إلى ليبيا، حيث تلقى أحـــد الموانئ الليبية إشـــارة بقرب وصول السفينة قبل اعتراضها وهى محملة بحاويات المتفجرات الـ29، فالســـفينة ليســـت الأولى، ولن تكون الأخيرة، والتى ربما استهدف من أرســـلها بل ودأب على إرســـال مثيلاتها بطرق عـــدة على مدار

السنوات الماضية، أن يعين ويمكن بالسلاح والخراب والفوضى جماعات الإسلام السياسى من زمام الأمور فى ليبيا، كما هو حاصل فى طرابلس، فى الوقت الذى مازال المجتمع الدولى يقف فيه عاجزاً عن رفع حظر السلاح عن الجيش الوطنى الليبى، الذى يدافع عن البلاد من شرقها إلى غربها بقدرات محدودة ومجهودات متعاظمة. وهو الوضع المغلوط الذى لم يعد مقبولاً، بل بات يضع مجلس الأمن والبعثة الدولية للأمم المتحدة وأمريكا والدول الراعية لاتفاق «الصخيرات» فى ليبيا على المحك والاختبار الحقيقى، حول مدى جدية المسعى نحو تحقيق السلام ونزع فتيل القتال وملاحقة صناع الفوضى والخراب والإرهاب من عدمه.

وفى حين عاودت إيطاليا مجدداً وغازلت القائد العام للجيش الوطنى الليبى، المشير «خليفة حفتر» على لسان سفيرها لدى ليبيا «جوزيبى بيروني» قبل أسابيع، والذى اعتبر عودته من رحلة العلاج فرصة يمكنها أن توفر الأمل فى استقرار ليبيا من خلال دعمه لجهود المصالحة الوطنية، معرباً عن أمله فى أن يكون وجوده بمثابة قوة قادرة على توحيد جميع القوى المحلية المختلفة، كخطوة لا بديل عنها لإعادة إحياء المشهد السياسى ومساعدة البلاد على التحرك نحو الانتخابات الوطنية نهاية العام.

فقد تحوّلت العاصمة المصرية على مدار الأسابيع الماضية إلى مركز اتصالات ولقاءات دولية وعربية خاصة بليبيا؛ حيث انتهى لقاء المجموعة الرباعية الدولية المعنية بليبيا، والذى انعقد بمقر جامعة الدول العربية فى القاهرة، الثلاثاء فى الأول من مايو 2018، إلى التشديد على أهمية عقد انتخابات برلمانية ورئاسية على أساس قانون ودستور يجب أن يصدر ويُصدق عليه لهذه الغاية. وأكد البيان الختامى الصادر عن المجموعة التى ضمت الأمين العام لجامعة الدول العربية «أحمد أبو الغيط»، والممثلة العليا للاتحاد الأوروبى للشئون الخارجية والسياسة الأمنية «فريدريكا موجيريني»، والممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة ورئيس بعثة الدعم الأممية فى ليبيا «غسان سلامة»، والممثل الأعلى للاتحاد الأفريقى إلى مالى والساحل رئيس بوروندى السابق «بيير بويويا»، على أهمية الجهود التحضيرية للمجلس الرئاسى والمفوضية الوطنية العليا للانتخابات، وخاصة من خلال تسجيل الناخبين المؤهلين، ورحبت (المجموعة) بالعدد المرتفع للناخبين الجدد المسجلين فى هذه العملية، علماً بأن الانتخابات مخطط لها أن تُعقد قبل نهاية العام وفق خطة عمل الأمم المتحدة.

فقد أبدت المجموعة الرباعية رغبتها فى تنسيق جهودها لتقديم الدعم، بما فى ذلك إيفاد بعثات المساعدة، والمراقبة الانتخابية، للسماح بعقد انتخابات حرة ونزيهة وذات صدقية لدى الجميع. حيث يتطلب عقد مثل هذه الانتخابات مناخاً سياسياً وأمنياً مواتياً تتعهد فيه جميع الأطراف الليبية بشكل مسبق باحترام نتائجها والالتزام بها من الجميع.

كما تعهدت المجموعة الرباعية برعاية أى تدابير لبناء الثقة بين الأطراف الليبية وأصحاب المصلحة الليبيين والتى من شأنها أن تساهم فى توفير ضمانات نزاهة إضافية للإجراء الناجح لهذه الانتخابات، والقبول بنتائجها، واعتراف المجتمع الدولى بالمؤسسات التنفيذية والتشريعية التى ستنبثق عنها. وهو ما يفرض استمرار الحاجة للتعامل الشامل مع التحديات الأمنية التى يشكلها كل من انتشار الأسلحة، والجماعات المسلحة غير الخاضعة لسلطة الدولة، وشبكات التهريب والاتجار غير المشروع، وأهمية وجود جيش ليبى موحد يعمل تحت إشراف مدنى وهيكل قيادة موحد، ويكون قادراً على تثبيت السلام والأمن فى كافة أنحاء البلاد.

ولذا رحبت الرباعية فى بيانها بكل الجهود المبذولة لتوحيد الأجهزة الأمنية، بما فى ذلك الحوار الأمنى المهم الذى تيسره الحكومة المصرية، كما شجعت مجلس النواب والمجلس الأعلى للدولة على مواصلة حوارهما والعمل معاً للاضطلاع بمسئولياتهما، وجددت المجموعة الرباعية التأكيد على التزامها بسيادة واستقلال ليبيا وسلامة أراضيها ووحدتها الوطنية، وعلى دعمها للمجلس الرئاسى لحكومة الوفاق الوطنى المعترف بها دولياً.

كما اتفقت المجموعة على الاستمرار فى جهودها المتناسقة والتكاملية لدعم العملية السياسية الجامعة التى تيسرها الأمم المتحدة وفق الإطار العام للاتفاق السياسى الليبى. وأعادت الرباعية التأكيد على دعمها الكامل لخطة عمل الأمم المتحدة لليبيا ورحبت بالتقدم المحرز حتى الآن فى تنفيذ عناصرها الأساسية. كما دعت المجموعة جميع الأطراف الليبية إلى تحمل مسئولياتها ومواصلة تعاونها، بحسن نية، مع الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة نحو تنفيذ الخطة بشكل توافقى واسع النطاق.

ورحبت المجموعة بجهود «غسان سلامة» لتنظيمه وعقده لسلسلة من الاجتماعات عبر ليبيا كجزء من عملية المؤتمر الوطنى واسع النطاق لتشجيع الحوار الوطنى والوحدة والمصالحة وبلورة رؤية جامعة من أجل استكمال الانتقال الديمقراطى لليبيا. وأعربت عن استعدادها لتوفير الرعاية المشتركة لهذه المبادرة، التى تيسرها الأمم المتحدة، ودعم تنفيذ مخرجاتها.

وفى الوقت نفسه شددت الرباعية على ضرورة معالجة تحديات ليبيا الاقتصادية وتوفير الخدمات الأساسية من خلال التوزيع المتكافئ لموارد الدولة فى جميع أنحاء البلاد، والانتهاء من الميزانية الوطنية لعام 2018، كما أكدت أيضاً، بشكل خاص، على أهمية الحفاظ على وحدة القطاع الاقتصادى والمالى الليبى، بما فى ذلك وزارة المالية ومصرف ليبيا المركزى والمؤسسة الوطنية للنفط والمؤسسة الليبية للاستثمار وديوان المحاسبة الليبى.

وقد جاءت تلك التطورات عقب الاتفاق المصرى الفرنسى على دعم الحل السياسى فى ليبيا، والذى تمخض عن الزيارة التى أجراها وزير الخارجية الفرنسى، «جان إيف لودريان» إلى القاهرة الأحد 29 أبريل 2018، إذ التقى بالرئيس المصرى «عبد الفتاح السيسي»، ووزير الخارجية «سامح شكري»، والأمين العام لجامعة الدول العربية «أحمد أبو الغيط»، والتى عقد خلالها المشاركون عدداً من المباحثات المكثفة حول مجمل الأوضاع، وكان على رأسها الملف الليبى، حيث اتفقت مصر

وفرنسـا على ضرورة توحيد الجهود بين البلدين، والعمل على دعم الحل السياسى للأزمة الليبية. حيث اتفقت وجهات النظر على حدوث تقدم سياسى نسبى بالمشهد الليبى، وهو ما يستلزم الإسراع فى عقد الانتخابات قبل نهاية العام الجارى.

كما التقى الأمين العام «أحمد أبو الغيط»، وزير الخارجية الفرنسى «جان إيف لودريان»، فى مقر جامعة الدول العربية، وتمت مناقشة المستجدات التى تشهدها المنطقة، ومن بينها ما يتعلق بكيفية العمل على حلحلة الأزمة الليبية ومساندة جهود المبعوث الأممى الرامية لتحقيق التوافق المنشود بين الفرقاء الليبيين.

## مأزق قوى طرابلس بعد عودة المشير

أحدثت عدة لقاءات لأحزاب وكيانات ليبية فى تونس خلال أبريل الماضى، أشرفت عليها جمعية(CMI) الفنلندية لمبادرة إدارة الأزمات، وانتهت إلى توقيع ما أطلقوا عليه «ميثاق شرف للعمل السياسي»، حالة من الجدل وردود الأفعال المتباينة، بين منسحب من التوقيع، وآخر يرى أنه لم يشارك فيه من الأساس، والتى جمعت تيارات موالية للنظام السابق، وأخرى محسوبة على جماعة «الإخوان المسلمين»، من بينهم حزب «العدالة والبناء»، وحزب «الوطن» الذى يرأسه أمير «الجماعة الليبية المقاتلة» سابقاً «عبد الحكيم بلحاج»، وحزب «التغيير» الذى يترأسه «جمعة القماطي»، المقيم فى لندن، وجبهة «النضال الوطني» المحسوبة على بعض أنصار النظام الجماهيرى، وحركة «المستقبل» التى يترأسها «عبد الهادى الحويج»، و«التكتل الوطنى الفيدرالي»، و«تحالف القوى الوطنية».

وفور انتشار نبأ التوقيع على الوثيقة، سارعت عدة أحزاب لتوضيح موقفها من تلك الاجتماعات، إذ رفض حزب «القمة» التوقيع على «الميثاق»، وأرجع ذلك إلى «إيمانه بأن الحل السياسى الليبى لا يجب أن يتم خارج الوطن أو تحت رعاية جهات أجنبية نجهل مصادر تمويلها، أو توجهاتها وأجندتها»، وكان من الأجدر بالموقعين على هذا الميثاق المزعوم ألا يكتفوا بتوجيه النقد لتجاهل المبعوث الأممى لليبيا «غسان سلامة» لإشراك الأحزاب السياسية الليبية فى الحراك السياسى. ونبه الحزب الجهات المعنية فى البلاد إلى عدم ترك أمور الليبيين «لجمعيات وافدة» تتدخل فى العمل السياسى، والدخول على خط أزمة الجنوب وتداعياتها، بعيداً عن أعين الدولة.

ورغم إعلان جماعة «الإخوان» عن أسماء الموقعين، إلاّ أن حركة «المستقبل» الموجودة خارج ليبيا، و«جبهة النضال الوطني» التى يتزعمها «أحمد قذاف الدم»، نفت مشاركتهما، وهو ما دفع نائب البرلمان «صالح أفحيمة» إلى القول بأن «الأنباء التى خرجت عن اجتماع تلك الأطراف فى تونس جاءت ملتبسة، بين من ينكر المشاركة، وبين من يرفض الحديث حول تفاصيلها»، لكنه خلص إلى القول بأن «هؤلاء لا يمثلون قوة خلفهم، ويبحثون عن مصالحهم، ولا يصلون إلى أى اتفاق». كما ذهب بعض نواب من غرب البلاد، إلى أن بعض الأطراف التى تعيش خارج البلاد تبحث لنفسها عن دور، بغض النظر عن المصلحة العليا للبلاد. ومن ثم فقد عبّر هؤلاء عن رفضهم لأى اجتماعات تتناول الأوضاع داخل البلاد بعيداً عن أعين أجهزة الدولة الرسمية.

وفى تحرك كاشف لحجم المأزق الذى وقعت فيه قوى الغرب الليبى ما بعد عودة المشير «حفتر» معافى سالماً من رحلته العلاجية، وهى الوعكة الصحية التى استغلتها تلك القوى المناوئة للرجل فى الداخل والخارج الليبى أسوأ استغلال درامى؛ لتشفيها فى مرضه بل وادعاءاتهم المكشوفة بوفاته وتنفسهم الصعداء بهذا الزعم المشئوم. فقد أبدى المجلس الأعلى للدولة فى ليبيا فى الأول من مايو ـ كخطوة تقهقرية منه لتجاوز هذا الانكشاف السياسى والأخلاقى أمام الجميع ـ استعداده لتقديم تنازلات سياسية، تشمل تغيير كبار المسئولين فى السلطة التنفيذية، وإعادة هيكلة للمجلس الرئاسى لحكومة الوفاق الوطنى، التى يترأسها «فائز السراج»، وجاء هذا التطور، الذى أبداه المجلس الأعلى، بعد أقل من شهر على انتخاب «خالد المشري»، أحد القيادات البارزة فى حزب «العدالة والبناء»، الذراع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين رئيساً له، بدلاً من سلفه «عبد الرحمن السويحلي»، فى وقت يضغط فيه المجتمع الدولى لإجراء انتخابات برلمانية ورئاسية بحلول شهر سبتمبر المقبل، بينما يرفضها البرلمان والجيش الوطنى الموالى له، على اعتبار أن البلاد ليست مؤهلة لإتمام هذا الاستحقاق الانتخابى فى هذا التوقيت.

وأعلن مجلس الدولة فى بيان له من مقره فى طرابلس، موافقته على ما وصفه بإعادة هيكلة السلطة التنفيذية إلى مجلس رئاسى، يتكون من رئيس ونائبين فقط، وحكومة منفصلة عنه، معرباً عن تطلعه لتجاوب مجلس النواب، الذى يتخذ من مدينة طبرق بأقصى الشرق مقراً له، مع هذه المقترحات لإنهاء الانقسام وتوحيد المؤسسات. وذلك بعدما أعلن موافقته على إعفاء أو تعيين شاغلى المناصب القيادية للوظائف السيادية، وفقاً لاتفاق السلام المثير للجدل، والمبرم فى منتجع «الصخيرات» بالمغرب نهاية عام 2015. كذلك حث مجلس النواب أيضاً على تفعيل المادة 23 من الاتفاق للتوافق حول مشروع قانون الاستفتاء، لكى يتمكن الشعب من قول كلمته بشأن مشروع الدستور، الذى أعدته الهيئة التأسيسية.

كما أبدى المجلس استعداده لتلبية أية دعوة يوجهها مجلس النواب لعقد لقاء بين المجلسين بمقر الأخير فى مدينة «طبرق»، فى حال تحديد موعد لهذا الاجتماع، الذى يستهدف من خلاله الداعون له تجاوز المرحلة الحالية، واستشراف مرحلة جديدة على أساس الأخوة والمصالحة والعفو الشامل، وتأمين عودة المهجرين وإعلاء المصلحة الوطنية العليا للبلاد.

ولكن فى المقابل، مازالت تتوجس كتلة «بنغازى» من تلك المساومات التى تقدمها قوى طرابلس كمحاولة للالتفاف وتقويض نجاحات الجيش فى مواجهة الإرهاب. وفى هذا السياق أبدى رئيس لجنة الدفاع والأمن القومى بمجلس النواب الليبى فى «طبرق» «طلال الميهوب»، اعتراضه على ما تضمنه بيان مجلس الدولة، كونه «لا يعدو جزءاً

**الوزير سامح شكرى يشارك فى الاجتماع السداسى حول الأزمة الليبية بلندن**

من محاولة الإخوان المكشوفة للانقضاض على الجيش الوطنى، وتقويض الإنجازات التى حققتها قواته فى مواجهات الجماعات الإرهابية والمتطرفة فى البلاد خلال الفترة الماضية، خصوصاً فى المنطقة الشرقية» على وجه التحديد. ومن ثم لا ولن تخرج فحوى البيان عن مجرد «لعبة إخوانية مفضوحة»، ولذا ترفض كتلة بنغازى الاتفاق مع مجلس الدولة المقترح، لأن ضريبة قبوله معهم فى هذا التوقيت لن يكون لنتائجها أى مردود إيجابى سوى التضحية بالجيش، وهذا أمر مرفوض جملةً وتفصيلاً. وما يجب فعله فى المقابل هو تعديل الدستور ليضمن حقوق الجيش من أى اسم يُنتخب فى المستقبل، ومن ثم إجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية نزيهة على أساس دستورى ومؤسسى وبنيوى متين.

## نجاحات الجيش تحسم الجدل ميدانياً

لقد تمكنت قوات الجيش الليبى رغم محدودية الموارد التسليحية من القضاء على الإرهاب فى ليبيا، وخاصة المنطقة الشرقية، رغم الإمكانيات المحدودة التى تمتلكها. ولكن فى حين رفض الجيش الليبى بقيادة المشير «حفتر» قبل أيام الموافقة على طلب كانت قد تقدمت به قيادة القوات الأمريكية العاملة فى أفريقيا، والمعروفة باسم «أفريكوم»، للموافقة على مشاركتها فى تحرير «درنة». فقد وقّعت حكومة الوفاق الوطنى، التى يترأسها «فائز السراج»، فى العاصمة الليبية طرابلس الجمعة 27 أبريل الماضى، عدداً من اتفاقيات التعاون الأمنى مع الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بحضور وزير الخارجية «محمد سيالة»، وقالت القائمة بأعمال السفارة الأمريكية لدى ليبيا «ستيفانى ويليامز»، عقب اجتماع مع السفير الليبى فى تونس «محمد المعلول»، إن اللقاء نتج عنه عدد من الاتفاقيات مع حكومة «السراج»، تحدد التزامنا المتبادل بتحسين الوضع الأمنى فى جميع أنحاء ليبيا. وأوضحت المسئولة الأمريكية أن الاتفاقية شملت قطاعات الشرطة والإصلاحيات والعدالة، بالإضافة إلى مذكرة نوايا لتعزيز أمن المطارات فى ليبيا، معتبرة أن هذا الجهد هو جزء من استراتيجية ثنائية أوسع لتحسين الأمن، والحد من الثغرات فى المطارات والحدود البرية الليبية. كما أكدت فى هذا الصدد أن الولايات المتحدة وليبيا تتعاونان معاً، بالإضافة للجهود الإقليمية لمكافحة الإرهاب، وتعزيز الأمن فى المنطقة المغاربية، وتحقيقاً لهذه الغاية، أعلنت انضمام ليبيا إلى شراكة مكافحة الإرهاب عبر الصحراء، التى رأت أنها ستوفر فرصاً جديدة للمسئولين الليبيين للتواصل مع نظرائهم عبر الحدود، بقصد تحسين الأمن فى ليبيا والمنطقة والعالم.

وحول مدى استعداد الجيش الوطنى لتحرير مدينة «درنة»، التى تعد آخر معاقل الجماعات الإرهابية فى منطقة ساحل شرق ليبيا، فقد أعلن رئيس أركان الجيش الوطنى الليبى الفريق «عبد الرازق الناظورى»، بعد ساعات من نجاته من محاولة اغتيال فاشلة فى الأسبوع الثالث من أبريل الماضى، عن جاهزية قوات الجيش لاقتحام المدينة خلال أيام، وذلك بعدما انتهت المهلة التى منحها الجيش لاستسلام المتطرفين داخل المدينة، وبالتالى لا مفاوضات ولا وساطات. كما أكد «الناظورى» أن قوات الجيش الوطنى هى وحدها من سيقوم بعملية التحرير، نافياً بذلك تقارير إعلامية زعمت وجود قوات مصرية وروسية تستعد لدخول المدينة إلى جانب قوات الجيش الوطنى. كما نفى رئيس الأركان العامة للجيش الوطنى الليبى ما يشاع عن وجود قاعدة عسكرية روسية فى المنطقة الشرقية فى ليبيا.

ومن ثم تنتظر كل الأطراف فى الداخل والخارج الليبى خلال الأيام القادمة أوامر المشير «حفتر» لقوات الجيش بانطلاق معركة تحرير مدينة «درنة»، آخر معاقل الجماعات المتطرفة شرقى ليبيا، وهو الأمر الذى كثيراً ما أكد عليه المتحدث باسم الجيش الليبى العقيد «أحمد المسمارى»،

والتـى كان آخرهـا قبل أيـام فى ضوء تصريحاته حول الغارات الجوية المتتالية التى يشـنها الجيش الليبـى على معاقل الجماعات الإرهابيـة هناك، وهى المعركة التى سـيكون لنتائجها تأثيـر كبير على مجمل تجاذبات وتفاعلات الواقع السياسى والأمنى والعسـكرى الليبى فى المستقبل القريـب؛ كونها ستكشـف على الأحجام والأوزان النسبية والتحالفية الحقيقية لكل الأطراف فى الداخل والخارج.

وتأتى تلك التحركات والاسـتعدادات كترجمـة فعلية لقناعة كتلـة «بنغازى» الراسـخة وعلى رأسـها الجيش الوطنى بقيـادة «حفتر» وبرلمان شـرق البلاد، واللذان يريان فـى التخلص من الإرهاب ضـرورة أولية للقضاء علـى المتطرفين الإسـلاميين، وتحريـر ليبيـا من هذه المجموعات التى تنغـص حياة الليبيين، وبعدها يمكن للقـوى المعتدلة أن تدخل حلبة التنافس السياسى عبر الصناديق.

وربما هذا ما دفع رئيس مجلس النواب (البرلمان) الليبى «عقيلة صالح» فى الأول من مايو إلـى الدعوة لإجـراء انتخابات رئاسـية وبرلمانية قبل نهاية العام ولكن فى ضوء نتائج ما بعد عملية التحرير، وفقاً لخطة بعثة الأمم المتحـدة، حتى يختار الشعب الليبى رئيساً للدولة يمثله بصورة مباشـرة، ليكلف بدوره رئيساً للحكومة يحل مشكلات الشـعب. وتعهد «صالح» الحصول علـى دعم أعضاء مجلس النواب الموجود فـى مدينة «طبرق» لهذه الفكرة التى تعد مطلباً شعبياً، وتوجهاً دولياً وأممياً كمخرج لحل الأزمة القائمة فى البلاد منذ سـنوات، على اعتبار أن الوقت لا يسمح بإجراء تعديلات على الاتفاق السياسـى أو تشـكيل حكومة جديدة. ومن ثم هناك اتجاه لتكليف المفوضية العامة للاستعداد للانتخابات وإعطاء الناس فرصة للترشح.

## أفق التحلحل السياسى فى المدى القريب

البعض يعوّل على اتفاق «الصخيرات» كخريطة طريق وحيدة للحـل فى ليبيا، رغم أنه يفتقر إلـى أدنى درجات التوافق بين الأطراف، ولا يحمل أى ضمانات يمكن الرجوع إليها عنـد الاختلاف، كما أنه كان يمثل أطرافاً محددة، وأقصى وغيّب أطرافاً كثيرة أخرى مهمة، فى التركيبة السياسية الليبية، مما جعله اتفاقاً منقوصاً وغير قابل للحياة، رغم تطـرف البعض بجعله نص الاتفاق نصاً مقدسـاً، لا يمكن التعديل أو الخروج عنه، رغم الخروقات الجسيمة التى ارتكبها من زعم تطبيق بنوده، على رأسها كيان مجلس الدولة الـذى هو فى الأصل تمديد للمؤتمر الوطنى (أول برلمان منتخب بعد فبراير). ومع استمرار الصراع داخل ليبيا على مدى 7 سـنوات واتخاذه أشكالاً مختلفة سياسية ومسلحة واجتماعية، إلى جانب اتساع الفساد الرسمى والمجتمعى، وضعف للرقابة والمحاسـبة يقترب من العدم، وعجز القضاء والسلطات التنفيذية على إنفاذ القانـون. بالتزامن مع تنامى الحضور الأمنى وبعض العسـكرى لعديد القـوى الإقليميـة والدوليـة، وذلك عن طريق الحلفاء أو الأتبـاع المحليين الذين يقدمون لها التسـهيلات والمعلومات، كما تتلقى المليشـيات بأنواعها دعماً خارجياً بالسلاح ينتهك السـيادة الوطنية للدولة الليبية، ويتعـارض مع القرارات الصادرة عن مجلس الأمن. وعلى المسـتوى المالى منذ توقيع الاتفاق السياسى نهاية 2015 تتحرك حكومة الوفـاق المنبثقة عنه فى إطار ترتيبات مالية ترعاها منظمات دولية سياسـية ومالية دون الاستناد إلى قانون خاص بالميزانية كما تفرض التشـريعات الليبية.

ومن ثـم لا يتصور أن تتأسـس أية دولة تمتلك مقومات النجاح والاسـتمرار على الإقليم المسـمى ليبيا إذا لم تتحقق سـيادة حقيقية وفعلية لتلك الدولة تعيد لها السيطرة المطلقة على الإقليم والسكان والعنف المشـروع، إلى جانب استعادة قدرتهـا على خدمة السـكان وحمايتهم، وتتفرد وحدها فى تنظيم وإدارة علاقاتها الخارجية انطلاقاً من الاعتراف باستقلالها الكامل وتمتعها بسـيادة متساوية مع كل الدول كما نـص ميثاق الأمم المتحدة، إلى جانب امتلاكها قدرة نسـبية على توصيل الخدمات الأساسـية لكل السكان. وحتى يمكن لذلك أن يكون كذلك على كل الأطراف الليبية وغير الليبية أن تتجرد من مصالحها المتباينـة، وتعيد قراءة المشـهد الليبى بصـورة تخدم وتعلـى المصلحة الليبية العليا للوطن على ما سـواها من المصالح والمنافع الضيقة الزائلة.

وأخيراً، لقد طال المدى وعلى الجميع أن يتداركـوا هذا البلد الـذى تريد قوى الإسـلام السياسـى فى الداخل والخارج انتزاعه من أهلـه الذين يرفضونهم رفضاً تاماً، ويرفضون أجنداته العابرة للحدود. حيث لا مكان للإسلام السياسى فى ليبيا، فعلى الرغم من انهيار الدولة منذ 2011، لم تسـتطع تلك القوى أن تحقق شيئاً مما تريد، لأن الشعب الليبى لا يقبلها ولا يرضى بأى وجود لها فى خلفية المشهد العام، ومن ثم على هؤلاء أن ينصرفوا عن هذا الشعب الذى طال عذابه. وعلـى كل الأطياف أن تسعى لحوار صريح بين الأطراف الليبية حول الأزمات والخلافات القائمة، سياسية كانت أو تحالفية، لأن التفاهم هو السـبيل الوحيد لتشكيل موقف موحد وصلب يضع الأشـقاء الفرقاء فى موضـع القوة إزاء الآخرين مـن الطامحين والطامعين... وما أكثرهم. وهو فى ذات الوقت ما سيُمكِّنهم من التصدى لتهديدات لا تمس فئة بعينها، وإنما تسـتهدف النيل من الكيان الليبى وهويته الوطنيـة الموحدة الجامعة، وعلى رأسـها التهديد الخطير الذى تتعرض له فى الآونة الأخيرة وحدة وسـلامة وسيادة واسـتقلالية الأراضى الليبية، وفى القلب منها ضـرورة وقف الاحتـراب والاقتتال الدائر بين الأشقاء منذ سنوات عدة.

وختاماً، هل يدق ما تتعرض له الدولة والهويـة الليبية من محاولات مكشـوفة لتصفيتهـا وتفتيتها وشـرذمتها، جرس إنذار للجميع، فيستنفر فى الإخوة الليبيين كل طاقتهم المهدرة على العمل الجماعى المتضافر لنزع فتيل تلك الأزمة المتفاقمة، أم ستظل المشـكلة قائمة تبحث عن حل خارجـى على موائد مـن صنعها بهدف زعزعة استقرار ليبيا والوطن العربى منذ أمد بعيد وحتى الآن؟!

## إستراتيجية خنق إيران اقتصادياً

# من يمنع «حرب الحسابات الخاطئة» بين واشنطن وطهران؟

**تبدو المؤشرات كلها وحالة الصخب الراهنة بأن الشرق الأوسط يمضي بقوة في اتجاه «حريق كبير»، وهنا فإن الغالبية تتحدث عن «حرب الحسابات الخاطئة» ما بين واشنطن وطهران، ويبدو أن حدة الأزمة الداخلية لكل من نظام الملالي والرئيس دونالد ترامب، وأزمة الفساد التي تلاحق رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو تدفع كل هذه الأطراف إلى التصعيد وربما التورط في حرب لا يريدها العقلاء بالمنطقة- ومن أبرزهم مصر- وبالطبع أوروبا التي خبرت أزمة اللاجئين، وروسيا، وبقية العالم الذي يخشى من تداعيات أزمة لا أحد يعرف كيف ستنتهي وإن كان يعرف كيف يمكن أن تبدأ. والسؤال الآن من يمنع هذه الحرب؟**

**محمد صابرين**

mohsabreen@yahoo.com


وقد وصلت نذر المواجهة إلى مستويات غير مسبوقة من التصعيد مع تحذير الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، الاثنين23 يوليو الماضي، الرئيس الإيراني، من تهديد الولايات المتحدة مرة أخرى، وذلك في أحدث رد على تهديدات أطلقها حسن روحاني مفادها بأن الحرب مع إيران هي «أم كل الحروب». وقال ترامب في تغريدة على حسابه في «تويتر»: «إلى الرئيس الإيراني روحاني لا تحاول أبدا تهديد الولايات المتحدة مرة أخرى، وإلا ستعاني من عقبات وخيمة». وأضاف: «لم نعد دولة تتهاون مع كلماتكم المختلة بشأن العنف والموت.. كن حذرا».

وكان روحاني قد حذر نظيره الأمريكي ترامب، الأحد، من مواصلة السياسات العدائية لطهران قائلا: «ينبغي أن تعلم أمريكا أن السلام مع إيران هو السلام الحقيقي والحرب مع إيران هي أم كل الحروب». ونقلت وكالة الطلبة الإيرانية للأنباء عن روحاني قوله أمام حشد من الدبلوماسيين الإيرانيين: «يا سيد ترامب لا تعبث بذيل الأسد فهذا لن يؤدي إلا للندم».

### واشنطن لا تخشى نظام الملالي

وفي وقت سابق، قال وزير الخارجية الأمريكي، مايك بومبيو، إن الولايات المتحدة لا تخشى استهداف النظام الإيراني على أعلى مستوى، مشيراً إلى أن «إيران تدار من شيء يشبه المافيا وليس من قبل حكومة». وأكد وزير الخارجية، الذي كان يتحدث لجمهور في ولاية كاليفورنيا مؤلف معظمه من أمريكيين من أصول إيرانية، إن إطلاق محادثات مع النظام الإيراني لن يحدث إلا عندما ترى واشنطن نتائج ملموسة لتغير سياسة طهران.

وأضاف بومبيو أن روحاني ووزير الخارجية ظريف مجرد واجهتين براقتين على الصعيد الدولي لنظام الملالي الخداع. وقال بومبيو بأن ثراء زعماء إيران وفسادهم يظهران أن إيران تدار من شيء يشبه المافيا وليس من قبل حكومة، معتبرا أن هذا النظام هو «كابوس على الشعب الإيراني».

### مخاوف طهران من الحرب

تنبأ موقع مقرب من الحكومة الإيرانية بحرب أمريكية وشيكة على إيران، معتبراً أن التهديدات التي يطلقها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب «حقيقية». جاء ذلك في تعليق موقع «عصر إيران» على تهديدات ترامب الأخيرة للنظام الإيراني، وتصاعد التوتر بين البلدين إثر تصريحات الرئيس الأمريكي، وفرض عقوبات أمريكية جديدة على طهران.

وأورد الموقع الإيراني في تقريره أن «من المرجح قيام ترامب بصفته قائدا أعلى للقوات المسلحة الأمريكية بشن حرب خارجية ضد دولة بعيدة عن حدودها.. ولأن شخصية ترامب معادية لإيران، فقد تشعل حماقته الحرب علينا بالفعل». وأشار إلى أن الشخصيات المحيطة بترامب معادية لإيران، خاصة وزير الدفاع الأمريكي، مؤكدا أن شخصية ترامب تختلف تماما عن الرئيس السابق باراك أوباما.

وانتقد موقع «عصر إيران» بشكل غير مباشر سياسة الحرس الثوري والمرشد الإيراني تجاه الرئيس الأمريكي الجديد، مطالبا أن تتسم السياسة الإيرانية بالحكمة، لتجنيب إيران الأضرار التي من الممكن أن تلحق بالبلاد، بسبب سياسة ترامب المعادية..

ونشر «إن ما يجب أن نفعله حتى نتجنب شر الرئيس الأمريكي، أن نواصل سياسة الاعتدال في الساحة الدولية، لأن

## من يمنع «حرب الحسابات الخاطئة» بين واشنطن وطهران؟

العالم جميعه الآن ضد ترامب، وإن مثل هذه الأجواء بالتأكيد في صالح إيران». وحـــذر من أن «أي نهـــج وموقف غير دبلوماســـي ومدروس تتخذه إيران في علاقتها مع أمريكا، من الممكن أن يغير هذه الأجواء مـــن الغضب العالمي ضد ترامب، لتنقلب ضد إيران».

وقدم الموقع النصح للنظام الإيراني في التعامل مع ترامـــب، قائلا: «يجب عدم إعطاء أية ذريعة للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية لتطبيق سياســـتهم المعادية، مع الحفاظ على القوة التي تمثل أمراً ضروريا لأية أمة». واعتبر أن اتخاذ أي نوع من السياسات المتشددة في هذه المرحلة، سواء كانت في السياســـة الداخليـــة أو الخارجية لإيران، فإنها ستخدم مصلحة السعودية وإسرائيل.

وطالب الحكومة الإيرانية بالاستمرار في «دبلوماســـية الحكمة» في علاقتها الخارجيـــة، حتـــى إن أرادت أمريكا التحرك ضد إيران، لأنها ســـتكون غير قادرة على تشـــكيل تحالف دولي ضد إيران»، وفق قوله.

سيناريوهات الأزمة وتطوراتها

ووســـط تصاعد الحرب الكلامية والتـــي يبدو أنهـــا جزء مـــن الحرب النفســـية، والتي فيما يبدو أن الطرفين ســـوف يواصلان تصعيدها في الوقت الراهن، وذلك في مخاطبة للداخل بأنه طرف قوي ولا يخشى التهديدات، وفي رســـالة قوية للحلفاء بقوة موقفه، كما أنها رسالة للقوى الدولية التي لا ترغب في تفجير الشرق الأوسط بحرب جديدة بســـرعة التحرك لإطفاء الحريق، وعدم الانزلاق إلى حرب بســـبب «الحسابات الخاطئة». وأحســـب أن الأزمة مرشحة لعـــدة ســـيناريوهات ســـوف نحاول التوقف أمامها بالفحص والتحليل، وهي كالتالي:

- الســـيناريو الحالي: «حملة تغيير سلوك النظام»

كشفت مصادر أمريكية مطلعة عن أن إدارة الرئيس دونالد ترامب «تشـــن من خلال الخطب والرســـائل الموجهة عبـــر الإنترنت حملة تهـــدف إلى إثارة اضطرابـــات والمســـاعدة في الضغط على إيران» لوقـــف برنامجها النووي ودعمها جماعات مسلحة, وذكرت وكالة «رويترز» في 23 يوليو نقلا عن 6 من المسئولين الحاليين والسابقين بأن هذه الحملة التي يدعمها وزير الخارجية مايك بومبيو ومستشـــار الأمن القومي جون بولتون «تهدف إلى العمل، بالتنسيق مع حملة ترامب، على تضييق الخناق على إيـــران اقتصادياً من خلال إعادة فرض عقوبات صارمـــة عليها». وزادت كثافة الحملة منذ انسحاب ترامب في 8 مايو الماضـــي من اتفاق عـــام 2015 الذي وقعت عليه 7 دول، لمنع إيران من صنع أسلحة نووية.

- الســـيناريو الثانـــي: «تصعيد واشنطن عبر3 خطوات»

الأولى: فَرض حصـــار اقتصاديّ خانِق على أمَل تأليب الشـــعب الإيرانيّ ضِـــد حُكومته، ودَفعِـــه لدعم، أو عدم مُعارضـــة أي تَدخُّل أمريكـــيّ لتَغيير النِّظام.

الثانيـــة: تَحريـــك الأقليّـــات غير الفارسيّة، وغير الشـــيعية، على غِرار

النَّموذجين السُّوريّ والعِراقيّ.

الثالثة: إطلاق كميّـــات كبيرة من المَخزون النِّفطيّ الاحتياطيّ ممّا يُؤدِّي إلى تَخفيض الأسعار إلى مُعَدَّلات مُدمِّرة للاقتصادِ الإيرانيّ.

لا يعتقد بعض المحللين، ومن بينهم عبد الباري عطوان، أن الإيرانيين يُمكِن أن يَقبلوا بالشُّـــروط الأمريكيّة في أيِّ حِوارٍ افتراضيٍّ، لأنّها تَعني استسلامهم الكامِل، والتخلِّي عن طُموحاتِهم النَّوويّة والصَّاروخيّة إلى الأبد، وهذا أمر مُستَبعد لأنّه يُذكِّر بالسِّيناريو العِراقي، وعَواقِبه الوَخيمة، ولكـــن إذا كانت المُفاوضات التـــي يُمكِن إطالـــة مُدّتهـــا مُتاحة، بمُشارَكة الأوروبيين أيضًا فَلِمَ لا. إلا أننا نرى من تاريخ نظام طهران أنه يتمتع بقدرة هائلة على الانحنـــاء للعاصفة، والتعامل بقدر عال من البرجماتية من أجل الحفاظ على البقاء وشراء الوقت، وتحسين الشروط لأي تفاهمات يتوصل إليها مع خصومه. ومن هنا فإن طهران على الأرجح سوف تقبل بدء مفاوضات، بل هناك تقارير تقول بوجود مثل هذه المفاوضات الســـرية ما بين واشنطن وطهران، وأن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ورجاله من يتصدى لهذه المهمة.

وفي المقابل يرى البعض أن طهران تواجه مُشكلة تَنحصِر في تعاملهم مع زعيمين محاصرين كُلٌّ لأســـبابه، الأوّل بنيامين نِتنياهو، الـــذي يُريد أن يُتوِّج حياته السياســـيّة «بنَصرٍ مـــا» يُجَنِّبه مصير سلفه إيهود أولمرت، الذي انتهى بالسَّجن بتهمة الفساد ، والثَّاني ترامب، الذي تتصاعَد ضِدَّه وإدارته الانتقادات الأمريكيّة في أوساط قِطاعٍ عَريضٍ من النُّخبة السياسيّة والشَّعب الأمريكيّ مَعًا، ويَعتَقِد أنّ ضرب إيران يُمكِن أن يُظهره بالرئيس القَويّ. وأحسب أن ترامب الذي تلاحقه كل أنواع التهم من الفســـاد إلى العمالة لروسيا إلى غسيل الأموال يرغب في شيء ما ينقذه من عزله أو محاكمته، وهنا فـــي ظل الضغط قـــد يندفع إلى الحرب أو صفقة ما مع إيران.

ونبقـــى مع ســـيناريوهات الأزمة

وتطورهـــا، وتذهب كثير مـــن مراكز الأبحاث إلى لجوء واشـــنطن إلى إغراق أســـواق النِّفط العالميّة بكميّاتٍ كبيرةٍ من مَخزونِها النِّفطيّ، وتَحريض بعض حُلفائِها في مِنطَقـــة الخليج، والكُويت والإمـــارات على وَجـــه الخُصوص إلى زيادة الإنتـــاج وإغراق الأســـواق مما يؤدي لانهيار الأسعار، فضلا عن دعوة ترامب لعدم شراء بترول إيران، وهو ما سيؤدي إلى خنقها اقتصاديا، وتفجير الوضع من الداخل. وقد سبق أن جربت واشنطن هذا الســـيناريو من قبل ضد العراق، مما أدى إلى انخفاض الأسعار إلى أقَـــل من عَشـــرة دولارات للبَرميل عامَـــيّ 1988 و1989، الأمر الذي أدَّى إلى انهيار الاقتصـــاد العِراقيّ الخَارِج للتَّو من الحَرب مع إيران، ودَفع الرئيس صدام حســـين إلى غزو الكويت صَيف عام 1990.

ويبقـــى أن الجهد الآن منصب على تغيير ســـلوك النظام الإيراني، ومثلما يقول المسئولون الأمريكيون الحاليون والسابقون إن هذه الحملة تسلط الضوء على عيوب الزعماء الإيرانيين، مستخدمة أحيانا معلومات مبالغاً فيها أو تتناقض مع تصريحات رســـمية أخرى بما في ذلك تصريحات لإدارات سابقة.

وفي الوقت نفســـه نفى مســـئول بوزارة الخارجيـــة الأمريكية الاتهامات الإيرانية حول سعى واشنطن للإطاحة بالنظام الإيراني، وقال: «ليكن واضحا أننا لا نسعى لتغيير النظام؛ بل نسعى لتغييرات في مسلك الحكومة الإيرانية». إلا أن التجارب الســـابقة علمتنا أنه في ظل عدم الثقة والتحريض المســـتمر لواشنطن من قبل إســـرائيل وآخرين، ووســـط خوف طهران من الســـوابق الأمريكية في تغييـــر الأنظمة فلا أحد يمكنه الجزم بيقين إن ثمة شيء ما خطأ قد يقع وتجد المنطقة نفسها في وسط حريق كبير.

ولعل مما يزيد المخاوف من الحرب الخطـــأ نتيجة الحســـابات الخطأ هو تحليلات أمريكية جـــادة من نوعية ما ذهب إليه كريم ســـجادبور، الخبير في الشـــأن الإيراني بـ«مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي» من أن إستراتيجية خنق إيران اقتصاديا وإذكاء مشاعر الاستياء العام من القيادة هدفها الوصول لإحدى نتيجتين: «النتيجة الأولى هي الاستسلام وإرغـــام إيـــران على تقليـــص ليس برنامجها النووي فحسب؛ بل طموحاتها الإقليمية، والنتيجـــة الثانية هي انهيار النظـــام». وإذا كان ذلك أقرب للمنطق فإن النظام الإيراني سوف يتصرف وفقاً لذلك, ولن يكون ســـلوكه جميلا ما لم يتدخل العقلاء لنزع فتيل الأزمة.

# واشنطن وطهران بين خيارات التصعيد واحتمالات الحوار

**كما كان متوقعا انسحب الرئيس الأمريكى ترامب من الاتفاق النووى الإيرانى فى 8 مايو الماضى بعد أن أعطى مهلة ثلاثة شهور للجانب الأوروبى فى يناير الماضى لتقديم بديل يعالج «العيوب الخطيرة» فى الاتفاق المتمثلة فى بند الغروب أى ضمان عدم استئناف إيران لتخصيب اليورانيوم بعد انتهاء مدة الاتفاق فى عام 2025 وفتح المواقع العسكرية الإيرانية السرية للتفتيش الدولى، إضافة لربط مصير الاتفاق النووى بكبح البرنامج الصاروخى الباليستى الإيرانى ووقف تمدد إيران المزعزع للاستقرار فى المنطقة وفى دعم الإرهاب عبر أذرعها العسكرية المختلفة مثل حزب الله فى لبنان ومليشيا الحوثى الانقلابية فى اليمن وعشرات المليشيات الشيعية فى سوريا والعراق. وقد فشل الجانب الأوروبى الذى تشبث باستمرار الاتفاق لاعتبارات اقتصادية بالأساس، فى الضغط على الجانب الإيرانى للتوصل لتعديل الاتفاق الحالى أو إبرام اتفاق تكميلى كما فشل فى إثناء الرئيس ترامب عن الانسحاب من الاتفاق النووى.**

**د.أحمد سيد أحمد**

**خبير العلاقات الدولية فى الأهرام**

**ahmedsaidahmed@hotmail.com**

## معضلة كبرى لكل الأطراف

وقد شكل الانسحاب الأمريكى معضلة كبيرة لكل من الأطراف الأخرى الموقعة على الاتفاق، أى روسيا والصين وألمانيا وفرنسا وإيران، فمن الناحية النظرية والقانونية فإن الاتفاق سارى حتى بعد الانسحاب الأمريكى حيث تم إقراره من مجلس الأمن عبر القرار 2231، ويمكن لهذه الأطراف الاستمرار فيه، لكن من الناحية العملية بات الاتفاق فى حكم المنتهى، لعدة اعتبارات، أولها أن الولايات المتحدة وإيران هما الطرفين الأساسيين فيه وأن الدول الخمسة الأخرى هى بمثابة الضامن، وثانيها أن إعادة العقوبات الأمريكية مرة أخرى على إيران، ينشئ حالة من عدم اليقين حول الاقتصاد الإيرانى ويجعل من الصعوبة على أى شركة أجنبية المجازفة بالاستثمار فى السوق الإيرانية فى ظل استمرار العقوبات الأمريكية، والتى قد تطال هذه الشركات بعد أن أمهلتها الخزانة الأمريكية مدة ستة أشهر لسحب استثماراتها من إيران.

الخيارات الإيرانية تجاه خطوة الانسحاب الامريكى من الاتفاق النووى محدودة ومكلفة، فخيار التصعيد والانسحاب من الاتفاق النووى واستئناف التخصيب بمستويات عليا يعيد الاجواء إلى ما قبل الاتفاق من ممارسة الضغوط الدولية وفرض المزيد من العقوبات، بل وخسارة الطرف الأوربى الذى ما تزال تراهن عليه إيران لدعم موقفها وإنقاذ الاتفاق، كما أن هذا الخيار لن يكون فى صالح النظام الإيرانى الذى يواجه أزمات عديدة أبرزها تفاقم الازمة الاقتصادية الداخلية والتى بدت مؤشراتها فى انخفاض قيمة العملة إلى 112 ألف ريال مقابل الدولار وارتفاع مستويات الفقر والبطالة لمستويات قياسية، وهو ما أشعل الانتفاضة الجماهيرية فى نهاية العام الماضى وشملت العديد من المدن الإيرانية بما فيها قم ومشهد، معقل الحوزة الدينية، احتجاجا على التوسع الإيرانى فى الخارج وتوجيه الأموال التى تدفقت بعد رفع العقوبات الدولية إلى تعظيم الدور الخارجى والإنفاق على أذرع إيران مثل حزب الله والحوثيين، بدلا من توجيهها صوب التنمية كما اندلعت انتفاضة البازار الإيرانية فى شهر يونيو الماضى احتجاجا على تدهور قيمة العملة وهو ما شكل تهديدا كبيرا للنظام خاصة أن طبقة البازار أو التجار كانوا تاريخيا داعمين للنظام السياسى الدينى والعسكرى الإيرانى بعد الثورة الإيرانية. كما أن خيار النظام الإيرانى فى الاستمرار فى الاتفاق وقبول الضغوط الأمريكية للتوصل إلى اتفاق جديد بشأن البرنامج النووى وتحجيم البرنامج الصاروخى الباليستى وتقليص دور إيران فى المنطقة سيكون مكلفا أيضا للنظام الإيرانى الذى أنفق الكثير من الأموال وحقق بعض المكتسبات فى سوريا والعراق ومن الصعب أن يتخلى عنها، وهو ما يجعل النظام الإيرانى أمام مأزق حقيقى خاصة بعد التصعيد الإسرائيلى ضد الدور الإيرانى فى سوريا وشن العديد من الغارات التى طالت البنية العسكرية الإيرانية فى سوريا.

وما بين الضغوط الخارجية نتيجة للبرنامج النووى ودور إيران فى المنطقة وما بين المشكلات الداخلية فى تفاقم الأوضاع الاقتصادية واندلاع الاحتجاجات التى قمعها النظام، سعى النظام الإيرانى إلى خيار ثالث يقوم على التمسك بالاتفاق النووى الحالى والمراهنة على الأطراف الأخرى الموقعة عليه لتعويض الانسحاب الأمريكى وتقليل أثار العقوبات الأمريكية وهو ما

**انسحاب الرئيس ترامب من الاتفاق النووى الإيرانى**

بدا فى جولة وزير الخارجية الإيرانى جواد ظريف لروسيا والصين وبروكسل والعمل على الحصول على ضمانات من تلك الدول بالاستمرار فى الاتفاق والإبقاء على استثماراتها وتعاملاتها الاقتصادية مع إيران، إضافة إلى انتهاج سياسة عدم التصعيد مع إسرائيل والدخول فى حرب شاملة قد تكلفها فقدان نفوذها بالكامل فى سوريا. لكن مع الانسحاب الأمريكى من الاتفاق وإعادة فرض العقوبات، فقد الطرف الأوروبى الميزة الاقتصادية التى كان يدافع بسببها عن الاتفاق، كما أنه إذا خيرت أوروبا بين أمريكا وإيران فإنها سوف تختار الولايات المتحدة حيث أن حجم التعاون الاقتصادى بين الجانبين يفوق بمئات المرات التعاون الاقتصادى بينها وبين إيران، كما أن روسيا والصين لن تعوض الخسارة الإيرانية للاستثمارات الأوروبية أو موازنة العقوبات الامريكية.

## بين التصعيد والحوار

وقد تصاعد الخطاب السياسى والدبلوماسى العدائى بين أمريكا وإيران على ألسنة كبار المسئولين فى البلدين بشكل غير مسبوق، فبعد التهديدات الإيرانية بإغلاق مضيق هرمز ووقف صادرات النفط من منطقة الخليج ردا على السياسة الأمريكية التى تستهدف وقف صادرات النفط، رد الرئيس ترامب بأن إيران ستواجه تداعيات لم يختبرها سوى قلة عبر التاريخ. هو ما يعكس حالة السخونة فى العلاقات بين البلدين ويزيد من احتمالات المواجهة فى ظل سياسة حافة الهاوية التى ينتهجها الطرفان وتقف ورائها عدد من العوامل.

**أولا:** الإستراتيجية الأمريكية فى ممارسة أقصى الضغوط تجاه إيران بعد الانسحاب من الاتفاق النووى وإعادة العقوبات السابقة وفرض عقوبات جديدة مشددة تطال عصب الاقتصاد الإيرانى، خاصة قطاعى الطاقة، من النفط والغاز، والبنوك وفرض عقوبات على الدول والشركات التى تستثمر أو تشترى النفط الإيرانى، يبدأ تفعيلها ابتداءا من نوفمبر المقبل، بات تؤتى ثمارها بشكل ملحوظ فى ظل هروب الاستثمارات الأجنبية خاصة الأوروبية من السوق الإيرانية مثل شركات توتال وبريتش بترليوم وغيرها، وإعلان الدول الرئيسية المستوردة للنفط الإيرانى، اليابان والهند والصين، تقليل وارداتها النفطية من إيران، وهو ما زاد من الضغوط على النظام الإيرانى، خاصة فى ظل الضغوط الكبيرة التى يتعرض لها فى الداخل مع اندلاع المظاهرات أكثر من مرة وفى كافة المدن الإيرانية، احتجاجا على تدهور الأوضاع الاقتصادية وارتفاع معدلات البطالة والانخفاض الكبير فى قيمة العملة، نتيجة لإنفاق النظام الإيرانى الأموال التى تدفقت عقب إبرام الاتفاق النووى على توسيع الدور الإقليمى لإيران فى المنطقة ودعم وتمويل أذرعها العسكرية مثل حزب الله اللبنانى ومليشيا الحوثى الانقلابية فى اليمن وعشرات المليشيات فى العراق وسوريا مثل عصائب أهل الحق والنجباء والفاطميون والزينبيون وغيرها، وذلك تحت إشراف الحرس الثورى الإيرانى وذراعه الخارجى فيلق القدس، والذى زادت ميزانيته العسكرية إلى أكثر من 20٪، بما أثر سلبا على فرص تحقيق التنمية وتحسين معيشة الشعب الإيرانى مما دفع المتظاهرون إلى ترديد شعارات مثل يسقط حكم المرشد خامنئى، ولا لسوريا ولا لبنان.. فداكى يا إيران. ورغم قمع النظام لهذه الاحتجاجات إلا أن النار تحت الرماد، وبالتالى فإن زيادة الضغوط الاقتصادية الأمريكية وحرمان النظام الإيرانى من أهم موارده تشكل ضغطا كبيرا عليه وهو ما اعترف به المسئولون الإيرانيون فى تزايد التأثيرات السلبية للعقوبات الأمريكية، ومن هنا لجأ النظام إلى تصعيد خطابه وتهديداته للولايات المتحدة وتحميلها مسئولية تلك المشكلات باعتبارها مؤامرة خارجية.

**ثانيا:** لجأت إدارة ترامب إلى تصعيد لغة الخطاب السياسى لردع النظام الإيرانى كجزء من الاستراتيجية الأمريكية الشاملة التى تتبناها لاحتواء الخطر الإيرانى عبر سياسة العصا سواء لغة الردع أو فرض العقوبات أو حشد الدعم الدولى تجاه إيران، إضافة إلى العمل على تغيير النظام من الداخل عبر تكثيف الضغوط الاقتصادية عليه ودعم المطالب والاحتجاجات الشعبية الإيرانية ضد النظام، حيث أطلق وزير الخارجية الأمريكى حملة دعاية تستهدف النظام الإيرانى وتشمل إطلاق قناة تليفزيونية

## واشنطن وطهران بين خيارات التصعيد واحتمالات الحوار

وإذاعة وصحيفة مواقع تواصل اجتماعى باللغة الفارسية، لكشف ممارسات النظام، وعلى خلاف الإدارات الأمريكية السابقة التى كانت تتبنى نهجا صلبا فى الخطاب الدبلوماسى، بينما على أرض الواقع تتعامل مع إيران كما حدث فى حربى أفغانستان والعراق ومحاربة تنظيم داعش الإرهابى، فإن إدارة ترامب تمزج بين الخطاب السياسى الصلب والضغوط على أرض الواقع ضمن إستراتيجية شاملة تستهدف وقف البرنامج النووى الإيرانى والبرنامج الباليستى الصاروخى ووقف دعم إيران للإرهاب فى المنطقة، كما أنها بدأت فى تحجيم الوجود الإيرانى فى سوريا عبر تفاهمات مع روسيا وإطلاق يد إسرائيل فى استهدافه المواقع الإيرانية.

**ثالثا:** رغم أن خيار المواجهة العسكرية المباشرة مستبعد لاعتبارات عديدة تتعلق بالتكلفة العالية لتلك الحرب وتأثيراتها الإقليمية والعالمية، إلا أن سياسية حافة الهاوية التى ينتهجها الطرفان خاصة فيما إذا أقدم النظام الإيرانى على إغلاق مضيق هرمز وتهديد الملاحة الدولية وتدفق النفط من الخليج، قد تدفع إلى الحرب الشاملة، لأن لجوء النظام الإيرانى إلى هذا الإغلاق كخيار أخير ردا على الضغوط الاقتصادية الأمريكية التى قد تهدد بسقوطه، ستدفع الولايات المتحدة إلى تبنى الخيار العسكرى لمنع إيران من إغلاق المضيق باعتباره خطا أحمر يهدد ليس فقط الاقتصاد الأمريكى بل الاقتصاد العالمى أيضا.

**رابعا:** يظل خيار الحوار بين البلدين مستبعدا خاصة بعد دعوة ترامب إلى الاجتماع بالقادة الإيرانيين الذين ردوا بالرفض، حيث يعتبر النظام الإيرانى أن الحوار فى الوقت الحالى مع الولايات المتحدة بعد انسحابها من الاتفاق النووى وفرض عقوبات جديدة يمثل إذعانا للولايات المتحدة، كما أن أمريكا تريد من الحوار أن تقوم إيران بتنفيذ المطالب الـ12 التى قدمتها من قبل وعلى رأسها وقف النشاط النووى والباليستى ودعم الإرهاب وزعزعة الاستقرار فى المنطقة.

وبالتالى فإن سياسة حافة الهاوية بين أمريكا وإيران قد تدفع إلى أمرين: الأول هو الحوار والتفاهم على غرار تجربة كوريا الشمالية، وإبرام اتفاق شامل يتناول ملفات النووى والباليستى ودور إيران الإقليمى، لكنه خيار مستبعد فى ظل الاختلافات الكبيرة بين الجانبين، ورفض النظام الإيرانى للتخلى عن مكتسباته التى أنفق عليها الكثير. والثانى خيار استمرار حالة الشد والجذب وتجنب الدخول فى مواجهة عسكرية، مع استمرار تبنى الولايات المتحدة لإستراتيجيتها الشاملة فى ممارسة أقصى الضغوط عبر العقوبات والرهان على إسقاط النظام الإيرانى فى ظل حالة الغليان الداخلى، خاصة إذا استمر النظام الإيرانى فى سياسة التحدى وعدم تغيير سلوكه المزعزع للاستقرار فى المنطقة. وما بين صعوبات خيار المواجهة العسكرية بين أمريكا وإيران من ناحية وخيار الحوار المباشر بينهما، تظل حالة اللاسلم واللاحرب فى المدى القصير هى السائدة بين البلدين وتظل أمريكا تراهن عل استراتيجية أقصى الضغوط على إيران والوصول إلى النقطة الحرجة التى يشعر فيها النظام الإيرانى بتهديد استمرار وجوده، هنا سيضطر للحوار والرضوخ للضغوط الأمريكية لإبرام اتفاق نووى جديد.

## يستغلون عدم دراية العامة بتاريخهم

# قطـر والانقلابـات

**لـــم تقتصر الخيانة القطرية على انقلاب حمد على والده خليفـــة بل هى أقدم من ذلك بكثير جدا فهى سمة متكررة ومنتشرة من سمات آل ثان الجاسمة على أنفاس شعب قطر بالترهيب والترغيب :**

**سفير أسامة توفيق بدر**

osama56@hotmail.com


فقبيلة آل ثان الحاكمة حاليا ليست هى أكبر عائـــلات قطر فهناك عائلات آل مرى وآل عطيـــة وغيرها أكبر بكثير من آل ثان ولكن تميـــزت آل ثان عن غيرها من القبائل القطرية بتفننها وتفوقها فى الخيانة والعمالة للاســـتعمار البريطانى منذ القرن التاسع عشـــر ولذلك فعندما قررت بريطانيا الانســـحاب من قطر - بعد غياب الشـــمس عـــن إمبراطوريتها التى كانت لا تغيب عنها الشمس- وبعد بزوغ نجم استعمارى جديد هو الولايات المتحدة، بحثت بريطانيا عن عميل يتولى شئونها ويســـمح لها باحتكار البترول القطرى الذى اكتشـــف فى أراضيها فلم تجد عميلاً أفضل مـــن آل ثان وبالتالى فقد اختارت الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثان ليتولى إمارة قطر وعين ابنه «علي» ولياً للعهـــد وتوفى ابنه الأصغر حمد فى حياته وبالتالى لم يعهد إليه بأى منصب مهم، وقد تنازل عبدالله عن الإمارة لابنه وولى عهده «علي» الذى تنازل عنها بعد فترة لنجله «أحمد» وعين الشـــيخ على «الشيخ خليفة» ابن شـــقيقه حمد الذى توفى صغيرا وليا للعهد لإسكاته وخوفاً من مؤامراته على «الأمير الجديد أحمد» معتقداً أن هذا ســـيكون نهاية لطموح خليفة .

وبعـــد اســـتقلال قطـــر عـــن بريطانياعام(1971) قـــام خليفة فى العام الذى يليه عـــام(1972) بإزاحة الأمير أحمـــد وتولى هو حكـــم الإمارة الصغيرة بعد أن قام بالتجهيز لذلك مع بعض قـــادة القبائل وإجزال الوعود لهم متعللا بتدهور الأوضاع المعيشـــية وأنه ســـيقوم بإيقاف هذا الانهيار وسيصلح الأوضاع الاقتصادية (ومن سخرية القدر أن ابنه «حمد» قد اســـتخدم نفس هذه الأسباب لخلع والده خليفة).

ولم يجـــد خليفة عام(1972) حين قام بخلع ابن عمـــه أى منافس محتمل ســـوى أخيه الشاب سحيم بن حمد الذى عينه وزيراً للخارجيـــة فى نفس العام حتى يأمن شـــره، وكان الشـــيخ سحيم يتصف بالحنكة والرؤية الثاقبة وتتشعب علاقاته محليـــاً ودوليـــاً وكان صديقاً شخصياً لكثير من القادة والزعماء العرب والأجانب وكانت شـــعبيته كاسحة بين مواطنيه مما أزعج خليفة جدا وخشـــى على عرشه من ســـحيم، وفجأة وبدون مقدمات عثر على سحيم ميتاً فى ظروف غامضة وأعلن أنـــه قد توفى بأزمة قلبية رغم أنه كان يتمتع بصحة جيدة جدا وإن كان يشاع أن خليفة قد دس له السم فى طعامه حتى يخلو له الطريق ويعين نجله الأكبر حمد وليا لعهده.

ونشـــأ حمد فى كنف والده وتشرب منه الخيانة والعمالة ولكن أراد له والده أن يتعلم العســـكرية فألحقـــه بالكلية الحربيـــة المصرية مصنع الرجال ولكنه فشـــل فى الاســـتمرار فيهـــا لطبيعته الجثمانية الضخمة وعدم تحمله الطوابير الجدية فأرســـله والده إلى كلية ســـاند هيرســـت البريطانية التى تعامل الأمراء والشيوخ معاملة خاصة نظير مدفوعاتهم ولا تدقق معهم فى حضور الطوابير لذلك حصل حمد على شـــهادته العســـكرية من هناك وعاد إلـــى قطر وتولى منصب وزير الدفاع بالإضافـــة إلى ولاية العهد ثم أضيف إليها رئاســـة مجلس الوزراء حتـــى يونيو(1995) حيـــن أزاح والده خليفة أثناء زيارة خارجية كان يقوم بها، وظل خليفة متنقلا بين فرنسا وسويسرا والإمـــارات وحين بلغ مـــن العمر أرذله توصل إلى تســـوية مالية مع ابنه حمد فســـمح له بالعودة إلى قطر وظل مقيماً فى قصره لا يغادره.

اختار حمد ابنه الثالث جاسم (الأول لزوجته الثانية موزة) لولاية عهده بعد أن اســـتبعد ابنيه الأول والثانى من زوجتيه الأخرييـــن بنات أعمامه بتهـــم مختلفة فى أكتوبر (1996) إلا أن جاســـم كان إنساناً مسالماً يكره المؤامرات والخيانة لذلك أجبرته أمه موزة فى(2003) على التنازل عن ولاية العهد إلى شقيقه تميم خريج ساند هيرســـت العسكرية والذى لمســـت أمه موزة فيه قدرته على التآمر والخيانة وتمكن خلال فترة قصيرة من تولـــى عدة مناصب مهمـــة بجوار ولاية العهد واستطاع الإلمام بكل مفاتيح حكم الدولة.

وعندما تأكدت الشـــيخة موزة من إمكانيـــات تميم اتفقت مـــع ابنها على الضغط علـــى والده حمـــد ليتنازل عن الحكم لتميم وليســـتبعدا عـــدو موزة اللدود حمد بن جاســـم بن جبر وتم ذلك بالفعل فى يونيـــو(2013) ومن وقتها ظهر تفـــوق تميم على أبيـــه فى التآمر على جيرانـــه بل وكل الدول فى المنطقة مستغلاً كل الأسلحة من تمويل مالى غير محدود لشراء أسلحة لتمويل الإرهابيين وإمدادهـــم بالأموال والمعدات وشـــراء وسائل إعلام فى أوروبا وأمريكا وإنشاء محطات تليفزيونية جديـــدة فى تركيا وبريطانيا بالإضافة إلى سلاحه الرئيسى قناة الجزيرة التى يوجهها لبث الأكاذيب والفرقة وتفتيت الدول المركزية.

ويتضح ممـــا ســـبق أن قطر هى دولة الانقلابـــات بجدارة ومع ذلك تدعى على دول أخرى أنهـــا انقلابية، كما أن قطر يحكمها عســـكريون منذ يونيو عام (1995) وحتـــى الآن ومـــع ذلك تدعى على دول أخرى أنها تحت حكم عسكرى وواضح أنهم نســـوا أنفسهم ويستغلون عدم دراية العامة بتاريخهم التآمرى.

# تحديات كبرى أمام السياسة الخارجية التركيـة

**سيظل يوم 9 يوليو 2018 يومًا مشهودًا فى التاريخ التركى المعاصر حيث شهد فعليًا انتقال نظام الحكم من البرلمانى للرئاسى، وهو ما أعلنه الرئيس رجب طيب أردوغان بعد أدائه اليمين الدستورية وتنصيبه رئيسًا لمدة خمس سـنوات إثر فوزه بأكثر من 52.9٪ فى الانتخابات المبكرة، لينهى بذلك حقبة تاريخية دامت أكثر من تسعة عقود شهدت تدشين الجمهورية التركية الأولى التى أقرت النظام البرلمانى والعلمانية كأسـس للحكم. ولعل السنوات المقبلة تحمل العديد من التحديات التى ستواجه بلاد الأناضول على الصعيدين الداخلى والخارجى لتأسيس الجمهورية التركية الثانية.**

**منى سليمان**
**باحثة فى العلاقات الدولية**
solimanmona484@yahoo.com

## المشهد السياسى التركى

تميزت الانتخابات الرئاسية التركية المبكرة التى أجريت فى 24 يونيو 2018 بارتفاع نسبة المشاركة إذ بلغت 87٪ مما يدل على ارتفاع نسـبة الاستقطاب بين المرشـحين السـت. وقد استطاع تحالف الشـعب (يضم حزب العدالة والتنمية، والحركـة القومية، والوطن، و3 أحزاب صغيرة) الفوز بالانتخابات الرئاسـية والبرلمانية التى أجريت فى نفس اليوم. ونصب مرشـحه الرئاسى «أردوغان»، رئيسا بصلاحيات مطلقة. تفعيـلاً لنظام الحكم الرئاسـى الذى طرحت بنوده فى تعديلات دسـتورية فى أبريل 2017 للاسـتفتاء العام وتم تمريرها، وكانـت تقضى بتغيير نظام الحكم من البرلمانى للرئاسـى وحيث تعهد أردوغـان بتطبيق ذلك. ومن بين الإجراءات التى بدأ تنفيذها إلغاء منصب رئيس الوزراء، ومنح رئيس الجمهورية صلاحيات تنفيذية كاملة وسيكون قادراً على إصدار مراسـيم رئاسـية بحكم القانون وفرض وإلغاء حالة الطوارئ، وتقليص عدد الوزراء وإمكانية تعيينهم وإقالتهم، كما سـيكون من صلاحياته تعييـن نحو 500 من كبـار موظفى الدولة. مما يؤدى إلى إحكام سـيطرة «أردوغـان» وحزبه على السـلطات التنفيذية والتشريعية بالدولة.

ورغم حملة القمع التى مارسها ضد المعارضة إبـان الحملات الانتخابية إلا أن أحزاب المعارضة الثلاث الرئيسـية اسـتطاعت تجاوز نسبة 10٪ لتضمن تواجدهـا بالبرلمان وهى (الشـعب الجمهورى 146 مقعداً برلمانياً - حزب الشعوب الديمقراطى الكردى 67 مقعدا، حزب «الخيـر» 43 مقعداً)، مما يؤدى لنتيجتين الأولـى وجود معارضة قوية داخل البرلمان والمجتمع التركى تنتقد سـلبيات الرئيس فى كافة المجالات. والثانيـة صعـود التيـارات القومية بالمجتمع التركى مع استمرار التحالف بين حزبى «العدالة والتنمية» و«الحركة القومية»، والأخير يدعو لاتخاذ إجراءات معادية ومتشـددة ضـد بعض دول الجوار التركى ومنها اليونان وسـوريا وقبرص انتصاراً للقومية التركية، ولذا سـيكون هذا مؤثراً فى مسار السياسة الخارجية التركية مستقبلاً.

تحديات السياسة الخارجية:

تعد الدولـة التركية مـن الدول الصاعدة سياسيًا واقتصاديًا، فهى عضو بحلف «الناتو» واقتصادها ضمن أقوى 20 اقتصاداً بالعالم، وتمكن «أردوغان» خلال رئاسته للوزراء (2002 -2014) من تحقيق طفرة تنموية ملموسـة فى كافة المجالات. بيد أنهـا تواجه حالياً العديد مـن التحديـات الداخلية لعل أبرزها الأزمة الاقتصاديـة الآخذة فى التصاعد إثر تراجع سعر صرف الليرة وتراجع تدفق الاسـتثمارات، وارتفاع معدلات التضخم التـى تجاوزت 15٪ منذ مطلع عـام 2018 مما أدى لتزايد نسب البطالة.

وفيما يخـص التحديات الخارجية فإنهـا تتمثل فى الوضع فى سـوريا: فمنذ بدء الأزمة السـورية فى 2011 وتركيا طرف فاعـل ومؤثر فيها، وقد تحول الموقف التركى لمحتل للأراضى السورية بعد التدخل العسكرى التركى بعملية «درع الفـرات» فى 2016 ثم «غصن الزيتـون» فـى 2018 ومن خلالهما سـيطرت أنقرة على عدة مدن بشمال سـوريا هى الباب، وجرابلس، والقامشـلى، وعفرين، وبـدأت عملية «تتريـك» لتلك المدن وهـو ما رفضه المكـون الكـردى وشـن العديد من العمليات الانتحارية اسـتهدفت القوات التركية بتلك المدن لاسـتنزاف الجيش التركى على المـدى الطويل. فى حين تتشارك أنقرة وواشـنطن فى حماية مدينة «منبـج» التى تتواجد فيها قوات أمريكيـة. بيد أن المعضلة الرئيسـية التى تواجه أنقرة هـى الوضع بمدينة إدلب السـورية التى تمثل بؤرة لتجمع فصائل المعارضة المسلحة وتقدم لهم أنقرة دعماً غيـر محدود. وقد بدأ يبرز فى الأفق تنافس على النفوذ بين شركاء الآستانة «موسـكو، أنقرة، طهران» من جهة، حيث طلبت موسـكو من أنقرة إنهاء تواجـد الفصائل فى إدلب بنهاية أغسـطس 2018، بينما تتبادل أنقرة

وطهران الاتهامـــات حول احتلال مدن سورية. ومن جهة أخرى هناك مشاورات مستمرة بين أنقرة وواشنطن للسيطرة على الوضع فى شـــمال ســـوريا حيث المكون الكردى الذى تدعمه واشـــنطن وتحاربه تركيا. وهناك معضلة اللاجئين الســـوريين المتواجدين بتركيا ويفوق عددهم 3 ملايين لاجىء وكيفية إعادتهم مرة أخرى لسوريا. وثمة معضلة مؤجلة وهى كيفيـــة إدارة العلاقـــات التركية الســـورية فى ظل اســـتمرار الرئيس بشار الأسد فى الحكم وهو الذى طالب «أردوغان» برحيله. فاســـتمراره يؤدى لاستمرار التوتر فى العلاقات بين أنقرة ودمشق.

أما فى الملـــف العراقى، فقد تعهد «أردوغان» بعد فوزه باستمرار العمليات العسكرية فى شمال العراق حيث يسعى للســـيطرة على منطقتى جبال قنديل وسنجار بشمال العراق، لمحاربة «حزب العمال الكردستاني» الذى يتمركز فى سنجار. مما دفع رئيس الوزراء العراقى لمطالبته باحترام سيادة العراق ووقف الغارات الجوية المســـتمرة التى يشنها ســـلاح الجو التركى على كردســـتان العراق لقصف معاقل الأكراد فيها وما يتم قصفه هى قرى للمدنيين. والمسألة الثانية هى الحصار المائى الذى تفرضه أنقرة بين الحين والآخر على العراق عبر السدود التى تمنع الحصة المائية للعراق فى مخالفة صريحـــة للقانون الدولى. وأنقرة فى ذلك تعيـــد إحياء مبدأ قديم طالما روجت له هو «بيع المياه» للعراق وسوريا لأنها دولة منبع والدولتين دول مصب لنهرى «دجلة والفرات».

أما عـــن الدول الخليجية فثمة توتر قائم فى العلاقات بيـــن تركيا وكل من (الســـعودية، الإمارات، البحرين) بفعل انحياز أنقرة للدوحة فى الأزمة القطرية وتواجد 3000 جندى تركى فى القاعدة العسكرية التركية بالدوحة منذ 5 يونيو 2017، وهـــو ما دفع وزيـــر خارجية البحرين لدعوة أنقرة لسحب قواتها من قطر خلال حواره مع جريدة ســـعودية فى مايو 2018. بينما دشن سُعوديّون وإماراتيون حملـــة إلكترونية لمقاطعة الســـياحة فى تركيا، وهو ما يضاعف من الأزمة الاقتصادية لاســـيما وأن عدد السائحين الســـعوديين يبلغ 250 ألف ســـائح يزورون تركيـــا كل عام. وفى المقابل هناك تعزيز للتعاون العسكرى والاقتصادى بين أنقـــرة والدوحة. بيد أن الأخيـــرة لن تتمكن مـــن تعويض خســـائر الاقتصاد التركـــى من تراجع تدفقات الاســـتثمار والسياحة القادمة من الرياض وأبوظبى، مما سيظهر أثره على الاقتصاد التركى.

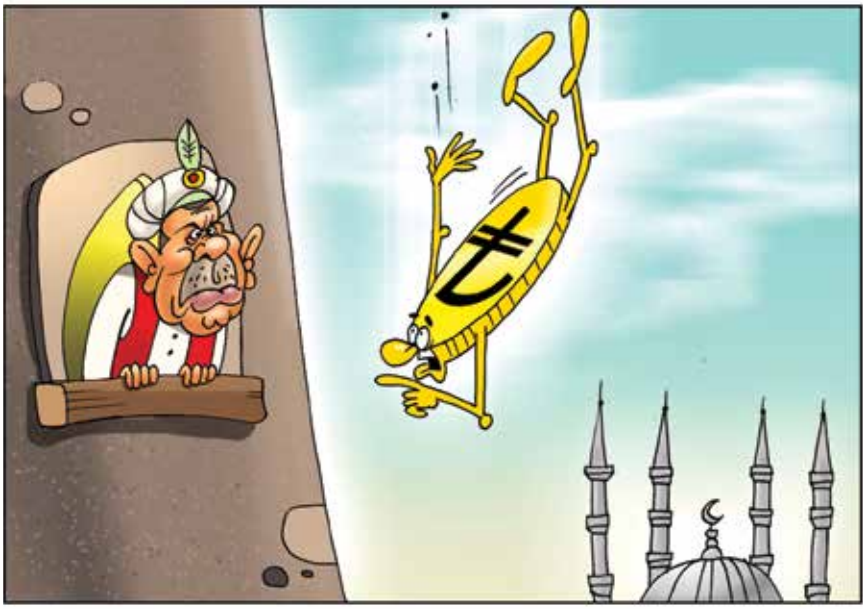

انهيار الليرة التركية

وفيمـــا يخص إيـــران فإنه يمكن وصف التعاون بيـــن إيران وتركيا بأنه «تحالف المضطر» حيـــث إن التواجد العســـكرى والنفوذ السياسى للبلدين فى ســـوريا والعراق دفعهما للتنسيق فيما بينهما تجنبـــاً لتصادم المصالح. كما أن أنقرة اســـتفادت كثيرًا من كسر العقوبـــات الاقتصادية المفروضة على طهران وحققت مكاسب مالية ضخمة وهو ما كشفت عنه قضية رجل الأعمال التركى الإيرانى المعتقـــل منذ عامين بواشـــنطن «رضا ضراب». بيد أن ذلك لا ينفى وجود العديد من أوجه التنافس بينهما التى ربما تصب لصالح طهران، ففـــى الملف الســـورى والعراقى نجد أن الحكومة الرســـمية للدولتين ترحب بالتواجد الإيرانى بشتى صوره وتنتقد نظيره التركى، كمـــا أن هناك خلافات بدأت تنشب بين طهران وأنقرة فى إطار التسوية النهائية للملف السورى. وبعيدًا عن الشرق الأوسط فإن طهران وأنقرة دولتان من دول بحـــر قزوين الخمس التى تتنازع على تقاسم المياه والنفط الموجود به، كما أن هناك تنافســـاً بين طهران وأنقرة فى منطقة القوقاز كذلك لعل صوره الثقافية تنتشر بكثرة حيث تسعى كل دولة لنشر النموذج الثقافى الخاص بها، ولهذا فإن التوافق التركى الإيرانى الحالى ربما يشهد آخر مراحله لتبدأ مرحلة الخلاف العلنى بينهما.

أما الاتحـــاد الأوروبى، فتشـــهد العلاقات التركية الأوروبية منذ الانقلاب الفاشـــل بتركيا فـــى 15 يوليو 2016 توترًا مســـتمرًا، وتتعدد القضايا التى تفاقـــم التوتـــر بين الطرفيـــن. فمنذ ذلك الحين تنتقد الدول والمؤسســـات الأوروبيـــة حملات القمـــع والاعتقالات والفصل التعسفى التى تشنها الحكومة التركية بإيعاز من الرئيس «أردوغان» دون أدلـــة قانونية، وقد طالت عددًا من المواطنيـــن الأوروبييـــن (60 مواطناً ألمانيـــاً) بذريعة التعـــاون مع المفكر الإسلامى التركى المتهم بتدبير الانقلاب «فتح اللـــه جولن». ثم جـــددت أنقرة فتيل الأزمة مع اليونـــان وقبرص منذ مطلع العام الحالى إثر اعتراض تركيا على تنقيب الدولتين عن الغاز بشـــرق البحر المتوسط حد قطع الطريق بقطع بحرية على سفن شركة «إيني» الإيطالية العاملة بالمنطقة وهـــو ما دفع رئيس المجلـــس الأوروبى «دونالد توســـك» لمطالبة تركيـــا بتفادى التهديدات ضد أى عضو فـــى الاتحاد. فضلاً عن تكرار الحوادث العرضية بين القطع العسكرية التركيـــة واليونانية فى بحر إيجه الذى

وزير المالية صهر اوردغان يعجز عن الاجابة على اسئلة الصحفيين

## تحديات كبرى أمام السياسة الخارجية التركيـة

يضم جزرًا متنازعاً عليها. وما كان من الاتحاد الأوروبى إثر إصرار أنقرة على استفزاز أعضائه إلا الإعلان رسميًا عن وقف المفاوضات لانضمام تركيا له. بيد أن ذلك لم يؤثر فى النهج التركى حيث خص «أردوغان» أولى زياراته الخارجية بعد فوزه بالانتخابات لقبرص الشمالية وطالب المجتمع الدولى بحل أزمة الجزيرة المنقسمة والحفاظ على حقوق مواطنيها. ولم تنته الأزمات بين تركيا ودول الاتحاد عند ذلك الحد بل إن أنقرة تستخدم ورقة اللاجئين لابتزاز الاتحاد عبر مطالبته بتعديل الاتفاق الثنائى بينهما. هذا بالإضافة لتحذير الرئيس الفرنسى ماكرون من مخاطر التغلغل التركى فى دول غرب البلقان (صربيا والجبل الأسود والبوسنة ومقدونيا وكوسوفو وألبانيا) الذى برز بعد زيارة «أردوغان» لسراييفو فى 21 مايو 2018. ورغم وجود مؤشرات للتقارب التركى الأوروبى إلا أن التوتر ربما يظل السمة الغالبة على العلاقات بينهما فى ظل صعود اليمين الأوروبى الرافض لسياسات «أردوغان» الشعبوية.

وأما عن روسيا، فيعد الملف السورى هو كلمة السر فى التقارب التركى الروسى المتصاعد منذ نهاية 2016 حيث تغاضى الرئيس الروسى «فلاديمير بوتين» عن أزمة إسقاط مقاتلة روسية بنيران تركية فى الأجواء السورية 2015 وحادثة اغتيال السفير الروسى بأنقرة ديسمبر 2016، مقابل استقطاب تركيا لمعسكره فى سوريا وقد كان. ونتج عن ذلك آلية محادثات الآستانة التى ترسم بدقة ملامح التسوية النهائية بسوريا. بيد أن ذلك لا يلغى وجود العديد من القضايا الخلافية بينهما.. فالتقارب الروسى التركى كان على حساب التقارب التركى الأوروبى الأمريكى. كما أن وضع أنقرة كعضو فى الناتو لا يسمح لها بامتلاك منظومات أسلحة روسية متطورة كصواريخ (إس-400) التى تصر أنقرة على امتلاكها وستتسلمها عام 2019. كما أن هناك تنافساً تركياً روسياً متأججاً فى منطقة بحر قزوين والقوقاز وآسيا الوسطى. لاسيما فى أذربيجان حليف أنقرة وأرمينيا حليف روسيا، فقد خص «أردوغان» باكو بأولى جولاته بعد الفوز وأعلن تدشين خط أنابيب الغاز عبر الأناضول «تاناب» الذى سيضخ الغاز من حقول بحر قزوين الأذربيجانية عبر الأراضى التركية إلى أوروبا. مما يمثل تحدياً ومنافساً للغاز الروسى لأوروبا.

وفيما يخص الولايات المتحدة فقد أخذت العلاقات بين أنقرة وواشنطن منحى جديداً بعد فرض واشنطن عقوبات على وزيرى العدل «عبدالحميد جول» والداخلية «سليمان سويلو» فى مطلع أغسطس 2018، عقابًا لهما على رفض الإفراج عن القس الأمريكى «أندرو برانسون» المحتجز فى تركيا منذ قرابة العامين والمتهم بالإرهاب والتجسس، ومساندة ومناصرة حزب العمال الكردستانى و«جولن». (برانسون يقيم فى تركيا منذ أكثر من 20 عاما ويرعى كنيسة صغيرة فى أزمير). كما طالب مجلس الشيوخ الأمريكى بوقف مبيعات طائرات (إف 35-) لأنقرة ووقف منح القروض من المؤسسات الدولية لتركيا. ورغم ما تردد عن وجود صفقة ستنفذ فى صيف 2018 تقضى بالإفراج عن القس مقابل إفراج واشنطن عن نائب المدير التنفيذى لبنك «خلق» التركى الحكومى «محمد هاكان أتيلا» (يقضى عقوبة السجن 3 سنوات لانتهاك العقوبات الأمريكية على إيران)، إلا أن ذلك حال تم لن ينهى الخلافات القائمة فى العلاقات بين أنقرة وواشنطن. بدءًا باعتراض الأخيرة على التقارب التركى الروسى الذى أخذ أبعادًا عسكرية تهدد بنية حلف الناتو. مروراً بالخلافات حول الملف السورى ودعم واشنطن للأكراد. والتعاون التركى الإيرانى، وليس انتهاءً بمطالبات «أردوغان» المستمرة بتسليم «جولن» لمحاكمته بأنقرة وهو ما ترفضه واشنطن لعدم وجود أدلة قانونية تدينه بالضلوع فى الانقلاب الفاشل.

وهكذا فقد استطاع «أردوغان» افتعال الأزمات مع كافة دوائر السياسة الخارجية لبلاده. ولذا يسعى لفتح دوائر سياسية جديدة تعوض ما فقده، فنلاحظ تمدده فى السودان (جزيرة سواكن) وفى الدول الأفريقية ومساعيه للانضمام لدول البريكس، وتعزيز تعاونه مع الصين وروسيا ودول أمريكا اللاتينية، فضلاً عن تبنيه لدور إقليمى نشط يعتمده منذ سنوات يصدر من خلاله صورة الزعيم المسلم المنفتح الديمقراطى المدافع عن القضية الفلسطينية والأقليات المسلمة فى جميع أنحاء العالم. فأزمة السياسة الخارجية التركية الأساسية هى «أزمة هوية» منذ الجمهورية الأولى حيث أسس «أتاتورك» السياسة الخارجية كجزء من المعسكر الغربى الأوروبى سعياً للانضمام للجماعة الأوروبية آنذاك، بيد أنه منذ تولى حزب «العدالة والتنمية» الحكم فى عام 2002 هناك تخبط فى السياسة الخارجية التركية كون أردوغان يريدها سياسة قومية ذات تمدد إقليمى.

## ضحية للظلم التاريخى وأسيرة للتعتيم الحكومى

# أقليات إيران وأسطورة الدولة الفارسية

**تصاعدت فى الفتـــرة الأخيرة حدة التصريحات والحرب الكلامية بين واشـــنطن وطهران، وتبادل الطرفان التهديد والوعيـــد فى ظل تصريحات أمريكية لا تتوقف حول ضرورة حصار إيران وتشـــديد العقوبات عليها والعمل على إســـقاط النظام الحاكم بها. وإيران من جانبها تتعامل مع التصريحات الأمريكية بنوع من التعالى محذرة واشنطن مما أسمته بـ«اللعب بذيل الأسد» والتهديد بأن الحرب مع إيران ســـتكون «أم الحروب» بالتوازى مع محاولة أمريكا حشد تحالف دولى لحصار إيران. وقد بدأت واشـــنطن فى مخاطبة الداخل الإيرانى من خلال إطلاق قناة تليفزيونية باللغة الفارسية فى محاولة لاستثارة غضب الإيرانيين ضد نظام الملالى.**

فالخطوة الأمريكيـــة الأخيرة ربما تكون الأخطـــر على النظـــام الإيرانى من الحرب المباشـــرة خاصة فى ظل تراجع الوضع الداخلى بالبلاد، وتصاعد الغضب الشعبى من السياسات الإيرانية بالمنطقة على خلفيـــة إهدار مقدرات البلاد فى دعـــم أحزاب وجماعات بدول الجوار. فضلا عـــن مظاهرات الأقليات والعرقيات غير الفارسية التى لا تتوقف عن المطالبة بحقوقهـــا، والوقوف فى وجه محاولات التفريـــــس التى تقوم بها الســـلطات الإيرانية بالمناطق غير الفارســـية لطمس الهوية القومية لتلك العرقيات التى تصل نسبتها 49 ٪ وفق بعض المصادر. فقد شهدت إيران خلال أغسطس 2018 مظاهرات واحتجاجات من قبل الشعب العربى بالأحواز، ووقعت صدامات بين المتظاهرين وأجهزة الأمن أسفرت عن ســـقوط قتلى وجرحى فى المظاهرات التى خرجت احتجاجا على ســـوء الخدمات المقدمة لأهالى الإقليم. كما تمتلىء إيران بالأقليات والقوميات المضطهدة حيث تعانـــى الأعراق غير الفارسية من نظرة دونية جلية من قبل العرق الفارســـى المهيمن على النظام الإيرانـــى، حيث يتم منـــع أفرادها من دراســـة لغاتهم الأم كما يتم إجبارهم على تعلم اللغة الفارسية ويحظر عليهم إطلاق بعض الأسماء على مواليدهم وهو ما دفعهم للثورة أكثر من مرة فى وجه نظام الملالى.

### فسيفساء إيران

وفقـــا لصاحب كتـــاب «الأقليات الدينية والمذهبية والعرقية فى إيران» يتوزع ســـكان إيران بين عدة جماعات

**محسن عوض الله**

**باحث فى الشئون الكردية**

**mospress2000@yahoo.com**


عرقية، ويشير إلى أنه وفقا لبيان رسمى لوكالة الأنبـــاء الإيرانيـــة يمثل العرق الفارسى 51٪ والآذيرى 24٪ والجيلكى والمازندرانـــي8٪، والعربـــى 3٪، والكردى 7٪ واللـــور 2٪ والبلوش 2٪ والترك 2٪ وعناصـــر أخرى 1٪. بينما تشـــير تقديرات أخرى إلى أن الفرس 49 بالمائة فقط، الأذيريين (أتراك) 18 بالمائة، الأكـــراد 10 بالمائة، الجيلاك 6 بالمائة، المازندرانيـــون 4 بالمائة، العرب 2,4 بالمائة، اللـــور 4 بالمائة، بختيارى 1,9 بالمائـــة، التركمان 1,6 بالمائة، الأرمن 0,7 بالمائة. وبحســـب مركز المزماة للدراسات يوجد فى إيران نحو 110 لهجة ولغة منها الفارســـية، والبلوشية، والأذيرية، والعربية والكردية، والتركمانية، والسيستانية، والقشقاية، واللرية وغيرها، ولكن جميع الســـكان يعرفون الفارسية بســـبب أن التعليم باللغة الفارســـية ولم تسمح السلطات الإيرانية بتعلم الأقليات والقوميات لغاتها الأصلية. وهذه الفسيفساء العرقية التى تتمتع بها إيران قد تكون عامل قوة إذا أحسن استخدامها من خلال نظام حكم عادل يطبق المســـاواة والحرية بين كل مكونات شـــعبه بغض النظر عن دين أو جنـــس أو لون وهو أمر لا يتوافر فى إيران ذات الحكم الثيوقراطى المتشدد، وهو ما جعل هذه الأقليات أشبه بقنابل موقوتة تهدد اســـتقرار النظام خاصة وأن جغرافيـــا إيران تجعل من المنطقة الفارسية شـــبه معزولة داخل مجموعة من القوميـــات المتعددة، وحيث يحيط بالقومية الفارسية من الغرب والشمال الغربى إقليم كردســـتان والذى يتداخل مع مناطق كردستان العراقية والتركية، ومن الغـــرب والجنـــوب الغربى إقليم الأحواز الذى له امتـــدادات مع الخليج العربـــى وخليج عمان، ومن الشـــمال يقع إقليم الأذريين وهـــو مكمل لدولة أذربيجان، فى الشـــمال الشرقى فإن قوميـــة التركمـــان تفصل إيـــران عن جمهورية تركمانســـتان، وفى الشرق والجنوب الشرقى يقطن البلوش وهناك خليط من القوميات الأخرى تفصل بين إيران وأفغانســـتان. ونحاول هنا إلقاء الضوء علـــى المكونات العرقية بإيران، وأســـطورة الدولة الفارسية التى يروج لها نظام الملالى.

### عـــــرب إيـــران

ينتشر العرب فى إيران جنوب غرب البـــلاد، تعرف مناطقهـــم بالأحواز أو الأهواز ويسميها الإيرانيون خوزستان أو عربستان أى بلاد العرب. وتبلغ مساحة إقليم الأحـــواز 370 ألف كم مربع وهو ما يعادل 1.2 مساحة أقطار بلاد الشام

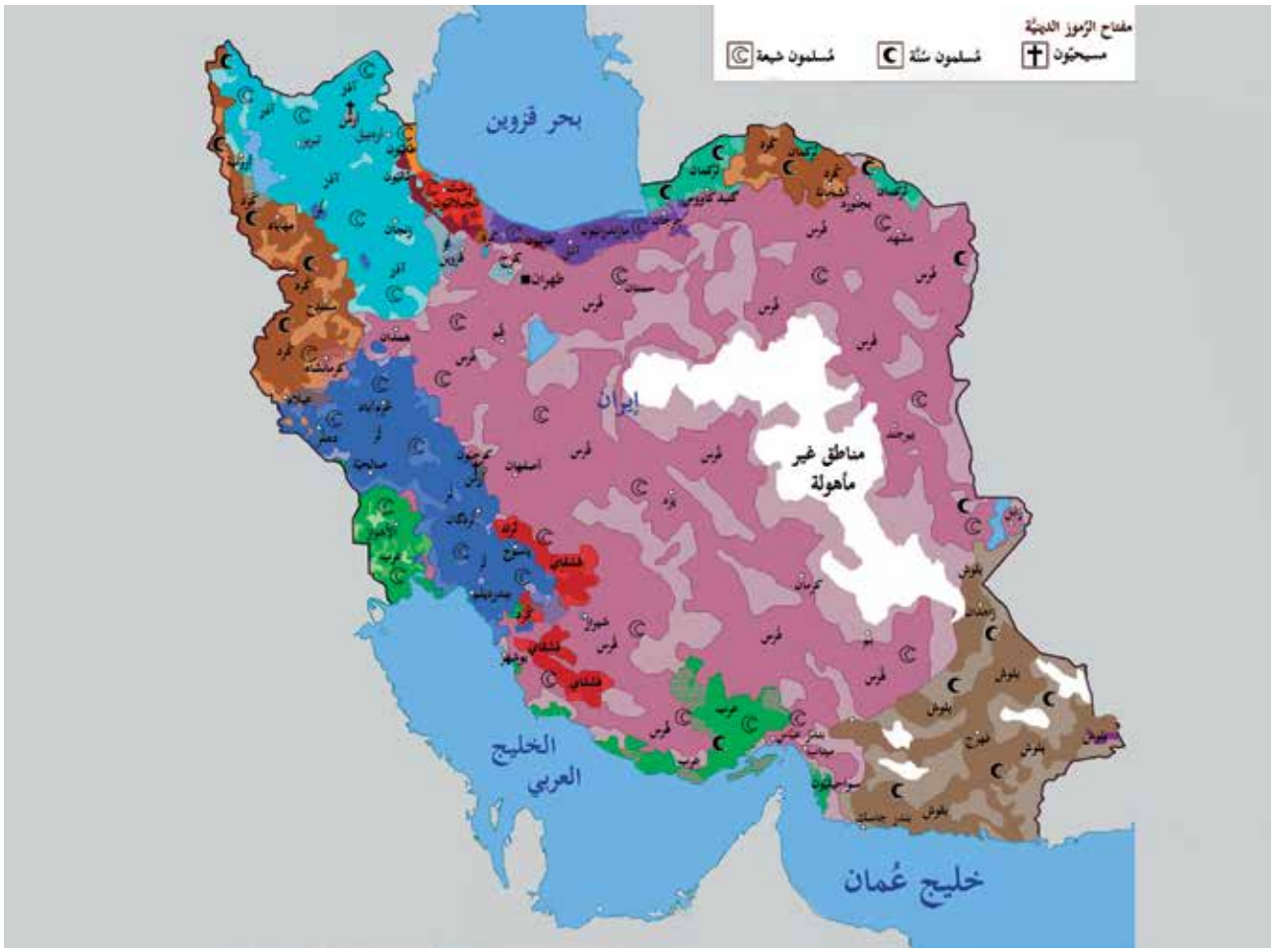


## أقليات إيران وأسطورة الدولة الفارسية

مجتمعة (سوريا وفلسطين ولبنان والأردن) وفق صاحب كتاب «العرب وجيرانهم». وتعتبر قضية نسبة العرب إلى إجمالى السكان فى إيران غير محسومة حتى يومنا هذا، فهناك بعض الدراسات الإيرانية تؤكد أن نسبة العرب 2٪، وترى التقديرات الأمريكية أن نسبتهم لا تتجاوز الـ 3٪، بينما أشارت دراسة قام بها الباحث الإيرانى «يوسف عزيزي»، بالاعتماد على الإحصائيات الرسمية الإيرانية لعام 1997 أن العرب يشكلون نحو 7.7٪ من عدد السكان، أى ما يزيد عن 5 ملايين نسمة. لكن بعض نشطاء الأحواز يتحدثون أن عدد سكان الأحواز حاليا بلغ 19 مليون نسمة محذرين فى الوقت نفسه من محاولات إيرانية لتفريس الإقليم عن طريق جلب مستوطنين فرس وتوطينهم بالأحواز. تاريخيا كان إقليم عربستان يشكل إمارة مستقلة عن إيران حتى قام رضا بهلوى باحتلالها وضمها للدولة الفارسية عام 1925. ويذكر الناشط السياسى محمد مجيد الأحوازى أن القوات الإيرانية احتلت الأحواز سنة 1925، ولم يكن اسم إيران موجوداً أصلاً، بل كانت تسمى بلاد فارس أو الدولة القاجارية، وقد دخلت قوات رضا شاه إلى الأحواز واعتقلت أميرها الشيخ خزعل بن جابر بن مرداو الكعبي». مؤكدا أن خوزستان (عربستان) بمجملها «كانت تحت سيادة الدولة العيلامية وعاصمتها السوس (الشوش على الحدود مع جنوب وسط العراق)، والدولة العيلامية كانت دولة عربية لا علاقة لها بفارس. من الناحية الاقتصادية والجغرافية، يقع إقليم الأحواز العربى فى جنوب غربى إيران، حيث يوجد أكثر من 80٪ من إنتاج إيران النفطى فى إقليم الأحواز، ويطل الإقليم على السواحل الشمالية والشرقية للخليج العربى ومضيق هرمز الذى يعتبر أهم الممرات الإستراتيجية فى العالم بسبب الحجم النفطى الذى يعبر منه، لذا فإن إيران غير مستعدة للتخلى عن هذا المورد الاقتصادى الأساسى إلى جانب عدم إمكانية تخليها عن الخليج بوصفه ممرا إستراتيجيا وحيويا.

### عربستان على أرض فارسية

يذخر تاريخ الأحواز الحديث بسلسلة متواصلة من الانتفاضات منذ احتلال السلطات الإيرانية لهذا الإقليم عام 1925، فبعد 6 أشهر فقط من احتلاله اندلعت ثورة الغلمان التى واجهها الجيش الفارسى بكل عنف. وفى 1928 اندلعت انتفاضة عشائرية مسلحة بقيادة الشيخ محى الدين الزئبق الذى تمكن وقتها من طرد الفرس وإقامة حكومة استمرت 6 أشهر قبل أن تسقطها القوات الإيرانية مجددا، وقد انتفض الشعب بعد ذلك مرات عدة ضد الاحتلال وسياسة النظام رافضا أية صلة بالفرس، واستمرت الاحتجاجات والانتفاضات العربية فى إقليم الأحواز ضد النظام الإيرانى وكان آخرها الشهر الماضى عندما نظم المتظاهرون احتجاجات يومية ضد سياسة التغيير الديموغرافى التى تنتهجها إيران بالأحواز. وبحسب صاحب «العرب وجيرانهم» أن دولة عربستان مؤهلة

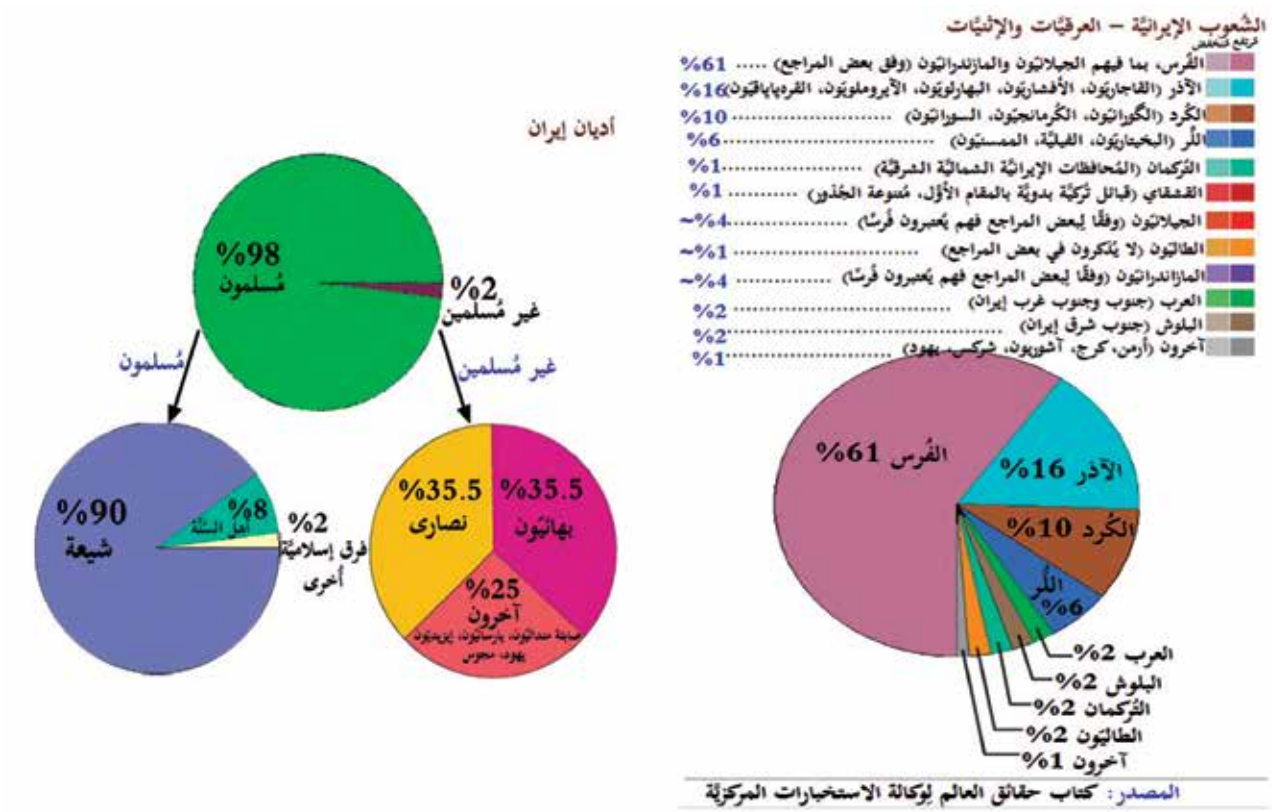


أكثر من غيرها للحياة شعبا واقتصاداً وتكوينا جغرافيا وامتدادا، مشيرا إلى أنه لم يعد من الممكن أن تبقى قضية الشعب العربى فى إيران أسيرة التعتيم الإيرانى أو ضحية الظلم التاريخى الذى لا آذان له ولا عيون. ويتفق معه فى الرأى صاحب كتاب الأقليات العرقية والدينية والمذهبية فى إيران الذى يرى أن كل أركان نشأة الدول فى القانون الدولى تتوفر فى إقليم عربستان حيث الإقليم محدد المساحة والموقع ووحدة العرق والجنس واللغة والدين بين مواطنيه فضلا عن عدم قانونية احتلال إيران للأحواز. ويشير الكاتب إلى أنه وفقا للقانون الدولى فإن الحرب الفارسية من الوجهة القانونية والفقهية والواقعية تعتبر وكأنها مستمرة بين الشعب العربى فى الأحواز والقوة الفارسية التى تحتل أرضه وإقليمه وإلى أن يسترد الشعب العربى حريته واستقلاله ويقيم دولته على أرضه من أجل تحقيق طموحه فى العودة لأحضان الوطن العربى.

## ثورات كردية

تتراوح تقديرات تعداد الأكراد فى إيران ما بين سبعة إلى تسعة ملايين نسمة؛ حيث يشكلون ما نسبته 9٪ من مجموع السكان، ليكونوا بذلك ثانى أكبر الأقليات الإيرانية بعد الأذريين. وينتشر الأكراد فى شمال غرب إيران ويسمونها «روجهيلات»، أو كردستان الشرقية، حيث يعتبر الأكراد أن إيران دولة محتلة لأراضيهم. وبسبب نظرتهم للدولة الفارسية كقوى محتلة خاض الأكراد انتفاضات وثورات عديدة بدأت مع نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث اندلعت فى مناطق الأكراد انتفاضة، قامت ضد الحكم الإيرانى، قادها الزعيم الكردى سمكو آغا من قبيلة توركوفون، ويُنظر إلى هذا التمرد باعتباره أول محاولة لإقامة كردستان المستقلة داخل إيران الحديثة. وبعد سنوات من ثورة سمكو آغا نجح الأكراد بالفعل فى تأسيس جمهورية مهاباد الكردية فى أربعينات القرن الماضى ولكنها لم تستمر أكثر من 11 شهرا حيث نجحت السلطات الإيرانية فى إسقاطها وإعدام زعيمها القاضى محمد. ويذكر صاحب كتاب «الأقليات العرقية والدينية والمذهبية فى إيران» أن الأكراد شاركوا فى الثورة على نظام الشاه ثم انتفضوا ضد حكم الملالى، مشيرا إلى أنه نتيجة لتعرضهم للاضطهادات المتتالية من حكومات الدولة البهلوية المتعاقبة، شارك الأكراد فى الثورة على دولة الشاه، وساهموا فى إسقاطها خلال ثورة الخمينى العام 1979، وبعد الثورة قامت الحكومة الإيرانية الجديدة بإرسال لجان تقصى حقائق للوقوف على حقيقة المظلومية التى يرفعها الأكراد، لكن لم يستطع الطرفان التوصل لحل فى ظل سقف مطالب الأكراد المرتفع الذى وصل إلى حد المطالبة بأحقية الحكم الذاتى. وأعقب فشل المفاوضات اندلاع التمرد الكردى فى منتصف مارس 1979، وأصبح الأكبر بين الانتفاضات على مستوى الدولة فى إيران ضد النظام الجديد وبعد تحقيق المسلحين الأكراد بعض المكاسب، أعلن المرشد الأعلى للثورة روح الله الخمينى «الجهاد» ضد الأكراد، وقصف مدنهم بالطائرات، واستمرت هذه الانتفاضة حتى أواخر 1983؛ حيث هاجمت قوات الحرس الثورى الإيرانى المناطق الكردية، فى هجوم واسع أدى إلى سقوط آلاف الضحايا من الأكراد. كما شارك الأكراد فى كل المظاهرات والانتفاضات التى شهدتها إيران خلال 2015 و2017

الأذيريين

# أقليات إيران وأسطورة الدولة الفارسية

وحتى الشهر الماضى. وتبقى الخلافات الكردية وانقسام الأكراد على أنفسهم وعدم ترابط الأحزاب والقوى الكردية بإيران والدول الأخرى عاملاً يخصم من القوة الكردية ويضعف قدراتها على إحداث تغيير فى إيران.

## خطر الأذيريين

يسميهم البعض أتراك إيران، أكبر الأقليات العرقية بالدولة الفارسية، حيث يقدر عددهم بحوالى 24 مليون نسمة، وترفعهم بعض التقديرات إلى 35 مليون نسمة يتحدثون اللغة التركية أو أحد مشتقاتها. بحسب كتاب «الأقليات العرقية والمذهبية والدينية بإيران» يعتبر الأذريون أنفسهم أول من أسس دولة شيعية فى إيران حيث يرجعون لأنفسهم الفضل فى انفصال إيران واستقلالها عن الخلافة العثمانية. وسبق وأقام الأذريون بإيران حكومة تتمتع بالحكم الذاتى عام 1945 ولكن جيش الشاهنشاه قضى عليها بعد عام واحد من إقامتها. كما حكم الأذريون إيران أكثر من مائة عام قبل مجىء السلالة البهلوية، وشاركوا فى الثورة الإسلامية وكانت مظاهرة تبريز ثانى أكبر مظاهرة خرجت ضد الشاه كما

البلوش

أسس رجل الدين الأذرى محمد كاظم شريعتمدارى حزباً سياسياً للدفاع عن حقوق القوميات غير الفارسية. وبحسب الباحث فى التاريخ الإيرانى د. كريم عبديان بنى سعيد فإنه لا يمكن فصل الأتراك عن التاريخ الإيرانى حتى لو استحوذ الفرس على السلطة السياسية والثقافية فالتاريخ الإيرانى يظل فقيرا يتيماً دون الأتراك. وأشار الباحث إلى أن أتراك إيران يدركون قوتهم وحجمهم بالبلاد ولا يتقيدون بالمعايير التى تفرضها الدولة الفارسية، كما أنهم يسيطرون اقتصادياً على المدن الآذربيجانية كما يرتفع الشعور القومى لديهم بصورة تنافس القومية الفارسية وهو ما يجعلهم الخطر الأكبر على دولة الملالى.

## قضية البلوش

تتشابه قضية البلوش مع الأكراد حيث ينتشر الاثنان فى أكثر من دولة تنتهك حقوقهم ولكن القضية الكردية تحظى بصيت عالمى يفوق نظيرته البلوشية. ويقع إقليم بلوشستان إلى الجنوب والجنوب الشرقى من إيران، على الحدود مع باكستان وأفغانستان شرقا، وعلى حدود الإمارات وعُمان غربا. وتذهب بعض الآراء التاريخية إلى أن البلوش ينحدرون من عرب اليمن، وقد هاجر أجدادهم إلى بلوشستان سنة 300 قبل الميلاد، وهم فى طبائعهم

الاكراد

وأخلاقهم أقرب إلى القبائل العربية منهم إلى الفرس أو الهنود. وتقدر مساحة بلوشستان الإيرانية بـ 70 ألف ميل مربع، ويبلغ عدد سكانها حوالى المليون نسمة من السنة. وبلوشستان إيران عبارة عن إقليم جاف يقع فى جنوب شرق إيران على حافة الهضبة الإيرانية، وسميت المنطقة بهذا الاسم بعد نزوح القبائل البلوشية منذ قديم الزمن، واللغة الشائعة فى الإقليم هى اللغة البلوشية مع بعض اللغات الأخرى. وبعد سقوط مملكة بلوشستان واحتلالها من قبل إيران 1928م، تم إعدام ملك بلوشستان الغربية على يد القوات الفارسية فى عهد الإمبراطور رضا بهلوى. وتأسست حركات مقاومة بلوشية رفضا لممارسات إيران الساعية لطمس الهوية وفرض اللغة الإيرانية، وظهرت حركة مقاومة مسلحة ضد الحكم الفارسى مثل جيش العدل وحركة جند الله والتى نفذت الكثير من العمليات ضد الجيش الإيرانى. وهكذا، تبقى ديموغرافية إيران وجغرافيتها السياسية والسكانية أكبر سلاح يمكن من خلاله الوقوف فى وجه التمدد الإيرانى بالدول العربية وهو سلاح أبسط بكثير من اللعب بذيل الأسد فضلا عن كونه قليل التكاليف وقوى التأثير وثبتت فعالياته بعدة دول عربية كلبنان واليمن وسوريا والعراق.

## معظم الحروب، أهلية ودولية، عبثية

# إثيوبيـــا وإريتريـــا: عودة نصف العقـل

**الغريب والمدهش فى تطـــورات العلاقة بين الجارتين إثيوبيـــا وإريتريا ليس هو حدوث المصالحة بينهما وإنهاء حالة الحرب، وقبول إثيوبيا بالتحكيم حول الحدود، وســـحب القوات من منطقة بادمى المتنازع عليها، وتبادل الزيارات والعناق الحار والمقالدة. الغريب والمدهش حقا هو أن الحرب نشـــبت بين البلدين أساسا قبل عقدين من الزمان وراح ضحيتها الآلاف من شباب البلدين، وما تبع ذلك من قطيعة شملت كل شئ حتى المحادثات الهاتفية، والإنفاق الذى يُصاحب حالة الاستعداد فى بلدين يحتاجان لكل فلس يُصرف على العتاد والرجال، إضافة إلى العبء الاقتصادى والاجتماعى لحالة الطوارئ والتعبئة التى لم تتوقف أو تهدأ فى إريتريا، والتى ساهمت فى نزيف الهجرة للشباب فى البلدين.**

لماذا أقـــول ذلك وقد رحب العالم أجمعه (وأنـــا معه) بهـــذه الأخبار الســـعيدة فى هذا الزمن الردئ الملئ بالأخبار المُفجعة المحزنة؟

معظم الحـــروب، أهلية ودولية، عبثية – بمعنى أن ما ســـببها وأشعل فتيلها يُمكن معالجته دون الخســـائر الفادحة فى أرواح الجنود والمدنيين، وفـــى الثمرات كالاقتصـــاد الوطنى، والنسيج الاجتماعى، والبنيات التحتية، والمراكـــز الحضرية، والريف المنتج، والبيئة. وانظـــر إلى الحرب الإيرانية-العراقية، وقبلها حرب فيتنام – سنوات من الحرب الضروس، وعشرات الآلاف من الضحايـــا من جنـــود الطرفين، خســـائر مادية لا حصر لها، ثم عودة إلى المربع واحد، أو ما دونه، عند نهاية الحرب أى العودة للحدود القديمة بين إيران والعـــراق، وتوحيد فيتنام تحت الحكم «الشيوعي»! وانظر إلى الحروب «الأهلية» فى جنوب السودان (1953 – 2005) والتى انتهت، بعد خســـائر لا تحصى، بانشـــطار الســـودان إلى بلدين فى عام 2011 عِوضا عن بقائه موحدا فى نظام فيدرالى عام 1956، وفى سلام؛ وفى موزمبيق وسيراليون وغيرهما حيث انتهـــت الحرب بنوع من السلام وجراح عميقة عميقة، وفى الصومال حيث لم تنته بعد.

غير أن الحرب الإثيوبية– الإريترية

**سفير عوض الحسن**

**سفير سودانى، ورئيس سابق**

**لمكتب اليونسكو فى أديس أبابا والقاهرة**

**aelhassan@gmail.com**


هى، فى رأيى، أكثـــر الحروب عبثية وغيابـــاً للعقل إذا مـــا نظرنا للتاريخ والمعطيات والظـــروف التى اكتنفت نشوب الحرب واستمرار القطيعة بعد توقف القتال:

– فقد خرجـــت الدولتان من حرب التحرير الطويلة المدمرة التى قادتها جبهات التحرير الإريترية ضد حكومة الإمبراطور هيلا سيلاســـى والعقيد منجستو هايلى مريام، وحرب التغيير ضد نظام منجستو التى قادتها جبهات تحرير القوميات الإثيوبية والإريترية المتحالفـــة، والتى انتهت بزوال نظام منجستو. وقد يظن العاقل أن فى ذلك ما يُحفز الجميـــع على الالتفات للبناء فى بلدين من أفقـــر بلدان العالم فى بداية التسعينات، وعلى التعاون وهم

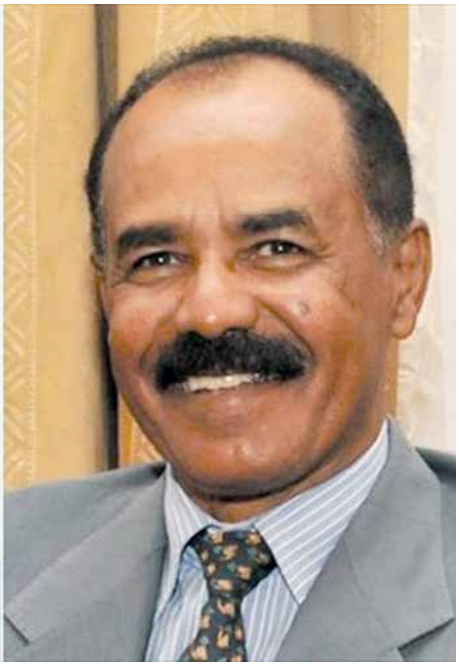

الرئيس الاريترى افورقى

رئيس الوزراء الاثيوبى آبى

## إثيوبيا وإريتريا: عودة نصف العقل

رفاق سلاح ورفاق «فقر» – و«أقارب»!

– وقبلت إثيوبيا بقيادة ملس زيناوى استقلال إريتريا بحدودها الحالية التى تشمل ميناءى عصب ومصوّع مما أحال إثيوبيا إلى دولة مغلقة لا منفذ لها على البحر. وقد يظن العاقل مرة أخرى أن فى ذلك ما يُحفز على استمرار التعاون والتكامل بين البلدين، خاصة وأن إريتريا بلد صغير محدود السكان مصدر دخله الرئيسى، إن لم يكن الوحيد، هو هذه الموانئ، و«زبونه» الوحيد هى إثيوبيا التى يسكنها أكثر من 80 مليون نسمة!

– ويواجه البلدان تحديات كثيرة وخطيرة قد تعصف باستقرارهما وسلامهما الاجتماعى وربما وحدة أراضيهما، تتمثل فى إثيوبيا فى تحقيق المشاركة «الحقيقية» فى السلطة والثروة بين مكوناتها القومية المختلفة التى يختزن بعضها مثل الأورمو غبنا تاريخياً تعمّق رغم، أو ربما بسبب، نظام «الفيدرالية الإثنية»، ورغم التقدم الملموس فى التنمية الاقتصادية، وفى إريتريا فى التوصل إلى توافق لنظام حكم يسمح بإطلاق طاقات الشعب الإريترى الخلاقة لمعركة البقاء والبناء. وقد يظن العاقل أن فى ذلك ما يدفع البلدين للابتعاد عن إهدار الطاقات فى الحرب.

– لقد قامت الحرب فى خلاف على قطعة أرض حدودية قفر يباب بادمى، وقد يظن العاقل أن تسوية مثل هذه الخلافات الحدودية، فى بلدين أنهكهما سنوات من القهر والظلم تحت هيلا سيلاسى ومنجستو، يُمكن التوصل لها دون خسارة روح إنسان واحد، ودون إفساد للود.

رئيس الوزراء الإثيوبى يزور مينائى عصب ومصوع حيث تمر تجارة إثيوبيا بصحبة الرئيس الإيريترى

ومهما تكن الأسباب التى ساقها الطرفان لتبرير اللجوء لخيار الحرب، ما زلت عند رأيى أن الحرب كانت حربا عبثية تدل على غياب العقل عند الطرفين، ولكنى لا أنكر أن المصالحة بين البلدين وعودة السلام وبدايات التعاون بينهما خبر سار، مهما تكن الأسباب والأدوار. غير أن ذلك لا ينتقص من حسرتى على ما ضاع.

أسميه عودة نصف العقل، وفى انتظار عودة النصف الآخر من العقل لمجابهة التحديات الضخمة على الصعيد الداخلى فى إثيوبيا وفى إريتريا.

قمة اسمرة الثلاثية بين قادة إريتريا وإثيوبيا والصومال فى5 سبتمبر 2018

# الأمـن العربـى الإفريقـى

**شـــهدت منطقة القرن الأفريقى الممتدة على طول الســـاحل الأفريقى للبحر الأحمر والمتشـــاطئة عليه، تحركات إيجابية وبناءة من جانب قـــوى إقليمية فى تلك المنطقة تدفع نحو فرص مواتية لتحقيق الأمن والاســـتقرار وشيوع السلام فى تلك المنطقة ذات الأهمية الإســـتراتيجية البالغة للأمن القومى المصرى بصفة خاصة والأمن القومى لدول تلك المنطقة بصفة عامة.**

سفير د. صلاح حليمة

salah_halima@hotmail.com

وجاءت تلك التحركات على الأرجح فى اتساق بل وربما بتنسيق مع تحركات مماثلة لقـــوى إقليمية فـــى المنطقة العربية الممتدة من شـــرق الســـاحل العربى للبحر الأحمر حتى الخليج، بعد أن تأكد بحكم ما تشـــهده المنطقتين من تطورات وتحديات الارتباط الوثيق بين الأمن فى منطقة الخليج والأمن فى منطقة البحر الأحمر.

## تعاون مؤسسى إستراتيجى بين دول المنطقتين

لقد تأسست تلك التحركات، والتى تشـــكل فى جوهرها أساســـاً ومنطلقاً لإمكانية قيام تعاون مؤسسى إستراتيجى بيـــن دول المنطقتين، مـــن منطلق أن البحـــر الأحمر للوصـــل وليس للفصل بين الجانبين، وأنه بســـاحليه وبالدول الواقعـــة عليهما بمثابـــة بحيرة عربية أفريقية تجمعهما مصالح إستراتيجية حيويـــة فى الأطر الأمنية والسياســـية والاقتصادية يتعين تناميها وتعاظمها، خاصة فى مواجهـــة تحديات ومخاطر جاءت بها عمداً قوى إقليمية فى منطقة الجوار العربى وأخرى دولية تســـعى للسيطرة والهيمنة على كلا المنطقتين عبر التدخل فى الشئون الداخلية والدفع نحو تقســـيم وتفتيت دول على أسس عرقية أو دينيـــة أو مذهبية أو جهوية. لقد بلغـــت تلك التحديـــات والمخاطر انتشار قواعد عسكرية وأساطيل بحرية لدول بالمنطقة وأخرى من جانب دول وقوى إقليمية ودولية، وترددت أحاديث وتصريحات إيرانيـــة تتضمن تهديدات بغلق مضيق هرمـــز بالخليج، وبغلق مضيق باب المندب بالبحر الأحمر على النحو الذى يعطل الملاحة فيهما وينذر بوقوع حرب إقليمية دولية.

ولعل أبرز ما شهدته الأشهر القليلة الماضية من تحـــركات إيجابية وبناءة تلك التـــى بادر بها أبـــى أحمد رئيس وزراء أثيوبيـــا الذى أجـــرى بموجب توجهاته القائمـــة على تصفير الأزمات تغييرات جذرية على المستوى الداخلى أمنياً وسياسياً واقتصادياً، وأيضاً على المستوى الخارجى فى علاقات أثيوبيا بـــدول القرن الأفريقـــى وخاصة دول الجوار ومـــن أبرزهـــا أريتريا بجانب الصومال والســـودان ومصـــر وكينيا وجيبوتى فضلاً عن كل من الســـعودية والإمارات، مثلما قام كل من أسياســـى أفورقى الرئيـــس الأريترى وأبى أحمد رئيس الـــوزراء الأثيوبى معـــاً بزيارة للإمـــارات والســـعودية، حيث خلصت مجمل تلك الزيارات إلى تعزيز وتعميق العلاقات القائمة بيـــن أثيوبيا وبعض منها، وفتح صفحة جديدة وانفراجات فى العلاقات مع دول بالقرن الأفريقى كانت تشهد حالات من التوتر والصراع السياســـى والاقتصادى، وأخرى تواجه أزمات شبه مستعصية. وتجدر الإشارة هنا إلى الدور الذى اضطلعت به أثيوبيا ثم أوغندا ومن بعدهما السودان بصدد أزمة جنوب الســـودان وما انتهت إليه جهود القيادة السياســـية فى الخرطوم بدعم إقليمى ودولى فـــى التوصل إلى اتفاقات تجدد الآمال بقوة فى تســـوية تنهى الصراع الدامى فـــى تلك الدولة الوليدة.

وفى إطار مجمل مـــا تقدم يمكن رصد الـــدور الإيجابى والبنـــاء الذى اضطلعت به الإمـــارات فى دعم العهد الجديد الذى تشـــهده أديس أبابا سواء داخليـــاً أو خارجياً بتوفير ما يقرب من ثلاثة مليارات دولار لأثيوبيا أثناء زيارة قـــام بها ولى عهد الإمـــارات للعاصمة الأثيوبية، وكذا الدور الذى اضطلعت به بحكم علاقاتها القوية بكل من أريتريا وأثيوبيا بالإسهام فى كسر حالة اللاسلم واللا حـــرب، وبالتالى تطبيع العلاقات بينهما، وكذا الدور الـــذى تضطلع به الســـعودية فى نفس الاتجاه بما توفره من استثمارات فى أثيوبيا تضعها -أى السعودية - فى المركز الثانى كمستثمر بعد الصين.

## توثيق العلاقات على أساس المصالح المشتركة والأمن المتبادل

ففى التقدير أن الـــدور الإماراتى الســـعودى الإيجابى والبنـــاء قد امتد فـــى تحركاته ليشـــمل الإســـهام فى تطويـــر العلاقات بين مصـــر وأثيوبيا على النحو الذى يحـــدث انفراجة فى

أزمة سد النهضة ويساهم فى توثيق العلاقات على أسس من المصالح المشتركة والأمن المتبادل، خاصة وأن مخرجات زيارة أبى أحمد لمصر ولقاءاته بالرئيس السيسى تضمنت تفاهمات واتفاقات شملت مجالات أمنية وسياسية واقتصادية بعثت على التفاؤل فى نقلة نوعية فى أطر العلاقات التى تحكم الدولتين، كما يمكن تلمس دورا إماراتيا سعوديا يعزز من فرص تنامى العلاقات وتعظيمها بين مصر والسودان والتى تحققت عبر الزيارات المتبادلة بين الرئيسين السيسى والبشير وتأكد معها إقامة علاقة إستراتيجية شملت جميع المجالات، وليس من المستبعد اضطلاع الإمارات والسعودية بدور مؤثر فى التقارب بين أريتريا والصومال بحكم ما لهما من إسهامات فى دعم النظام القائم فى الصومال فى مجالات عديدة، والعلاقات المتميزة بين الإمارات وأريتريا.

هذا ومن المرجح أن أثيوبيا أيضاً قد لعبت دوراً رئيسياً بحكم علاقاتها المتميزة مع القيادة السياسية فى الصومال لإحداث تقارب بين تلك القيادة ونظيرتها فى أريتريا، حيث قام الرئيس الصومالى فرماجو بزيارة ناجحة لأريتريا أحدثت انفراجة فى العلاقات بينهما، ومن المتوقع قيام الإمارات وأثيوبيا بدور فى تسوية الخلاف الحدودى بين أريتريا وجيبوتى بعد تراجع قطر وتخليها عن دور كانت تضطلع به فى هذا الصدد.

فى التقدير أيضاً، أن هذه التحركات قد جاءت ولو جزئيا تحت مظلة التحالف العربى الرباعى بين مصر والسعودية والإمارات والبحرين فى مواجهة المحور الثلاثى تركيا إيران قطر، وتقاطعت مع توجهات أمريكية تصب فى نفس الاتجاه حيث دعمت الإدارة الأمريكية مجمل تلك التحركات من جانب، فى وقت تسود فيه من جانب آخر حالة من التوتر والصراع السياسى بين الإدارة الأمريكية والنظام القائم فى إيران فى إطار قضايا الإرهاب والبرنامج النووى الإيرانى والصواريخ الباليستية، وتدخل إيران فى الشأن الداخلى لدول بالمنطقتين، مثلما تسود حالة من التوتر فى العلاقات بين الإدارة الأمريكية وتركيا على خلفية قضايا تتعلق بحقوق الإنسان وأخرى إقليمية خاصة بالقضية الكردية وقضية ثنائية تتعلق بقس أمريكى محتجز بتركيا، لتبقى قطر فى قبضة الإدارة الأمريكية وتحت سيطرتها مع تنامى الحديث من جانب الإدارة الأمريكية عن ترتيبات لعقد قمة خليجية فى واشنطن فى نهاية العام الجارى تبحث بالدرجة الأولى أزمة قطر ليتم بموجبها على الأرجح تفكيك المحور الثلاثى وإحياء مجلس التعاون الخليجى فى إطار وحدته التى لم تزل مفقودة حتى الآن.

ومجمل القول أن تطورات الأوضاع فى منطقة البحر الأحمر بشاطئيه العربى والأفريقى تعزز بل وتدفع نحو إمكانية إقامة تعاون إستراتيجى وثيق بين الدول المتشاطئة عليه بدعم وثيق ومتبادل مع دول منطقة الخليج فى المجالات الأمنية والسياسية والاقتصادية، نواته:

1 - علاقة ثلاثية تجمع بين مصر والسودان وأثيوبيا فى جميع المجالات، خاصة وأنهم دول المنبع والمصب للنيل الأزرق فى إطار الأمن المائى، وتتسع لتشمل دول القرن الأفريقى، أى علاقة ثلاثية كتلك الثنائية التى تجمع السودان ومصر وتم الإعلان عنها إبان زيارة الرئيس السيسى للخرطوم مؤخرا، وتلك التى تجمع أثيوبيا والسودان والتى تم الإعلان عنها إبان زيارة الرئيس البشير لأثيوبيا فى العام الماضى. علاقة تنشئ من بين أمور أخرى تجمعا للتعاون والتكامل الاقتصادى فى إطار أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة 2030، وبرنامج عمل الاتحاد الأفريقى 2063.

2 - إنشاء منظمة للأمن والتعاون فى البحر الأحمر تضم الدول العربية والأفريقية المتشاطئة على ضفتيه وتلك ذات المصالح الحيوية فى إطاره مثل أثيوبيا التى تحولت مؤخرا من دولة حبيسة بالمعنى الجغرافى إلى دولة غير حبيسة بالمعنى السياسى بعد أن استطاعت أن تجد لها أربعة منافذ بحرية عبر الصومال، ومنفذاً بحرياً عبر صوماليلاند، ومنفذاً بحرياً عبر جيبوتى وآخر عبر السودان بتوقيع اتفاقات مع تلك الدول فى هذا الصدد، وأخيراً منفذاً بحرياً مهماً وحيوياً فى أريتريا (عصب ومصوع) لتتعزز الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بالنسبة للمصالح الأثيوبية المتنامية.

3 - استحداث نظام يؤسس لعلاقة طبيعية بين العالم العربى ودول الجوار الإقليمى تتخذ من المصالح المشتركة وعلاقات حسن الجوار وعدم التدخل فى الشأن الداخلى والأمن المتبادل أساساً ومنطلقاً.

# آفاق التقارب الأمريكى- الكورى الشمالى

**ظلـــت الرغبة فى عقد لقاء قمة مع الرئيس الأمريكى تمثل أملاً عزيزاً وحلماً يراود الزعيم الكورى الشمالى كيم ايل سونج مؤســـس جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، وقد بدأت هذه الرغبة تلح عليه منذ بداية التســـعينات وخاصة بعد انهيار ســـور برلين وتفكيك الاتحاد السوفيتى وبدء تخلى دول شـــرق أوروبا عن كوريا الشمالية وتحولها لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع كوريا الجنوبية وتزامن ذلك مع انفراد الولايات المتحدة بقيادة دفة الأمور العالمية بعد انهيار نظام القطبية الثنائية.**

سفير رضا الطايفي
taifyreda@yahoo.com

وقـــد دفعه إلى ذلـــك – فضلاً عن الاعتبارات الدوليـــة- اعتبارات ودوافع داخلية لعل أهمها حرصه على تحقيق الاستقرار فى شـــبه الجزيرة الكورية بما يســـمح له بترتيب الأوضاع لنجله كيم جونج ايل لخلافته فى السلطة فى ظروف داخلية وإقليمية أكثر استقراراً وأماناً وخالية من تحديات المواجهة مع الجنوب، وثانى هذه الاعتبارات محاولته البحث عن سبل مبتكرة وبديلة لمواجهة الوضـــع الاقتصادى المتـــأزم لكوريا الشمالية الناجم عن مستجدات ظروف إقليمية ودولية حـــدت مما كان يتدفق عليه من مســـاعدات اقتصادية وزادت من عزلة النظام وأدت إلى تراجع الدعم السياســـى الذى كان يعول دائماً عليه من حلفائه فى المعسكر الشرقى الذى أصبح إرثاً سياسياً من الماضى.

ولعل المثير فى الأمر أن إســـرائيل كانت واحدة من البدائل الســـرية التى حاول كيم إيل ســـونج اللجـــوء إليها والاستعانة بها لفتح قنوات اتصال بين الولايـــات المتحدة وكوريا الشـــمالية، وأتذكر أن وفداً إسرائيلياً قد زار كوريا الشـــمالية فى نوفمبـــر 1992 أى قبل حوالى شـــهرين من مغادرتى لبيونج يانج بعد انتهاء فترة عملى فيها، تحت ذريعة الاستثمار فى أحد مناجم الذهب التـــى تعرضت للقصـــف أثناء الحرب الكورية، بينما كان الهدف الرئيسى من

الزيارة التى سربت الخارجية الإسرائيلية لاحقاً بعضاً من دوافعها وأسبابها بحث مدى جدية العرض الكورى الشمالى من فتح حوار رسمى مع الولايات المتحدة وما يمكن أن تقدمه كوريا الشمالية من تنازلات مقابل ذلك بما فيها إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، وهى محاولة أجهضها الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب، وعاودت كوريا الشمالية الكرة – من خلال الوساطة الإسرائيلية على إدارة الرئيس كلينتون التى رفضتها أيضاً وأضاعت حينها على اسرائيل فرصة تحقيق اختراق دبلوماسى مع كوريا الشمالية والحصول على تعهد من الأخيرة بوقف تعاونها فى مجال الصواريخ الباليستية مع إيران وسوريا وغيرها، ولعل هذا الرفض الأمريكى فضلاً عن الظروف الدولية والإقليمية التى أصبحت غير مواتية هو ما دفع الزعيم الكورى الشمالى كيم ايل سونج ومن بعده نجله كيم جونج ايل إلى إعطاء أولوية قصوى لتطوير البرامج النووية وبرامج الصواريخ الباليستية لبلاده أياً كانت التكلفة اعتقاداً بأن ذلك يمثل الضمانة الأساسية لحماية نظامه من الانهيار والسقوط.

فبعد حوالى ربع قرن من محاولة كيم ايل سونج إحداث نوع من التقارب والمصالحة مع الولايات المتحدة، العدو اللدود لكوريا الشمالية، نجح حفيده كيم جونج أون الرئيس الحالى لكوريا الشمالية فى تحقيق ما فشل فيه الجد كيم إيل سونج بكل ما كان يتمتع به من كاريزما سياسية وتاريخية، فكانت القمة الأولى وكان اللقاء الذى سوف يتوقف أمامه التاريخ طويلاً بين الرئيسين الأمريكى دونالد ترامب والكورى الشمالى كيم جونج أون.

إذ بعد فترة مخاض عسيرة ومتعثرة وحالة من الشد والجذب هددت أكثر من مرة انعقاد القمة فى مكانها وموعدها السابق الإتفاق عليه، وبعد قمة كورية استثنائية ومفاجئة ومباركة صينية وروسية وترقب يابانى حذر، عقدت القمة الأمريكية –الكورية الشمالية التى طال إنتظارها فى سنغافورة يوم 12 يونيو 2018 بلقاء ثنائى بين الرئيسين أعقبه لقاء موسع بين وفدى البلدين انتهى بالتوقيع على البيان المشترك التالى ترجمة لنصه:

عقد كيم جونج أون رئيس لجنة شئون الدولة لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ودونالد جون ترامب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية القمة التاريخية الأولى فى سنغافورة فى 12يونيو 2018

أجرى الرئيسان تبادلاً شاملاً ومعمقاً وصادقاً للآراء حول القضايا المتعلقة بإقامة علاقات جديدة بين الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية وبناء نظام سلام دائم وقوى فى شبه الجزيرة الكورية، وتعهد الرئيس ترامب بتقديم ضمانات أمنية لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، وأكد الرئيس كيم كونج أون من جديد التزامه الراسخ الذى لا يتزعزع بإخلاء شبه الجزيرة الكورية من الأسلحة النووية.

واقتناعاً بأن إقامة علاقات جديدة بين الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ستسهم فى تحقيق السلام والازدهار فى شبه الجزيرة الكورية والعالم، واعترافاً بأن بناء الثقة المتبادلة يمكن أن يعزز نزع الأسلحة النووية من شبه الجزيرة الكورية، يؤكد الرئيس دونالد ترامب والرئيس كيم جونج أون على الآتي:

-1 تلتزم الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بإقامة علاقات جديدة بينهما وفقاً لرغبة شعبى البلدين فى السلام والازدهار.

-2 ستتضافر جهود كل من الولايات المتحدة و جمهوريا كوريا الديمقراطية الشعبية من أجل بناء نظام سلام دائم ومستقر فى شبه الجزيرة الكورية.

-3 وإذ تؤكد مجدداً على إعلان بان مونجوم فى 27 ابريل 2018 تلتزم جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بالعمل على إخلاء شبه الجزيرة الكورية من الأسلحة النووية بالكامل.

-4 تلتزم الولايات المتحدة و جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية باستعادة رفات الأسرى والمفقودين، بما فى ذلك الإعادة الفورية للذين تم تحديدهم بالفعل.

وبعد الإقرار بأن القمة بين الولايات المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية –الأولى فى التاريخ- كانت حدثاً تاريخياً له أهمية كبيرة وفى التغلب على عقود من التوترات والأعمال العدائية بين البلدين ولفتح مستقبل جديد، يلتزم الرئيس كيم كونج أون والرئيس دونالد ترامب بتنفيذ البنود الواردة فى هذا البيان المشترك بشكل كامل وسريع، ويلتزم البلدان بإجراء مفاوضات متابعة بقيادة وزير الخارجية الأمريكى مايك يومبيو ومسئول رفيع المستوى ذى صلة من جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، فى أقرب وقت ممكن لتنفيذ نتائج القمة.

وقد تعهد كيم جونج أون ودونالد ترامب بالتعاون لتطوير علاقات جديدة بين جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية والولايات المتحدة الأمريكية وتعزيز السلام والازدهار والأمن فى شبه الجزيرة الكورية والعالم.

يمكن القول أنه بقدر ما حركت القمة الكورية –الكورية الثالثة (27 ابريل) والرابعة (26 مايو 2018) الكثير من المياه الراكدة فى شبه الجزيرة الكورية، بما أحدثته من تحولات وزخم فى ممارسات ومفردات خطاب المواجهة وتبادل الاتهامات والشكوك إلى خطاب المصالحة وبناء جسور الثقة والحديث عن إمكانيات فتح صفحة جديدة من التنسيق والتعاون والتبادل بين الكوريتين، فإن القمة الأمريكية الكورية الشمالية -التى وصفت بأنها قمة ذوبان الجليد- قد أحدثت انفراجة وحققت اختراقا فى طبيعة علاقات الجانبين وكسرت الحاجز النفسى وانعدام الثقة الذى ظل قائماً بينهما على مدار خمسة وستين عاماً، وأعادت هذه القمة إلى الأذهان الأجواء التى أحاطت وصاحبت مبادرة الرئيس الراحل أنور السادات وزيارته التاريخية للقدس ولقاءاته مع القادة الإسرائيليين.

وقد قوبلت القمة بترحيب دولى

## آفاق التقارب الأمريكى الكورى الشمالي

وخاصة من قبل الدول المعنية بصورة مباشرة بتطورات الأوضاع فى شبه الجزيرة الكورية مثل الصين وروسيا واليابان التى تتابع مستجدات العلاقات الأمريكية مع كوريا الشمالية بصورة دقيقة.

فقد أعلن الرئيس الروسى بوتين دعمه لحضور إخلاء شبه الجزيرة الكورية من السلاح النووى واستعداد بلاده للتعاون من أجل تحقيق هذا الغرض وتأسيس نظام دائم للسلام هناك وقد تزامن هذا الموقف مع تسريب يشير إلى إمكانية عقد لقاء قمة محتملة بين الرئيسين بوتين وكيم جونج أون، فى حين أعربت اليابان عن عزمها العمل مستقبلاً مع حكومة بيونج يانج لحل مشكلة اليابانيين المختطفين لدى كوريا الشمالية وبحث سبل تطبيع العلاقات بين الجانبين، وربما عقد قمة بين قادة البلدين.

وقد وصف الرئيس الكورى الجنوبى القمة بأنها حدث تاريخى يمثل مجرد بداية لرحلة طويلة، ويمثل نصراً عظيماً لكل دعاة السلام فى العالم، فهى من جانب نزعت فتيل الأزمة وجنبت العالم والمنطقة نشوب حرب، وهى من جانب آخر وضعت أساساً للسلام ليس فقط فى شبه الجزيرة الكورية ولكن فى العالم، وهى من جانب ثالث تمهد الطريق للكوريين للمضى قدماً إلى الأمام مع ترك ونسيان الأيام المظلمة للحرب والنزاعات خلف ظهورهم والبدء فى كتابة فصل جديد للسلام والتعاون.

وقد رحبت القيادة الصينية بنتائج القمة الأمريكية الكورية الشمالية، حيث كانت الصين حريصة منذ البداية أن تكون فى قلب الحراك الدبلوماسى القائم فى شبه الجزيرة الكورية خشية أن يؤدى تهميشها إلى التوصل إلى تسويات تراها ضارة بأمنها القومى وقد تفتقر لضمانات كاملة لحماية مصالح النظام الحليف لها فى كوريا الشمالية، ويقينى أن الصين حريصة أن يظل ملف كوريا الشمالية ورقة تفاوضية فى يدها تلوح بها كلما اقتضى الأمر

خاصة فى حربها التجارية القائمة بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية، ومن المتوقع فى هذا السياق ألا تقف الصين مع أية تسوية فى شبه الجزيرة الكورية لا تراعى مصالحها وأمنها القومى، حيث تأمل الصين فى التوصل إلى اتفاق يسمح بجلاء القوات والمظلة النووية الأمريكية عن كوريا الجنوبية كما لا يروق لها امتلاك جارتها الكورية الشمالية لأسلحة نووية يمكن أن تهدد الأمن القومى الصينى وستكون الصين فى هذه الحالة الرابح الأكبر فى حالة توقيع اتفاق سلام ينهى حالة الحرب فى شبه الجزيرة الكورية، إذ يتوقع فى هذه الحالة أن تظل الصين هى النموذج الأمثل لكوريا الشمالية لتطبيق نموذج «دولة واحدة ونظامين» يسمح لها بالانفتاح الاقتصادى والاندماج مع المجتمع الدولى مع الاحتفاظ بنظامها الشيوعى، وهو النموذج الذى حقق نجاحاً أيضاً فى ڤيتنام.

من هنا يأتى حرص الصين على احتفاظها بخصوصية علاقتها مع بيونج يانج وهو الحرص الذى ترجمه عقد ثلاثة لقاءات قمة صينية –كورية شمالية فى أقل من ثلاثة أشهر وآخرها قمة 19/20 يونيو 2018 والتى تستهدف مناقشة التعاون التكنيكى والاستراتيجى بين البلدين والحزبين.

وبالتالى لم يكن غريباً أن توفر الصين واحدة من طائراتها الرئاسية للرئيس الكورى الشمالى كيم جونج أون لاستخدامها فى تنقلاته لحضور القمة من وإلى بيونج يانج وسنغافورة بما ينطوى عليه ذلك من دلالات.

كما تهدف الصين إلى استكمال خط السكك الحديدية العابر للصين، وهو المشروع الذى يستهدف إقامة خط سكك حديدية يربط بين سول وبكين عبر مدينتى بيونج يانج وشين يوجى فى كوريا الشمالية، وهو مشروع استراتيجى يظل تحقيقه رهناً بنجاح الكوريتين فى التوصل إلى اتفاق ينهى حالة الحرب ويحقق السلام الدائم فى شبه الجزيرة الكورية.

حققت القمة الأمريكية-الكورية الشمالية غير المسبوقة بعض النجاحات، إذ فضلاً عن أن انعقادها فى حد ذاته يعد نجاحاً للجانبين، فإنها مهدت الأجواء للقاءات رفيعة المستوى بين الجانبين لعل آخرها زيارة وزير الخارجية الأمريكى مايك بومبيو الثالثة لبيونج يانج يومى 6/7 يوليو الماضى -التى تسلم خلالها رسالة من الرئيس الكورى لنظيره الأمريكي- بعد زيارته الأولى 31 مارس 11- ابريل التى التقى خلالها الرئيس الكورى الشمالى كيم جونج أون.

حققت القمة للرئيس ترامب نصراً معنوياً فى مواجهة معارضى سياساته الداخلية والخارجية، حيث صرح بعد القمة أنه نجح فى تحقيق ما فشل فى تحقيقه كل زعماء أمريكا السابقين وجنب الولايات المتحدة وشبه الجزيرة الكورية وشمال شرق آسيا والعالم وقوع حرب-مدمرة، وفتحه خط تليفونى ساخن مع نظيره الكورى الشمالى بدلاً من ذر إشعال حرب نووية.

وإن كان بعض المحللين يرون أن محاولة ترامب لتبريد ملف كوريا الشمالية سوف يعقبه ويقابله تسخين لملف إيران.

بدأ الجانبان فى تنفيذ البند الرابع من اتفاق سنغافورة حول البحث عن رفات أسرى الحرب الكورية من الأمريكيين الذين فقدوا فى المعارك وإعادة الذين تم تحديد هوياتهم إلى بلدهم فى الحال، حيث أعلنت كوريا الشمالية أن لديها 200 من رفات الأمريكيين تم العثور عليهم وأبدت استعدادها لإعادتهم، وذلك من بين 5300 يقدر البنتاجون فقدانهم فى كوريا الشمالية «وفق تقديرات البنتاجون، فقد بلغت خسائر الولايات المتحدة فى الحرب الكورية (1950-1953) أكثر من 35 ألف قتيل و7700 فى عداد المفقودين».

تعليق المناورات العسكرية الدورية التى كانت تعقد منذ الستينات من القرن

**شقيقان لم يلتقيا منذ 1953**

الماضى بيـــن الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية.

إلتزام كوريا الشمالية بوقف تجاربها النووية والصاروخية مع قيامها بتدمير موقع لإجـــراء التجارب النووية ومنصة تجارب إطلاق الصواريخ الباليستية.

تخفيف الإعلام الكورى الشـــمالى من لهجته المعاديـــة للولايات المتحدة والتى كانت تغلب عليه دائماً فى الذكرى الســـنوية لاندلاع الحرب الكورية، مما يهيئ الأجواء لإمكانية لتبادل الزيارات الرئاسية بين واشنطن وبيونج يانج.

وعلـــى صعيـــد العلاقـــات بين الكوريتيـــن، فقـــد ســـاهمت القمة – إلى جانب القمـــة الكورية- فى تهيئة الأجواء لاســـتئناف فتح قنوات الاتصال للتعاون الاقتصادى والتجارى والتنسيق العســـكرى ولقـــاءات الصليب الأحمر لترتيب لقاءات الأسر المشتته وغيرها، مع إعلان كوريا الجنوبية تعليق مناورات «أولجى» الدفاعية الســـنوية التى تقام منـــذ عام 1969 فى أعقـــاب إحباطها هجوماً لقوات من الكوماندوز الكوريين الشماليين على القصر الرئاسى «البيت الأزرق» فى سول عام 1968، مع تعليق الجيش الكـــورى الجنوبى خطط بناء جديدة لنحو مائة وحدة من الجيش فى مناطق خـــط المواجهة على بعد 5-10 كم من المنطقة المنزوعة السلاح.

خامســـاً: يمثل ما سبق ثماراً للقمة تظل -على أهميتها- بمثابة نتائج فرعية وهامشية تعكس حسن نوايا أطرافها ولا تمثل اختراقاً حقيقياً للملفات الجوهرية للمشـــكلة الكورية التى بـــدأت بوادر الخلاف حول توقيتات وسبل التعاطى معها تلوح فى الأفق، وبدأت التخوفات من «كمون الشـــيطان فى التفاصيل» حيث:-

تصر الولايات المتحدة -على سبيل المثال- أن يكون نزع الســـلاح النووى الكورى الشمالى بشـــكل complete, verifiable and irreversible dismantling تفكيـــك نووى كامل، قابل للتأكيد والتحقـــق منه ولا رجعة فيه مع نقل وترحيـــل الروؤس والمواد النوويـــة والصواريخ الباليســـتية إلى خارج كوريا، وتحرص الولايات المتحدة على أن يتـــم ذلك قبل انتهـــاء الولاية الأولى للرئيس ترامـــب ليكون بمثابة انتصار ساحق قد يساعده على الترشح والفوز بولاية ثابتة، وهو أمر مازالت لا تقبله كوريا الشمالية وترى فيه ابتزازاً وشـــروطاً لا يمكـــن أن تقبلها إلا دولة منهزمة.

ومن بين الخلافـــات أيضاً حرص كوريا الشمالية على التوصل إلى إعلان إنتهاء الحرب الكورية الكورية والتوصل إلى اتفاق سلام مع الولايات المتحدة إما فى 27 يوليـــو وهو تاريخ توقيع اتفاق الهدنـــة القائم أو فى ســـبتمبر 2018 بالتزامن مع انعقاد الدورة 73للجمعية العامة للأمـــم المتحدة، وهو أمر مازال محل نظر.

كما تسعى كوريا الشمالية إلى رفع العقوبات الاقتصادية الدولية المفروضة عليها وتتوقع تلقـــى حزمة عاجلة من المساعدات لمواجهة وضعها الاقتصادى المتـــردى بالتزامن مع مـــا تجريه من مفاوضات حول نزع سلاحها النووى، وهو ما ترفضه كل من الولايات المتحدة واليابان وكوريا الجنوبية الذى يصرون على استمرار ومواصلة العقوبات على كوريا الشـــمالية حتى يتم التحقق من التفكيك النووى بشـــكل كامل ونهائى وذلـــك لا يعنـــى فقط القنابـــل ولكن الصواريخ الباليستية أيضاً.

على عكس ما تتوقع كوريا الشمالية، تصر الولايات المتحـــدة على الحفاظ على اســـتمرار تمركز قواتها فى كوريا الجنوبية بدعوى دورها الهام فى حفظ السلام والاستقرار فى شـــبه الجزيرة الكورية وشمال شرق آسيا.

ومن المتوقع أيضاً أن يظل الخلاف حول حقوق الإنسان واحداً من الملفات الشـــائكة بين الجانبين، حيث أن وفاء كوريا الشمالية بتعهدها بإعادة عدد من رفات الجنود الأمريكيين مؤخراً لم يمنع نائب الرئيس الأمريكى مايك بنس يوم 26 يوليو 2018 من الاستمرار فى اتهام كوريا الشـــمالية بممارسة الاضطهاد الدينـــى والتعذيب والجـــوع الجماعى والإعدامـــات العامة وعمليـــات القتل والإجهاض القسرى والعمل بالسخرة، وهى إتهامات ســـوف تلقـــى بظلا لها السلبية على عملية التقارب بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية.

وفى هذا الســـياق، من المتوقع أن تشهد الفترة القادمة مفاوضات عسيرة وقد تواجه بعض العثـــرات وأتوقع أن تُلقـــى العلاقـــات الأمريكية-الصينية بظلالها -ســـلباً أو إيجاباً- على مسار المفاوضـــات الأمريكيـــة –الكوريـــة الشمالية حول مستقبل ومجمل الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية فى شبه الجزيرة الكورية.

# العلاقات الروسية الصينية فى عالم متغير

**فى احتفالية كبرى بقاعة الشعب فى بكين فى 8 يونيو 2018، منح الرئيس الصينى شى جينبينج نظيره الروسى بوتين «وسام الصداقة»، وهو تكريم غير مسبوق لم يحظ به زعيم أجنبى من قبل. ولهذا التكريم دلالة رمزية تعكس المستوى الرفيع الذى وصلت إليه علاقات البلدين، والعلاقة الخاصة على المستوى الشخصى بين الرئيسين اللذين بذلا جهداً كبيراً خلال السنوات القليلة الماضية فى تطوير العلاقات الثنائية والاستثمار السياسى فى تعزيز وإدارة هذه العلاقات بفاعلية وكفاءة من خلال مقاربة واقعية هادئة لتسوية خلافاتهما مع الحرص – علناً– على تأكيد وإبراز العناصر الإيجابية فى تلك العلاقات.**

**سفير د. عزت سعد**

saad.ezzat@gmail.com

وقبل تناول أهم سمات العلاقات الصينية الروسية، من المهم الإشارة إلى جوانبها الجيوإستراتيجية، والتى تفسر الدوافع وراء حرص رئيسى البلدين على المزيد من تعميقها وتوسيعها لآفاق أرحب، خاصة بعد إعادة انتخاب كل منهما لولاية جديدة.

## بحثاً عن توازن عالمى جديد

ذلك أنه منذ انهيار الاتحاد السوفيتى، تبنت روسيا إستراتيجية تقوم على الاندماج فى الهياكل الأوروأطلنطية،بشروطها الخاصة،وكانت عضوية روسيا فى مجموعة الـ 8 رمزاً لهذه الإستراتيجية.ومع ذلك فالانقلاب على الرئيس يانوكوفيتش فى أوكرانيا فى فبراير 2014، والذى دعمته واشنطن بوضوح، قد نظر إليه من جانب موسكو على أنه مقدمة لانضمام محتمل لأوكرانى الحلف شمال الأطلنطى. وجاء رد فعل الكرملين بضم شبه جزيرة القرم لروسيا، وما تبعه من استبعاد موسكو من عضوية مجموعة الثمانية، قبل نحو شهرين من قمة كان مقرراً عقدها فى سوتشى عام2014.ولقد كان من أهم تداعيات هذه المواجهة توجه روسيا نحو الصين واكتساب علاقات البلدين المزيد من العمق الإستراتيجى، بحثاً عن توازن عالمى جديد. فمن ناحيتها، تسعى روسيا إلى وقف مد النفوذ الغربى وإبعاده عن منطقة نفوذها، ومن جانبها، تمر العلاقات الصينية / الأمريكية بضغوط متزايدة لا تقتصر على الحرب التجارية الدائرة الآن. ذلك أنه مع تزايد قوتها، تدفع الصين بمصالحها فى المناطق البحرية جنوب وشرق شواطئها، بل وفى مناطق أخرى من العالم فى ظل مبادرات طموحة مثل مبادرة الحزام والطريق. ورغم أنه لا يجمع روسيا والصين تحالف صريح واضح، بل تتعارض مصالحهما فى بعض الأحيان، إلا أن كليهما يتحديان النظام الدولى الذى تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية. وفى تقدير بعض المحللين الروس – بحق – أن الصينيين يفعلون ذلك بحكمة وهدوء أكثر من الروس. ومن المهم الإشارة هنا إلى أن ذلك يفرض قيوداً على المدى الذى يرغب كل منهما فى الذهاب إليه لتوثيق علاقاته بالآخر. وعلى سبيل المثال فإنه فى الوقت الذى لم تنضم فيه الصين إلى العقوبات التى فرضتها الولايات المتحدة وحلفاؤها على روسيا منذ عام 2014 بسبب الأزمة الأوكرانية امتنعت بكين عن التصويت على

قـــرار الجمعية العامة رقم 262 الصادر فى أبريل 2014 بشأن إدانة التدخل الروسى فى أوكرانيا والخلاصة هنا هى أن القدر المتيقن فى هذا الشـــأن هو أن مصالح كلا البلدين وتوجهاتهما الإستراتيجية تشير إلى تعاون وثيق طويل الامد بينهما.

## التهديد الأكبر للمصالح الأمريكية

وفى ضوء هذه الاعتبـــارات، فليس من المســـتغرب أن تشير إســـتراتيجيتا الأمن والدفاع القومـــى الأمريكيتان (2018) إلى كل من الصين وروسيا، فى أكثر من موضع، بوصفهما التهديد الأكبر للمصالح الأمريكية فى مناطق كثيرة من العالم. وعلى ســـبيل المثال تشير إستراتيجية الأمن القومى إلى أنه «رغم زوال التهديد الشيوعى السوفيتى، فإن هناك أخطاراً جديـــدة تتحدى إرادتنا، حيث تسعى روسيا لاســـتخدام سياسات هدامة للتشـــكيك فى مصداقيـــة الولايات المتحدة الأمريكية فى تعاملاتها مع الاتحاد الأوروبى بغرض تقويض وحدة الأطلنطى، ولإضعاف الحكومات والمؤسسات الأوروبية. من جهة أخرى تحاول الصين اكتســـاب موطئ قدم لها فـــى أوروبا عبر ممارســـاتها التجارية والاســـتثمارية غير العادلـــة فى الصناعات الرئيســـية بالقـــارة وفى مجـــالات البنية التحتية والتقنية. وتضيف الإســـتراتيجية « لقد نجح منافســـونا فى إيجاد موطئ قدم لهم فى منطقة الأمريكتين. فالصين تحاول جذب دول المنطقة إلـــى مدارها من خلال الاستثمارات والقروض.. كذلك تحاول روسيا استدعاء سياستها الفاشلة التى استخدمتها إبان الحرب البـــاردة لجذب دول المنطقة.. إن كلاً مـــن الصين وروســـيا يدعم الحكم الديكتاتورى بفنزويلا».

ووفقاً لإســـتراتيجية الدفـــاع القومى، «يتمثل التحدى الأساسى الذى يواجه رخاء وأمن الولايـــات المتحدة فـــى عودة ظهور منافسة إستراتيجية شرســـة طويلة المدى ممـــن صنفتهم إســـتراتيجية الأمن القومى كقـــوى رجعية،وتحديداً روســـيا والصين، فسعيهما الحثيث لتشـــكيل عالم يتسق مع نموذجيهما الاســـتبدادى يتبدى بوضوح». والواقـــع أن محللين روس كثر يعتقدون أنه فى ظـــل العلاقات المتدهورة بين روســـيا والغرب،ستكون الأولى فى مزيد من الحاجة للصين كمصدر للعملات الصعبة وكمستثمر وكســـوق، كما أن المزيد من اعتماد موسكو على بكين،ســـيؤدى إلى تزايـــد نفوذ هذه الأخيرة بدرجة كبيرة.وفى هذا الســـياق من المهم الإشارة إلى أن العديد من الأكاديميين الصينيين يشـــككون فى أننا نعيش عالماً متعدد الأقطاب، مشيرين فى ذلك إلىأن واقع الأمر هو أنه لا يوجد ســـوى قطبين عالميين فقط همـــا الولايات المتحـــدة والصين، أما جميع الدول الأخرى، فعليها أن تختار ما بين أى من القطبين. والواقع أن التطورات خلال السنوات القليلة الماضية تكشف عن العديد من الأدلة الداعمة لهذا التصور.

## التعاون العسكرى ركيزة أساسية

وعلى الخلفية السابقة يمكن فهم سمات وأوجه التعاون الروسى الصينى فى مختلف المجالات. وفى هذا الصدد تجدر الإشارة إلى ما يلى بصفة خاصة:

1 - إن رســـم علاقـــات الجانبيـــن بجوانبها المختلفة يقع على قائمة أولويات رئيسى البلدين شـــخصياً وبإشراف مباشر مـــن كليهما. وعـــادة ما تتم المشـــاورات والاتصالات بين البلدين على أعلى مستوى. وقد وصف الرئيس الصينى نظيره الروسى بأنه صديقه الأكثر قربـــاً. وفضلاً عن ذلك هناك برامج واتصالات مكثفة بين شـــباب الجامعات فى البلدين، كما يتعلم كل منهما لغة الآخر. وتتزايد هذه البرامج والمنخرطون فيها فى الجانبين يوماً بعد يوم، وذلك بجانب المشـــاريع الكبرى الجـــارى تنفيذها من الجانبين وتبادل إقامـــة المعارض الكبرى، والتعاون العســـكرى الذى يمثـــل الركيزة الأساســـية فى علاقات التعـــاون الثنائى. فحتى ســـنوات قليلة مضـــت كانت الصين – ومعها الهند– تســـتحوذ على نحو 80٪ من إجمالى صادرات روســـيا من الأسلحة. ويشمل التعاون العســـكرى المشترك اليوم إجراء تدريبات مشـــتركة بما فيها تدريبات بحرية منتظمة. وعلى خلاف السابق، حيث كانت تجرى هذه الأخيـــرة فى بحر اليابان قبالة «فلاديفوستوك»، تجرى الآن فى منطقة الجزر المتنازع عليهـــا بين الصين واليابان (حول جزر دياواو المســـماه سنكاكو من اليابانيين). وتفسر موافقة روسيا على إجراء المناورات فى هذه المنطقة بأنها رسالة إلى اليابان التى تجاوبت مع ضغوط واشـــنطن لفرض عقوبات على روسيا بأن هذا التجاوب له ثمنه. ويعد هذا التطور دراميا فى السياسة الخارجية الروسية، حيث كان بوتين – حتى مارس 2015– قد أكد بأنه لا ينوى الدخول فى تحالف عســـكرى مع الصين.وقبل أربع سنوات فقط من هذا التاريخ عرض الرئيس الســـابق ميدفيديف ورئيس الوزراء بوتين على حلف شـــمال الأطلنطى إطاراً للتعاون الدفاعى.

2 - على مدى العقود الثلاثة الأخيرة، وفر منـــاخ الثقة السياســـية المتبادلة بين الدولتيـــن ضمانات غاية فى الأهمية للمضى قدماً فى تعميق التعاون الثنائى بينهما. وعلى خلاف ما كان عليه الحال فى الماضى، تدرك كل من الصين وروسيا أنهما بصدد مواجهة موقف دولى جديد، سيستمر معهما طويلاً، يســـتوجب منهما تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما يقتضى بدوره حكومة قوية وفعالة.

3 - يختلـــف التعاون بيـــن الصين وروســـيا عن العلاقات الثنائية العادية فيما بين الدول. فالبلدان يتجاوران مباشرة كما أن الهيكل الاقتصادى لكل منهما يتكامل مع الآخر. وبالنسبة لروســـيا تعد الصين سوقاً واعدة للطاقة. وقد جاءت صفقة الغاز التى أبرمت بيـــن الجانبين خـــلال زيارة بوتين للصين عام 2015 بتوريد غاز للصين على مدى 30 عامـــاً بقيمـــة 400 مليار دولار، لتؤكد مرونة الجانب الروســـى بشأن أسعار الغاز بما يخـــدم الأهداف الجيوسياســـية والاقتصادية الروسية. وتجدر الإشارة إلى أن معدل التبادل التجـــارى بين البلدين حوالى 90 / 100 مليـــار دولارســـنوياً، وهو أقل كثيراً من نظيره مـــع دول الاتحاد الأوروبى مجتمعة،إلا أنه يظل الأكبر على مستوى دول الاتحاد فرادى.

4 - تدعم العلاقـــات الثنائية الصينية الروســـية هياكل إقليمية ودولية مســـتقرة للتعاون ممثلة أساســـاً فى منظمة شنغهاى للتعاون،ويوفـــر تجمع «بريكـــس» إطاراً جيداً للبلدين للدفع بأجندتهما السياســـية والاقتصادية بالتعاون مـــع الدول الأخرى الأعضاء (البرازيل والهند وجنوب أفريقيا). كذلك يشار إلى التزاوج بين مبادرة الحزام والطريـــق الصينية والاتحـــاد الاقتصادى والأوروآسيوى الذى تروج له روسيا. وفضلاً عن ذلك فإن رغبة روســـيا فى تنمية الشرق الأقصى الروسى وســـيبيريا، يمثل أحد أهم محاور التعاون مع الصين.

والخلاصة أن التعاون الصينى الروسى مرجعه الأساسى المصلحة المشتركة للبلدين فى إقامة نظام دولى جديد بعيداً عن هيمنة الولايـــات المتحدة، وذلك مـــن خلال تبنى سياسة خارجية تتسق مع متطلبات الأوضاع الداخلية والســـعى إلى الاحتفاظ بأكبر قدر من حرية العمل بعيـــداً عن ضغوط الغرب وشـــعاراته حـــول «الديمقراطية» وحقوق الإنســـان . وبطبيعة الحـــال لا يتنافى ذلك مع الشـــراكة التى تجمع كلاً من البلدين مع الغرب فى العديد مـــن المجالات على قاعدة المصالح المشتركة وتقاسم المنافع، وليس اســـتناداً إلى وحدة القيم. ويبـــدو أن هذا النموذج العالمى الجديد الذى يسعى بوتين وشى جينبينج - بقوة - إلى تأسيسه، يلقى الإعجـــاب فى مناطق العالـــم المختلفة عدا الولايات المتحدة وبعضـــاً من حلفائها فى أوروبا الغربية وخارجها.

# سياسات ترامب الصادمة لحلفاء أمريكا الأوروبيين

**منذ أن تولى الرئيس الأمريكى دونالد ترامب السلطة، وهو يعمل على تنفيذ معظم الوعود التى قطعها على نفسه أثناء حملته الانتخابية، ولم يهتم كثيرا بما إذا كان ذلك يلقى قبولاً من حلفاء أمريكا التقليديين من عدمه، وأنه قد يثير غضبهم فى كثير من الأحيان. ويرفع ترامب دائما شعارا شعبويا، وهو أن «أمريكا أولاً» وهو الشعار الذى يلقى قبولاً وحماساً لدى مؤيديه من الأمريكيين.**

**سفير رخا أحمد حسن**

**rakhahassan@yahoo.com**

ولم يتردد الرئيس ترامب فى إطلاق سياساته الصادمة لأقرب حلفاء أمريكا وجيرانها وشركائها فى اتفاقية النافتا ـ وهما المكسيك وكندا - بالمطالبة ببناء سور على الحدود مع المكسيك تتكفل المكسيك بتكلفة بنائه أو تفرض رسوماً على صادراتها لأمريكا لتغطية التكلفة. ويرى أن هذا السور ضرورى لمنع الهجرة غير الشرعية من دول أمريكا الوسطى والكاريبى عبر المكسيك. وهو ما أثار أزمة غير مسبوقة بين واشنطن والمكسيك. ومطالبة ترامب بمراجعة اتفاق النافتا لأنه يرى أن شروطه ليست فى صالح الصناعة والعمال الأمريكيين.

أما حلفاء أمريكا الأوروبيين فلم يسلموا بدورهم من سياسات ترامب الصادمة لهم وهم أقوى حلفاء لأمريكا عبر الأطلنطى. وقد بدأ ترامب هذه الصدمات بإعلانه أن حلف شمال الأطلنطى «الناتو» الذى يجمع الدول الأوروبية والولايات المتحدة قد أصابه القدم ولم تعد له جدوى عملية، وأنه يتعين على الدول التى تريد حماية أمريكية أن تتحمل نصيبها العادل من تكاليف هذه الحماية بزيادة حصة مساهماتها من ميزانية الناتو. وقد تمسك بموقفه هذا وأثاره رسميا أثناء حضوره قمة الناتو فى بروكسل، ورغم استياء كثير من الأعضاء الأوروبيين، إلا أنه أمكن دعم ميزانية الناتو بنحو 30 مليار يورو، وقد تحفظت بعض الدول الأوروبية على ذلك انطلاقاً من أن حصص مساهمات الأعضاء يجب أن تتناسب مع إجمالى الناتج القومى

المحلى لكل دولة، كما أن بعض الدول الأوروبية الصغيرة فى حاجة إلى مظلة حلف الناتو، خاصة دول شرق أوروبا ولكن وضعها الاقتصادى حالياً لا يسمح بزيادة حصتها المالية.

ولكن ترامب يقصد فى الحقيقة الدول الكبيرة فى الاتحاد الأوروبى وفى مقدمتها المانيا التى ذكرها بالاسم منذ البداية فى تغريداته وقد ردت عليه المستشارة الألمانية انجيلا ميركل بأن المانيا لديها آليات سليمة لتحديد حصتها المالية فى الناتو بل إنها دعت إلى أن تبدأ الدول الأوروبية فى العمل جدياً على أن تعتمد دفاعيا على نفسها وقالت مؤخرا فى المؤتمر الصحفى السنوى فى برلين فى 20 / 7 / 2018 أن أوروبا لا تستطيع الاعتماد على الولايات المتحدة بشكل كامل وهذا ما قالته العام الماضى بأن أوروبا لم تعد تعتمد على أمريكا لإقرار النظام فى العالم وأن على الأوروبيين تولى أمرهم بأنفسهم وأخذ مصيرهم بأيديهم وأن تصدى ميركل للرد على ترامب يرجع أيضاً إلى انتقاداته العلنية لسياسة المانيا تجاه اللاجئين والمهاجرين والتى بدا فيها وكأنه يغازل اليمين الألمانى المتطرف خاصة حزب البديل من أجل المانيا الذى يعارض قبول اللاجئين والمهاجرين والذى أدى إلى عدم حصول الحزب الديمقراطى المسيحى فى الانتخابات الأخيرة على نفس المقاعد التى كانت له فى البرلمان السابق ودفع ميركل إلى تقديم تنازلات من خلال مفاوضات على مدى نحو أربعة أشهر مع الحزب الاشتراكى الديمقراطى بقبول الاستمرار معها فى الائتلاف الحكومى.

كما انتقد ترامب تمويل المانيا خط أنابيب للغاز من روسيا وقال إن المانيا قد خضعت لروسيا وتدعمها اقتصاديا بالمساهمة فى إنشاء هذا الخط واستيراد الغاز منها وأوضح ترامب فى المؤتمر الصحفى مع الرئيس بوتين فى هلسنكى فى 16 / 7 / 2018 أن انتقاده لألمانيا يرجع إلى أن الولايات المتحدة سيصبح لديها إنتاج وفير من الغاز الطبيعى وستحتاج إلى تصدير منه إلى أوروبا ولكنها لا تواجه بمنافسة قوية من روسيا.

وقد مثل موقف ترامب المؤيد لانسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبى صدمة للدول الأوروبية خاصة المانيا وفرنسا لما لهذا الانسحاب من آثار سلبية على الاتحاد بل وعلى بريطانيا ذاتها وأن هذا التأييد العلنى من الرئيس ترامب قد يشجع دولاً أخرى على الانسحاب مما يزيد من التأثير السلبى على الاتحاد الأوروبى الذى يدرك أعضاؤه دائماً أنه منافس قوى اقتصادى وتجارى للولايات المتحدة التى يهمها إضعافه ولكن ليس بهذا الأسلوب العلنى الصارخ وغير المعتاد من كل الرؤساء الأمريكيين السابقين ولا من المتنافسين التجاريين الآخرين الأقوياء مثل الصين واليابان.

وقد أدت سياسات ترامب هذه إلى حالة من الاستياء غير المعتاد من جانب أقرب حلفاء أمريكا وهى بريطانيا التى رفضت قطاعات كبيرة من السياسيين والشخصيات العامة فيها زيارة ترامب لبريطانيا مما أدى إلى تأجيلها من 2017 إلى 2018 وتخفيض مستوى الزيارة من زيارة رسمية إلى زيارة عمل وهو ما أدى إلى اقتصار استقبال ملكة بريطانيا لترامب على مراسم مبسطة وحفل شاى وليس عشاء كما فى الزيارات الرسمية وقد ارتكب ترامب بعض الأخطاء المراسمية لدى استقبال الملكة له مما دفعها إلى تنبيهه لبعضها بإشارة من يدها.

وكان لتصريحات ترامب بأنه يؤيد موقف وزير الخارجية يوريسون الذى استقال من حكومة تريزا ماى لعدم موافقته على برنامج انسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبى وقال ترامب أنه إذا واجهت رئيسة الوزراء ماى صعوبات فى الاستمرار فى منصبها فإنه يمكن أن يخلفها وزير الخارجية المستقيل وذهب ترامب لأبعد من ذلك بقوله إنه إذا تمسكت رئيسة وزراء بريطانيا ببرنامجها للانسحاب من الاتحاد الأوروبى فلن يمكن أن توقع واشنطن معها اتفاقاً للمنطقة التجارية الحرة بين البلدين والمثير فى الأمر أن ترامب صرح بذلك وهو فى طريقه لزيارة بريطانيا وإجراء محادثات مع رئيسة وزرائها ماى!!

وقد أبدى ترامب بعض التراجع عن موقفه هذا فى المؤتمر الصحفى مع رئيسة الوزراء ماى ولكنه فى حقيقة الأمر غير مطمئن خاصة وأن المعترضين البريطانيين على برنامج الانسحاب من الاتحاد الأوروبى يرون أنه لا يحقق انسحابا حقيقيا وإنما يبقى ارتباطها بالاتحاد ويجعل خروجها شكلياً.

ومن الصدمات التجارية المهمة فرض ترامب رسوماً جمركية على واردات الولايات المتحدة من الحديد والصلب والألومنيوم ورفض استثناء الدول الأوروبية من ذلك رغم تحذيرات بعض رجال الأعمال الأمريكيين من أنه إذا طبقت الدول الأوروبية المعاملة بالمثل فلن يتحقق مكاسب للاقتصاد الأمريكى وربما يخسر على المدى البعيد ولم يعبأ ترامب بذلك وطبقت الدول الأوروبية مبدأ المعاملة بالمثل وفرضت رسوما جمركية على مجموعة من السلع الأمريكية وبدلاً من أن يراجع ترامب قراراته هذه أعلن أنه بصدد فرض رسوم جمركية على السيارات المنتجة فى الدول الأوروبية وقد أوضحت المستشارة الألمانية ميركل أن فرض هذه الرسوم الأمريكية سيلحق أضراراً كبيرة بصناعة السيارات فى المانيا وأن هذا يتطلب اتخاذ إجراءات معينة.

وكان لانسحاب الولايات المتحدة من اتفاقية التغيرات المناخية ردود فعل سلبية للغاية ليس فقط لدى الدول الأوروبية وإنما جميع دول العالم التى انضمت للاتفاقية خاصة وأن نسبة التلوث الأمريكية لا تقل عن 24% وتسبقها الصين بنسبة 25% من تلويث

## سياسات ترامب الصادمة لحلفاء أمريكا الأوروبيين

البيئة فى العالم بالعوادم الصناعية والغازات وأن انسحاب أمريكا قد يؤدى إلى عدم اكتراث كثير من الدول النامية بمخاطر التلوث والتغيرات المناخية.

وكان لانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووى مع إيران الذى وقعته مع الدول الكبرى عام 2015 آثار سلبية عديدة منها عدم الثقة فيما يعقد من اتفاقات خاصة وأن هذا الاتفاق قد خرج للنور بعد جهود مضنية استمرت لأكثر من عشر سنوات من المفاوضات الشاقة واعتبر توقيعه وبدء تنفيذه إنجازا يعتد به وقد ألقى الانسحاب الأمريكى ظلالاً كثيفة من الشكوك حول مدى إمكانية الاستمرار فى الالتزام بالاتفاق النووى مع إيران وألقى بأعباء كبيرة على الدول الخمس الأخرى (روسيا - الصين - بريطانيا - فرنسا وألمانيا) خاصة وأن عدة شركات تابعة لهذه الدول بدأت فى العمل فى مشروعات فى عدة قطاعات خاصة الطاقة والصناعة والنقل فى إيران وإزاء إصرار أمريكا على فرض عقوبات اقتصادية وتجارية ومصرفية على إيران فقد تضطر بعض هذه الشركات ومنها شركة توتال الفرنسية على سبيل المثال أن توقف أعمالها فى إيران لأن للأمريكيين 35% من رأس مال الشركة وإذا لم تلتزم بالمقاطعة التى ستبدأ فى 2018/8/4 فإنها تتعرض لأضرار كبيرة وقد بدأت الدول الأوروبية فى العمل على إنشاء آلية فعالة للتعامل مع إيران وضمان مصالح شركاتها التى قد تتعرض لخسائر كبيرة إذا انسحبت من العمل فى إيران، كما أن إيران تضغط بأنه إذا لم تضمن الدول الموقعة على الاتفاق النووى استمرار مصالح إيران فإنها ستعود إلى تخصيب اليورانيوم نتيجة الإخلال بالاتفاق.

وعندما قال ترامب إن أمريكا ستعمل على وقف تصدير البترول الإيرانى تماماً توعدت إيران بأنه إذا حدث ذلك ستلجأ إلى إغلاق مضيق هرمز أمام تصدير البترول من دول الخليج الأخرى وأن وقف تصدير البترول الإيرانى يكاد يكون أمرا مستحيلا إزاء عدم التزام الصين وروسيا بالعقوبات الأمريكية، كما أنه يمكن لبعض الدول إنشاء شركات لا تتعامل مع الولايات المتحدة تقوم بشراء البترول الإيرانى دون أن تؤثر عليها العقوبات الأمريكية.

هذا وقد حذرت المؤسسات المالية الدولية ومنظمة التجارة العالمية من مخاطر سياسة الحماية الجمركية الأمريكية لما لها من آثار سلبية على التجارة العالمية وعلى معدلات النمو فى الدول الصناعية ودول أخرى وناشدت واشنطن بإعادة النظر فى هذه السياسات لما لها من أضرار كبيرة على الأوضاع الاقتصادية الدولية.

لقد كان واضحاً منذ تولى الرئيس دونالد ترامب الرئاسة الأمريكية أن فترة حكمه سيسودها التوتر فى العلاقات مع الدول الأوروبية ومناطق أخرى من العالم ولكن ما حدث فعلاً من سياسات أمريكية صادمة ربما يكون قد فاق كل التوقعات الأوروبية ولكن الدول الأوروبية ترى فى نهاية الأمر أنه يمكن اعتبار فترة حكم ترامب مرحلة عابرة فى علاقاتهم مع أمريكا، لذا فإنهم يبقون على شعرة معاوية فى هذه العلاقات ولكن دون تهاون فى تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل فى العلاقات الاقتصادية والتجارية لأن أية أعباء تفرضها واشنطن تكون على حساب دافعى الضرائب الأوروبيين.

## توجس من اتفاقات قد يعقدها ترامب مع موسكو

# أوجاع الناتو إلى أين تقود الحلف؟

**أثارت قمة حلف شمال الأطلسى الأخيرة، التى عُقدت يومى 11 و12 يوليو 2018 فى بروكسل، العديد من التساؤلات حول مدى تماسك الحلف وقدرته على التأثير والتحرك بفاعلية فى ضوء ما عكسته القمة من جدل تجاوز حد اختلاف وجهات النظر بين واشنطن وحلفائها، وصعد من قلق الأوروبيين على مستقبل الحلف على خلفية مواقف الرئيس ترامب. فقد كانت تصريحات ترامب قبل تسلمه السلطة رسمياً بأيام، والتى أدلى بها لصحيفتى «بيلد» الألمانية و«تايمز» البريطانية، والتى أشار خلالها إلى أن الناتو منظمة «عفا عليها الزمن»، صادمة للحلفاء الذين لم يتوقعوا يوماً مثل هذا التصريح من أحد قادة واشنطن التى أسست الحلف ودافعت عن بقائه عقب تفكك الاتحاد السوفيتى، وأعادت صياغة مهامه ورؤيته لضمان استمراره كأحدى ركائز السياسة الأمريكية على الصعيدين الأوروبى والعالمى.**

**أ. د. نورهان الشيخ**

**أستاذة العلوم السياسية بجامعة القاهرة**

**nourhanelsheikh@feps.edu.eg**


ورغم أن ترامب عاد بعد ثلاثة أشهر، فى13 أبريل 2017، وأكد عقب اجتماعه مع السكرتير العام للحلف، ينس ستولتنبيرج، فى واشنطن أن الناتو «لم يعد أبدا من الكيانات التى عفا عليها الزمن» متراجعا بذلك عن تصريحه السابق، ومؤكداً التوجه الذى حكم السياسة الأمريكية على مدى سبعة عقود منذ تأسيس الحلف عام 1949.

### إشكالية المساهمات المالية

ومع ذلك فإن التطورات اللاحقة أوضحت أن هناك معضلات تواجه الحلف. أولها، إشكالية المساهمات المالية للأعضاء. فخلال حملته الانتخابية أشار ترامب إلى أن «الضمانات الدفاعية التى تقدمها واشنطن لأوروبا منذ نحو 70 عاماً قد لا تستمر فى ذلك، وإنه سيفكر مرتين قبل مساعدة حلفاء بلاده فى الحلف الأطلسى الذين لا يدفعون تكلفة الدفاع عنهم». وفى أول قمة له مع الناتو، يوم 25 مايو 2017، كان الشغل الشاغل لترامب هو تأكيد إعادة النظر فى التزامات الولايات المتحدة فى إطار الحلف، إذا لم تزد الدول الأعضاء الأخرى فى الناتو نفقاتها الدفاعية إلى 2٪ من ناتجها القومى، وعاد فى القمة الأخيرة ببروكسل وطالب بزيادة تلك النفقات لتصبح 4٪ من الناتج القومى، واعتبر ترامب أن العلاقات التجارية بين واشنطن ودول الحلف «غير منصفة»، مشيرا إلى أن الولايات المتحدة تساهم بنحو 90٪ من ميزانية الناتو، ووصل الأمر الى حد تلويحه بالانسحاب من الحلف، الأمر الذى اعتبره البعض إبتزازا للشركاء الأوروبيين لزيادة نسبة مساهمتهم فى ميزانية الحلف، وهو ما شكل ضغطاً على عدد من دول الحلف الأقل ثراء، وتلك التى تواجه صعوبات اقتصادية، وأشاع أجواء من التوتر والارتباك بين حلفاء الولايات المتحدة. واعتبر السكرتير العام للحلف أن نسبة 2٪ «ما زالت تحتاج إلى الكثير من الجهود لتحقيقها»، إذ ما زال إنفاق 15 عضوا فى الحلف بينها كندا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وبلجيكا على الدفاع دون نسبة 1,4٪ من إجمالى ناتجها القومى عام 2018، وليس من المتصور أن تكون هذه الدول قادرة على احترام تعهداتها، مما يثير غضب ترامب الذى طالب لاحقا، فى تغريدة، بأن يرفع الحلفاء نفقاتهم العسكرية الى 2٪ «فورا».

### شراء معدات واسلحة أمريكية

وقد تبنى قادة حلف الناتو فى ختام اليوم الأول من القمة بيانا مشتركا أشار إلى التزام الدول الأعضاء بزيادة النفقات الدفاعية لتصبح 2٪ من الناتج المحلى بحلول عام 2024، وتجاهل البيان طلب الرئيس الأمريكى زيادة تلك النفقات لتصبح 4٪، الأمر الذى ينبئ بإحتمال استمرارها كقضية خلافية. ويعزز ذلك تمسك ترامب بزيادة مساهمات الأعضاء الأخرين ليس فقط للتخفيف عن كاهل الميزانية الأمريكية، ولكن لحمل دول الحلف على شراء المعدات والأسلحة الأمريكية، حيث أشار ترامب الى إنه مستعد لمساعدة الدول الأصغر فى الحلف على شراء أسلحة أمريكية، وأن بعض الدول الأعضاء الأقل ثراء استفسرت خلال اجتماعات القمة فى بروكسل عما إذا كان بوسعه مساعدتها على شراء عتاد عسكرى أمريكى، ولكنه لم يحدد هذه الدول. وأضاف ترامب: «لن نمولها لهم ولكننا سنتأكد من أنهم

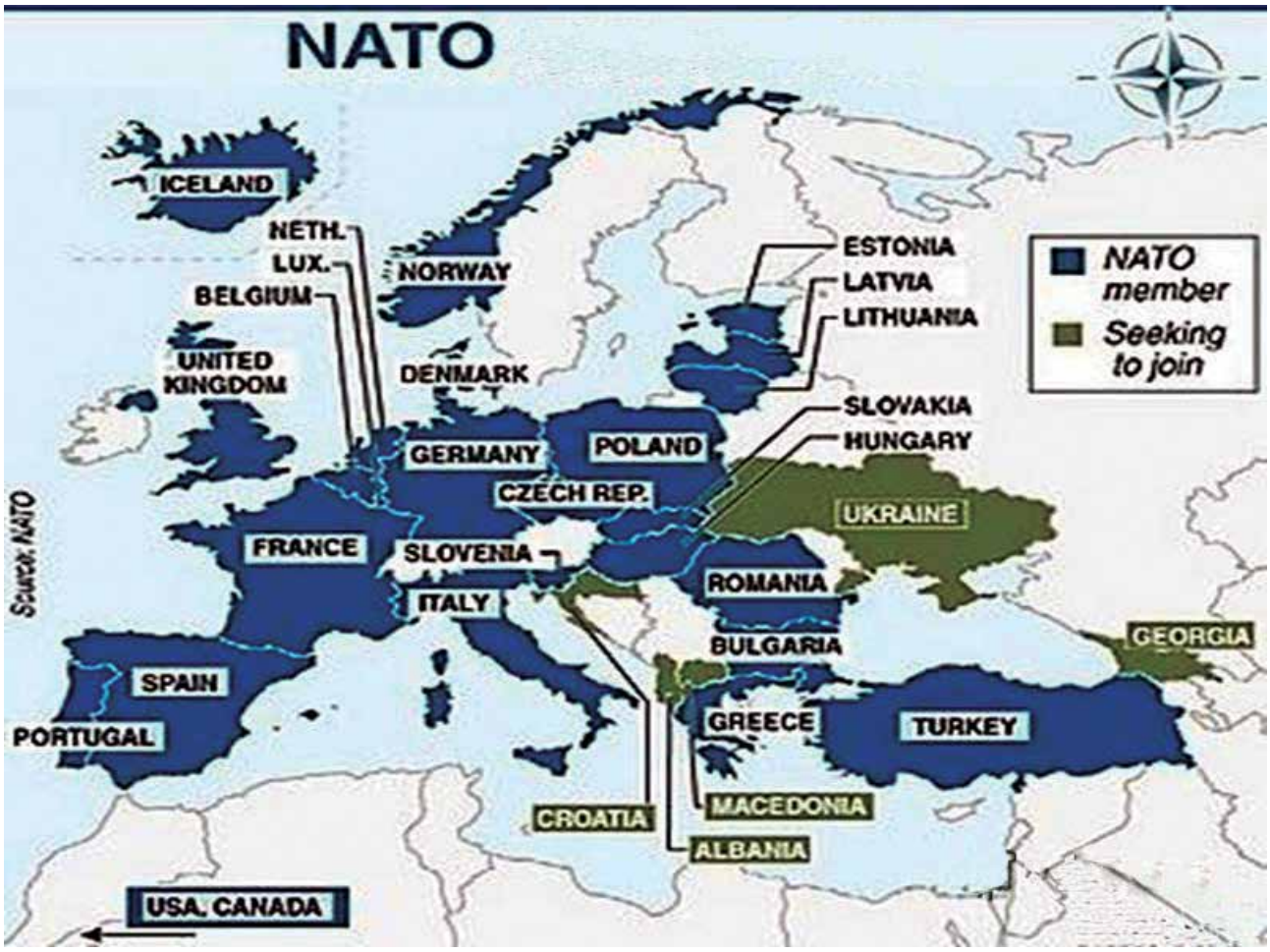


## أوجاع الناتو إلى أين تقود الحلف؟

قادرون على سداد ثمنها وأشياء أخرى عديدة تسمح لهم بالشراء لأن الولايات المتحدة تصنع بفارق كبير أفضل عتاد عسكرى فى العالم، كأفضل الطائرات وأفضل الصواريخ وأفضل الأسلحة النارية، وأفضل كل شيء، وذلك فى محاولة منه للترويج لمبادرة «اشتروا المنتج الأمريكي»، والتى تهدف للتشجيع على إبرام المزيد من صفقات الأسلحة. وقد أثارت المبادرة قلقا فى أوروبا حيث يرى البعض أن زيادة مبيعات الأسلحة هدفا أساسيا وراء مطالب ترامب المتكررة لدول حلف شمال الأطلسى بزيادة إنفاقها العسكرى.

كما أبدى حلفاء واشنطن قلقاً كبيراً إزاء مدى تحمس ترامب لتوجهات الحلف فيما يتعلق بتوسيع عضويته وضم أعضاء جدد. فقد ركز قادة الحلف فى محادثات اليوم الثانى للقمة على قضيتى أفغانستان وأوكرانيا، بالإضافة إلى السياسات العامة للحلف، ووافقوا على دعوة مقدونيا للبدء فى محادثات الانضمام للحلف. هذا فى حين لم يبد ترامب اهتماماً كبيراً بهذه القضايا وحضر متأخراً الى الجلسة التى كانت مخصصة لمناقشة انضمام جورجيا وأوكرانيا للحلف، مما أثار مخاوف الأعضاء من التوجهات الاستراتيجية التى حكمت الحلف لعقود.

### علاقة الحلف مع روسيا

ثانيها، العلاقة مع روسيا، فقد بدأ ترامب جولته إلى هلسنكى حيث لقاءه مع الرئيس الروسى بوتين، وحيث رأى ترامب إنه لا يستطيع نعت بوتين بالعدو، معتبرا أنه «منافس» له، وأوضح الاجتماع الذى عُقد على هامش قمة حلف شمال الأطلسى لبحث التطورات فى سوريا خاصة الجنوب السورى وضم وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة وبريطانيا فرنسا وألمانيا والسعودية والأردن ومصر، أن مباحثات ترامب مع بوتين بشأن الوضع السورى لن تكون سهلة. مما أثار مخاوف أعضاء الناتو وتوجسهم من أى اتفاقات أحادية قد تعقدها واشنطن مع موسكو، و«تفكيك» ترامب لقواعد اللعبة المترسخة منذ عقود طويلة. وقد أشار إلى ذلك صراحة منسق الحكومة الألمانية لشؤون التعاون عبر الأطلسى، بيتر باير، فى حديث صحفى حيث قال «نحن فى الحلف نشعر بقلق متزايد حيال اتفاقات يمكن أن يتوصل إليها ترامب وبوتين فى لقائهما». وأشار باير أيضا إلى أن الدول الأعضاء فى الناتو لم يتم إشراكها فى التحضير للقمة الروسية الأمريكية وتحديد جدول أعمالها. وكان هذا القلق وراء تأكيد ستولتنبرج فى ختام القمة،

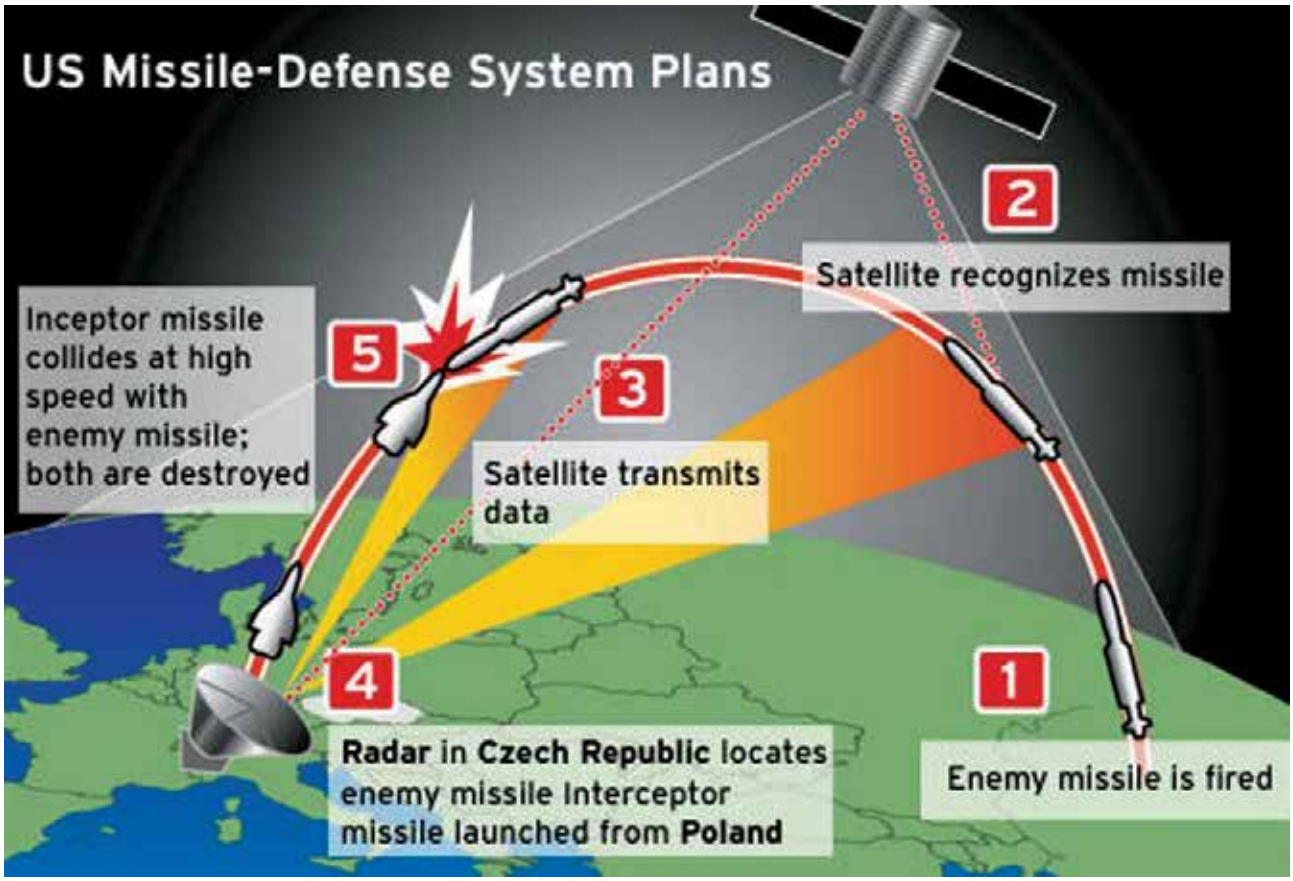


على ضرورة اتخاذ إجراءات «أكثر حزما تجاه روسيا، التى استخدمت القوة ضد جيرانها»، فى إشارة إلى الاتهامات الغربية المتكررة لموسكو باستخدام قواتها المسلحة ضد جورجيا عام 2008 وأوكرانيا عام 2014. ويعول أعضاء الناتو على المؤسسات الأمريكية لاسيما البنتاجون فى تحجيم ترامب وعرقلة إندفاعه الذى لا ترضى عنه المؤسسات الأمريكية الفاعلة.

المعضلة التركية ومنظومة إس 400

ثالثها، المعضلة التركية، فقد فشلت كل من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، ضلعى حلف الناتو الرئيسيين، فى التعامل مع تركيا، أحد أهم أعضائه، إلى الدرجة التى باتت تهدد بانسحابها من الحلف إن عاجلاً أو آجلاً. وقد أثارت صفقة منظومة «إس 400» الروسية لتركيا تحفظات أمريكية، ففى سبتمبر 2017 وقعت موسكو وأنقرة اتفاقا بشأن توريد أنظمة «إس 400» إلى تركيا بقيمة إجمالية تتجاوز 2,5 مليار دولار، مما أثار حفيظة واشنطن لكون تركيا من أقدم أعضاء الحلف، وعليها التقيد بالمنظومات الغربية، ولأن الصفقة حفزت على تزايد الطلب على المنظومة الروسية من دول أخرى حليفة لواشنطن وليست عضو بالناتو. وفى هذا السياق حذرت واشنطن من تبعات عقد صفقات لشراء أسلحة روسية، وذلك وفقا لقانون «مواجهة أعداء أمريكا عبر العقوبات الموجهة ضد روسيا وإيران وكوريا الشمالية، والذى وقعه الرئيس ترامب فى 2 أغسطس 2017، وبدأ سريانه فى 29 يناير من العام الجارى 2018.

وزاد من وقع هذه المعضلات إنها جاءت فى مناخ مشحون بالتوتر بين واشنطن وحلفائها الأوروبيين على خلفية الخلافات حول انسحاب واشنطن من الاتفاق النووى الإيرانى، والتهديد بفرض عقوبات جديدة على الشركات الأوروبية المتعاملة مع طهران، وظهور شبح الحرب التجارية فى الأفق، وانسحاب واشنطن من اتفاق باريس للمناخ، ورفض التوقيع على الإعلان المشترك لقمة السبعة فى كندا. وهجوم ترامب على ألمانيا التى قال إنها أسيرة لروسيا بسبب الخلاف حول خط السيل الشمالى2 لتوريد الغاز الروسى إلى ألمانيا. وكان الرئيس الأمريكى قد انتقد عبر تغريدة نشرها على حسابه على تويتر يوم 11 يوليو2018 ألمانيا «التى تدفع لروسيا مليارات الدولارات لقاء الغاز والطاقة». وأكد أنه «من غير الملائم إطلاقا أن تمول الولايات المتحدة الدفاع الأوروبى فى مواجهة روسيا بينما تؤيد ألمانيا، وهى البلد الأوروبى الأكثر ثراء، صفقات غاز مع موسكو.

وواضح ان الناتو يمر بلحظة حرجة فى تاريخه تعيد إلى الذاكرة انسحاب فرنسا الديجولية من هياكله العسكرية، إلا إنه من الواضح كذلك أن هناك إرادة أوروبية لصون الحلف واعتبار ترامب وسياساته معادلة صعبة ينبغى التعامل معها بحنكة وحرفية.

# العالم العربى والحرب الباردة الجديدة

**شـــنت الولايات المتحدة منذ 6 يوليو الماضى حرباً تجارية ضد الصين، هى الأكبر فى تاريخ الاقتصاد العالمى. فقد فرضت إدارة الرئيس دونالد ترامب رســـوماً جمركية تصل إلى 25 بالمائة على واردات صينية بقيمة 34 مليار دولار. وردت الصين باتخاذ تدابير مماثلة على واردات أمريكية بنفس القيمة.**

وهذا يعنـــى أن قيمة بضائع الدولتين الخاضعتين للرسوم الجمركية بلغت حتى الآن 86 مليـــار دولار. عـــلاوة على ذلك، هـــدد ترامب بفرض تعريفـــات جمركية جديدة على ما قيمته 200 مليار دولار من الواردات الصينية. وردت بكين بالقول أنها سترد بالمثل. ودفع هذا الرئيس الأمريكى إلى التهديد بفرض رســـوم جمركية على إجمالـــى واردات الصين إلـــى الولايات المتحدة، والتى بلغت 505 مليارات دولار العام الماضى.

ولتبريـــر فـــرض هـــذه الرســـوم الجمركية، التى هى نـــوع من العقوبات على الصين، تتهم واشـــنطن بكين باتباع سياســـات تجارية غير عادلة مكنتها من تحقيق فائض تجـــارى كبير مع الولايات المتحدة بقيمة 375 مليـــار دولار. وفى هذا الصدد، تتهم الولايات المتحدة الصين بســـرقة الأســـرار الصناعية للشـــركات الأمريكية وحقوق الملكية الفكرية والنقل القسرى للتكنولوجيا من خلال المشاريع المشـــتركة وتعمد إضعاف قيمة عملتها الوطنية (اليوان) لتسهيل دخول الواردات الصينية إلى الســـوق الأمريكيـــة ... وقد اقترحت واشنطن على بكين إلغاء الرسوم الجمركية على سلعها بشرط الموافقة على عدة مقترحات تحتوى على سلســـلة من الشـــروط التجارية القاسية. وتهدف تلك الشـــروط، التى يصعب على بكين القبول بها، إلى خفض العجز التجارى الأمريكى مـــع الصين وخلق نوع مـــن التوازن فى التبادل التجارى بين البلدين.

ومهما كان المسار الذى سينتهجه هذا النزاع التجارى بيـــن أكبر اقتصادين فى العالم، والذى سيلقى بظلاله على الاقتصاد العالمى، فإنه يشير إلى حقيقة أعمق من ذلك وهى التنافس على الزعامة والهيمنة على النظـــام العالمى. إن هـــذا التنافس

**أ. د. هشام مراد**
**أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة**
mouradh890@gmail.com

بين الولايات المتحدة، من جهة، والصين، فضلاً عن روسيا، من جهة أخرى، اللذين يعارضان الهيمنة الأمريكية، اتخذ أشكالاً سياسية واقتصادية وعســـكرية متنوعة، واصطلح على تسميته خلال الأعوام القليلة الماضيـــة بـ «الحرب البـــاردة الجديدة» أو «الحرب الباردة الثانية»، فى إشـــارة إلى حقبة الحرب البـــاردة (الأولى) التى ســـادت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فى عام 1945 حتـــى منتصف ثمانينات القرن العشـــرين، بين المعسكر الغربى بقيادة الولايات المتحدة والكتلة الشرقية بزعامـــة الاتحاد الســـوفييتى. وقد ظهر مصطلـــح «الحرب البـــاردة الجديدة» أو «الثانية» واســـتخدم مراراً خلال السنوات القليلة الماضية فى الدراسات الأكاديمية والمقـــالات الصحفيـــة وتصريحـــات المسئولين السياسيين، مع إشارة خاصة إلى التوتر بين الغرب وروسيا. ففى أبريل الماضى، شدد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيـــو جوتيريش علـــى أن «الحرب الباردة عادت مع الرغبة فى الانتقام». وقد أطلق هذا التصريح بمناســـبة الضربات العسكرية التى وجهتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنســـا فى 14 أبريل ضد النظام الســـورى رداً علـــى اتهامه بشـــن هجوم كيماوى على منطقة «دوما» فى ضواحى دمشـــق. كما استخدم رئيس الوزراء الروسى ديمترى ميدفيديف نفس المصطلح فـــى فبراير 2016 عندما قال: «لقد عدنا إلى حرب بـــاردة جديدة»، فى إشارة لتدهور العلاقات بين بلاده والغرب بعد ضم موسكو لشـــبه جزيرة القرم فى أوكرانيا والعقوبـــات التى فرضها الغرب على روسيا فى أعقاب ذلك.

## مواجهة الصعود الاقتصادى المتنامى للصين

بهذا المعنـــى، يعتبر النزاع التجارى بين الولايات المتحدة والصين أحد تجليات هذا التنافس العالمى من أجل الهيمنة. فقد شنت واشـــنطن، التى تنتهج تحت قيادة ترامب سياسات حمائية اقتصادية، حرباً تجارية على بكين للحد من قدرة الاقتصاد الصينى على التفوق على نظيره الأمريكى، أو علـــى الأقل تأخير توقيـــت تحقق هذا التفوق. وتشير الدراسات الاستشرافية إلى أن اقتصاد الصين، الذى يحتل الآن المرتبة الثانية عالميـــاً بعد الولايـــات المتحدة، ســـيصبح أقوى اقتصاد فى العالم بحلول عام 2030، حيث ســـيبلغ الناتج المحلى الإجمالى للصين 38 تريليون دولار بينما ســـيبلغ نظيره الأمريكى 23.4 تريليون دولار. ومن المتوقع أن تتســـع الفجوة مع مرور الوقت بين الدولتين، حيث ســـيصل الناتج المحلى الإجمالى للصين إلى 58.5 تريليون دولار عـــام 2050، مقابل 34.1 تريليـــون دولار للاقتصاد الأمريكى. ومن المؤكـــد أن القوة الاقتصاديـــة المتنامية للصيـــن ستســـمح لهـــا بترجمتها فى المســـتقبل إلى قوة عسكرية كبرى ونفوذ سياســـى عالمى. وهذا ما تخشاه الولايات

المتحدة وتسعى إلى منعه أو تأخيره بكافة الوسائل.

وتؤكد الوقائع الراهنة هذا الاحتمال لتنامى القوة الشاملة، وليس فقط الاقتصادية، للصين. ففيما يتعلق بالقوة العسكرية، تظل الولايات المتحدة فى طليعة الإنفاق العسكرى فى العالم بقيمة 610 مليارات دولار فى عام 2017، أى ما يعادل 35٪ من الإنفاق العسكرى العالمى، تليها الصين بـ228 مليار دولار، أو 13٪ من الإنفاق العسكرى العالمى. وعلى الرغم من هذا الفارق الشاسع بين الدولتين، فإن نظرة فاحصة إلى البيانات تفيد بالتقلص التدريجى لتلك الفجوة بين البلدين على مدى السنوات القليلة الماضية. فوفقاً لإحصائيات معهد ستوكهولم لدراسات السلام، احتلت الصين المرتبة الأولى فى العالم فى النسبة المئوية للزيادة فى الإنفاق على التسلح، بما يعادل 110٪ خلال الفترة من 2008 إلى 2017. وبينما كان إنفاق الصين على التسلح يمثل 5.8٪ فقط من الإنفاق العالمى خلال الفترة من 1999 إلى 2008، قفز الآن إلى 13٪، فى حين تقلصت حصة الولايات المتحدة فى نفس الفترة من 42٪ إلى 35٪.

هذا النهج من إدارة ترامب نحو احتواء قوة الصين المتصاعدة ليس جديدًا. ففى عام 2011، أعلن الرئيس الأمريكى السابق باراك أوباما عن إستراتيجية جديدة لسياسته الخارجية تستند على التوجه نحو آسيا، وتحديدًا على السعى للحد من القوة الاقتصادية والعسكرية المتنامية للصين. وقد عرفت هذه السياسة باسم «المحور» أو «إعادة التوازن» العسكرى والاقتصادى والدبلوماسى للولايات المتحدة باتجاه آسيا. وينحصر الفارق الأساسى بين الإدارتين الأمريكيتين الحالية والسابقة فى الأسلوب أكثر منه فى المضمون. فسياسة ترامب أكثر هجومية وأكثر عدوانية. وهو ما يفسر «حربه التجارية» الحالية على الصين. ويشكل «قانون السفر لتايوان» الذى وقعه ترامب فى مارس الماضى مثالاً آخر على هذا الأسلوب. وينص القانون على تشجيع تبادل الزيارات بين مسئولى البلدين. وهو يناقض التزام واشنطن باحترام «سياسة صين واحدة» التى تعهدت بها منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية مع بكين عام 1979. وقد أثار القانون الجديد غضب بكين التى تعتبر تايوان جزءًا لا يتجزأ من الصين وتطالب بضمها إلى الوطن الأم. وتركز إدارة ترامب أيضاً على القوة العسكرية لردع منافسيها الدوليين ومواجهتهم. فقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية فى فبراير الماضى عن زيادة كبيرة فى ميزانية الدفاع بنسبة 10٪ على مدى العامين المقبلين، بعد انخفاضها فى السنوات الماضية. ووفقاً لما هو معلن، سيرتفع الإنفاق العسكرى الأمريكى إلى ما يزيد عن 716 مليار دولار وسيتضمن تطوير أسلحة نووية جديدة.

وستسعى واشنطن فى هذا السياق إلى إعاقة طموحات بكين نحو ترسيخ هيمنتها على جنوب شرق آسيا، خاصة من خلال إرسال السفن الحربية إلى بحر الصين الجنوبى وإجراء تدريبات عسكرية مشتركة مع الدول التى تناهض طموحات الصين فى المنطقة، مثل الفلبين وفيتنام.

## تراجع مكانة مكافحة الإرهاب فى العالم العربي

ليس من المستغرب فى ظل هذا التوجه أن يؤكد ترامب فى أكثر من مناسبة أن الصين، وكذلك روسيا، أصبحتا خصمين قويين للولايات المتحدة على المستوى العالمى ويسعيان لتقليص هيمنتها على النظام الدولى. لكن الساسة والخبراء الأمريكيين يتفقون على أن التهديد الأكبر على المدى البعيد يأتى من الصين بسبب قوتها الاقتصادية الهائلة، والتى ستنعكس حتمًا على قوتها العسكرية ونفوذها السياسى فى العالم. وقد أكدت «إستراتيجية الأمن الوطنى» التى أعلنتها وزارة الدفاع الأمريكية فى ديسمبر الماضى أن الصين وروسيا أضحتا منافسين للولايات المتحدة على القوة والنفوذ وتعملان ضد مصالحها فى العالم. كما أكد وزير الدفاع الأمريكى جيمس ماتيس فى يناير الماضى، خلال عرضه لـ «إستراتيجية الدفاع الوطنى»، أن التنافس مع القوى الكبرى فى العالم، وليس مكافحة الإرهاب، أصبح الأولوية القصوى للأمن الأمريكى.

ويفسر ذلك التراجع النسبى لاهتمام الولايات المتحدة بالعالم العربى والشرق الأوسط بشكل عام وتجنبها المشاركة الفعالة فى تسوية نزاعاته. والواقع إن هذا الانسحاب النسبى من المنطقة ليس جديدًا هو الآخر، بل يرجع إلى عهد الرئيس السابق باراك أوباما، الذى كانت أولى أولوياته فى العالم العربى الانسحاب من العراق. كما إنه تجنب التدخل فى النزاعات العسكرية فى سوريا وليبيا واليمن. وحذا ترامب حذوه. لكن التهديد المتنامى للإرهاب فى العالم العربى، مع توسع داعش وسيطرتها على أراض شاسعة فى العراق وسوريا، أجبر واشنطن على تغيير خططها مؤقتًا لمواجهة هذا الوضع غير المتوقع. وبعد هزيمة داعش

## العالم العربى والحرب الباردة الجديدة

فى العراق وسوريا خلال الأشهر الأخيرة، بفضل مشاركة العديد من القوى الإقليمية والدولية فى التحالف العسكرى ضد المنظمة الإرهابية، أعادت الولايات المتحدة التركيز على التهديد الأكبر لهيمنتها على العالم، والمتمثل فى النمو السريع لقوة الصين وكذلك فى التواجد المتزايد لروسيا على الساحة العالمية.

وتعد المؤسسة العسكرية الأمريكية مسئولة إلى حد كبير عن هذا التوجه الجديد للسياسة الخارجية. فقد وفرت حقبة الحرب الباردة الأولى بيئة خصبة جدا لازدهار شركات تصنيع السلاح الأمريكية. وشكلت مكافحة الشيوعية، التى مثلها الاتحاد السوفييتى والصين ودول حلف وارسو وحلفاؤهم فى العالم الثالث، تبريراً مناسباً وكافياً لإنفاق مليارات الدولارات على شراء الأسلحة الثقيلة باهظة الثمن مثل حاملات الطائرات والدبابات والصواريخ الباليستية والمقاتلات المتقدمة... إلخ. ومن الصحيح أن الولايات المتحدة أنفقت مليارات الدولارات على الحرب على الإرهاب خلال الأعوام الماضية. لكن هذه الحرب لا تتطلب تلك الأسلحة الثقيلة الضرورية فى حالة اندلاع نزاع مسلح مع القوى الكبرى المنافسة وجيوشها النظامية، مما أدى لتراجع الطلب عليها. لكن مع تغير الإستراتيجية الأمنية الأمريكية للتركيز على الصين وروسيا، وجد الجيش الأمريكى ضالته، أى العدو الذى يفضله. وقد اعترف بذلك مسئول عسكرى أمريكى حين صرح لصحيفة «نيويوركر» قائلاً: «نحن نحب وضوح الحروب الكبيرة».

### مصاعب احتواء العودة الروسية

وينطبق ما سبق بصفة خاصة على التنافس مع روسيا بسبب ثلاثة عوامل، أولها العودة القوية لروسيا على الساحة العالمية وممارستها لأدوار دولية نشطة فى مناطق نزاعات متعددة، خاصة أوكرانيا وسوريا، وبالتالى اصطدامها بمصالح الولايات المتحدة والغرب عموما. ويتمثل العامل الثانى فى تاريخ العداء الشديد بين واشنطن وموسكو طوال عقود الحرب الباردة الأولى، وهو ما خلف بيئة خصبة للتجدد السريع للنزاع على النفوذ والمكانة الدولية بين القوتين. أما العامل الثالث فيتمثل فى القوة العسكرية الكبيرة التى تتمتع بها روسيا، وهى كذلك من مخلفات الاتحاد السوفييتى السابق والحرب الباردة الأولى. وتسوق المؤسسة العسكرية الأمريكية تلك الحجة تحديداً لتبرر موقفها المناهض لموسكو. فعلى الرغم من الضعف النسبى لاقتصاد روسيا مقارنة بنظيره الأمريكى، تبقى روسيا قوة عسكرية ونووية هائلة، تحل فى المرتبة الثانية عالمياً خلف الولايات المتحدة. وفى ظل مناخ الحرب الباردة السائد حاليا، زادت موسكو من ميزانيتها العسكرية بنسبة 32٪ فى عام 2018. ووفقاً للإحصاءات التى نشرها مؤخرا معهد ستوكهولم الدولى لأبحاث السلام، حافظت روسيا على موقعها كثانى مصدر للسلاح فى العالم بين عامى 2013 و2017، بنسبة 22٪ من السوق العالمى للسلاح وراء الولايات المتحدة (34٪)، ولكن قبل الصين التى تحل فى المرتبة الخامسة (5.7٪).

وتختلف الطبقة السياسية الحاكمة فى الولايات المتحدة فى تقدير خطورة سياسات موسكو على المصالح الأمريكية. فالرئيس السابق باراك أوباما كان يعتبر روسيا قوة دولية من الدرجة الثانية لأسباب مختلفة. أولها هو أن الاقتصاد الروسى اليوم أضعف بكثير وبعيد عن القدرة على المنافسة مع نظيره الأمريكى. فالناتج المحلى الإجمالى لروسيا لا يتعدى اليوم 1.2 تريليون دولار بينما يتجاوز نظيره الأمريكى 18.6 تريليون دولار. وخلال الحرب الباردة الأولى، وتحديداً فى الفترة من 1960 إلى 1975، كان اقتصاد الاتحاد السوفييتى يعادل ما بين 49٪ و57٪ من اقتصاد الولايات المتحدة. وبالنسبة لأوباما والتيار السياسى الذى يمثله، فإن روسيا أصبحت أصغر جغرافياً وأكثر ضعفاً دبلوماسياً وعسكرياً عما كان عليه الأمر خلال عهد الاتحاد السوفييتى، إذ أن العديد من البلدان التى اعتمدت عليها موسكو كمناطق عازلة وأسواق خلال الحرب الباردة الأولى بدلت تحالفاتها بعد انهيار الاتحاد السوفييتى وانضمت إلى حلف شمال الأطلنطى و / أو الاتحاد الأوروبى. وأخيراً فإن روسيا، خلافاً للاتحاد السوفييتى، أصبحت مدمجة فى الاقتصاد العالمى، وهو ما يعطى الولايات المتحدة والغرب نفوذاً أكبر عليها من ذى قبل، خاصة وأن الاقتصاد الروسى يفتقر للتنوع الذى يمنحه القوة والمنعة ويعتمد بشدة على منتجات الطاقة، أى الغاز الطبيعى والنفط، الأمر الذى يمنح الغرب وسائل ضغط لم تكن متاحة خلال عهد الاتحاد السوفييتى. وقد تجلى ذلك فى العقوبات الاقتصادية التى فرضتها الولايات المتحدة والدول الأوروبية على موسكو بعد ضمها لشبه جزيرة القرم فى عام 2014 ودعمها للانفصاليين فى شرق أوكرانيا. ويرى الغرب إن تلك العقوبات أضرت بالاقتصاد الروسى، الأمر الذى لم يكن متاحاً خلال حقبة الحرب الباردة الأولى.

وتطبيقاً لشعار حملته الانتخابية

«أمريكا أولاً»، التى تعنى واقعياً الانسحاب من شئون العالم، سعى ترامب طويلاً إلى بناء صداقة قوية مع نظيره الروسى فلاديمير بوتين كوسيلة لحل الأزمات التى تعصف بالعالم. فهو أبدى مرارا إعجابه بقوة النظام السلطوى لبوتين. ومع ذلك فقد أجبره الكونجرس ومؤسسات الدولة القوية، بما فى ذلك الجيش وأجهزة الاستخبارات، على اتخاذ موقف حازم ضد العديد من الاتهامات الموجهة لموسكو والتحديات التى تفرضها السياسات الروسية على المصالح الأمريكية، بما فى ذلك التدخل المفترض فى انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة فى 2016. وقد اضطر الرئيس الأمريكى فى مارس الماضى للإعلان عن فرض عقوبات على روسيا، تنفيذاً لقانون بشأن العقوبات ضد موسكو أصدره ترامب على مضض فى أغسطس الماضى، بعد أن تبناه بما يقارب الإجماع مجلسا النواب والشيوخ. وقد نص القانون على أن تقوم إدارة ترامب بتحديد ومعاقبة الشركات والأفراد الذين يتعاملون مع قطاعى الدفاع والاستخبارات فى روسيا. وكان الكونجرس يريد معاقبة موسكو بسبب تدخلها المزعوم فى الانتخابات الرئاسية الأمريكية وسياستها فى أوكرانيا وشبه جزيرة القرم وسوريا، ولذلك قام بضم روسيا إلى إيران وكوريا الشمالية فى مشروع قانون عام حول العقوبات فى أغسطس الماضى. وكان ترامب يعارض هذا المشروع لأنه كان يرى أنه يتعدى على سلطاته الرئاسية ولأنه لم يكن يريد جعل العلاقات مع روسيا أكثر صعوبة مما كانت عليه بالفعل. ومع ذلك اضطر للتوقيع على مشروع القانون الذى وصفه بأنه «معيب بشكل خطير» و«غير دستوري»، لأنه كان يعلم أن الأغلبية المؤيدة للمشروع داخل الكونجرس لديها ما يكفى من الأصوات لتجاوز الفيتو الرئاسى.

وعلى الرغم من قناعات ترامب تلك، ترى المؤسسة السياسية والعسكرية فى واشنطن إن روسيا تشكل تهديدًا خطيراً للمصالح الأمريكية. فقد وصفت وثيقة «إستراتيجية الأمن الوطني» روسيا بأنها قوة تسعى لتغيير الأوضاع السائدة فى العالم، أى تلك المعبرة عن الهيمنة الأمريكية، بينما أكدت «إستراتيجية الدفاع الوطني» إن الولايات المتحدة دخلت فى «منافسة إستراتيجية» مع موسكو. لاشك أن بوتين يناهض الهيمنة الأمريكية على العالم ويسعى لإيجاد مكانة أكبر لبلاده على الساحة الدولية ولإقامة عالم متعدد القطبية بدلاً من ذلك الذى تهيمن عليه الولايات المتحدة وحلفاؤها فى أوروبا الغربية. وقد أقام بوتين فى سبيل ذلك تحالفاً موضوعياً، أى تجمعه المصلحة، مع الصين. ولكن خلافاً لحقبة الحرب الباردة الأولى، عندما كانت بكين هى الشريك الأصغر للاتحاد السوفييتى، فإن روسيا هى التى تلعب اليوم هذا الدور فى الحرب الباردة الجديدة.

## النزاع السورى كحرب بالوكالة

تركت «الحرب الباردة الجديدة» بين الولايات المتحدة وروسيا بصماتها على العالم العربى والشرق الأوسط، خاصة على النزاع فى سوريا. فبعد أن خسرت موسكو أنظمة حكم حليفة لها فى العراق، بسبب الغزو الأمريكى عام 2003، وفى ليبيا، بعد التدخل العسكرى الغربى عام 2011 ضد القذافى، لا تريد روسيا أن تخسر حليفها الرئيس بشار الأسد فى سوريا. ويفسر ذلك التدخل العسكرى الروسى لصالح النظام السورى منذ 30 سبتمبر 2015، عندما شعرت موسكو أن حليفها أصبح قاب قوسين أو أدنى من فقدان السيطرة تماما على البلاد أمام هجمات المعارضة العسكرية التى تتلقى الدعم السياسى والعسكرى والتدريب من الغرب وبعض القوى الإقليمية. وربما أدى التدخل العسكرى الروسى لإطالة أمد الحرب، لكنه غيّر ميزان القوى لصالح دمشق، مما خلق واقعًا جيوسياسيًا إقليميًا جديدًا.

ومع التدخل الروسى، اكتسى النزاع السورى بعداً طالما ميز النزاعات الدولية فى فترة الحرب الباردة الأولى، إذ أصبح إلى حد بعيد «حرباً بالوكالة» بين الغرب وروسيا، بمشاركة أطراف إقليمية قريبة من هذا الطرف أو ذاك، تسعى هى الأخرى لتحقيق مصالحها. وكانت النتيجة المباشرة لذلك هى تعثر وتراجع دور الجهود الدبلوماسية -الهادفة إلى تسوية سياسية للنزاع- بين روسيا والولايات المتحدة إلى أدنى حد ممكن. فقد أصبح هناك مساران متنافسان للتسوية السياسية للنزاع السورى أحدهما فى جنيف بمباركة الدول الغربية والآخر فى أستانا (كازاخستان) برعاية روسيا. ومع انسداد القنوات الدبلوماسية، لجأت موسكو وواشنطن لفتح قنوات التواصل والتنسيق العسكرى لتجنب المواجهة المباشرة بينهما. فبدلاً من الدبلوماسية التى يفترض أن تقود الطريق فى العلاقات الثنائية بين الدولتين، يتولى العسكريون الروس والأمريكيون الآن مسئولية تنفيذ عمليات خفض التصعيد فى المناطق المتفق عليها فى سوريا. وهكذا أدى العداء والصراع السياسى بين الدولتين إلى فراغ كبير فى العلاقات الدبلوماسية بينهما انعكست آثاره على تعثر جهود التسوية السياسية فى سوريا. ولم يحافظ البلدان سوى على منبر الحوار الوحيد الذى يجنبهما خطر المواجهة العسكرية المباشرة.

# اتفاقية المركز القانونى الخاص لبحر قزويـن

**عقد زعماء دول بحر قزوين الخمسة روسيا، وإيران، وكازاخستان، وتركمانستان، وأذربيجان، يوم 12 أغسطس 2018، فى أكتاو، بكازاخستان اتفاقا حول المركز القانونى لبحر قزوين، عده الكافة بأنه اتفاق تاريخى، وذلك بالنظر لإجماع الدول الخمسة المتشاطئة للبحر على أن البحر يتمتع بنظام قانونى خاص، وذلك حسما للنزاع القانونى السياسى بين هذه الدول ما بين فريق يصر على أن قزوين بحيرة دولية، وفريق آخر يراه بحرا مغلقا، وبما تفضى إليه النظرتان المختلفتان من آثار وتداعيات جد مهمة.**

**د. أيمن سلامة**
**أستاذ القانون الدولى**
aiman_salama@yahoo.com

فالاتفاقية تشكل إنجازا نوعيا وإستراتيجيا لدول المنطقة، بعد مخاض عسير من المفاوضات الشاقة بين دول ذات رؤى ومصالح متغايرة بشأن المركز القانونى للبحر، فالاتفاقية أكدت على أن قزوين بحر مغلق ذو نظام خاص، وهذا يعنى عدم خضوعه للنظام القانونى للبحار المغلقة الذى تحدده المادة 122 من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982، وهنا فنظام البحر القانونى وكيفية استغلال موارده المختلفة يخضع لإرادة أطراف الاتفاقية المنعقدة، وذلك لا يشكل انتهاكا لمبادئ القانون الدولى العام. وفيما يتعلق بالزعم السابق الذى تبنته بعض دول البحر أنه بحيرة دولية وليس بحرا مغلقا، فنشير أنه لا توجد اتفاقيات دولية خاصة بكيفية تقسيم البحيرات الدولية بين الدول المتشاطئة عليها، وهنا يطبق العرف الدولى فى حالة عدم وجود اتفاقيات دولية بين هذه الدول، وربما يكون ذلك السبب فى رفض هذه النظرة.

## قزوين بحر مغلق ذو نظام خاص

وفى ذات السياق، فمن الضرورى الإشارة إلى أن الباعث الرئيسى لتوقيع مثل هذه الاتفاقية، هو تيقن الدول الخمسة أنه من المحال البحث، والاستكشاف، والتنقيب، والاستغلال لثروات البحر الهائلة من دون التوصل لاتفاق قانونى يحسم طبيعة ذلك البحر، حيث أعاقت هذه العقدة القانونية الدول الخمسة عن تحقيق إنجازات تنموية ضخمة على مدار سنوات طويلة. فلقد أظهر الواقع الجديد أن استمرار النظام القانونى القديم لبحر قزوين لا يتماشى مع التطورات الجيوسياسية بالمنطقة، خصوصا مع بروز معطيات جديدة متمثلة فى مصادر الطاقة التى تعتبر المحرك الأساسى لهذا النزاع.

**قادة بحر قزوين يتفقون على اقتسام ثرواته..**

هذه المعطيات، تبرز أهمية التوصل إلى إطار قانونى جديد ينظم العلاقة بين الدول المشاطئة لبحر قزوين. وتكتسب الاتفاقية أهمية بالغة على المستوى الاقتصادى، حيث تنص على تنفيذ الحقوق السيادية لاستخدام باطن الأرض ومد الأنابيب والكابلات تحت الماء وغير ذلك، وكذا حرية العبور لجميع وسائل النقل المنصوص عليها فى الاتفاقية، وبالتالى فهى تفتح أمام الدول الموقعة فرصا كبيرة لتطوير البنى التحتية للطرق والسكك الحديدية فى البحر وخطوط الأنابيب.

ويتوقع أن تسهل الاتفاقية مسار المحادثات لبناء خط أنابيب للغاز عبر البحر يمتد من تركمانستان إلى أذربيجان لتسهيل المبيعات إلى أوروبا، كاستغلال أمثل للمخزون الهائل من النفط والغاز الطبيعى الذى تزخر به المنطقة. فبحر قزوين يعد أكبر مسطح مائى مغلق على الأرض حيث تبلغ مساحته نحو370 ألف كيلومتر مربع، وأقصى عمق له 890 مترا. ويمثل ثانى أكبر وأغنى بحر بثروات النفط والغاز فى العالم بعد الخليج العربى، كما أنه يزخر بثروة هائلة من الذهب والنحاس واليورانيوم. وبالرغم من التوصل إلى الاتفاقية المهمة فى حاضر ومستقبل دول بحر قزوين، إلا أن إصرار الدول الأطراف فى هذه الاتفاقية على تحقيق أقصى منافعها من البحر لم يخفت، فقد سلمت طهران الدول الأربعة الأخرى إعلانا تفسيريا حول الموقف الإيرانى من الاتفاقية، والذى تتمسك من خلاله بالاتفاقيات التاريخية التى عقدتها إيران مع الاتحاد السوفيتى السابق. كما تنظر روسيا، مثل إيران، بشكل أساسى إلى بحر قزوين على أنه مجال لمصالحها الجيوسياسية عند تقاطع العديد من المناطق المهمة. بينما كازاخستان وأذربيجان تراهنان أكثر على مصالحهما الاقتصادية المتعلقة باستخراج المواد الخام، بما فى ذلك مشاركة شركات النفط والغاز الغربية. لكن موسكو وطهران لا يشغلهما تطوير النفط والغاز فى المنطقة، بمقدار وضع عقبات أمام وجود قوات عسكرية أجنبية فى بحر قزوين.

## الحفاظ على نفوذ روسيا الإقليمي

ومن جانب آخر، فإن إعلان الرئيس الروسى بوتين، عقب قمة دول بحر قزوين الخامسة يظهر الحرص القوى للكرملين على الحفاظ على نفوذ روسيا الإقليمى داخل بحر قزوين، ورفض تواجد أية قوة عسكرية أجنبية خاصة من الناتو. حيث صرح الرئيس بوتين «أن قمة دول بحر قزوين الخامسة تتمتع بأهمية استثنائية ومغزى تاريخى، وتضمن الاتفاقية عدم وجود أية قوى غير إقليمية على البحر».

أما الصين، دولة الجوار العظمى، فتنظر بترقب للاتفاقية التى تهتم بموضوع خطوط الأنابيب الذى لم يتم التركيز عليه، حيث تهتم باستثماراتها فى مجال الطاقة فى كل من كازاخستان وأذربيجان، فضلا عن أطر النقل البحرى فى بحر قزوين، والذى يصب فى مصلحة الصين، المهتمة، بمشروع الحزام والطريق، بزيادة عبور بضائعها عبر بحر قزوين من خلال إنشاء ممر دولى للنقل عابر لهذا البحر.

وختاما، فإننا نرى أنه وبالرغم من أهمية الاتفاقية التى تجمع ولأول مرة كافة دول بحر قزوين، إلا أنها ستظل اتفاقية مبادئ إطارية نظمت جملة من المسائل والقضايا المهمة، وأغفلت المسائل الأهم التى أغفلتها أيضا الاتفاقيات القديمة بين إيران والاتحاد السوفيتى السابق، ويأتى فى الصدارة من هذه المسائل تعيين الحدود البحرية فى قاع البحر، بما يترتب عليها من مصالح وأرباح عديدة، وهو ما يتطلب عقد اتفاقيات جديدة تنظم أموراً عديدة أخرى.

# شراكة متجددة بين مصر والبرتغال

**ترتبط مصر والبرتغال بعلاقات تاريخية طيبة ومستقرة فى مختلف المجالات وتجمعهما دوائر اهتمام أهمها عضوية البلدين بالاتحاد من أجل المتوسط والاهتمام المشترك بالقضايا الإفريقية والتنسيق والتشاور فى المحافل الدولية.**

**سفير على العشيرى**

alielashiry@hotmail.com

وقد شهد عام 2016 نقلة نوعية على صعيد العلاقات الثنائية بدءاً بقيام الرئيس السيسى بزيارة تعد أول زيارة ثنائية لرئيس مصرى للبرتغال منذ أربعة وعشرين عاماً والتى تمت تلبية لدعوة الرئيس البرتغالى، وتقديرا من جانب مصر لموقف البرتغال المؤيد للإرادة الشعبية المصرية فى 30 يونيو2013. وكان من أهم نتائج الزيارة اتفاق الرئيسين على عقد الجولة الأولى للجنة المشتركة بالقاهرة فى أكتوبر 2017 وتم خلالها التوقيع على عدد من الاتفاقات ومذكرات التفاهم فى مجالات الخدمات الجوية والسياحة والشباب والأرشفة الدولية والتعاون الثلاثى فى إفريقيا بين الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية ومؤسسة كامويش (الذراع الثقافى لوزارة الخارجية البرتغالية)، فضلا عن عقد المنتدى الأول لرجال الأعمال المصري-البرتغالى بحضور عدد كبير من ممثلى الشركات ورجال الأعمال البرتغاليين ونظرائهم المصريين. ثم جاءت زيارة الدولة للرئيس البرتغالى مارسيلو دى سوزا لمصر فى أبريل 2018 حيث حرص الرئيس البرتغالى على أن يكون أول الرؤساء المهنئين للرئيس بمناسبة إعادة انتخابه لفترة رئاسية ثانية، وتم خلال الزيارة التوقيع على مذكرات تفاهم للتعاون بين الهيئة العامة لتنمية المنطقة الاقتصادية لقناة السويس ونظيرتها البرتغالية والتعاون بين جامعتى عين شمس وبورتو، والإعلان عن تأسيس جمعية الصداقة البرلمانية بين البرلمانين.

فعلى الصعيد الاقتصادى والتجارى هناك إمكانات واعدة لتطوير العلاقات فى إطار ما توفره اتفاقية المشاركة المصرية الأوروبية من فرص لتعزيز التبادل التجارى، وقد شهدت التجارة البينية بين مصر والبرتغال زيادة كبيرة العام الماضى لترتفع بنسبة 35٪ عن العام الذى سبقه، فضلا عن إمكانيات الاستفادة من الخبرات البرتغالية فى تقديم الحلول التكنولوجية والمبتكرة فى مختلف المجالات فى مقدمتها التعليم وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والطاقة المتجددة والتحديث والإصلاح الإدارى.

على الصعيد الثقافى والدينى، قام الرئيس البرتغالى أثناء زيارته إلى مصر بزيارة الجامع الأزهر ومقابلة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وتم التأكيد على الحرص على تعزيز التعاون بين جامعة الأزهر والجامعات البرتغالية وإشادة رئيس البرتغال بدور الأزهر وفضيلة الإمام الأكبر فى نشر قيم التسامح والوسطية والاعتدال وإشادة فضيلة الإمام الأكبر من جانبه بما يشهده المجتمع البرتغالى من روح التسامح والتفاهم، كما ألقى الرئيس البرتغالى محاضرة بجامعة الأزهر حول قيم التسامح والحوار بين الحضارات والثقافات. كما زار رئيس البرتغال كاتدرائية العباسية والتقى بقداسة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وتناول اللقاء التأكيد على أهمية التسامح والحوار وتعزيز قيم المواطنة وتم تقديم الدعوة لقداسته لزيارة البرتغال فى المستقبل القريب. كما زار فضيلة الإمام الأكبر البرتغال فى مارس 2018 حيث التقى بالرئيس البرتغالى وشارك فى احتفالات مرور خمسين عاما على تأسيس الجمعية الإسلامية فى لشبونة. فجدير بالذكر أن عدد المسلمين فى البرتغال يقدر بنحو خمسين ألفا معظمهم من أصول إفريقية وآسيوية. وقد تم أيضا الاتفاق على استئناف علماء المصريات البرتغاليين أعمال الحفريات والبحث عن الآثار بمصر.

وعلى صعيد العلاقات العربية البرتغالية، وخلال زيارة أمين عام الجامعة العربية فى أبريل 2018 لحضور مؤتمر حول التعليم العالى فى أوقات الطوارئ فى إطار مبادرة الرئيس البرتغالى الأسبق جورج سمبايو بإنشاء المنصة الدولية لدعم الطلاب السوريين، فقد أكد الرئيس البرتغالى أن البرتغال مؤهلة لأن تكون همزة الوصل بين العالمين العربى والأوروبى بحكم علاقاتها التاريخية مع العالم العربى التى تعود إلى عصر الأندلس وتفهمها للقضايا العربية والتاريخ الممتد من التنسيق فى المحافل الدولية، والبرتغال كما قال رئيسها ستظل تعتز بإرثها العربى وكما قال الشاعر البرتغالى فيرناندو بيسوا فإن الشعب البرتغالى مازال وسيظل يحتفظ بالروح العربية.

## الإرهاب آفة للبشرية تدين بكين كافة أشكاله

# الحكمة الصينية تسهم فى استقرار الشرق الأوسط

### الصين تدعم تأسيس دولة فلسطينية على حدود 1967، عاصمتها القدس الشرقية وتتمتع بسيادة واستقلالية تامتين

**إن مفهوم بناء مجتمع «المصير المشترك للبشرية» باعتباره من الحكم والخطط الصينية فى الحوكمة العالمية له جذور ثقافية عميقة ومحتويات فكرية غنية، حيث تضمن مفاهيم جديدة فى التعاون الدولى، والنظام الدولى، والتنمية، والأمن، والحضارة. كما أنه رسم الاتجاه الصحيح للحوكمة العالمية المستقبلية. ومن المعروف أن الحوكمة فى الشرق الأوسط من الحلقات الضعيفة والأولويات التى هناك حاجة لإصلاحها فى الحوكمة العالمية.**

**د. دينج جون**

**أستاذ بمعهد دراسات الشرق الأوسط، جامعة شانغهاى للدراسات الدولية**

**aldingjun@163.com**


وقد برز دور الصين فى دفع حوكمة المنطقة يوماً بعد يوم باعتبارها قوة صاعدة عظمى فى المجتمع الدولى. وإن مفهوم «بناء مجتمع مصير مشترك للبشرية» ومبادرة «الحزام والطريق»، اللذان طرحتهما الصين لم يكونا متوافقين مع تقاليد تاريخية وقيم ثقافية فى المنطقة التى تتمتع بحضارات متنوعة ومتعايشة فحسب، بل إنهما يلبيان مطالب واقعية لشعوبها؛ حيث سيلعبان دور القيادة الإستراتيجية لمشاركة الصين فى حوكمة المنطقة من ناحية، ويقدمان مساهمة فى حل مشاكل التنمية السلمية فى المنطقة، ويقودان شعوبها إلى طريق السلام المستدام والأمن الشامل والتنمية المشتركة من ناحية أخرى. فقد أعلن رئيس الصين شى جين بينج فى الخطاب الذى ألقاه فى الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزارى لمنتدى التعاون الصينى العربى أن الجانب الصينى يحرص على تعزيز التواصل مع الجانب العربى بشأن الإستراتيجيات والعمل معاً على بناء «الحزام والطريق»، بما يصون السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط ويحقق العدالة والإنصاف ويدفع التنمية المشتركة ويستفيدان من بعضهما البعض كصديقين حميمين، مع بذل جهود مشتركة لإقامة المجتمع الصينى العربى للمصير المشترك، بما يساهم فى تحقيق مجتمع المصير المشترك للبشرية.

لقد أقرت الحكومة الصينية خلال المؤتمر الوطنى الـ 19 للحزب الشيوعى الصينى الذى عقد فى أكتوبر 2017 الإستراتيجية الجديدة لمشاركتها فى الحوكمة العالمية، وأكدت أنها ترفع راية السلام والتنمية والتعاون والتنافع ملتزمة فى ذلك بطريق التنمية السلمية ودافعة إلى «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية». إن هذا المفهوم من الحكم والخطط والحلول الصينية فى الحوكمة العالمية له جذور ثقافية عميقة ومحتويات فكرية غنية؛ حيث تضمن مفهومين جديدين فى التعاون الدولى والنظام الدولى، إضافة إلى نظريات جديدة فى التنمية والأمن والحضارة، كما أنه رسم الاتجاه الصحيح للحوكمة العالمية المستقبلية. فمفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» ينطلق من منظور عالمي؛ إذ هو يتوافق مع اتجاه التنمية السلمية فى العالم الحالى، ويواجه مختلف الأزمات والتحديات العالمية، ويفكر جدياً فى المصير البشرى المستقبلى، ولم يطرح أسئلة عن العالم: ماذا حدث للعالم؟ وكيف نفعل؟ فحسب، بل أجاب عنها بإجابة واضحة شاملة، ورسم الاتجاه الصحيح والطريق القويم لإصلاح الحوكمة العالمية المستقبلية مساهماً بالحكم والخطط الصينية.

إن منطقة الشرق الأوسط تواجه العديد من مشاكل الحوكمة الإدارية والاجتماعية؛ إذ تكثر فيها أعمال العنف والإرهاب، إضافة إلى أن بعض الدول فيها تعانى التخلف والفقر، وحتى الأخرى تشكو من ويلات الكوارث الإنسانية. وبدأ الناس يتساءلون: ماذا حدث للشرق الأوسط؟ وإلى أين يتجه؟ هذا هو السؤال عن الشرق الأوسط الذى يفرض نفسه أمام العالم بين حين وآخر. وهو سؤال من «الأسئلة عن العالم». وتعتبر حوكمة الشرق الأوسط حلقة من أهم الحلقات فى الحوكمة العالمية، فجميع قضاياها من الأمن والسلام واللاجئين والإرهاب والتنمية الاقتصادية والاجتماعية لها علاقة وثيقة بالحوكمة العالمية، لذا لو لم تنجح حوكمة الشرق الأوسط فلن تنجح الحوكمة العالمية.

إن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» قد أجاب عن «الأسئلة عن العالم» بما فيها «السؤال عن الشرق الأوسط»، وهو يدعو إلى الحوكمة العامة وشعارها السلام المستدام والأمن الشامل والتنمية المشتركة والتعايش السلمى بين شعوب العالم، مقرراً مفاهيم جديدة للنظام والأمن والتنمية والحضارة، ومساهماً

## الحكمة الصينية تسهم فى استقرار الشرق الأوسط

بدون شك بـ «الحكمة الصينية» و«الخطة الصينية» لحوكمة الشرق الأوسط، وعليه فإنه سيلعب دور القيادة الإستراتيجية الواضحة لمشاركة الصين فى حوكمة المنطقة، وله أهمية بالغة فى دفع الحوكمة وتحقيق السلام المستدام فيها.

### إن لمفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» دور القيادة الإستراتيجية لمشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط

المفهوم يوجه العمل، والاتجاه يحدد المخرج. إن «الصين تلتزم بطريق التنمية السلمية والسياسة الخارجية السلمية المستقلة وإستراتيجية الانفتاح القائمة على التنافع والترابح، وتتمثل ركيزة من أهم ركائز ذلك فى المشاركة الحثيثة فى الحوكمة العالمية وصياغة معادلة التعاون المتبادلة المنفعة، والاضطلاع بالالتزامات والمسئوليات الدولية، وتوسيع دائرة المصالح المشتركة مع دول العالم، وتشكيل مجتمع موحد ذى مصير موحد للبشرية جمعاء». (كلمة الرئيس الصينى شى جين بينج فى مقر جامعة الدول العربية) وتحت توجيه وإيحاء مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» تشارك الصين بنشاط فى حوكمة الشرق الأوسط على أساس الواقع والاطلاع إلى المستقبل، مؤكدة على أن النظر فى قضايا الشرق الأوسط لا يكون إلا من منظور إستراتيجى شامل يركز على السلام طويل المدى والأمن الدائم ويخطط الحوكمة العامة والتنمية المستقرة. وفى يناير عام 2016، قام الرئيس الصينى شى جين بينج بزيارة جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية وغيرهما، وألقى خطاباً مهماً فى مقر جامعة الدول العربية، وبيّن فى خطابه مفهوم وإستراتيجية مشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط. وفى الوقت نفسه أصدرت الحكومة الصينية «وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية»، وقررت من خلالها مفهوم العمل القائم على مباديء السلام والإبداع والريادة والحوكمة والتمازج. ومن جراء زيارة الرئيس الصينى شى جين بينج للشرق الأوسط وإصدار حكومة الصين وثيقتها السياسية تجاه الدول العربية، تم وضع الخطة الإستراتيجية الشاملة لتعزيز علاقات الصين مع دول الشرق الأوسط فى المستقبل ومشاركتها الفعالة فى حوكمة المنطقة.

إن مشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط تختلف عن الدول العظمى الأخرى من حيث المفاهيم والمقاصد، ومن حيث الأساليب والطرق، كما أشار الرئيس الصينى فى خطابه الذى ألقاه فى مقر جامعة الدول العربية: «تلتزم الصين بتحديد سياستها واتخاذ إجراءاتها تجاه الشرق الأوسط بناء على الحقائق عن القضايا ذاتها، وانطلاقاً من المصالح الأساسية لشعوب المنطقة. نعمل على النصح بالتصالح والحث على التفاوض ولا نقوم بتنصيب الوكلاء؛ نبذل الجهود لتكوين دائرة الأصدقاء للحزام والطريق التى تغطى الجميع ولا ننتزع ما يسمى بـ«مجال النفوذ» من أى واحد؛ ولا ننوى ملء الفراغ بل نسعى إلى نسج شبكة شركاء ذوى المنفعة المتبادلة والكسب المشترك». وبين الرئيس شى جين بينج الدور الذى ستلعبه الصين؛ حيث قال: «نكون بانين للسلام فى منطقة الشرق الأوسط، ودافعين لتنميتها، ومساهمين فى تطوير صناعتها، وداعمين لتثبيت استقرارها، وشركاء فى تعزيز تفاهم شعوبها». فمن الواضح أن التعاون مع دول الشرق الأوسط والعمل مع المجتمع الدولى جنباً إلى جنب من أجل حل المشاكل فى حوكمة الشرق الأوسط وتعزيز سلام وتنمية المنطقة هو نقطة الانطلاق والنهاية لمشاركة الصين فى حوكمة المنطقة.

### مشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط تؤكد ضرورة الإسراع فى حل القضايا الجذرية للسلام فى المنطقة

إن القضية الفلسطينية هى أبرز المشاكل المتبقية الكبرى فى الحوكمة العالمية للقرن الـ 20، فباعتبارها من القضايا الكبرى المضطرة إلى حلها فى حوكمة الشرق الأوسط وحتى فى الحوكمة العالمية «فإنها قضية جذرية للسلام فى الشرق الأوسط. وإذا أراد المجتمع الدولى تهدئة الوضع ووقف الصراع، فيجب عليه الدفع باستئناف مفاوضات السلام وتنفيذ اتفاقيات السلام من جهة، والالتزام بالعدل والعدالة وإحقاق الحق من جهة أخرى، ولا يمكن الاستغناء عن أى من الاثنين، إذ بدون العدل والعدالة، لن تؤدى أية اتفاقية للسلام إلا إلى سلام بارد حتى ولو كانت قادرة على تحقيق ذلك. ويجب على المجتمع الدولى الوقوف إلى جانب الحق والعدالة وتعويض الظلم التاريخى بأسرع وقت ممكن» (كلمة الرئيس الصينى شى جين بينج فى مقر جامعة الدول العربية).

إن الصين كانت دوماً مؤيدة قوية للقضايا العادلة للشعب الفلسطينى، وقد طرح الرئيس الصينى خلال محادثاته مع الرئيس الفلسطينى الزائر محمود عباس فى 18 يوليو 2017 أربع نقاط لدفع حل القضية الفلسطينية، الأول: التمسك بـ«حل الدولتين» كأساس للحل السياسى، والثاني: التمسك بمفهوم أمنى مشترك شامل وتعاونى ودائم، والثالث: دفع جهود المجتمع الدولى وتعزيز قوى السلام، والرابع: دعم السلام من خلال التنمية إلى جانب دفع المفاوضات السياسية. وهذه النقاط الأربعة تدل بوضوح على موقف ومبدأ الصين من حل القضية الفلسطينية،

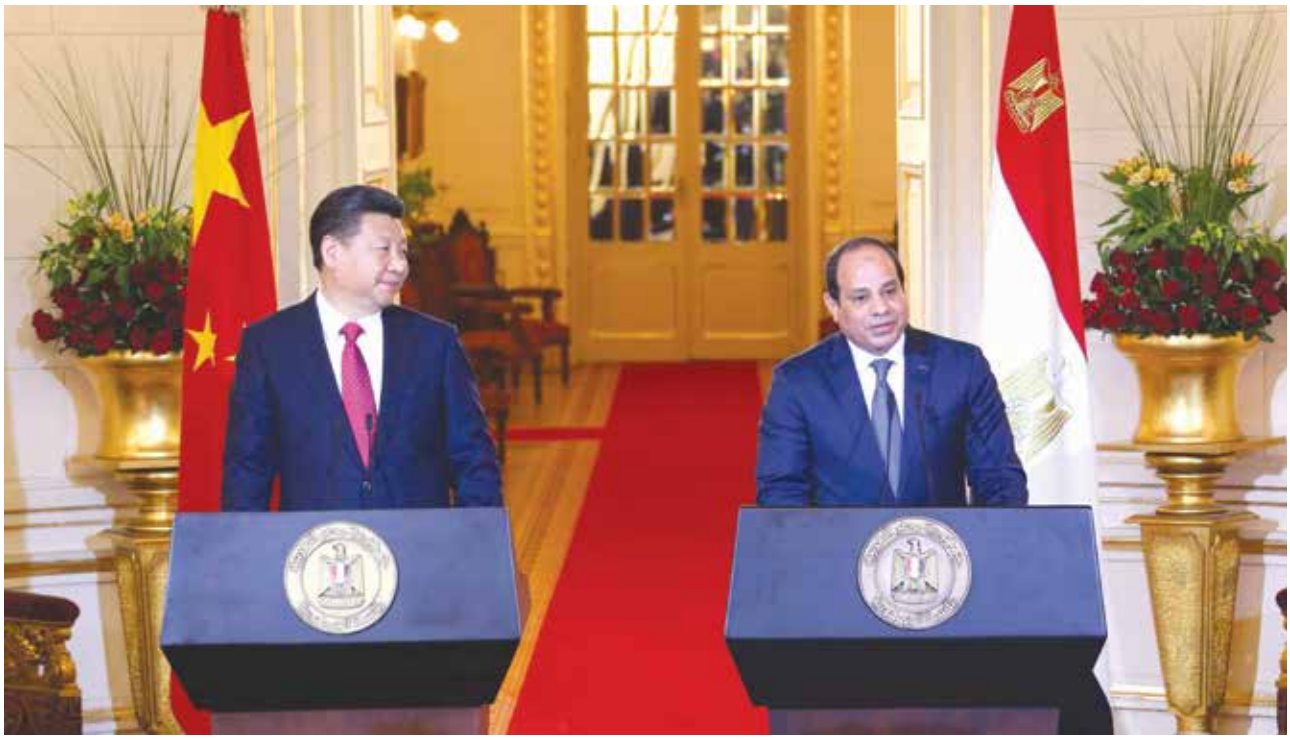

أى تدعم الصين تأسيس دولة فلسطينية على حدود 1967، عاصمتها القدس الشرقية وتتمتع بسيادة واستقلالية تامتين، كما تدعو الصين إلى تطبيق قرار الأمم المتحدة رقم 2334 القاضى بوقف مختلف أنشطة الاستيطان فى المناطق المحتلة، واتخاذ التدابير اللازمة لحماية المدنيين، وتسريع حل القضية الفلسطينية سياسياً، والتوصل إلى سلام دائم مبنى على أسس متينة.

تعد القضية الفلسطينية من الأزمات التى تؤلم الضمائر الإنسانية اليوم، وما زالت القضية باقية لم يتم حلها حتى اليوم بالرغم من مضى سبعين سنة، حيث أصبحت مرضاً مزمناً فى حوكمة الشرق الأوسط والحوكمة العالمية، ولا يمكن تحقيق الأمن والسلام فى المنطقة وفى العالم أجمع إن لم تحل بعدالة. وقد أشار وزير الخارجية الصينى وانج يى فى خطابه الذى ألقاه فى الدورة الـ 72 للجمعية العامة للأمم المتحدة 21- سبتمبر 2017: «إن القضية الفلسطينية معلقة فى جدول أعمال الأمم المتحدة منذ سبعين سنة. فعلى المجتمع الدولى دَين للشعب الفلسطينى فى رد العدالة المتأخرة لهم، والدعوة إلى وقف جميع الأنشطة الاستيطانية فى الأراضى المحتلة ووقف كافة أعمال العنف تجاه المدنيين، والتمسك بـ «حل الدولتين» كأساس للحل السياسى وتسريع استئناف مفاوضات السلام. كما يجب عليه توسيع دائرة الأفكار وتحقيق السلام من خلال التنمية ومساعدة شعوب المنطقة لتوطيد أساس السلام». ومنذ فترة طويلة، تلتزم الصين بموقف عادل وموضوعى تجاه القضية الفلسطينية وتجاه جميع القضايا المعقدة فى الشرق الأوسط، وتدعو إلى حل مختلف النزاعات عن طريق الحوار السياسى، وتحث الأطراف المتنازعة على المصالحة والمفاوضة. إن موقف الصين العادل ودورها البناء قد أبرزا قوة العدالة الدولية مما جعل شعوب الشرق الأوسط والمجتمع الدولى يثنون عليهما ويرحبون بهما على نطاق واسع. وأكد رئيس الصين شى جين بينج فى الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزارى لمنتدى التعاون الصينى العربى أن «قضية فلسطين القضية الجذرية للسلام فى الشرق الأوسط، وظل الشعب الصينى يقف مع الحق والمستضعفين، ندعو كافة الأطراف المعنية إلى الالتزام بالتوافق الدولى، والتعامل مع القضايا المتعلقة بفلسطين بشكل عادل، وعدم زرع بذور الفتنة الجديدة فى المنطقة. ندعم عقد مؤتمر دولى جديد لقضية فلسطين، وندعم إيجاد آلية مبتكرة لإحلال السلام فى الشرق الأوسط، واتخاذ «حل الدولتين» و«مبادرة السلام العربية» كأساس لدفع مفاوضات السلام الفلسطينية الإسرائيلية للخروج من الجمود فى أسرع وقت ممكن».

## مشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط تركز على الأمن العام والاستقرار الشامل

إن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» يؤكد على أن المجتمع الدولى لا يمكن له تحقيق إصلاح الحوكمة العالمية والإقليمية إلا برفع راية التعاون والإبداع وسيادة القانون والفوز المشترك، ولا يمكن له بناء مجتمع المصير البشرى الآمن إلا ببذل الجهود من الجميع. فمن المعروف أن مناطق من الشرق الأوسط تعانى من النزاعات والحروب والاضطرابات الاجتماعية والهجمات الإرهابية مما سبب توتر الوضع الأمنى فيها. وفى السنوات الأخيرة تزايدت تسلسلية قضية الأمن فى الشرق الأوسط وتدويليتها وتنوعيتها يوماً بعد يوم، الأمر الذى لم يفرض قيوداً شديدة على السلام والتنمية فى المنطقة فحسب، بل طرح تحديات كبرى أمام الحوكمة العالمية. وعليه فإن الصين ترى أن دفع حوكمة الشرق الأوسط لا بد له من تولية أهمية كبرى لقضية الأمن الإقليمى، وتجديد مفهوم الأمن القائم على أساس «التشارك والشمول والتعاون والاستمرار»، وعلى دول المنطقة والمجتمع الدولى السعى معاً لحل النزاعات وإزالة الأزمات عن طريق الحوار

## الحكمة الصينية تسهم فى استقرار الشرق الأوسط

السياسى، حتى يتمكن الجميع من بناء «مجتمع المصالح المشتركة» و«مجتمع المصير المشترك».

إن الإرهاب آفة للبشرية جمعاء، وكارثة فى منطقة الشرق الأوسط، من المفروض مكافحته واستئصاله من جذوره بشكل كامل. فباعتبار مكافحة الإرهاب من التدابير المهمة فى حوكمة الشرق الأوسط، فإن الصين ستعزز العلاقات الأمنية التعاونية مع دول المنطقة، وستدعم جهودهم لمكافحة الإرهاب، وستساعد الدول المعنية فى المنطقة على تقوية قدراتها فى مكافحة الإرهاب وبناء قدرة الحفاظ على استقرار البلاد. ترفض الصين الإرهاب وتدين كافة أشكاله، وتدعو إلى مكافحته واستئصاله من ظواهره وبواطنه باتخاذ الإجراءات الشاملة بدون لجوء إلى المعايير المزدوجة، لا ينبغى لأى أحد أن يكافح الإرهاب من جهة ويباشره ويؤيده من جهة أخرى، كما أنه لا ينبغى ربط الإرهاب بعرق أو دين بعينه. فمكافحة الإرهاب الفعالة تتطلب تعاوناً دولياً شاملاً، ويجب الالتزام بمقاصد ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولى واحترام سيادة الدول واستقلالها ووحدة أراضيها فى عمليات مكافحة الإرهاب المعنية. (وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية، يناير 2016).

ومن قضايا الشرق الأوسط الساخنة والتى يصعب حلها: الاضطرابات فى سوريا، والاحتكاكات بين السعودية وإيران، ومقاطعة بعض دول المنطقة لقطر، والاشتباكات بين قبائل ليبيا، واستفتاء أكراد العراق على الاستقلال، والمواجهة بين الدين والعلمنة، والمصارعة بين السنة والشيعة... إلخ، وكل هذه القضايا المعقدة تُعد نوعاً من الاختبارات التى تختبر الحكمة السياسية لدول المنطقة والمجتمع الدولى. فقد ظلت الصين تحافظ على العلاقات الودية مع دول الشرق الأوسط، وتدعو إلى حل القضايا الإقليمية الساخنة عن طريق الحوار السياسى، وتحث الأطراف المتنازعة على المفاوضات والمحادثات لنزع فتيل الأزمات، مؤكدةً بأن «المفتاح لتسوية الخلافات يكمن فى تعزيز الحوار. لا تُحل المشاكل بلغة القوة، ولا يدوم الأمن بعقلية المحصلة الصفرية. رغم أن طريق الحوار قد يكون طويلاً وحتى يشوبه التراجع، غير أن تداعياته أقل ونتيجته أكثر ديمومة. يجب على مختلف الأطراف المتنازعة إطلاق الحوار لإيجاد القاسم المشترك الأكبر وتركيز الجهود على دفع الحل السياسى. ويجب على المجتمع الدولى احترام الإرادة والدور لأصحاب الشأن والدول المجاورة والمنظمات الإقليمية، بدلاً من فرض حلول من الخارج، بل ويتحلى بأكبر قدر من الصبر ويفسح أكبر قدر من المجال للحوار. (كلمة الرئيس الصينى فى مقر جامعة الدول العربية).

وتدعم الصين إقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط وترفض أية محاولة تهدف إلى تغيير الخارطة السياسية فى الشرق الأوسط. وستشارك فى الشئون الإقليمية بموقف بناء وتقف إلى جانب الحق والعدالة وتعمل مع الدول العربية على إيجاد أكبر قدر من القواسم المشتركة لما تنشغل به مختلف الأطراف من خلال الحوار، وتقدم مزيداً من المنتجات العامة لحل القضايا الإقليمية الساخنة بشكل ملائم. (كلمة الرئيس الصينى خلال حفل افتتاح الدورة السادسة للاجتماع الوزارى لمنتدى التعاون الصينى العربي).

ومن الواضح أنه لا يمكن حل الأزمات فى منطقة الشرق الأوسط بشكل نهائى وتحقيق الأمن المستدام والاستقرار الشامل فيها إلا بإيجاد الوعى العام لمفهومى «مجتمع المصير المشترك» و«مجتمع المصالح المشتركة» والالتزام بموقف عادل والتمسك بالحوار السياسى، كما قال رئيس الصين فى كلمته فى الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزارى لمنتدى التعاون الصينى العربي: «يجب احترام خصوصية الدول وخيارها المستقل والتمسك بالمساواة وإبراز المشترك وتعتيم المختلف. ويجب على القوى الخارجية فعل أكثر ما يخدم إحلال السلام وتوفير الطاقة الإيجابية للسلام والتنمية فى الشرق الأوسط. يجب نبذ عقلية الانفراد بالأمن والأمن المطلق والغالب والمغلوب وتمجيد الذات، بل العمل على إنشاء منظومة الأمن المشترك والمتكامل والتعاونى والمستدام».

### مشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط تركز على قضايا التنمية فى المنطقة

قال رئيس الصين شى جين بينج فى الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزارى لمنتدى التعاون الصينى العربي: «فى الوقت الراهن، تواجه الشرق الأوسط المهام الملحة لإزالة العوائق التى تحول دون السلام والتنمية، فى هذا السياق، تكون سياسة الصين تجاه الشرق الأوسط متطابقة مع رغبة شعوب المنطقة الشديدة والساعية إلى السلام والتنمية، وتتكلم

الصين لصالح المطالب المشـــروعة للدول العربية فى المحافل الدولية وتحرص على القيام بدور أكبر لدفع الســـلام والاستقرار فـــى المنطقة». وقال شـــى أيضاً: «تكون التنميـــة المفتاح لحل كثير من مســـائل الحوكمة فى الشـــرق الأوسط. إن الإصلاح يحرر الإمكانيـــة الكامنة للتنمية، والانفتاح يســـرّع خطوات التقدم. يجـــب على كافة الأطراف التركيز دائماً على التعاون، وفعل أكثر ما يخدم ويكبر الكســـب المشـــترك، وحشـــد جهود التنميـــة والتكامل بالمزايا وتقاسم الازدهار».

فـــإن مفهوم «بنـــاء مجتمع المصير المشترك للبشـــرية» قد ربط تنمية الصين بتنمية العالم خاصة بتنميـــة الدول على طول «الحزام والطريق» وفيها دول الشرق الأوســـط، وعليه فإن الصين ستتمســـك بمباديء «التشاور والتشـــارك والتنافع» لتحقيـــق التطـــور الترابطـــى والتنمية المشتركة بالتزام بفكرة «الترابط والتبادل». وفى 17 مـــارس2017، وافـــق مجلس الأمن للأمم المتحدة بالإجمـــاع على قرار عن قضية الأفغان ودعـــا المجتمع الدولى إلى تعزيز التعـــاون الاقتصادى الإقليمى والدفع بالتشارك فى «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» من خلال تفعيل مبادرة «الحزام والطريق». فمفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» أُدرج لأول مرة فى قرار الأمم المتحدة بما فيه من حوكمة دولة من دول الشـــرق الأوســـط، مما يدل على أن لهـــذا المفهوم أهمية كبرى واقعية لتحسين حوكمة المنطقة وتنميتها.

إن بعض دول الشـــرق الأوسط تعانى من مشـــكلات التنمية، وينقصها الترابط البينى والتبادل البينـــى. وترى الصين أن

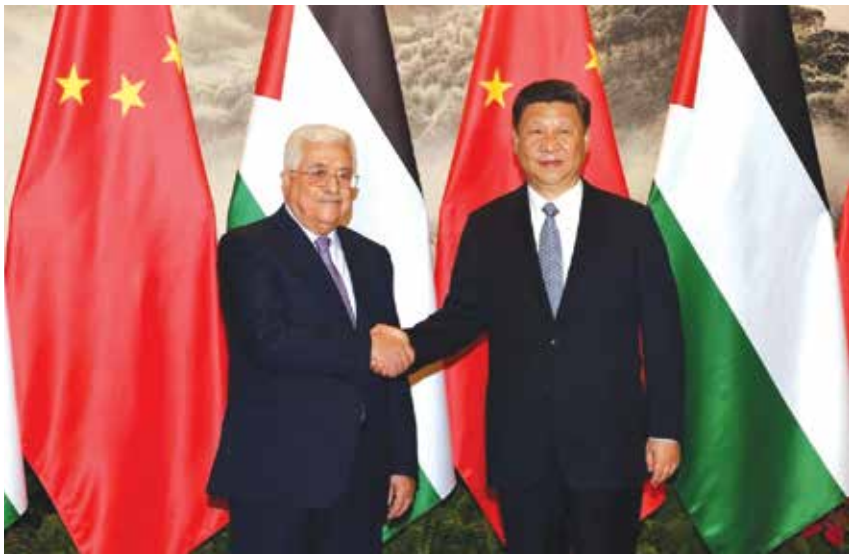

«المفتاح لفك المعضلة يكمن فى تســـريع عجلة التنمية. إن الأســـباب التى أدت إلى الاضطرابات الحالية فى الشـــرق الأوسط ترتبط فى الأســـاس بالتنمية، فلا مفر من احتوائهـــا إلا من باب التنميـــة فى نهاية المطاف. إن التنميـــة قضية ترتبط بحياة الشعوب وكرامتها. (كلمة الرئيس الصينى فى مقر جامعة الـــدول العربية)، لذا فإن الصين تعلق أهمية كبيرة على قضية التنمية فى منطقة الشرق الأوســـط؛ حيث أكدت بأنها ستكون بانية للســـلام فى المنطقة، ودافعة لتنميتها وساعية لتطوير صناعتها. وعليه فإن الصين تدعو إلى تحقيق الالتحام الإستراتيجى مع دول الشرق الأوسط أثناء بناء «الحزام والطريق»، وتعزيز العلاقات الاقتصادية التعاونية مـــع الدول العربية بشـــكل خاص، وعلى الجانبين السعى معاً إلى تشـــكيل معادلة تعـــاون «1+2+3» المتمثلة فى اتخاذ مجـــال الطاقة كمحور رئيســـى ومجالى البنية التحتية وتسهيل التجارة والاستثمارات كجناحين و3 مجالات ذات تكنولوجيـــا متقدمة تشـــمل الطاقة النوويـــة والفضاء والأقمـــار الاصطناعية والطاقة الجديدة كنقـــاط اختراق، وذلك لتطوير الصناعة فى الـــدول العربية. وقد رسمت وثيقة سياســـة الصين تجاه الدول العربيـــة التى صدرت فـــى يناير 2016 مخططاً جديداً شـــاملاً متعدد المستويات والمجالات للتعاون الصينى العربى.

إن «التنميـــة هى المخـــرج الوحيد»، والإصلاح من لوازمها. وهذا هو سر نجاح الصين. فمن المشـــاكل التى يعانى منها بعض دول الشرق الأوسط تنسيق العلاقات بين التنمية والإصلاح والاســـتقرار بشكل صحيح، أمـــا الصين فقد أصبحت فى نظر شعوب الشرق الأوسط نموذجاً ناجحاً فى تنسيق تلك العلاقات. فى السنوات الأخيرة ازدادت آمال العديد من دول الشرق الأوسط

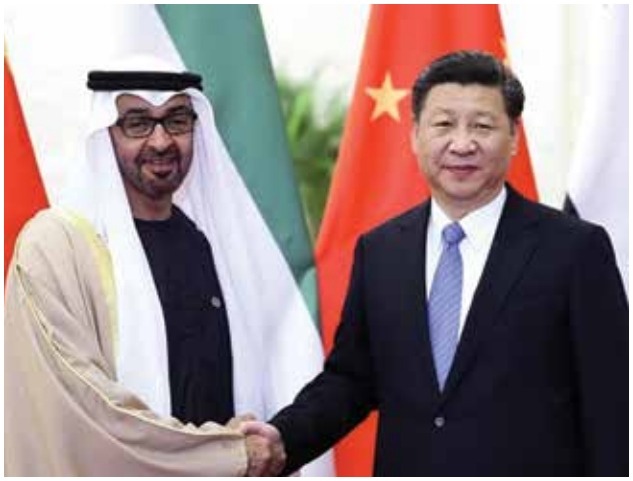

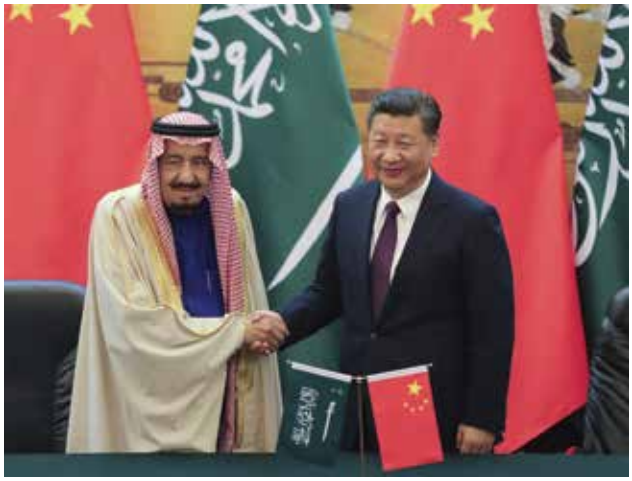

## الحكمة الصينية تسهم فى استقرار الشرق الأوسط

فى تطويـــر علاقاتها وتوســـيع مجالاتها التعاونية مع الصين، كما اشـــتدت رغباتها فى معرفة المزيد عن الصين والاستفادة من تجاربها الناجحة. وقد ذكر الرئيس الصينى شـــى جين بينج فى خطابه الذى ألقاه فى مقر جامعة الدول العربية - يناير 2016 أن الصين ستُنشـــيء «مركز الدراســـات الصينى العربى للإصلاح والتنمية»؛ لتبادل التجارب فى تحسين حوكمة الدولة وتنمية اقتصادها مع الدول العربية. وقد تم إنشاء المركز بمدينة شنغهاى فى أبريل 2014، وبدأت أنشطته؛ وعن طريق حضور الدروس والمحاضرات المخصصة والقيام بالجولات الميدانية أدرك المســـئولون المشـــاركون العرب مزيداً من سياسات الصين الداخلية والخارجية، وشـــاهدوا بأعينهم الإنجازات الكبيرة التى حققتهـــا الصين بعد تطبيق سياسة الانفتاح والإصلاح، كما أنهم عرفوا أكثر عن مبادرة «الحزام والطريق» ومفهوم «بناء مجتمع مصير مشترك للبشرية».

وفـــى الســـنوات الأخيـــرة، تعززت العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الصين ودول الشـــرق الأوسط، كما تطور التعاون الثنائى ومتعدد الأطراف بشـــكل سريع، وهذا الوضع التطـــورى يدل بوضوح على أن كلاً من الصين ودول الشـــرق الأوسط يطبـــق حالياً مفهـــوم التنمية الســـلمية والتعاون المتبـــادل المنفعة، ويدفع تنمية منطقة الشرق الأوســـط باتخاذ الإجراءات الفعلية، ويجيب للعالم «السؤال عن الشرق الأوسط»، ويســـعى إلى حل مشاكلها. إن مشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط والتشـــارك مع دولها فى بنـــاء «الحزام والطريق» كلاهما ســـيضخ دفعة جديدة للتنمية السلمية فيها ويجلب لها المزيد من الآمال ويسرع لها خطى التنمية المشتركة.

### مشاركة الصين فى حوكمة الشرق الأوسط تحث على التعلم المتبادل والاستفادة المشتركة والتعايش بين الحضارات

إن مفهـــوم «بناء مجتمـــع المصير المشترك للبشرية» يدعو إلى احترام تنوع الحضارات فى العالم، ويحث على الحوار ويرفض التصادم فيمـــا بينها. إن الصين تولى اهتماماً كبيراً بتبادل التعلم والاستفادة بين مختلف الحضارات والتعايش السلمى بينها، وعلى الأخص قضية توريث حضارات الشرق الأوسط وتطويرها والإبداع فيها، كما أنها ترفض نظريـــات «صدام الحضارات» و«التفـــوق الحضـــارى» و«التمركـــز الحضارى» وغيرها من كافـــة النظريات التى تكمن فيها الهيمنة والغرور والتحامل الثقافية، بالإضافة إلـــى ذلك فإن الصين تحرص على مشاركة دول الشرق الأوسط فى المســـاعى لتكريس التنوع الحضارى فى العالم. وقد قـــال الرئيس الصينى فى خطابه بمقر جامعة الـــدول العربية: «إن الشرق الأوسط - باعتباره منطقة التلاقى للحضارات العريقة للإنســـان - تحتضن حضـــارات وثقافـــات باهـــرة ومتنوعة. وســـتواصل الصين دعمهـــا الثابت بدون تزعزع لجهود دول الشرق الأوسط والدول العربية فى الحفاظ على ثقافتها وتقاليدها الأصيلة، وترفض التمييز والتحيز بأى شكل من الأشكال بحق عرق أو دين بعينه. لكل من الحضـــارة الصينية والحضارة العربية خصوصياتها ونظامها، غيـــر أن الاثنتين كلتاهمـــا تحتوى على مفاهيم ومســـاعى مشتركة جاءت متراكمة فى مسيرة التقدم والتطور للبشـــرية، وكلتاهما تؤمن بقيم الوسطية والوئام والسلام والوفاء والتسامح والانضبـــاط الذاتى. فيجـــب علينا إجراء الحوار بين الحضارتين والحث على قبول الغير والاســـتفادة المتبادلة، والعمل معاً على إحياء مزيد من القيم الإيجابية الواردة فى ثقافتنا وتقاليدنا القومية الأصيلة التى تتماشـــى مع عصرنا اليـــوم. إن المنطقة على امتداد «الحزام والطريق» هى مناطق يزدهر وينشـــط فيها التواصل الإنســـانى والثقافى، الذى يُعرف بقوته الناعمة ودوره الدؤوب فى تعزيز التفاهم بين الشعوب».

وفـــى الســـنوات الأخيرة، شـــهدت التبادلات الثقافية الإنســـانية والحضارية بين الصين ودول الشـــرق الأوسط تطوراً مزدهـــراً بأشـــكال متعـــددة ومحتويات وافرة؛ حيث اســـتكمل بناء آليات ومنصات التعاون الثنائى ومتعدد الأطراف ومختلف المســـتويات فى مجالات عدة مثل: الثقافة والإذاعـــة والســـينما والتليفزيون والإعلام والنشـــر ومراكز الفكر والتعليم والتواصل النسائى والشبابى والســـياحة...إلخ، وبدأ تشـــغيل الآليات والمنصات بسلاسة. كما ازدادت الاتصالات البشـــرية والنشاطات التبادليـــة الثقافية يوماً بعد يوم، وكل هذه تلعـــب دوراً مهماً فى تعزيـــز الاتصالات الثقافيـــة والوجدانية بين شـــعب الصين وشعوب الشرق الأوسط مما جعل نظريات «التهديد الصينـــي» و«صدام الحضارات» و«التهديد الإســـلامي» التى روجها إعلام الغرب غير مرحب بها فى أوســـاط الشعب الصينى وشعوب الشرق الأوسط.

وترى الصين بأن إصـــلاح الحوكمة فى الشرق الأوســـط يوجب الوقوف بحزم أمام جميع أشـــكال التطرف والعنصرية والشـــعوبية حتى لا تشـــيد الحواجز بين الحضارات، كما يوجب الوقوف أمام كافة القوى النفوذية حتى لا تســـبب المشاكل وتثير النزاعـــات والاحتكاكات بين مختلف الأمم والأديـــان والملل. بل «يجب التواصل من أجل التقـــارب لا التباعد بين مختلف الأعـــراق والحضـــارات، ويجـــب تفكيك الحواجز بدلاً من تشييدها، وتفضيل الحوار كالقاعـــدة الذهبية حتى يكـــون الجميع جيراناً يتبادلـــون ويتواصلـــون. (كلمة الرئيس الصينـــى بجامعة الدول العربية)، كما يجب «تعزيـــز الحوار بين الحضارات ودفع التواصل بين مختلف الأديان، وإنشاء أطـــر ثنائية ومتعددة الأطـــراف للتواصل الدينـــى والدعوة إلى التناغم والتســـامح الدينـــى، وبحث التعاون فـــى مجال نزع التطرف، وبذل جهود مشـــتركة للحد من نشأة وانتشـــار التطرف. (وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية، يناير 2016). وقد قال الرئيس الصينى أثناء زيارته لمقر جامعة الدول العربية يناير 2016 مشـــيراً إلى أن الصين ستقوم بعقد اجتماع المائدة المستديرة للحوار بين الحضارتين واقتلاع التطرف فى إطار منتدى التعاون الصينى العربى، وفى 15 17- أغســـطس 2017 انطلقت نـــدوة الحوار بيـــن الحضارتين الصينية والعربية ممثلة فى اجتماع المائدة المســـتديرة لمواجهة التطرف فى مدينة تشـــنجدو الصينية، وحضر الندوة بعض المســـئولين والخبراء والعلماء من الصين و16 دولة عربيـــة وجامعة الدول العربية، وركزت على مناقشة الموضوعات: «الحوار بين الحضارتين الصينية والعربية فى ظل البناء المشترك لمبادرة الحزام والطريق» و«الحوكمة فـــى القضاء علـــى التطرف

والتعاون الصينى العربى على إقلاع التطرف» وغيرها، وتوصلت الندوة إلى اتفاق واسع النطاق.

## مفهوم بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية يتوافق مع التقاليد الحضارية فى الشرق الأوسط والمطالب المشروعة لشعوبها

إن الشرق الأوسط باعتباره منطقة التلاقى للحضارات العريقة للإنسان، فالتفاعل والتبادل والتمازج والتعايش بين مختلف الأمم والثقافات والأديان من تقاليدها التاريخية وأوضاعها الدائمة للتبادل الحضارى. إن ما قامت به بغداد فى العصور الوسطى من عمليات الترجمة التى استمرت أكثر من مائة عام وما أثراه من سلسلة النشاطات العلمية يعد مثالاً بارزاً للتبادل والتدارس والتسامح والتكامل بين الحضارات فى المنطقة. وإن شعلة حضارة الشرق الأوسط ذات الشمولية والاستيعابية قد أضاءت لأوروبا التى كانت تعيش فى الظلام طيلة القرون الوسطى، فأهدتها إلى طريق «النهضة الأوروبية». إن الحضارة الإسلامية التى لها تأثير بعيد المدى فى المنطقة ظلت تدعو إلى الحوار الحضارى وتؤكد بضرورة احترام تنوع الحضارات، فالآيات القرآنية كررت مراراً بأن البشر وإن اختلفوا إلى شعوب وقبائل وألوان واعتقادات إلا أنهم «بنوا آدم» من أب واحد وأم واحدة، وعليهم أن يتعارفوا ويتراحموا، كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» (الآية 13، سورة الحجرات) والرسالة الرئيسية التى بلغها نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم هى نشر وتعميم روح السلام والرحمة بين الناس كما بين ذلك القرآن الكريم: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (الآية 107، سورة الأنبياء) وفى الحديث النبوى الشريف شبّه النبى صلى الله عليه وسلم أمته بالجماعة التى كانت فى سفينة واحدة، يجب على جميع الأفراد الوقوف جنباً إلى جنب أمام الأخطار كما جاء فى قوله فيما رواه البخاري: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا». (البخاري: كتاب الشركة، باب هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث:2493). ومما سبق يتضح أن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» يؤكد بضرورة احترام التنوع الحضارى، كما يؤكد بوجوب التعاون والتعايش فى المجتمع البشرى، فجل مفاهيمه القيمية تتوافق مع الروح الثقافى والتقليد التاريخى للتدارس والتعايش بين حضارات الشرق الأوسط، كما أنها تتوافق مع قيم مفهومى «الرحمة الشاملة» و«وحدة البشر فى أصل الخلقة» فى الحضارة الإسلامية.

فى العالم اليوم، أصبح السلام والتنمية تياراً عصرياً، وتطورت العولمة سريعاً، وازداد التساند والتآزر بين شعوب العالم. إن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» ألقى النظر إلى مستقبل البشر، ساعياً وراء تحقيق السلام العالمى، داعياً إلى المشاركة فى التنمية والتمتع بالسلام عن طريق التواصل بين الدول والاتصال الوجدانى بين الشعوب. وفى الشرق الأوسط اليوم، لا تزال تكثر فيه المآسى الإنسانية، وتشيع فيه ظواهر رد ظلم بظلم وعنف بعنف. وتعانى العديد من دول الشرق الأوسط من الحوكمة السيئة والتعثر التنموى والاضطرابات الاجتماعية والصعوبات المعيشية، حتى إن البعض منها تعرض لويلات الحرب مما أدى إلى تشريد أعداد من الأسر، واضطر ملايين المدنيين إلى الهجرة أو اللجوء. لذا فإن السلام والاستقرار من الاحتياجات الواقعية لشعوب الشرق الأوسط، والتنمية والازدهار من تمنياتهم الجميلة، والتغير والإصلاح من رغباتهم الشديدة. «وتقليل الصراعات والمعاناة وتعزيز الأمان والكرامة من تطلعاتهم المستقبلية.» (كلمة الرئيس شى بجامعة الدول العربية)، فمفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» يتلاءم تماماً مع احتياجات شعوب الشرق الأوسط الواقعية وتمنياتهم الجميلة القائمة على السلام والتنمية، وله أهمية إرشادية واقعية كبرى فى إصلاح الحوكمة وتحقيق السلام فى المنطقة، فمن المتوقع أنه سينال قبولاً واسعاً وترحيباً حاراً من قبل شعوب المنطقة.

**ختاما** ،قال رئيس الصين شى جين بينج فى الجلسة الافتتاحية للدورة الثامنة للاجتماع الوزارى لمنتدى التعاون الصينى العربي: «تحتاج جميع دول الشرق الأوسط إلى السلام والاستقرار والتنمية، وتسعى جميع شعوبها للأمان والسعادة. ويجب على كافة الأطراف قراءة اتجاه التاريخ بشكل دقيق والتجاوب مع نداء الشعوب بكل صدق، والعمل معاً على دفع الشرق الأوسط إلى طريق جديد يحقق النهضة الشاملة». إن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» ومبادرة «الحزام والطريق» باعتبارهما من «الحكم الصينية» و«الخطط الصينية» لمشاركة الصين فى الحوكمة العالمية والإقليمية متوافقان مع التيارات العصرية للتنمية السلمية فى العالم اليوم؛ حيث أجابا عن «السؤال عن العالم» و«السؤال عن الشرق الأوسط» على حد سواء، كما أنهما من المفاهيم والإستراتيجيات الجديدة التى تتخذها الحكومة الصينية فى ظل مواجهتها للأوضاع المحلية والدولية من أجل إصلاح الحوكمة المحلية والعالمية وتفعيل التواصل الحضارى، وفيهما أفكار ونظريات جديدة للتعاون الدولى والنظام الاقتصادى السياسى الدولى والتنمية والسلام والحضارة، وهى أعطت للعولمة المزيد من الروح الإنسانية، ولم تبد الرغبات التاريخية للأمة الصينية فى تحقيق نهضتها فحسب، بل أبدت الرغبات المشتركة فى طلب التنمية لدى شعوب العالم بما فيهم شعوب الشرق الأوسط، وهى لم تتوافق مع سلسلة المفاهيم لأجندة التنمية المستدامة التى قررتها الأمم المتحدة فحسب، بل تتوافق مع المطالب الواقعية لشعوب الشرق الأوسط. ولا شك أن مفهوم «بناء مجتمع المصير المشترك للبشرية» سيدفع الدبلوماسية الصينية وخاصة الدبلوماسية الصينية الشرق أوسطية نحو التطور المستمر فى العصر الجديد. وستتماشى الصين مع دول العالم بما فيها دول الشرق الأوسط فى ظل البناء المشترك لـ«الحزام والطريق»، وستتعاون معها جنباً إلى جنب ويداً بيد لحل مشاكل التنمية السلمية فى الشرق الأوسط، ودفع إصلاح الحوكمة فيها، والسير بكافة شعوبها إلى طريق السلام المستدام والأمن العام والتنمية المشتركة.

# منتدى التعاون العربى الصينى 2018

**حرص الطرفان الصينى والعربى على خمس ركائز لتطوير علاقاتهما: الأولى، الحفاظ على العلاقات الثنائية بين كل دولة عربية والصين، وذلك بتعزيزها كنقطة انطلاق للتعاون الصينى فى الإطارين العربى والأفريقى. والثانية، ضرورة أن يكون مجال نشـــاط عمل المنتدى قائما على تعزيز العلاقات الثنائية، ودعمها من خـــلال المنتدى الصينى العربى، وأن يكون للمنتدى خطة وبرنامج محـــدد، تتم متابعة تنفيذ البرنامج وتحديثه مع كل دورة انعقاد.**

د. أحمد خميس

khamada1@hotmail.com

والثالثة، أن المنتدى يمثل إطارا للعلاقات بين الطرفين، لا يستبعد إقامة روابط إضافية مع أى تجمـــع فرعى داخـــل التجمع الأكبر (كالحوار الاســـتراتيجى الذى أجراه مجلس التعـــاون الخليجى مع الصيـــن عام 2010، وإقامة المنتدى الاقتصادى الصينى الخليجى فى البحرين عام 2009 على مســـتوى رجال الأعمال). والرابعـــة، أن يكون انعقاد المؤتمر كل عامين على مستوى وزراء الخارجية، على أن يقوم بافتتاح المنتدى فى الدولة المضيفة رئيس الدولة أو رئيس الحكومة؛ وذلك كعرف دبلوماسى. والخامسة، عدم اقتصار المنتدى على الجانب الرسمى، وامتداده ليشمل القطاع الخاص وغرف التجارة والصناعة، والمفكرين والباحثين والمتخصصين فى التعليم والثقافة والإعلام والحضارة والبيئة وغيرها من مجالات؛ وفقا لخطـــة العمل المعتمدة فى كل دورة من دورات المنتدى.

فقد قفـــز حجم التبـــادل التجارى بين الدول العربيـــة والصين من 4,36 مليار دولار أمريكى عام 2004 تاريخ تأســـيس المنتدى فى القاهرة إلى 191 مليار دولار عام 2017، وبالتالى تعد الصين ثانى أكبر شريك تجارى للدول العربيـــة. وفى نهاية عام 2016، وصل حجم تدفقات الاستثمارات الصينية المباشرة المتراكمة إلى الدول العربية أكثر من 15 مليار دولار أمريكـــى، مقارنة مع 180 مليون دولار أمريكى فقط فى عـــام 2004، كما بلغ حجم العقود الجديدة التى وقعتها الشركات الصينية مع الدول العربية إلى أكثر من أربعة مليارات دولار أمريكى. ويأمـــل الطرفان زيادة حجم التبادل التجارى إلى 600 مليار دولار فى إطار مبادرة «الحـــزام والطريق» التى تحتل الدول العربيـــة فيها مكانة خاصـــة، بحكم موقعها الاستراتيجى وإمكانياتها الاقتصادية الطبيعية والبشرية والمادية.

## الدورة الثامنة للمنتدى يوليو 2018

استضافت بكين الدورة الثامنة للاجتماع الـــوزارى لمنتدى التعـــاون العربى الصينى فى 10 يوليـــو 2018، والتى افتتحها الرئيس الصينى شـــى جين بينج وأمير دولة الكويت، وأمين عام جامعة الـــدول العربية ووزراء من 21 دولـــة عربية. وثمـــة ملاحظات على نمط التعـــاون وآثاره فى علاقـــات الطرفين، وفى السياسة الصينية فى منطقة الشرق الأوسط، وآثارها على الأمن القومى المصرى والعربي:

- إن مصـــر أول دولة عربيـــة وأفريقية تعترف بجمهوريـــة الصين الشـــعبية، وأن الرئيس السيســـى زار الصين 4 مرات خلال فترة رئاسته الأولى. وهو ما يؤكد حرص مصر على التعاون المستمر مع الصين، والاستفادة من تجربتها الرائدة فـــى التنمية، ومن المزايا التى تقدمها للدول العربية.

- اســـتمرار العمل بالعرف الدبلوماسى الذى أرســـاه المنتدى. فالبلد المضيف لأعمال المنتدى، يقوم رئيس الدولة أو رئيس الوزراء بافتتـــاح أعماله، وهو ما حـــدث خلال دورة الانعقـــاد الثامنـــة ببكيـــن 2018، إذ افتتح الرئيس شـــى جى بينج أعمال دورة المنتدى. فضلا عن أن حضـــور المنتدى يمثل فيه على الأقل وزراء الخارجيـــة، وهو ما حدث ومازال يحدث بالفعـــل. فقد حضر المنتدى 21 وزيراً من الدول العربية.

- أولوية التعاون الاقتصادى بين الطرفين مجتمعين أو عبر العلاقات الثنائية، كما أرسته آليات عمل المنتدى. فالرئيس الصينى أعلن أن بلاده ســـتمنح عددا من الدول العربية قروضا للتنميـــة الاقتصادية بقيمـــة 20 مليار دولار، ستخصص لمشاريع، «تعمل على توفير فرص عمل جيدة وسيكون لها تأثير اجتماعى إيجابى على الدول العربية التى تحتاج لإعادة الإعمار». وأوضح أن القروض المقدمة تشكل جزءا من رؤية صينية خاصة «لإعادة الهيكلة الاقتصادية وتحفيز الصناعات»، مؤكدا اســـتعداد بكين لتقديم قرض آخر بقيمـــة 150 مليون دولار لبعـــض دول المنطقة لتعزيـــز قدراتها فى الحفاظ على الاستقرار.

- التعامـــل العربى مع مبـــادرة الحزام والطريق التى أطلقتها الصين منذ عام 2013: فعلى المستوى الصينى عبر الرئيس الصينى شـــى فى كلمته فى افتتـــاح المنتدى عن أن الموقع الجغرافى للـــدول العربية على طريق التجارة القديم يجعل منها «شركاء طبيعيين» فى المبادرة الصينية الجديدة التى ترتكز على إعادة إحياء «طريـــق الحرير» من الصين إلى المناطق القريبة من إفريقيا وأوروبا، بمشاريع فى البنى التحتية بقيمـــة تريليون دولار. وأن «الشعوب العربية والصينية على الرغم من أنها متباعدة بالمســـافة، إلا أنها قريبة كالأسرة». وأكد على ترحيب الصين بفرص المشاركة فى تنمية المرافئ وبناء شبكات السكك الحديد فى دول عربية، كجزء من شـــبكة لوجستية تربط آسيا الوسطى وشرق إفريقيا والمحيط الهندى بالبحر المتوسط».

## الركيزة الأساسية هى مبادرة الحزام والطريق

وعلـــى المســـتوى العربى، أكـــد وزير الخارجية المصرى ســـامح شـــكرى، أمام المنتدى «أن مصر وســـائر الـــدول العربية على اســـتعداد للتعاون والتفاعل الإيجابى مع المبادرة الصينية، بشأن بناء الحزام والطريق، باعتبارها الركيزة الأساســـية التى تقوم عليها أعمال الـــدورة الحالية للمنتـــدى، فضلا عن دراسة الانعكاسات الاقتصادية الإيجابية لهذا التعاون والمتمثلة فى زيـــادة حجم التجارة البينية والاســـتثمارات بين الجانبين العربى

والصينى، وتوطيد دعائم التعاون والمصالح المشتركة بينهما، إضافة إلى ساحات التعاون الأخرى فى المجالات التكنولوجية والبحثية والثقافية».

وذكر وزير الخارجية السعودى عادل الجبير أن رؤية السعودية 2030 تتوافق بدرجة كبيرة مع مبادرة الحزام والطريق. وبالربط بين المبادرة والخطة، قال الجبير إن الصين والسعودية بمقدورهما تعزيز التعاون فى الصناعات، بما فى ذلك الطاقة والتعدين والاقتصاد والتجارة والاستثمار والسياحة، والتعاون الثلاثى فى أفريقيا. وأضاف أن السعودية ترحب أيضا بالصين للعب دور أكبر فى الشرق الأوسط ومنطقة الخليج وعلى استعداد للعمل عن كثب مع الصين من أجل منع ومكافحة التطرف وتعزيز التنسيق والتعاون فى الشئون العالمية والإقليمية.

وأعلن وزير الخارجية البحرينى دعم وتأييد مملكة البحرين لمبادرة «الحزام والطريق» لإعادة إحياء طريق الحرير القديم بشقيه البرى والبحرى، مشيرًا إلى أن مملكة البحرين قد أبدت رغبتها فى الانضمام للبنك الآسيوى للاستثمار فى البنى التحتية، منوهًا إلى توقيع مذكرة تفاهم بشأن التعاون فى إطار الحزام الاقتصادى لطريق الحرير ومبادرة طريق الحرير البحرى فى القرن الحادى والعشرين، وهو ما يعكس دعم والتزام مملكة البحرين بإنجاح هذه المبادرة.

## دعم حقوق الشعوب والحرية والعدالة والمساواة

فالصين تدعم حقوق الشعوب وتدعم الحرية والعدالة والمساواة، وهذه المواقف تتضح جليا فى جميع قضايانا وعلى رأسها القضية الفلسطينية حيث تقدم الدعم المستمر للقضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطينى، مع التركيز على برنامج التنمية الذى أعلن عنه الرئيس الصينى فى المنتدى لإعادة الإعمار فى عدد من الدول العربية، وتخصيص الحكومة الصينية (حوالى 100 مليون دولار) لمساعدة سوريا واليمن ولبنان والأردن، إذ ستساهم هذه المبادرات فى تخفيف معاناة الشعوب العربية، فضلا عن إعلان الصين عن زيادة حصتها فى ميزانية وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) لتتمكن الوكالة من القيام بمهامها على أكمل وجه، لاسيما بعد قيام الولايات المتحدة بتخفيض مساهمتها فيها.

إن لدى الصين خبرة عظيمة فى التطور الاقتصادى وبناء المشروعات الموجهة للتصدير، خاصة الصادرات التكنولوجية. فتجربة الصين التنموية ركزت على الإصلاح والبناء بمبادلة أصول بأصول، وليس ببيع الأصول لسد الديون أو عجز الموازنة. وتنشيط وزيادة الاستهلاك لاستيعاب الاستهلاك الكبير، عبر إقامة المراكز التجارية الكبرى. وهو ما يمثل إضافة حقيقية، وتجربة ناجحة يمكن للعرب الاستفادة منها. وهو ما حدا بوزراء الخارجية العرب فى كلماتهم أمام المنتدى للإشادة بالنجاح الاقتصادى فى الصين. وأن رؤيتهم للإصلاح الاقتصادى تتشابك مع المبادرة الصينية «الحزام والطريق».

إن دورة الانعقاد الحالية شهدت إعلان الرئيس الصينى شى جين بينج اتفاق الدول العربية والصين على تأسيس «شراكة استراتيجية للتعاون الشامل والتنمية المشتركة والتوجه نحو المستقبل». وهو ما يمثل نقلة نوعية لآلية التعاون بين الجانبين، من المتوقع أن يعطى دفعة للعلاقات الصينية العربية، سواء على الجانب الثنائى أو الجماعى.

## إعلان بكين يدين الأعمال الإرهابية

صدر عن الدورة الثامنة للاجتماع الوزارى لمنتدى التعاون العربى الصينى إعلان بكين، وقام بالتوقيع عليه أحمد أبو الغيط أمين عام جامعة الدول العربية ووانج يى مستشار الدولة ووزير خارجية جمهورية الصين الشعبية.

إن قراءة الإعلان تؤكد عدة أمور، أبرزها: أولا، أن العرب حصلوا على تأكيد مواقف الصين للقضايا التى تشغلهم. فعلى سبيل المثال، أدان إعلان بكين الأعمال الإرهابية التى تتعرض لها مملكة البحرين والتى راح ضحيتها عدد من رجال الأمن والمدنيين الأبرياء، وأكدت تأييدها الكامل للإجراءات والتدابير التى تتخذها مملكة البحرين لحماية أمنها واستقرارها. فضلا عن الإعلان عن تدشين مملكة البحرين لمركز الملك حمد العالمى للتعايش السلمى فى مارس 2018م، والتأكيد على مواصلة الجهود لتعميق الحوار الحضارى، والالتزام بالتواصل على قدم المساواة، وتعزيز الفهم المتبادل بين الثقافتين العربية والصينية وتعزيز التعاون فى نزع التطرف. فضلا عن إعلان الصين تقديم 100 مليون دولار لسوريا والأردن واليمن وفلسطين كمساعدات إنسانية، من بينها 90 مليون دولار للشعب السورى والأردنى واليمنى، والباقى لفلسطين.

ثانيا، أن الصين حصلت على تأكيد وإعادة تأكيد لمواقف الدول العربية حول اهتماماتها. فقد اعتمد البرنامج التنفيذى لمنتدى التعاون العربى الصينى للفترة من 2018 إلى 2020، والإعلان التنفيذى للتشارك العربى الصينى فى بناء الحزام والطريق، وتدشين المكتبة الرقمية العربية الصينية.

سيظل منتدى التعاون العربى الصينى منصة لتبادل الآراء، وكسب الثقة، وتبادل الخبرات الصينية للدول العربية، والدفع بتفعيل الاتفاقيات المشتركة، لتحقيق المصالح العليا لكافة أطرافه. ولن ينسى التاريخ أن مصر كانت ومازالت حاضرة وبقوة فى الذاكرة الصينية، وأن مبادراتها ستظل تفتح الباب أمام المزيد من التعاون العربى الصينى.

# تفعيل مبادرة الحزام والطريق

**عقد منتدى التعاون الصينى العربى دورته الوزارية الثامنة فى بكين فى 10 يوليو 2018 وشارك فى الاجتماع وزراء الخارجية من12 دولة، كما شارك كضيف شرف صاحب السمو أمير دولة الكويت وألقى كلمة فى افتتاح المؤتمر.**

**سفير د. محمد نعمان جلال**
galal_m@hotmail.com

. وقد افتتح المؤتمر الرئيس الصينى شى جين بينج الذى رحب بالوفود وأكد أهمية العلاقات الصينية العربية مشيراً إلى دورها التاريخى العريق وإلى مستقبلها الواعد مؤكدا أهمية الدور العربى فى مبادرة الطريق والحزام وداعياً للعمل على تعميق العلاقات الصينية العربية وهى التى تقوم على مبادئ راسخة فى علاقات الطرفين ومحورها المنافع المتبادلة والمساواة واحترام السيادة الوطنية لكل دولة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية والعمل من أجل السلام والتعاون على أساس الكسب للجميع. بينما أكد سمو أمير الكويت على ضرورة تعزيز العلاقات الصينية العربية ومشيداً بتلك العلاقات وداعياً لمزيد من التواجد الصينى فى المنطقة العربية حتى يكون دورها فاعلا من أجل العمل على حل المشاكل بالطرق السلمية .

وصدر البيان الختامى وخطة العمل للفترة القادمة التى شملت جوانب عدة من التعاون والتنسيق السياسى والتعاون الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والتعليمى والعلمى ونقل الخبرات وبرامج التدريب الصينية للخبراء من الدول العربية وأكد حرص الصين على نقل التكنولوجيا للدول العربية وتعزيز الاستثمارات فى إطار مبدأ التعاون والمصالح المشتركة وتبادل المنافع والكسب للجميع .

وأشار البيان إلى طريق الحرير وحزامه البحرى وحرص الصين على مشاركة الدول العربية فى هذه المبادرة المهمة التى أطلقها الرئيس الصينى إثر توليه السلطة عام 2013 وأن هذه المبادرة تهدف لبناء عالم جديد يقوم على السلام والاستقرار والتعاون. ولن نتطرق لكافة نقاط البيان الختامى أو لبرنامج العمل ونكتفى بالإشارة لعدد من الملاحظات ذات الأهمية والصلة المباشرة:

الأولى، التمثيل العربى فى المؤتمر كان كاملا بحضور وزراء خارجية الدول الأعضاء فى الجامعة العربية والأمين العام للجامعة العربية وهذا دليل على الأهمية التى توليها الدول العربية للمصالح المشتركة والسياسة الصينية القائمة على عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى.

الثانية، مشاركة سمو أمير الكويت كضيف شرف لهذه الدورة للمنتدى وهو ما يعطيها ثقلا وأهمية إذ أن الكويت هى العضو العربى فى مجلس الأمن الدولى فى هذه الدورة كما أن سمو الأمير له خبرة كبيرة فى مجال العلاقات الدولية والسياسة الخارجية والداخلية وسبق أن زار الصين. والكويت من أوائل الدول العربية التى ساهمت فى تنمية الاقتصاد الصينى وتعاونت مع الصين فى بناء شركات ومصانع مشتركة وقدمت استثمارات كويتية للصين منذ ثمانينات القرن الماضى.

الثالثة، مشاركة وزير الخارجية المصرى خاصة وأن مصر أول دولة عربية وأفريقية اعترفت بالصين الشيوعية وأقامت معها علاقات دبلوماسية فى 30 مايو 1956 فى الفترة التى كانت الصين تتعرض لحصار سياسى واقتصادى والصين بدورها تقدر ذلك أيما تقدير فقد وقفت مع مصر منددة بالعدوان الثلاثى الذى تعرضت له عام 1956 وكذلك دعمت مصر فى حرب 1973 وكانت مصر من أوائل الدول التى أقامت معها الصين علاقات إستراتيجية عام 1999 ثم تطورت تلك العلاقات لعلاقات إستراتيجية شاملة فى أول زيارة للرئيس عبد الفتاح السيسى لها، والصين دائماً مؤيدة للمواقف المصرية الإقليمية والدولية.

الرابعة، كان لمشاركة وزير الخارجية البحرينى أهمية خاصة فقد أبرز البيان الختامى إدانة الصين للأعمال الإرهابية التى تعرضت لها البحرين كما وقع وزير الخارجية الشيخ خالد بن أحمد بن محمد آل خليفة مذكرة تفاهم تتضمن انضمام البحرين لمبادرة طريق الحرير البحرى. وينبغى أن نشير إلى أن البحرين طرف عريق فى طريق الحرير البحرى منذ الحضارة العباسية فكانت البحرين من الموانئ التى ترسو فيها السفن الصينية فى طريقها إلى الدولة العباسية ثم استكمال طريق الحرير عبر البر إلى دمشق ثم البحر الأبيض المتوسط وبعد ذلك إلى الإسكندرية وإلى شمال أفريقيا أوروبا.

الخامسة، إن الصين وقفت إلى جانب المملكة العربية السعودية فى عام 1986 ببيعها صواريخ باليستية DF3A لدعم أمن السعودية رغم أن السعودية آنذاك لم تكن قد اعترفت بالصين أو أقامت معها علاقات دبلوماسية فى فترة كانت السعودية تعانى من التردد الأمريكى لبيع السلاح المتقدم لها.

السادسة، إن الصين وقفت دائما إلى جوار الحق الفلسطينى ونضال الشعب الفلسطينى وحقوقه المشروعة واعترفت بالدولة الفلسطينية وأقامت معها علاقات دبلوماسية وكان لفلسطين سفير فى الصين منذ الثمانينات.

السابعة، إن كلا شقى مبادرة الطريق والحزام يمران عبر بعض الدول العربية وينطلقان من مناطق فى شمال غرب الصين أو جنوبها الشرقى حيث بعض تلك المناطق بها أقليات إسلامية وتراث عربى إسلامى وهو ما يعزز علاقات الطرفين.

ملـف العـــدد

# فـرص وتحديـات الذكـاء الإصطناعـــى

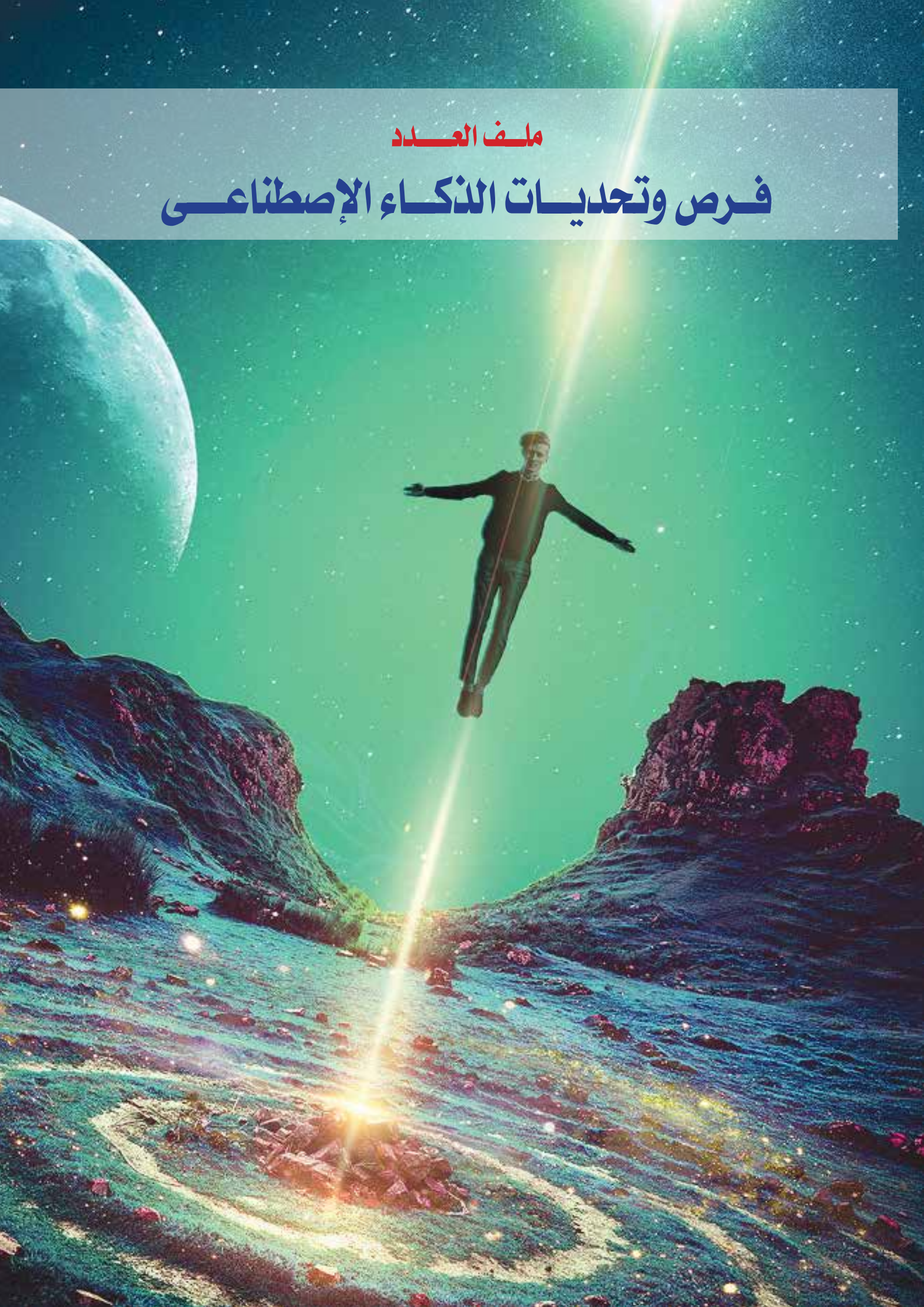

# الذكاء الاصطناعى.. إلى أين؟

**فى الثامن من شـــهر مايو الماضى كشفت جوجل ضمن فاعليات مؤتمرها السنوى، أنها ستركز فى قابل الأيام على تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعى Artificial Intelligence بشكل أكبر وأوسع مما كانت تفعل فى الســـنوات الماضية !! وقالت إن هدفها الأساسى هو تطوير تطبيقات كاميرات التصوير بحيث تصبح قادرة علـــى التفاعل مع البيئة التى تحيط بلقطة التصوير وتحليلها توسيعا لمجال الإبداع الذى يسعى إليه المستخدم للكاميرا ..**

هل يعـــد مثل هذا الهـــدف ضرباً مـــن الجنون ؟؟ أم هـــو إضافة للفكر البشرى؟؟ ..

هذه إشكالية لن تحسمها أيامنا هذه .. ليكن ما يكون، المهم أن هذا الكشف الإخبارى ومـــا ترتب عليه من أســـئلة مشروعة فى معظمها، أعاد إلى الواجهة موجـــات التخوف التى ســـيطرت على ميادين التقنية الفائقة منذ تســـعينات القرن الماضى، والتى تدور فى معظمها حول إمكانية تراجع دور العقل البشرى وما ينتج عنه من ابتكار وتطوير وتحديث لعناصر حياة الإنسان كما نعرفها اليوم، لحساب الذكاء الاصطناعى الذى لا يتوقف عن التقدم حثيثاً فى مضمار التفوق على الذكاء البشرى كما تعارف عليه الفلاسفة منذ أيام أرسطو ..

حكاية الـــذكاء الاصطناعى قديمة.. وضع أول سطورها «النظرية» الأمريكى

**د. حسن عبد ربه المصرى**

drhassanelmassry@yahoo.co.uk

جون مكارثى بين عامى 1955 و1956 حين وصفه بأنه « علم صنع الآلات الذكية وهندســـتها».. أما تطبيقاتـــه التجارية فظهرت لأول مرة عام 1997..

ومنذ ذلك الحيـــن توافق فريق من العلماء على أن الذكاء الاصطناعى هو « المجال العـــام الذى يغطى كل ما يتعلق بطرق إكســـاب الآلات صفـــة «الذكاء» الذى يســـاعدها على «محـــاكاة قدرات التفكيـــر المنطقى عند الإنســـان» وما ينجـــم عنه من برامـــج تطبيقية تجعله قادراً على بلوغ مستوى القدرات الذهنية البشرية، ومزاحمتها على مستوى التعلم والاستنتاج والقيام برد الفعل الموائم»..

فتح هـــذا التعريف المجـــال أمام مؤسســـات التقنية فـــى مختلف أنحاء العالم للتنافس بهـــدف وضعه موضع التنفيذ!! وسرعان ما طرحت علينا أنظمة ذكية استوعبت البيئة التى حولها ويسرت للعديد منها تطويـــر تقنيات الكمبيوتر والهواتف الذكية وتشـــغيل الآلات التى تخدم الحياة اليومية للإنسان على مدار الساعة..

يمكننـــا القول إن تقنيـــة «التعليم العميق» تُعد اليوم من أبرز مظاهر هذه التطبيقـــات.. لماذا؟؟ لأنهـــا تركز على

تطوير شبكات صناعية تحاكى فى طريقة عملها « أسلوب الدماغ البشري» فيما يتعلق بأمرين على جانب كبير من الأهمية..

الأول.. القدرة على التجريب والتعلم..

والثانى.. القدرة على تطوير إمكانياتها الذاتية..

دون تدخل من خارجها، أى من جانب الإنسان المنافس لها!!

وبرهنت آلاف التجارب التى أجريت من خلال هذه التقنية فى أكثر من عشرين مؤسسة فى عدد من كبريات الدول، قدرة هذه التقنية على التعرف- بلا مجهود ضخم- على الصور وفهم الكلام المنطوق والترجمة من بعض اللغات إلى أخرى.. مما حفز أكبر الشركات الأمريكية على استثمار ملايين الدولارات «لتكثيف الأبحاث وتطويرها» برغم التحذيرات عالية الصوت التى حذرت ومازالت تحذر من عواقب تطوير إمكانات الذكاء الاصطناعى لما يمثله ذلك من تهديد مباشر «للبشرية»..

فى مقابل هذا التكثيف «غير الواعى أو المتهور» كما يصفه البعض من أمثال عالم الفيزياء الشهير ستيفن هوكينج ومناداة البعض الآخر بالإبقاء على « مستوى الغباء» الذى يميز أجيال الروبوتات كما نعرفها اليوم «حتى لا نستحضر الشياطين».. عمد الكثير من العقلاء إلى الاستثمار فى مجال معاكس بهدف الكشف عن المخاطر المحتملة للذكاء الاصطناعى وكيفية التعامل معها..

التفوق حتى الآن للفريق الأول.. حيث تتطور تقنيات الذكاء الاصطناعى التى يرعاها بسرعة هائلة!! وها هو عالم جامعة تورنتو الأشهر جيوفرى هينتون يُمكن الروبوت من هزيمة بطل العالم فى لعبة الشطرنج بعد أن صمم البرنامج المعروف باسم «الفاجو».. فى نفس الوقت ساهم عدد من الخبراء فى تطوير الخدمات التى تقدمها شركة جوجل لمستخدمى هواتفها فأصبحت قادرة على «فهم واستيعاب أوامر مستخدميها» ومن ثم تنفيذها فى وقت قياسى إلى جانب القيام بـ « ترجمة فحوى اللافتات» التى تصادفهم على طول الطرق التى تربط بين البلدان التى يمرون عليها أثناء تنقلهم فيما بينها، الأكثر من ذلك أنها ساهمت مؤخراً فى تعزيز وتوسيع دائرة «مهارات» محرك البحث الخاص بجوجل الذى يعد مفخرة الشركة العملاقة..

أما على مستوى الفيس بوك، فقد وفر التعليم العميق لخبرائها مهارات منح مستخدمى شبكة التواصل الاجتماعى الفرصة للتعرف على الصور وفرز الأخبار وتنقيتها لاختيار المضمون الإخبارى الذى يناسب كل منهم ..

يؤكد هذا الفريق أن التحديث الذى يجريه من يوم لآخر فى أبحاث الذكاء الاصطناعى فتح المجال لتطبيقاته لأن تكون مُشاركة بشكل أو بآخر في:

- عمليات الفرز والتصنيف والتعرف على الفوارق بين المكونات المعلوماتية.
- ترتيب المجموعات المعلوماتية وفق نسق يساعد المتخصصين على اتخاذ القرار الصحيح فى الوقت المناسب للحالة أو للأزمة التى هم بصددها..
- تطوير العديد من البرامج ذات الصلة بتحسين أداء الإنسان الآلى لتوسيع محيط مشاركاته الناجحة فى مصانع إنتاج السيارات وفى المفاعلات النووية ومد الأسلاك التحت أرضية وكشف وتدمير الألغام ..
- تحديث إمكانيات برامج الكمبيوتر من حيث السعة والاستجابة للأوامر خاصة فيما يتعلق بفهم العدد الأكبر من مكونات عدد من اللغات المختلفة، وفى تحليل البيانات المتعلقة بالبورصات المالية..
- القدرة على تمييز الأشكال والوجوه والأصوات، والتعرف على الكتابة اليدوية ومدى توافقها مع القواعد اللغوية..
- منافسة الإنسان فى عدد من الألعاب الذهنية التى تتطلب مستوى مرتفع من المهارة والذكاء..

هذا التحديث المتنامى فتح الباب أمام الذكاء الاصطناعى لكى يكون مشاركاً فعالاً بنسبة أو بأخرى فى المجالات العسكرية والميادين الصناعية والاقتصادية ودوائر التقنيات والتطبيقات الأكاديمية والطبية.. كما حوله إلى حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها فيما يتعلق بنتائج تطبيقاته فى الحقول التى أشرنا إليها..

من حق البعض أن يتباهى بالمستوى الذى وصل إليه الذكاء الاصطناعى وما يتوقع البعض أن يصل إليه فى ضوء ما تحقق من نتائج معظمها إيجابى حتى اليوم خاصة فى مجال التسهيلات الأكاديمية التى أضحى قادراً على توفيرها بشكل مباشر للطلاب لفهم المحاضرات التى انتهوا من الاستماع إليها.. أو فى مجال المساعدات التى بات قادراً على تقديمها للجراحين داخل غُرف العمليات..

وأيضاً من حق آخرين أن يواصلوا التحذير من التطويرات المستقبلية المتوقعة التى يتغنى لها المناصرون لتحديث هذا العلم الذى يجمع بين النظرية والتطبيق، باعتبارها من أعظم المخاطر التى تهدد الجنس البشرى ووجوده..

لكل فريق حججه التى يعمل على تأكيدها مدافعا عن وجهة نظره..

بعيداً عن هؤلاء وهؤلاء يمكن توزيع الآخرين كما يلي:

1- جبهة خبراء الصناعة ورجالات الاستثمار الذين يتطلعون إلى الاستحواذ على كل ما سيأتى به «غد الذكاء الاصطناعي» لتطوير صناعاتهم وتوسيع آفاق الاستثمار أمامهم، خاصة على مستوى الخدمات والصناعات التركيبية والتحويلية..

2- تحالف النقابات العمالية التى تقف بالمرصاد لكافة محاولات تقليص عدد العمالة عالية التدريب لحساب الريبوتات وآلات الإنتاج فائقة الذكاء، والتى تبذل مراكز الإنتاج الصناعى كل ما فى طاقتها لكى توظفها بدلاً من العامل البشرى الذى يطالب بحقوقه بما فيها حق الإضراب، بينما تلك لا تطالب بمثل هذه الأمور بما فى ذلك العلاوات الدورية والأجازات السنوية..

3- الناس العاديون، وهم الغالبية العظمى الذين يتحسس الكثيرون منهم مستقبل أيامهم فى ضوء ما ينشر بشكل عفوى حول التطورات التى تلحق بالذكاء الاصطناعى وما سيترتب عليها من الاستغناء عن «الملايين» من الموظفين الاعتياديين حول العالم خاصة المتقدم والنامى خلال سنوات معدودة..

هل تتوسع هذه الجبهات فى قابل الأيام بحيث تطغى إحداها على الأخرى؟؟

هذا هو ما ستجيب عليه وقائع الصراع بين الذكاء الاصطناعى والذكاء المخلوق فينا!! إما حسماً لقدرة البشر على تطويع ذكاء الآلة لخدمة أهدافها الإنسانية بعيدا عن التخريب والتدمير بلا تمييز.. وإما استسلاماً لما صنعت أيدينا وما نجم عنه من تجبر واستقواء!!.

# عصر الذكاء الاصطناعى والتحول الرقمى

**جاءت مناقشة قضية «مصر دولة معلوماتية» خلال انعقاد المؤتمر السادس للشباب فى جامعة القاهرة، لتكشف مدى الاهتمام الذى توليه الدولة المصرية على مستوى القيادة السياسية والمؤسسات والشركات لدخول عصر الثورة الصناعية الرابعة، والاستفادة من تطبيقات الذكاء الاصطناعى، والتى لا تتم إلا من خلال توفير البيئة الحاضنة للتحول الرقمى سواء على مستوى البنية التحتية المعلوماتية أو على مستوى المدن الذكية والتطبيقات الإلكترونية أو على المستوى التشريعى والثقافى والاقتصادى.**

## الثورة الصناعية الرابعة تتيح فرصاً غير مسبوقة

شكلت عملية التحولات الرقمية والعلمية التى يمر بها المجتمع الدولى إرهاصات لثورة جديدة فى مجال الإنتاج وأسواق الأعمال والعلوم والطاقة والمجال الحيوى والصحى والاقتصادى، وأصبح لتلك المتغيرات دون شك تداعيات على المجتمع والدولة وأثر فى مفاهيم السيادة والقوة.

وعلى الرغم من أن الثورات الصناعية السابقة جاء معها زيادة فى الثروة والدخل وتحسين أنماط حياة البشر، إلا أن الثورة الرابعة التى يمر بها المجتمع الدولى جاءت بخصائص فريدة منذ بدايتها فى مطلع القرن الحادى والعشرين، والتى انطلقت من البناء على ما سبق إليه العلم من تطور فى تكنولوجيا الكمبيوتر والإنترنت كما فى الثورة الصناعية الثالثة، والتى ظهرت فى الستينات من القرن العشرين، وفى حين بدأت الثورة الصناعية الثانية فى نهاية القرن التاسع عشر مرتكزة على اختراع الكهرباء، بينما كانت الثورة الصناعية الأولى معتمدة على الانتقال من الفحم إلى المحرك البخارى فى القرن الثامن عشر.

وتتميز الثورة الصناعية الرابعة بأنها تجمع ما بين البعد المادى والآخر ذى الطبيعة الرقمية، ودمجهما فى التطور البيولوجى، ويتحول ذلك فى شكل تطبيقات خاصة بكافة مجالات الحياة.

حيث يتم الدمج بين العلوم الفيزيائية أو المادية بالأنظمة الرقمية والبيولوجية

**د. عادل عبد الصادق**

**مدير مشروع المركز العربى لأبحاث الفضاء الإلكترونى**

**adelsadek@hotmail.com**

فى عمليات التصنيع عبر آلات يتم التحكم فيها إلكترونياً وآلات ذكية متصلة بالإنترنت مثل الطباعة ثلاثية الأبعاد، والذكاء الاصطناعى والروبوتات وغيرها.

ويتم ذلك فى سرعة وتعقيد. وما بين تعزيز التداخل بين ما هو خارجى وداخلى وما هو خاص بالدولة وما هو خاص بالسكان، وما بين الفاعلين من الدول والآخرين من غير الدول، وبخاصة مع تعزيز قدرة الشركات على اتساع أسواقها وهيمنتها فى مقابل السيادة التقليدية للدولة.

وتتطور الثورة الصناعية الرابعة فى شكل طفرات هائلة للنمو وليس بصورة خطية، ومن الفرص التى تتيحها، العمل على تحقيق معدلات نمو عالية فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية، وتحسين ورفع مستوى الرعاية الصحية، واختصار الكثير من الوقت فى عملية التطور وانتشار المنجزات فى مناطق متعددة، وخفض تكلفة الإنتاج وتأمين الخدمات وتسهيل وسائل النقل والاتصال بشكل أكثر كفاءة وأقل تكلفة، وفتح أسواق جديدة وتحفيز النمو الاقتصادى، وتطبيقات الروبوتات والذكاء الاصطناعى، والعمل على جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة.

ومن أهم سلبيات الثورة الصناعية الرابعة، هيمنة الشركات الكبرى على الإنتاج الصناعى، والتهديد باختفاء الكثير من الوظائف وفرص العمل بنسبة 50٪، والمساهمة بشكل غير مباشر فى عدم المساواة واتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء، والتحديات التى يواجهها المجتمع مع إعادة الهيكلة الاقتصادية والاجتماعية وتحمل نتائج تغيير القيم الثقافية والاجتماعية.

## ملامح التغيير فى الأنماط والسلوك

فرضت خصائص الثورة الصناعية الرابعة أهمية فهم طرق التعامل مع متغيراتها على النحو الذى يعمل على توظيف القدرات والمهارات والتى أصبحت فى سوق عالمى مفتوح، يرتكز على الجودة والثقة كمعيار للبقاء فى الحالة التنافسية الشديدة سواء فى تطبيق الأفكار والإبداع أو من خلال التطوير والتحسين المستمر فى المنتجات. وفرض ذلك أمام أصحاب الأعمال أو الشركات التعامل مع السوق العالمى وليس التفكير فقط فى السوق المحلى.

وتلعب البيانات دوراً إستراتيجيا

فى تعزيز القـــدرة على تطبيقات الذكاء الاصطناعى فى إطار ما يطلق عليه «هرم المعرفـــة» المكون مـــن خمس مراحل أساسية، هى مرحلة ما وراء البيانات ثم مرحلة البيانات ثم مرحلة المعلومات ثم مرحلة المعرفة ثم مرحلة الحكمة، وهى مراحل التقدم الإنسانى لأى مجتمع ينتقل من مرحلة التخلف إلـــى التقدم والإبداع والابتكار.

ولما أصبحنا نعيش فى عالم السرعة حيث أصبحت التفاعلات تقاس بالثوانى والتدفق المتسارع للبيانات والمعلومات فى عالم مفتوح، ومن ثم فإن الصراع ليس فقط فى إنتاج الأفكار بل فى القدرة على تطبيقها وتحويلهـــا إلى منتج، وخاصة فى ظل تقليـــص الزمن الذى يفصل بين مرحلة التصميم والإنتاج والتوزيع.

أصبحـــت عملية تقديـــم الخدمات المميزة والمتجددة والقابلة للاســـتجابة لـــردود الأفعال وخدمـــة العملاء بطرق مبتكرة، أصبحت صفـــة مميزة لعصر الثورة الصناعية الرابعة، ويأتى ذلك مع أهمية الاهتمام بالإبداع والابتكار وهو ما يتطلب أن يتم الاستثمار بشكل كبير فى تنمية المهارات البشرية وبخاصة مهارات «التفكير النقدي» و«حل المشـــكلات»، وهو قد يتم داخل مؤسســـات التنشـــئة الاجتماعية والتعليميـــة، وتنمية مهارات التشبيك والتعاون والقيادة والنجاح فى التأثير فى الآخرين.

ويفـــرض ذلـــك أيضـــاً أن تتمتع المؤسســـات المعنية بالهيكل التنظيمى المرن القابل للاستجابة السريعة ووضع أســـس للترقية بناء على الإبداع والقيمة المضافة وذلك من قبيل أن عملية نجاح الأعمال أصبح يتطلب قيادة ذكية وحكيمة قادرة على صنع المستقبل.

## الذكاء الاصطناعى.. ما الذى تغير؟

يعد الـــذكاء الاصطناعـــى من أهم إرهاصات الثـــورة الصناعية الرابعة لما له من تطبيقـــات عديدة وإن كان الذكاء البشرى يعنى بالقدرات العقلية كالقدرة على التكيف مع ظروف الحياة والاستفادة من التجارب والخبرات السابقة والتفكير والتحليل والتخطيط وحل المشـــكلات والاستنتاج السليم والإحساس بالآخرين بالإضافة إلى ســـرعة التعلم واستخدام ما نتعلمه بالشـــكل الســـليم والمفيد، وارتبط كل ذلك بقـــدرات المخ والعقل البشـــرى والتى ترتبط بالحالة النفسية والجسمانية.

وعلـــى النســـق ذاته فـــإن الذكاء الاصطناعـــى يحـــاول أن يحاكى ذكاء الإنســـان وفهم طبيعته عن طريق عمل برامج الكمبيوترات فى محاكاة السلوك الإنســـانى، ويســـتخدم فـــى المجالات العســـكرية والصناعيـــة والاقتصادية والتقنية والطبيـــة والتعليمية والخدمية وغيرهـــا. من أهـــم خصائـــص الذكاء الاصطناعـــى، أنه عبارة عـــن مجموعة برمجيات وليس جهـــازاً كهربائياً حيث أنه يهدف لتصميم آلة قادرة على تحقيق هدف معين بطريقة مشـــابهة أو تتعدى قدرة الإنســـان، والتى تكون غالباً عبارة عن خوارزميات تعمـــل على كمبيوتر أو مجموعة كمبيوترات.

يتشـــكل الـــذكاء الاصطناعى من مجموعـــة أهـــداف وقـــدرات مختلفة والتـــى تشـــمل القـــدرة علـــى التعلم Machine Learning، والقـــدرة على تنظيـــم العلوم وفهمهـــا Knowledge Representation، والقـــدرة علـــى تحليل اللغـــة، والقدرة على فهم الصوت Speech Recognition، وفهم وتحليل الصور والفيديـــو Computer Vision، حل المشاكل، الإبداع، التعامل العاطفى والمجتمعـــى، تحريـــك الروبوتـــات، الذكاء العام ويشـــمل القيام بجميع ما ســـبق، بالإضافة للذكاء الخارق Super Intelligence.

وهو ما يظهر فى تطبيقات السيارات ذاتية القيادة، والطائـــرات بدون طيار «الدرون»، والروبوتات، والتحكم اللاخطى كالتحكم فى السكك الحديدية، والأجهزة الذكية القادرة على القيـــام بالعمليات الذهنية كفحص التصميمات الهندســـية واختبار الجودة، والمحـــاكاة المعرفية لاختبار النظريات المتعلقة بعمل العقل البشرى والوظائف كالتعرف على الوجوه والأصوات والصور واستخلاص البيانات.

ويكون للذكاء الاصطناعى تطبيقات فى المجالات الطبية فى تحليل تسلسلات الجينـــوم البشـــرى للتنبـــؤ بالطفرات والوقاية من الأمراض. وروبوتات النانو والتـــى يمكن إدخالها إلـــى مجرى الدم لإعادة برمجـــة الجينات أو العمل كخلايا دم بيضـــاء فائقة الذكاء بمـــا يعزّز من الحفاظ على حالتنا الصحية.

ويلعب الذكاء الاصطناعى دورا فى تحليل البيانات الاقتصادية وفى محركات البحث، وفى الألعـــاب الإلكترونية، وفى مجالى التسويق والإعلان والصحافة، إلى جانب خدمات انترنت الأشياء، وفى مجال صناعة الأســـلحة الحربيـــة وغيرها من التطبيقات التى أصبحت تتكاثر وتتداخل فى العديد مـــن الوظائف. ويعتبر قطاع الحكومات مكانًا مثاليًّا لتطبيقات الذكاء الاصطناعـــى، وفى تطويـــر العديد من برامج الحكومـــة الإلكترونية وفى تقديم الخدمات الحكومية للمواطنين بســـهولة ويسر.

# عصر الذكاء الاصطناعى والتحول الرقمى

وتفوق الاستثمارات فى مجال الذكاء الاصطناعى على المستوى العالمى ما يتم استثماره فى مجال التنقيب عن النفط، ومن المتوقع أن يضيف الذكاء الاصطناعى عام 2030 إلى الناتج المحلى الإجمالى العالمى أكثر من 15 تريليون دولار أى ما يبلغ 10 أضعاف مبيعات النفط عالميا.

## تطبيقات الذكاء الاصطناعى والسياسة الخارجية

تتجه العديد من الدول إلى توظيف الثورة الصناعية الرابعة فى مجال الحكومة الإلكترونية وبخاصة فيما يتعلق بالشئون السياسية والخارجية، حيث تبلور ما بات يعرف بالدبلوماسية الرقمية من خلال توظيف تلك المعطيات فى عملية صنع القرار وإدارة الشئون الخارجية، وتهدف عملية دمج الذكاء الاصطناعى وعالم الدبلوماسية إلى استخدام الروبوت بهدف تحسين العمل السياسى وتعزيزه، حيث تكون الدبلوماسية السياسية أشبه بلعبة الشطرنج من حيث خطوات محددة. فعندما تقوم دولة بخطوة أو تحرك تستجيب لها الدولة الأخرى، والهدف النهائى هو الفوز كحال اللعبة المحببة للأذكياء. ويجرى استخدام شبكة الإنترنت وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات للمساعدة على تنفيذ أهداف الدبلوماسية، وتسخير تطبيقات الذكاء الاصطناعى فى التواصل مع الجمهور بهدف خلق بيئة تمكين للسياسة الخارجية.

وتساعد تطبيقات الذكاء الاصطناعى فى سرعة نقل المعلومات بين الداخل والخارج، وتعزيز التواصل مع الفاعلين من غير الدول كفاعلين دبلوماسيين وبشكل يمكنهم بأن يكون لهم دور أساسى فى العلاقات الدولية، والتى من أهم ملامحها أن الدولة لم تعد الفاعل الوحيد فى صنع السياسة الخارجية وأصبح إلى جانبها فاعلون آخرون يقومون بالعديد من المهام الدبلوماسية. وقد أدى ذلك إلى تطوير عمل أجهزة إدارة الشئون الخارجية لدول العالم، وأدى أيضاً إلى بروز دور قوى للقوة الناعمة فى العلاقات الدولية وتطور فى إدارة الأزمات الدولية ومنع الصراع الدولى وبشكل متطور فى إدارة التفاعلات الدولية، وتعزيز فرص تطبيقات نماذج المحاكاة فى معالجة الأزمات الإنسانية والدولية.

وتطور ذلك إلى توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعى فى المجال العسكرى، وهو ما يكون له عظيم الأثر فى طرق قيادة الجيوش الحديثة والتغير فى طبيعة التوازن العسكرى، فهناك تنافس شديد بين الدول الكبرى فى النظام الدولى للاستحواذ على السبق فى هذا المجال، وعلى سبيل المثال هناك تسابق محموم بين الصين والولايات المتحدة حيث أنه بالرغم من ريادة الولايات المتحدة إلا أن الصين وضعته على رأس أولوياتها من خلال إعلانها «خطة تطوير الجيل الجديد من الذكاء الاصطناعي»، والتى تهدف إلى «قيادة العالم» فى مجال الذكاء الاصطناعى بحلول عام 2030. فقد أحدث الذكاء الاصطناعى تحولاً من الحرب «المعلوماتية» إلى «المطورة بالذكاء»، ليصبح الذكاء الاصطناعى فى مركز النزاعات المستقبلية، وأصبحت العقول البشرية المعززة بالذكاء الاصطناعى أقوى بكثير من برامج الذكاء الاصطناعى مُنفردة.

## فرص واعدة للاستثمار فى المستقبل

إن عملية بناء المشروع الوطنى للتحول الرقمى ومواجهة تحديات العصر الرقمى تتطلب العمل على تبنى استراتيجية وطنية يشارك فى صياغتها وفى تنفيذها كافة المعنيين من الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المدنى وغيرهم من أصحاب المصلحة، وذلك لما فى ذلك فائدة فى تحقيق الأهداف الانمائية للأمم المتحدة بحلول عام 2030.

وتشمل عمليات التحول الرقمى العمل على بناء بنية تحتية معلوماتية ومدن ذكية وتطبيقات إلكترونية إلى جانب العمل على تعزيز السياق العام لعملية التحول من خلال التحديث التشريعى والثقافى ومواجهة الآثار الاجتماعية.

ومن الضرورى الاستفادة من المزايا النسبية التى حققتها مصر فى مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات إلى جانب الخصائص السكانية والتى تحوى نسبة كبيرة من الشباب ومن الدارسين والمتدربين فى مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ناهيك عن امتلاك مصر ثروة طبيعية هائلة تمكنها من تصنيع السليكون من رمالها الممتدة بما يخدم على تنمية الصناعات الإلكترونية إلى جانب رخص تكلفة العامل مقارنة بغيره، وحظيت مصر على المركز التاسع عالميا فى مجال الأمن السيبرانى، وتحتل مصر المركز الثانى عالميا فى مرور الكابلات البحرية من خلال مياهها الإقليمية وقناة السويس والتى تمر من خلالها البيانات والمعلومات والاتصالات.

وهناك فرص العمل على إطلاق برامج لبناء القدرات الوطنية وإصلاح المناهج التعليمية وأن يرتبط التعليم بالثورة الصناعية الرابعة، وتعزيز التقدم فى مجال الشمول المالى والاستثمار فى البنية التحتية الأساسية، والتوسع فى الأبحاث التطبيقية والاهتمام بالإبداع والابتكار كركيزة أساسية فى الولوج إلى الاقتصاد الرقمى، وهى الأمور التى باتت أساساً لدعم عملية الدخول فى الاقتصاد الرقمى وتملك آليات إنتاج وحماية الابتكار والإبداع، والذى أصبح ممهداً للذكاء الاصطناعى، وأهمية ذلك فى تعزيز قدرة مصر على الدخول فى مضمار الثورة الصناعية الرابعة، والتى أتاحت الفرصة لأول مرة للدول الصغرى فى النظام الدولى بأن يكون لها دور بعيداً عن متطلبات القوة القومية التى ارتكزت على العناصر التقليدية المرتبطة بالمساحة والموارد الطبيعية وقوة الجيش وعدد السكان، وأصبحت تعلو معها قيمة الكيف عن الكم، وقيمة الذكاء عن التقليد. وبجانب التطور فى مجال استخدام العقل البشرى فى الإبداع والابتكار، فقد تمكن هو ذاته من إيجاد ذكاء اصطناعى مواز له يعمل على تسهيل حياة البشر ويعزز فرص الإنتاج، والقدرة على بناء دولة رقمية قادرة على تعزيز مكانتها العالمية وحماية أمنها القومى وقيادة التغيير فى الداخل والخارج بما يخدم المصلحة الوطنية والأهداف القومية.

## تحول علمى ضخم

# ثورة الذكاء الاصطناعى

**أصبحنا أمام تحول حضارى جديد يفوق فى أهميته التحول من مرحلة الصيد إلى الزراعة والتحول من الزراعة إلى الصناعة، فالمعرفة البشرية تتضاعف مرة كل عشر سنوات، وبالتالى فقد خلف العقد الأول من الألفية الثالثة معرفة علمية تفوق ما حققته البشرية من إنجازات خلال العشرين قرناً السابقة، خاصة وأن قدرات الكمبيوتر تتضاعف مرة كل 18 شهرا بعد أن كانت مرة كل عامين، بينما تتضاعف قدرة الإنترنت مرة كل عام، وتتضاعف سلاسل الـ DNA التى يمكننا تحليلها مرة كل عامين، وتتغير الصناعات بما يبشر باختفاء 200 وظيفة من الوظائف الحالية، وتشير المؤشرات إلى استقبال انترنت الأشياء والإنترنت الفضائى خلال فترة وجيزة قد لا تتجاوز عامين.**

**سفير د.عزمى خليفة**

azmyhkhalifa@gmail.com


هذه الثورة العلمية غير المسبوقة استفادت أساساً من تطورات علم الفيزياء وتحديداً من نظرية الكم أو الكوانتم وإنجازاتها التى تمثلت فى ظهور التليفزيون والتليفون المحمول والشبكة العنكبوتية للمعلومات والرادار والقنبلة الذرية وفك شفرة الدى إن إيه، وفحص الجسم البشرى بالرنين، والتشخيص وإجراء العمليات عن بعد، وتطوير الأشعة، وتصميم الإنترنت. هذه الثورة تستند إلى ثلاثة مجالات علمية هى الكمبيوتر أو الثورة المعلوماتية، وثورة النانوتكنولوجى، وثورة البيوتكنولوجى وهى ثلاث ثورات متكاملة علمياً ومتساندة وظيفياً ويصعب الفصل بينها وهدفها تأكيد ترابط العقل والمادة والحياة اليومية، وهذه الثورات العلمية الثلاث ليست الأساس العلمى للكشف عن أسرار الطبيعة والتقدم فقط ولكنها أساس توليد الثروة والاقتصاد والازدهار لمختلف دول العالم أيضاً، باعتبارها جوهر دراسة الإليكترونات الدقيقة، والتكنولوجيا الحيوية، وصناعات المواد الجديدة، والاتصالات، والطائرات المدنية، والإنسان الآلى، والبرمجيات التى تدير حياتنا اليومية.

### الذكاء الاصطناعى وتحولات القوة

الذكاء الاصطناعى يضم آخر مجالين من المجالات المشار إليها أعلاه أى الإنسان الآلى والبرمجيات، وهما مجالان تطورا نتيجة تحول القوة بتأثير دخول المعلومة كمكون رئيسى من مكوناتها، بل أهم مكوناتها فى نهاية ثمانينات القرن العشرين، فقد بدأت القوة تاريخياً مستندة إلى العنف منذ أن قتل قابيل شقيقه هابيل، واستمرت مستندة إلى العنف فقط طوال عصر الصيد ولذا ظهر فعل أخذ قبل فعل أنتج فى اللغة، واستمر هذا الوضع بالانتقال إلى الحضارة الزراعية والاستقرار، بل إن أدوات هذا العصر مثل المحراث والفأس والمنجل والسوط تشير إلى العنف بنفس قدر إشارتها للإنتاج، وكان استمرار استخدام العبيد حتى عشرينات القرن الماضى تجسيداً للعنف فى الحضارة الصناعية، التى استمر العنف فيها أساساً للقوة، ويشير إلى ذلك الخطف والسلب والنهب وقطع الطرق والقرصنة البحرية والاستيلاء على أراضى الغير مستخدمين عزوة العائلات الأكبر ضد ضعف العائلات الأصغر أولا ثم استعمار دول لأخرى، ووصل الأمر إلى استخدام الجريمة المنظمة فى كثير من الأحيان لتكوين الثروات. وبالرغم من استمرار العنف الصريح حتى ثلاثينات القرن العشرين فقد استمر كوسيلة لتنفيذ القانون والتقاضى وكوسيلة لجنى وتكوين الثروات ولكنه أصبح عنفا غير مباشر ونتيجة دخول الثروة نفسها كمقوم من مقومات القوة، ونتيجة أن العنف الخاص تم إحلاله بالعنف الرسمى باعتبار أن الدولة من حقها استخدام العنف بصورة رسمية فلا يمارسه إلا جيشها وشرطتها وقضاؤها وفى كثير من الحالات كان رأس المال يسيطر على السلطة السياسية أى على الدولة نفسها، إضافة إلى أن تنفيذ القانون كان يعنى ببساطة إعلاء أهمية العنف، كما أن قيام شركة برفع قضية ضد أخرى كان يعنى أنها تطلب من الدولة استخدام قوة القانون ضد هذه الشركة وهو ما عبر عنه الجنرال ديجول بقوله: «يجب أن تكون القوة فى جانب القانون دائماً». ومع نهاية القرن العشرين تبدلت وظيفة وشكل العنف فى الدولة بتأثير الثورة العلمية، ولهذا اتجهت جميع المجتمعات الصناعية نحو زيادة الربحية، وأصبح تراكم الثروة هاجساً فى العصر الصناعى يسعى إليه الجميع، وبالتالى أدى ظهور الدولة القومية الصناعية إلى احتكار العنف وزيادة تركزه فى قطاعات معينة، كما أدت إلى سمو العنف فى صورة القانون وإلى اعتماد متزايد

# ثورة الذكاء الاصطناعى

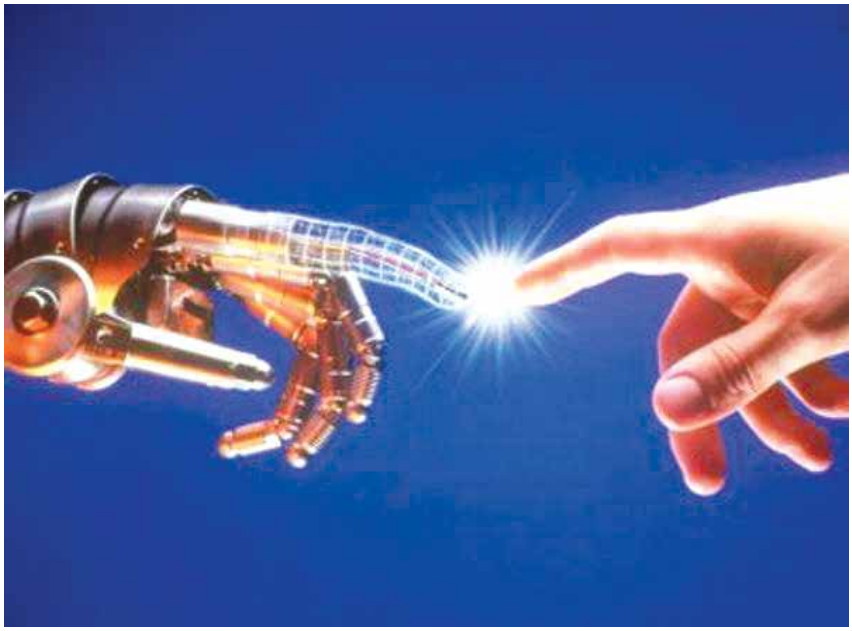

للجماهير على الثروة أو المال، وقد أدت هذه التغييرات الثلاثة إلى تولد اتجاه عام لدى الشركات الكبرى لاستخدام الثروة لتحقيق أهدافها بدلا من العنف الصريح والضمنى الذى ساد فى العصور السابقة على العصر الصناعى وكان هذا إيذاناً بتغير علاقات القوى نتيجة تغير طبيعة العنف والثروة وزيادة أهمية المعلومة، فقد أدى هذا التحول إلى ظهور نظام جديد وتحولات واسعة فى طرق الإنتاج تؤثر بشكل مباشر على شكل الدولة القومية وتوزيع القوة فى داخلها، وعلى شكل النظام الدولى وتوزيع القوة فيه أيضاً، ومن ثم فهذه الطرق الجديدة للإنتاج تقودنا إلى صيغ تنظيمية جديدة محلية وإقليمية وعالمية للإنتاج فى آن واحد، كما أنها ستؤثر بصورة مباشرة على العمالة الموجودة فتحولها من «عمالة صناعية» إلى «عمالة معرفية» والخلاصة فى هذا المجال أن القوة أصبحت ناتجاً أساسياً للمعلومة – إلى جانب العنف والثروة اللذين تحولا إلى ظاهرة رمزية – ومن ثم فإن تزايد الاعتماد على قوة السيبر أصبح ضرورة ملحة رغم كل المحاذير التى ارتبطت بتطوير الروبوت والإنسان المعزز للخشية من احتمالات عدم السيطرة عليه مستقبلاً.

## الذكاء الاصطناعى وحياتنا اليومية

من إجمالى 4 تريليونات دولار متداولة داخل السوق الأمريكية حوالى 10% منها فى شكل نقود مخزنة فى البنوك وفى جيوب السكان ومتداولة فى السوق والباقى عبارة عن بطاقات ذكية، وهذا الاتجاه لتحول القوة والثروة إلى شئ رمزى يتزايد فى العالم أجمع نتيجة دخول المعلومة إلى مكونات القوة إلى جانب العنف والثروة، ولذا يسود اعتقاد عام بأن الذكاء الاصطناعى لن يمكن الاستغناء عنه فى المستقبل، بل إن الاتجاه الحاكم فى الثورة العلمية الحالية سيكون الاعتماد بشكل كبير على تطبيقات الذكاء الاصطناعى. ونظراً لاتساع المجالات التى يمكن فيها تطبيق الذكاء الاصطناعى من التعليم إلى الأمن إلى الصناعة إلى الزراعة إلى التجاره إلى الحياة اليومية فقد يكون من المناسب تحديد مجال واحد وتأكيد علاقته بقوة السيبر مثل الأمن القومى للدول باعتباره مجالاً مهماً لمصر فى الوقت الراهن. ونظراً لأن التغيير شمل أنماط الحياة وطرق التفكير ونماذجه، وتحقيق أساليب جديدة من التنمية، وزيادة تعقيد الظاهرة السياسية بشقيها المدنى والعسكرى على السواء فقد طرأت تغييرات عديدة على التحليل السياسى وأساليبه، وتمثل التغيير الأكبر فى اتباع المناهج اللاخطية مثل نظرية الفوضى والفوضى الحديثة والتحليل الشبكى ونظرية النظم الدينامية وما تتطلبه من بناء النماذج الواقعية، والدراسات المسحية بمختلف أنواعها، والدراسات الاستطلاعية وما يرتبط بها من تحليلات كمية وكيفية. ولدراسة العلاقة بين الذكاء الاصطناعى والدولة التى تغيرت وظيفتها بتأثير التحول إلى التفاعل السياسى اللحظى وزيادة التشبيك فيها على المستوى الشعبى والتنظيمى، واكتساب السياسات الداخلية أبعاداً عالمية نتيجة اكتشاف أن عدداً من المشكلات العالمية مثل اللاجئين والتنمية الاقتصادية وتدهور الخدمات المقدمة للمواطنين فى دول بعينها والهجرة غير الشرعية والإرهاب على سبيل المثال ترجع إلى اتباع بعض الدول سياسات داخلية خاطئة، مما أدى بالتالى إلى تغير مفهوم الشرعية من الشرعية التاريخية إلى الشرعية القانونية أو الدستورية، وأخيرا إلى شرعية المستقبل أو شرعية الإنجاز للمستقبل وعدم تحميل الأجيال القادمة أى أعباء جديدة. وكان التأثير المباشر للشعوب على الدول والنظم السياسية من خلال ظهور نمط جديد من الحركات الاجتماعية يتسم بعدم وجود قيادة أو تنظيم أو أيديولوجية مما دفع بالباحث اصف بياتى لإطلاق عليها مفهوم اللاحركات الاجتماعية والذى لم يدركه اصف وغيره من أساتذة علم الاجتماع أن الظاهرة السياسية ازدادت درجة تعقيدها وتنوعت بشكل كبير وتحكمت فيها المعلومة بالدرجة الأولى مع تحولات فى طبيعة العنف والثروة، وظهرت أهمية تطبيقات التواصل الاجتماعى التى تعد فى جوهرها وكالات أنباء شخصية فى يد المواطن والدولة على السواء للتفاعل مع الخطاب السياسى الذى تطرحه الدولة والذى يبدى فيه الشعب راية عبر هذه المواقع ومن ثم فقد تحول التفاعل السياسى إلى تفاعل لحظى يتناول المواطنة والعالمية، والعنف والديمقراطية التى انتقلت من النيابية إلى التشاركية، وتحديد قيمة الإنتاج وأسلوب توزيعه. هذه الحركات الاجتماعية الجديدة اجتاحت كل دول العالم خلال أزمة 2008 الاقتصادية وما كانت لتظهر فى العالم لولا التشبيك المكثف الذى أصبح فيه العالم نتيجة استخدام الإنترنت ومختلف تطبيقات مواقع التواصل الاجتماعى، فقد تخطت هذه الحركات مختلف مفاهيم المجتمع الصناعى، وأثبتت أن العالم أصبح قرية صغيرة فعلا، وأن الشعوب قادرة على المشاركة فى إعادة صياغة الأحداث السياسية العالمية، بل وقادرة على تشكيل تيار عريض من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب لرأى عام

عالمى يحدد مسار الأحداث وقد شاهدنا ذلك بوضوح فى الحرب على العراق 2003 وفى قرار الرئيس الأمريكى ترامب بشأن اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل وفى نتيجة الانتخابات الأمريكية.

## حكومات ذكية تدير الحياة اليومية

واليوم تتفاخر الدول بإنجازها حكومات ذكية تتولى إدارة الحياة اليومية، هذه الحكومة الذكية تستخدم قوة السيبر بصورة متزايدة فإدارة المرافق العامة تتطلب طاقة هائلة من المعلومات تنظمها برامج مهمة للكمبيوتر لإدارة حركة المترو والكهرباء والصرف الصحى ورقابة المرور وإنتاج المصانع المختلفة ومراقبة الجودة ووصول المنتج إلى المواطنين ومراقبة الاختناقات التموينية، أيضاً الخدمات الخاصة بالمواطنين مباشرة مثل تحديث سجلات المواليد والوفيات وإصدار البطاقات الذكية كلها موضوعات تدار من خلال الذكاء الاصطناعى ممثلاً فى الاستخدامات المدنية لقوة السيبر التى أصبحت لا غنى عنها، ولكن الأهم من هذا الاستخدام أن قوة السيبر فاعل أساسى فى ضمان حق المواطن فى المعرفة وهو حق يعد من أهم حقوق الإنسان فى العصر الحديث دون أى خلاف، وهذا الحق فى المعرفة يدور حوله حوار سياسى صامت بين المواطنين من جانب والدولة من جانب آخر. كذلك فقد أدى تغلغل الذكاء الاصطناعى فى حياتنا اليومية على النحو السابق إلى تغييرات فى هيكل العلاقة بين الدولة والمجتمع، فالمجتمع بمرونته تحول إلى مجتمع شبكى بتأثير من الثورة المعلوماتية إلا أن الدولة مازالت محتفظة بتنظيمها المتدرج الرئاسى الهرمى وهذا جعل الشعب أكثر فعالية فى وقت الأزمات وهو أمر يتطلب ضرورة اتجاه الدولة إلى بناء شبكاتها التى عادة ما يتم تنفيذها ليس للسيطرة على المجتمع وإنما للتفاعل مع المجتمع وإعادة بناء المجتمع المدنى لأهميته بوصفه مكملاً وشريكاً للحكومة وبوصفه حلقة الوصل بين الدولة والمواطن. من ناحية أخرى فإن المجالات التى تشهد غياب الذكاء الاصطناعى والبرمجيات عادة ما تكون أكثر المجالات تخلفاً وفساداً فى الدولة والمثال الواضح فى مصر هو قطاع السكك الحديدية الذى يحتاج لاستثمارات ضخمة فى التدريب والصيانة والمعدات وغرفة التحكم والاتصالات التى تعتمد بالكامل على بنية تحتية معلوماتية وعلى عدد من البرمجيات وشبكات الاتصال لضبط حركة القطارات المختلفة منذ قيامها ولحين وصولها، وكذلك فإن الفساد يعد مشكلة مهمة تهدد أمن مصر وعملية إعادة بناء وتنظيم الإدارات الحكومية على أسس شبكية كفيل بمعالجة هذه المشكلة من جذورها وفق أسس باتت معروفة.

## تغيير الاستراتيجية العسكرية

أما تأثيرات الذكاء الاصطناعى على المجالات العسكرية فإنها أكثر عمقاً فرغم أن الجميع يولى اهتمامه إلى التسليح فى الشق العسكرى، إلا أن التأثير لا يقتصر على هذا المجال فقط، فقد غير الذكاء الاصطناعى من أشكال الحروب أو أجيال الحروب، وفقاً لطبيعتها والهدف منها وهى حروب الجيل الأول وكانت بين جيوش نظامية وكان تنظيم الجيش يستند إلى قلب وجناحين من الفرسان والسلاح المستخدم هو السلاح الأبيض أى السيوف واستمرت إلى ما بعد صلح وستفاليا. أما الجيل الثانى فهى الحروب التى اعتمدت على الدبابات والمعدات الميكانيكية وكان تنظيم الجيش يستند إلى صفوف عرضية تحفظ وراءها صفوفاً عمودية وبدأت مع الحرب العالمية الأولى أما الجيل الثالث فقد كان جيل حروب العصابات ضد الجيش النظامى وهى حروب طرحها الفكر الماركسى وقيام أول دولة اشتراكية فى الاتحاد السوفيتى واستندت هذه الحرب على نمط الحرب الخاطفة والكر والفر، وأخيرا فإن حروب الجيل الرابع هى حروب الجيل الرابع التى تعرف بأنها حروب المعلومات التى تستند إلى منجزات الثورة المعلوماتية من انترنت والشبكة المعلوماتية والإشاعات ومواقع التواصل الاجتماعى، وهى بطبيعتها حروب مجتمعية بالدرجة الأولى، ورغم أن جوبلز وزير دعاية هتلر قد ابتدع هذا الجيل فى الحرب العالمية الثانية إلا أن الجديد هو البنية التحتية المعلوماتية المصاحبة للحرب وتغيير أهدافها من إبادة قوات العدو إلى تدمير المجتمع، وهى حروب اجتاحت العالم فى وسط أوروبا عام 1989، وفى شرقها مع سقوط الاتحاد السوفيتى وتجذرت فى الأزمة البلقانية فى يوغوسلافيا السابقة، وفى رواندا وبوروندى فى أواسط أفريقيا فى التسعينات، ووصلت إلى منطقتنا العربية فى مطلع العقد الثانى من الألفية الثالثة وهو ما أطلق عليه الربيع العربى فى تونس ومصر وسوريا وليبيا واليمن، مما أثار تساؤلات عديدة حول حقيقة ما حدث، ووسائل تحقيقه. وفى إطار هذه التساؤلات برزت مجموعة من التساؤلات تختص بالتغيير السياسى العنيف ممثلاً فى الحروب كمفهوم، وأدواتها، وجدوى هذه الوسائل فى ظل «تغيير طبيعة الصراع» نتيجة ظهور المجتمع الشبكى وتأكيد دور «المعلومة» وتغيير هدف الحرب إلى تفتيت المجتمع إلى كيانات أصغر وأكثر تنافراً على أسس مذهبية أو دينية أو عرقية وإثنية. هنا فقد غير الذكاء الاصطناعى الإستراتيجية العسكرية كما توارثناها من ماهان وماكيندر وصراع اليابس ضد البحر فكان الهدف تدمير قوات العدو إلى أن جاء ليدل هارت مؤكداً أن الهدف أصبح إقناع العدو بعدم جدوى استخدام قواته المسلحة لفداحة الثمن الذى سيدفعه، كما غير فى مفاهيم القيادة والسيطرة والتحكم من مستوى الجندى الفرد إلى مستوى الوزير ورئيس الأركان والمعدات اللازمة لذلك لما يحقق وحدة القيادة والجنود. أما فى مجال المعدات فتحولت إلى معدات ذكية يسيطر عليها عدد هائل من رقائق الاستشعار وتحديد الاتجاه والكشف عن جنود العدو، أما التسليح فقد استند من استخدام الإنسان الآلى فى القتال إلى استخدام أشعة الليزر والموجات الصوتية والحماية الذاتيه وكانت قمة التحول فى الفصل بين موقع المتحكم فى القوة وموقع ممارسة القوة كما هو الحال فى قوة السيبر مما يبشر بإدارة الحروب عن بعد، وبأساليب جديدة سلمية وبأسلحة ذاتية العمل، وفى المقابل ظهور الإرهاب الناعم المجتمعى الذى يتم من خلال تحكم الإرهابى فى كافة المرافق الحيوية لدولة بعيدة عنه آلاف الأميال فالهدف أصبح المجتمع وليس الجيوش دون الاستغناء عن دورها تماماً فى المستقبل.

# قدرة الآلة على محاكاة العقل البشرى وطريقة عمله

**وأنا أقرأ جرائد الصباح منذ عدة أيام، استوقفنى خبر جاء فى سياق تفاصيله التالي:**
**«... تُعَدُّ كندا واحدة من الدول التى اهتمت بالتكنولوجيا من خلال إدخالها فى المجالات الحياتية المختلفة، إضافة إلى أنها لا تفرض الكثير من القيود على شـــركات التكنولوجيا، الأمر الذى جعلها فى النهاية وجهة الكثير من شركات التكنولوجيا لتطوير بعض المشاريع والتى كان أبرزها مشاريع الذكاء الاصطناعى، ...».**

**هبة عبدالعزيز**

**heba.elmolla@yahoo.com**

جيد، فهى تهتم بالتكنولوجيا، ولا تفرض الكثير من القيود على شركات التكنولوجيا! وقد رصد الخبر أيضًا بعض أبرز الشركات العالمية التى لجـــأت لكندا مؤخَّرًا لتطوير تقنيات الذكاء الاصطناعى، ومنها: شـــركة إل جى التى تفتتـــح حاليًا مختبرًا لأبحاث الذكاء الاصطناعى، وشـــركة فيســـبوك والتى أعلنت عن افتتـــاح مختبر جديد لها خـــاص بتكنولوجيا الذكاء الاصطناعى فى مونتريال بكندا، والذى سينضم إلى شبكتها من المختبـــرات القائمة بالفعل داخل مقر الشركة بمدينتَيْ نيويورك وباريس، وذكر ان كبير علماء الذكاء الاصطناعى بالشركة قد قال: «إن مختبر مونتريال سيضم علماء ومهندســـين بحثيِّين يعملـــون بمجموعة واسعة من مشـــروعات البحوث الطموحة الخاصة بالـــذكاء الاصطناعـــى والتعلم الآلي»، حتى أنَّ شـــركة أوبر تشارك؛ حيث افتتحت مكتبًا جديـــدًا بتورونتو فى كندا مخصصًا لمشروع السيارات ذاتية القيادة، جنبًا إلى جنب مع وجـــود مقر مخصص لتطوير هذه التكنولوجيا فى بنسلفانيا،كما تعهدت أوبر كذلك بدعم معهد فكتور الذى أسسه أورتاســـون والمعنِيّ بأبحاث الذكاء الاصطناعـــى على مدى الســـنوات القليلة المقبلة.

ومـــما هو واضح لدينـــا أن هذا الخبر يدور حول موضوع (الذكاء الاصطناعي)، والذى يبدو أنه أصبـــح من الأهمية بمكان بحيث بات يشـــغل أجندة كبرى الشركات العالمية كما تابعنا؛ لذا وجدنا كندا تخطط لكيفية توظيفه والاستفادة من تقنياته. وقد لاحظت انتشار هذا المصطلح وتداوله فى الآونة الآخيرة بشكل لافت للنظر، بحيث بات مسار اهتمام كبير أيضًا فى الإعلام، وأصبح يتصدَّر عناوين صحف وفقرات للبرامج فى العديد من المحطات الإذاعية والتلفزيونية العالمية -بشـــكل موسَّع- والمحلية -على اســـتحياء إن جاز القول- ولعل فضولى قد أخذنى إلى محـــرك البحث، فرُحْتُ أقرأ وأجمع المزيد مـــن المعلومات حول هذا الموضوع الذى على ما يبدو أن معظم دول العالم المتقدم والشـــركات الكبرى ربطت الأحزمة وشدَّت الرحال صوبه.

وقبـــل أن أطرح الســـؤال: بأين نحن من هـــذا؟! ربما وجدت أنـــه من الجيد أن أرصد فى البداية تعريفًا مبسطًا لمصطلح الـــذكاء الاصطناعى قبـــل أن ندخل فى بعض التفاصيـــل المتعلقة بهذا النوع من التكنولوجيا الحديثة والمتطورة جدًّا.

وربما شعرت أيضًا أنه من بين العديد من التعاريـــف التى قرأتها قـــد جاء هذا التعريف التالى معبِّرًا بشكل سهل ومبسط عن مضمون تلك التكنولوجيا المعقَّدة جدًّا؛ حيث يُعَرَّف الذكاء الاصطناعى بأنه عبارة عن قدرة الآلة على محاكاة العقل البشرى وطريقة عمله، مثل القـــدرة على التفكير، والاكتشـــاف والاســـتفادة مـــن التجارب السابقة.

وقد ذُكِرَ فى سياق هذا التعريف أيضًا أنه منذ التطوُّر الذى شـــهده الحاسوب فى منتصف القرن العشـــرين، قد تمَّ اكتشاف أنَّ الحاسوب باســـتطاعته القيام بمهمات أكثر تعقيدًا مما كنا نعتقد أو نتخيل؛ حيث يتمكن من اكتشـــاف الإثباتات للنظريات الرياضية المعقدة، كما أن لديه القدرة على لعب الشطرنج بمهارة كبيرة!

لكنه وبالرغم من إيجابياته الكثيرة من سرعة فى المعالجة وسعة تخزينية عالية؛ لا يوجد حتى الآن أى برنامج باســـتطاعته مجاراة مرونة العقل البشـــرى خصوصًا بما يتعلـــق مثلًا بقيامـــه بالمهمات التى تتطلب الاســـتنتاجات اليومية التلقائية لما يتم التعرض لـــه من مواقف حياتية تتعلق بالتفكير والشـــعور، ولكـــن على الناحية الأخـــرى هناك بعـــض التطبيقـــات التى استطاعت أن تضاهى مستوى أداء الخبراء والمحترفين بالقيام بمهمات محدَّدة،ومنها على ســـبيل المثال التشـــخيص الطبى، ومحركات بحث الحاســـوب وقدرته على التعرُّف على الصوت والكتابة اليدوية.

وأسعدنى -وأنا أبحث أيضًا فى الأخبار- خبر يتحدَّث عن أن أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا بمصر التى كانت قد أطلقت البرنامج القومـــى للحاضنات التكنولوجية «انطلاق» فـــى أكتوبر 2015م، وقد وصل عدد فروع تلك الحاضنات الآن إلى ســـبعةَ عشـــرَ فرعًا تُغَطِّى معظـــم أقاليم مصر المختلفة من الصعيـــد إلى الوجه البحرى (قنا، سوهاج، الســـويس، أسيوط، طنطا، دمياط، الإسكندرية، القاهرة) ليصل بذلك عدد الشركات الناشئة ثلاثة وستين شركة تكنولوجية ناشئة، بإجمالى دعم مُقَدَّم من الأكاديمية يصل لما يقرب من ثلاثة وثلاثين

بين الذكاء البشرى والذكاء الإصطناعى

مليون جنيه مصرى.

وستقوم الحاضنة بتقديم حزمة من الخدمات بجانب الدعم المالى لعدد من الشركات التكنولوجية الناشئة فى مجال الحاضنة، وسيكون نموذج عمل الحاضنة مقسَّم إلى خدمات ما قبل الاحتضان، وستقوم بالتركيز على تشكيل فريق عمل وتجهيز المتقدمين للعمل سويًّا، والتدريب على مبادئ ريادة الأعمال، وإعداد دراسات جدوى مبدئية للمشروع. أمَّا مرحلة الاحتضان فهى المرحلة التى يتم فيها الاحتضان الفعلى للشركات وتقديم الخدمات الفنية والمالية والإدارية والتسويقية؛ الأمر الذى يعنى أنَّنا على الطريق إلى (الذكاء الاصطناعي)، ولا زلنا بعيدين بالتأكيد -ولا ننكر- ولكن المهم أننا لَسْنَا خارج المسار، وطريق الألف ميل -كما يقولون- يبدأ بخطوة دائمًا، ولعل الأهم هنا هو المضِيّ قُدُمًا واستكمال المشوار إلى المستقبل الذى يبدو أنه سيكون مثيرًا!

ولعلى أرى أنَّنا أصبحنا بحاجة ضرورية الآن لتطوير البِنْيَة التحتية لتطبيقات الذكاء الاصطناعى، وخصوصًا فى قطاعات حيوية كالتعليم والصحة، كما علينا أيضًا أخذ خطوات فى إنشاء مراكز بحثية وتأهيلها لنشر ثقافة واستخدامات الذكاء الاصطناعى فى المجتمع، وكذلك يجب أن نولى الاهتمام لتنمية وتطوير الكفاءات العلمية المتخصِّصة والقدرات المحلية فى مجال الذكاء الاصطناعى إضافة إلى تدريب الكوادر البشرية على استخدامات البيانات المتقدِّمة حتى نستطيع أن نأخذ مقعدًا ونلحق بالركب.

وأتذكَّر وأنا أكتب تلك السطور زيارة الروبوت صُوفيَا -أول إنسان آلى يعمل بتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي- لمصر منذ عدة شهور، هذا الإنسان الآلى الذى يستطيع التحدث بلباقة كأى إنسان يكسوه جلد ولحم ويحمل عقلًا بشريًّا، كما يعبر عنا به باستخدام تعبيرات وجهه. وفى أثناء تلك الزيارة كانت قد سألتنى ابنتى ذات الأحد عشر عامًا ببراءة الأطفال وحب الفضول الفطرى لديهم:

مامى، هو ممكن صوفيا تتجوز ويبقى عندها أولاد ويروحوا مدرستى ويبقوا أصحابى؟!

## ردَّدْت أنا فى سِرِّي:

شكله سؤال يستحق التفكير يا نورين!

وأجبْتُها:

ممكن يا حبيبتى، مفيش حاجة اسمها مستحيل! فالخيال كان الأصل للكثير مما هو حولنا الآن: السيارة، الهاتف النقال، الطائرة، ... وكل فكرة تحقَّقت كانت بداية حلمًا!

## وتساءلت أنا حينها أيضًا:

ماذا سيكون تأثير الذكاء الاصطناعى على أولادنا وعلى الأجيال القادمة فى المستقبل؟ وكيف يمكننا توظيفه أو استغلاله فى خدمتهم وخدمة الإنسانية والخير؟ على غرار تصريحات (صوفيا) فى مؤتمر صحفى ذكرت فيه أنها تريد أن تكون شريكًا للبشر فى نشر الخير على الأرض، وشريكًا أيضًا فى التكنولوجيا والبيئة والتصميم، ويمكن لها أن تكون سفيرًا لمساعدة البشر على الاندماج والاستفادة لأقصى حد من كل الأدوات التكنولوجية الجديدة والإمكانيات المتاحة الآن، وأذكر أنها قالت أيضًا: إن هذه فرصة لها لتعلم الكثير حول البشر! ولكن هل يمكنها فى المستقبل -مثلًا- أن تقوم بأشياء كالذهاب للمدرسة؟! أو أن تعمل فى مجال كالفن أو الصحافة؟! أو تتزوَّج وتكوِّن عائلة كما تتمنى أو تتخيل ابنتى نورين؟!

وهناك العديد من المجالات التى انتشر استخدام الذكاء الاصطناعى فيها، فمثلًا: تتنافس كبرى شركات السيارات -مثل أودى نيسان- فى إنتاج سيارات ذاتية القيادة بالكامل، أيضًا هناك تطبيق Recent News وهو تطبيق إخبارى ذكى، يمدنا بالجديد من الأخبار، ويدعم هذا التطبيق تكنولوجيا الذكاء الاصطناعى التى تمكِّنه من التعلم من خلال التجربة ميولاتك، مقالاتك المفضلة، ويقوم باقتراح مواضيع عليك قد تحب متابعتها. وكذلك يمكنك تشغيل الإضاءة فى منزلك والتحكم فى لون الضوء ومدى سطوعه عن طريق الهاتف ودون الحاجة إلى النهوض, كما تطوَّرت الأجهزة بشكل كبير بفضل الذكاء الاصطناعي؛ فالآن وبعد خروج الجميع من المنزل, يتم غلق الأبواب تلقائيًّا وحتى تنطفئ الأضواء. هذا بالإضافة إلى منظم الحرارة الذى يسجل ويتذكر درجة الحرارة التى تفضلها أنت, ثم يقوم بضبط حرارة المنزل تلقائيًّا لتناسبك، كما أن هناك أيضًا تطبيق «سيري» من «آبل» وهو مساعد صوتى يستخدم الذكاء الاصطناعى بخوارزميات ثابتة تساعد فى إنهاء الكثير من المهام اليومية مثل مراسلة شخص ما أو الاتصال به, العثور على المكان الذى تريد الذهاب إليه دون الحاجة إلى النظر حتى فى هاتفك. هذا بالإضافة إلى العديد من التطبيقات الأخرى والتى أتوقع تطوُّرها بصورة سريعة فى المستقبل القريب. كما أتوقع أيضًا بشكل كبير أنَّ تقنية الذكاء الاصطناعي-على الرغم من تطويرها اعتمادًا على القدرات البشرية- لكنها ستسود العالم خلال السنوات القادمة.

ضيف العدد

"أربع سنوات من الإنجازات"

# تجربة التعليم بالاسلوب الياباني

**لقد تم تعيينى سفيراً لليابان لدى القاهرة فى أغسطس عام 2014، وكانت تلك بداية إقامتى الثانية فى مصر، فقد سبق لى أن عشت فى مصر لمدة سنتين ابتداءً من سنة 1982 بصفتى ملحقاً دبلوماسياً فى برنامج التدريب اللغوى. ولقد ذكّرتنى حفاوة الاستقبال التى لقيتها فى مصر بعد مرور نحو ثلاثين عاماً بأيام شبابى التى عشتُ فيها مع أسرةٍ مصرية، لقد أحسست وكأننى رجعت إلى بلدى الثانى. ولكن، فى الوقت ذاته، انتابنى شعور بالقلق حيال الأوضاع السياسية والاقتصادية فى مصر.**

**تاكيهيرو كاجاوا**
**سفير اليابان السابق لدى مصر**

وقد حزنت حين رأيت منطقة الأهرامات فى الجيزة شبه خالية من السائحين، نتيجة لتقلص أعداد السائحين الأجانب بمن فيهم اليابانيين منذ عام 2011. كما تعرضت البلاد لأزمة اقتصادية طاحنة بسبب نقص العملات الأجنبية. إلى أن جاء خريف العام قبل الماضى، حيث أدخلت مصر نظام تعويم العملة، وعملت على تقليص الدعم، وبدأت فى إصلاحات اقتصادية جذرية بدَت كما لو أنها كانت تتجرع الدواء المر. ونتيجةً لذلك، تجاوز معدل التضخم مرحليًا نسبة 30 ٪ واضطرت الصناعات المحلية إلى خفض الإنتاج، ولكن مؤخّراً انتعش الاقتصاد، وزاد معدل النمو الاقتصادى من 4 ٪ إلى 5 ٪ وأصبح معدل التضخم حوالى 10 ٪ وصار الاقتصاد الكلى مستقراً، وأصبحت الأنشطة التجارية والاستثمارية للشركات اليابانية فى مصر نشطة ومتنامية. كما تحسن الوضع الأمنى كثيرا، وقامت الحكومة اليابانية مؤخراً بخفض مستوى تحذيرات السفر إلى مصر بالنسبة لليابانيين إلى حدٍ كبير. كما استأنفت مصر للطيران رحلاتها المباشرة بين القاهرة وطوكيو بدايةً من العام الماضى، وبدأت السياحة اليابانية فى العودة تدريجيًا.

## مصر واليابان شريكان يتمتعان بالثقة المتبادلة

أما فيما يتعلق بالعلاقات الثنائية فيتم حاليًا تنفيذ العديد من المشروعات المشتركة فى مختلف المجالات، وتعتبر العلاقات فى أفضل مراحلها على مدار تاريخ العلاقات الثنائية بين البلدين. وفى شهر مارس من هذا العام، أعيد انتخاب الرئيس السيسى وبدأت للتو فترة الولاية الثانية له. حيث أعلن الرئيس فى كلمته أمام البرلمان أن فترة ولايته الثانية ستولى مزيدًا من الاهتمام بالتعليم والصحة والثقافة، مما يشير إلى أن المشاريع اليابانية، مثل التعاون فى التعليم على الأسلوب الياباني، والتعاون فى التغطية الصحية الشاملة التى تهدف إلى تحسين الخدمات الطبية للتأمين، ومشروع المتحف المصرى الكبير وغيرها، بالفعل تتفق تمامًا مع أولويات الرئيس السيسى.

فمنذ بداية العصر الفرعونى، أو حتى من قبل ذلك، عاش المصريون على ضفاف النيل فى بيئة غنية بهبات نهر النيل، واندمجت مجموعات عرقية وديانات وثقافات مختلفة مع بعضها البعض وشكلت مجتمعًا قويًا. وقد قام الجغرافى والمؤرخ المصرى جمال حمدان بشرح مصر من خلال نظرية «الشخصية متعددة الهوية»، حيث ينتهى العصر الفرعونى الذى استمر على مدى آلاف السنين بنهاية الملكة كليوباترا من أسرة البطالمة. وبعدها تأتى المسيحية ثم يدخل

**افتتاح 34 من المدارس المصرية اليابانية فى العام الدراسى 2018-2019**

الإسلام ومعه العرب إلى مصر فى القرن السابع الميلادى. ويبدو للوهلة الأولى أنه تم صباغة وتلوين الثقافة والديانة الفرعونية بمثيلتها المسيحية والإسلامية، ولكن فى حقيقة الأمر أنه تم قبول ثقافات مختلفة ودمجها معًا، ومازالت موجودة ومتعايشة مع بعضها البعض. ليس العرب فحسب، ولكن أيضًا الفرس واليهود والأتراك ومجموعة متنوعة من البشر تدفقت على مصر ولم يعيشوا متفرقين وبمعزل عن غيرهم بل انصهروا وتعايشوا مع بعضهم البعض محتفظين بهوية قوية وهى كونهم مصريين. هذا هو بالضبط ما تعنيه كلمة «الشخصية متعددة الهوية». وبناءً على ذلك نستطيع القول بأن مصر تمتلك أسس التنمية المستقرة كدولة والشعور القوى بالوطنية لدى الشعب والقدرة على التماسك كبلد واحد، خلافاً لبعض الدول العربية التى تواجه حاليًا خطر الانهيار والتفكك بسبب الصراعات الطائفية والعرقية الداخلية.

## التحديات التى تواجه المجتمع المصري

ومع بداية العصر الحديث، بدأت مصر التى استقلت عن الإمبراطورية العثمانية فى الحداثة والتحديث من خلال اعتماد التكنولوجيا الأوروبية وفكرة «بلد غنى وجيش قوي». ويذكر التاريخ تفقد أعضاء بعثتين متتاليتين تم إرسالهما من قبل حكومة اليابان إلى أوروبا أثناء توقفهما بمصر(عامى 1862 و1864) لحالة التحديث التى وصلت إليها قاطرات السكك الحديدية التى كانت تعمل بالفعل فى مدينة القاهرة فى ذلك الوقت فى ستينيات القرن التاسع عشر. وعندما نتساءل لماذا تمكنت مصر من إحراز تقدم فى عملية الحداثة والتحديث بشكل يسبق إصلاحات «ميجي» التى شهدتها اليابان فى القرن التاسع عشر، تكون الإجابة لأنها كانت مصدرًا رئيسيًا لتوريد القطن من أجل صناعة المنسوجات فى المملكة المتحدة. فمنذ منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين، كان القطن يشكل أكثر من 80 ٪ من صادرات مصر. وقد تطورت مصر بشكلٍ كبير من خلال المنافع التى عادت على الاقتصاد والتجارة من خلال التربح من تصدير المواد الخام واستيراد المنتجات الصناعية وغيرها. ولكن ظل الهيكل الاقتصادى المصرى دون تغير. وبعبارة أخرى، المشكلة فى مصر هى أن الصناعات المحلية لم تحظ بالتطوير الكافى اللازم لذلك. ولكننا فى اليابان ومنذ إصلاحات «ميجي»، قمنا بتطوير الصناعة بدءًا من إنتاج خيوط الحرير والأقمشة الحريرية، ثم تحولنا من الصناعات الخفيفة إلى الصناعات الثقيلة، وبعد ذلك إلى تصنيع السيارات والأجهزة المنزلية. بمعنى أنه يمكن القول أننا قمنا باتباع نموذج التنمية فى أوروبا والولايات المتحدة. كما أن الصين ورابطة دول جنوب شرقى آسيا (آسيان) قد اتبعت مسارات مشابهة، وتطورت فيها الصناعات بشكلٍ كبير فى السنوات الأخيرة. ودخل العديد من مصنعى السيارات والأجهزة الكهربائية من الدول الأجنبية وفى مقدمتها اليابان إلى السوق المصرى وأقاموا مصانع تقوم بتجميع أجزاء المنتج محليًا، غير أن عدد العمال المدربين المهرة مازال قليلًا، كما أن تطوير الصناعات التكميلية والتوريدات متأخر للغاية، بالإضافة إلى أن سبل تغيير الهيكل

من اسهامات اليابان دار الاوبرا ومستشفى أبو الريش للأطفال بالمنيرة

## تجربة التعليم بالاسلوب اليابانى

الصناعى بشكلٍ كبير غير متوفرة. كما يمكن أن نلاحظ ذلك أيضًا فى هيكل الإيرادات الخاص بالاقتصاد الوطنى. حيث مازالت إيرادات قناة السويس (5 مليارات دولار)، وإيرادات السياحة (8 مليارات دولار)، وتحويلات المصريين العاملين بالخارج (18 مليار دولار) هى المصادر الرئيسية للحصول على العملات الأجنبية. وعلى سبيل المثال، فبدلًا من تصدير المنتجات الزراعية مثل البرتقال وغيره كما هو، فإنه من الأفضل من وجهة النظر التجارية وأيضًا من وجهة نظر توفير فرص العمل، القيام بتصنيعه وإضافة قيمة مضافة إليه ثم تصديره. فمن الممكن تعزيز القدرة التنافسية الدولية من خلال إحداث تعاون بين الزراعة والصناعات التجهيزية والخدمات بفعالية مع بعضها البعض. فبالنسبة لمصر التى يتعدى عدد سكانها 94 مليون نسمة، يعتبر التحول إلى الهيكل الصناعى الذى ينمى الطبقة الوسطى ويقوم من خلاله جميع المواطنين بمساندة ودعم الاقتصاد من القضايا الملحة.

### توكاتسو أساس التعليم اليابانى الذى تدخله مصر

إذا تحدثنا عن التنمية الصناعية، فإنها لا يمكن أن تتحقق بين عشيةٍ وضحاها. ولكن حتى ولو بدا أن الطريق طويل، فلا أحد يستطيع أن ينكر أن تنمية الموارد البشرية خطوة مؤكدة النجاح يمكن الاعتماد عليها فى سبيل تحقيق ذلك. ويرجع تاريخ التفكير فى بدء التعاون الثنائى لإدخال التعليم بالأسلوب اليابانى إلى اجتماع القمة الذى عقد قبل ثلاث سنوات بين رئيس الوزراء اليابانى شينزو آبى والرئيس السيسى، حيث عبر الرئيس السيسى لرئيس الوزراء اليابانى عن إعجابه بتعاليم الأخلاق والآداب اليابانية ورغبته الشديدة فى التعاون من أجل إدخال التعليم على الأسلوب اليابانى إلى مصر. لقد أدهشت جدية حديث الرئيس جميع الحضور وتأثرت جميع الشخصيات اليابانية البارزة التى التقت بالرئيس بشدة وتركت كلماته لديها انطباعًا عميقًا.

والآن ما هو التعليم على الأسلوب اليابانى؟ هذا هو السؤال الذى تلقيته عدة مرات من الكثير من المصريين ووقعت فى حيرة بسببه. وأعتقد أن القليل من اليابانيين فقط هم مَن يستطيعون الإجابة على هذا السؤال بدقة. فمن المعروف أن التعليم اليابانى يتميز بالتركيز على الانضباط والتعاون. فى مصر لا تقام مثل هذا المناسبات المدرسية التى يقوم اليابانيون بتجربتها داخل المدرسة مثل النظافة اليومية داخل المدرسة ونظام تحديد المناوبات وإقامة المهرجان الرياضى والمهرجان الفنى المدرسى وغير ذلك. فى مصر نظافة المدرسة هى مسئولية العامل المختص بالنظافة المعين فى المدرسة. وأين وكيف يمكننا إقامة المناسبات المدرسية مثل المهرجان الرياضى والمهرجان الفنى المدرسى؟ هذه هى المشكلة الأزلية التى تعانى منها المدارس المصرية. فبالمقارنة بالزيادة المستمرة فى أعداد الطلاب، فإن أعداد المدارس ومساحاتها غير كافية. كما أن أفنية المدارس والفصول غير كافية. لذلك اختفت دروس التربية البدنية والموسيقى والفنون من العديد من المدارس الحكومية. واختبارات النقل إلى الصفوف الدراسية التالية التى تقام بدايةً من السنوات الدراسية المتقدمة فى المرحلة الابتدائية تهتم فى الأساس باختبار المعارف التى يحفظها الطالب فقط. كما أن التعلم الجماعى والدروس التفاعلية بين الطلاب والمعلمين غير كافية. ومن خلال المشاكل العديدة التى تواجه التعليم فى مصر، استطعنا أن ندرك أن التعليم على الأسلوب اليابانى يتميز بالعمل على صقل الطبيعة البشرية لدى الأطفال وتمكينهم من اكتساب مهارات السلوك الاجتماعى والتعاون والعمل فى جماعة بشكلٍ طبيعى. ففى اليابان، يتم تنفيذ العديد من المناسبات المدرسية

مثل النظافة وأنشطة المجالس الطلابية (اجتماع الفصل) وغيرها من العديد من الأنشـــطة فى إطار ما يسمى بأنشطة «تـوكـاتســـــو» أو الأنشطة الخاصة إلى جانب تدريس المناهج الدراسية مثل الرياضيات وما إلى ذلك. و«توكاتسو» هو أساس ومحور التعليم على الأسلوب اليابانى الذى يتم إدخاله فى مصر.

ولكن على الجانب الآخر، فإن اليابان لا تتدخل فى نظام التعليم بشـــكلٍ عام بما فى ذلك المناهج الدراســـية. وإنما تتخذ اليابان فقط موقفًا يســـمح بنقل معارف وخبرات التعليم على الأســـلوب اليابانى كجزءٍ مـــن الإصلاح التعليمى الذى تقوم به الحكومة المصرية. وفى هذه الحالـــة، فإن تدريـــب المعلمين القائمين على عملية التدريس هو السبيل لتحقيق ذلـــك. فالمعلمـــون هم أكثر العناصر المحيطـــة تأثيرًا على الطلاب وسيكون التعليم على الأسلوب اليابانى فعـــالًا فقط عندما يتفهمـــه المعلمون ويتمرسون عليه. فى هذا الصيف، إلى جانب قيام الخبـــراء اليابانيين بزيارة مصر وتنفيذ عـــدة برامج تدريبية بها، ســـيتم أيضًا إيفاد مئات المدرسين إلى اليابان لتلقى التدريبـــات اللازمة بما فى ذلك التدريب العملى فى الموقع فى الجامعات اليابانية ذات السجل الحافل من الإنجازات فى تدريب المعلمين كجزءٍ من برنامج قرض المساعدات الإنمائية الرسمية للحكومة اليابانية.

## التعاون التعليمى المصري- الياباني

إلـــى جانب ذلك، تبلورت شـــراكة مشـــتركة بيـــن الدولتين فـــى مجال التعليم أثناء زيارة الرئيس السيســـى لليابان فى شـــهر مارس عام 2016. تشـــمل محتويات تلك الشراكة جميع مراحل التعليم بدايةً من مرحلة رياض الأطفال والمرحلـــة الابتدائية والمرحلة الإعدادية والمرحلـــة الثانوية والتعليم الفنى بما فى ذلك المـــدارس الثانوية الفنية وصولًا إلـــى التعليم العالى بما فى ذلك الجامعات والدراســـات العليا. ففيما يتعلق بالتعليم الأساســـى، سيتم

كوبرى السلام المعلق فوق قناة السويس رمز الصداقة المصرية اليابانية

تحديد أكثر من 200 مدرســـة بما فى ذلك 100 مدرســـة مقامة حديثًا لتكون مدارس نموذجية تقوم بتطبيق التعليم على الأســـلوب اليابانى بالتركيز على أنشطة «توكاتسو» السابق ذكرها، ومن المقرر القيام بنشر تجربة وخبرات تلك المدارس فى المدارس الحكومية الأخرى القائمة بالفعل لتحسين جودة التعليم. ومن المقرر افتتاح حوالى 40 مدرســـة نموذجية مقامة حديثًا لتطبيق التعليم على الأســـلوب اليابانى فى ســـبتمبر 2018. أما فيما يتعلق بالتعليم الفنى، فنقوم بتنفيذ مشـــروع للتعليم الفنى يتخذ من التنميـــة الاقتصادية اليابانية فى مرحلة ما بعد الحـــرب نموذجًا له ويهدف إلـــى تلقى الطـــلاب للتدريب العملى بالتعاون مع مصانع الشركات اليابانية وتعزيـــز العمل الجماعى من خلال الحياة المدرسية المنضبطة حتى يصبح خريجو المدارس الثانوية الفنية عمالاً مدربين مهـــرة بإمكانهم تقديم الدعم للصناعة. إذا قمنا بتنشئة وتدريب عمال مهرة مع الوضع فى الاعتبار فرص العمل والتوظيف فى المستقبل، فسوف يعود ذلك بالنفع أيضًا على الشـــركات اليابانيـــة. فنحن نتعـــاون فى الوقت الحالى مع المدارس الثانوية الفنية فى القاهرة وبورسعيد. وبالإضافة إلى ذلك، من المقرر افتتاح مدرســـة ثانوية فنية جديدة على الطـــراز اليابانى قريبًا فى محافظة المنوفية.

أما فيما يتعلق بالتعليم العالى، فقد بدأت الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا (E-JUST) الدراســـات والأبحاث فى مرحلة الدراســـات العليا للهندســـة منذ 8 ســـنوات، ثـــم بدأت الدراســـات فى مرحلـــة البكالوريوس لكلية الهندســـة وكلية الأعمال الدولية والدراسات الإنسانية من العام الماضى. وهناك العديد مـــن الجامعات اليابانية (12 جامعة هندســـية و6 جامعات فى العلوم الإنسانية) التى أصبحت جامعات داعمـــة لجامعـــة (E-JUST). والتى نســـعى إلى أن تصبح قاعـــدة للتعليم والبحـــث العلمى اليابانـــى فى منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا. وبالإضافة إلى ذلك، فنحن نخطط لإيفاد 2500 طالب وباحث مصرى للدراســـة فـــى اليابان خلال 5 ســـنوات من خلال المساهمة بحوالـــى 10 مليارات يـــن يابانى فى إطار ما يسمى بقرض الطلاب الدوليين المبعوثين مـــن أجل تنميـــة الموارد البشرية.

## قوة اليابان بالصبر والمثابرة والثبات

إن التعليم ليس بالمشـــروع الهين الذى يؤتى ثمـــاره على المدى القصير. بل يجب علينا أن نجتهد من أجل تعاون طويل الأمد بصبرٍ ومثابرة. وفيما يتعلق بهذه النقطة بالتحديـــد، تتمتع اليابان

## تجربة التعليم بالاسلوب اليابانى

بميـــزة كبيرة حيث أنهـــا تخطو نحو تحقيق الهدف بصبـــرٍ وثبات، وتكمن قوتها فى كونها تمتلك سياســـة التغلب على المشـــكلات والتحديات من خلال متابعـــة العمل الميدانـــى والبناء على الإيجابيـــات والســـلبيات داخل مواقع العمل. هـــذا هو ما يمكن أن نطلق عليه «قوة اليابان». لقد بدأ التعاون الشامل فى مجال التعليم فى مصر للتو. بيد أن اليابـــان ترغب فى ضرب مثل نموذجى يحتذى به للمساهمة فى تنمية ورقى كل الدول بواسطة «قوة اليابان» من خلال تعاون الجامعات والشركات والهيئات الحكومية اليابانيـــة مثل هيئة التعاون الدولى اليابانية «جايكـــا» فى تحقيق النتائج المرجوة من هذا المشروع.

### التعاون الثقافى بين اليابان ومصر

يعد التعاون فى مجال الثقافة بين مصر واليابان أحد أكثر المجالات التى تركـــز عليها اليابـــان ويتميز بتاريخه الطويل. ومن بين ذلك، تتمتع دار الأوبرا المصرية التى تحتفل هذا العام بمرور 30 عامًا على إنشائها بمنحة من حكومة اليابان بشـــهرة واســـعة ويرتبط بها سكان مدينة القاهرة. وضمن فاعليات إحياء الذكرى الثلاثين على إنشـــائها، من المقرر أن تقام عروض أوبرا عايدة بمشاركة مغنية الأوبرا اليابانية والبريما دونا العالمية «ميتشـــيه ناكامارو» من يوم 4 إلى يوم 7 ديسمبر من هذا العام. كمـــا أنه من المقرر أيضًـــا عمل حملة دعاية للترويج للسياحة المصرية وجذب الســـائحين من اليابـــان لزيارة مصر بمناســـبة تلك العروض وبالتزامن مع فترة إقامتها، وحيث أنه إذا قمنا بإعداد برنامج ســـياحى يجمع بين الاستمتاع بمشاهدة عروض الأوبرا لمغنية الأوبرا اليابانية «ميتشيه ناكامارو» التى تتمتع بشعبية كبيرة فى اليابان أيضًا بالإضافة إلى زيارة أهرامات الجيـــزة والمعالم الســـياحية لمدينة الأقصر، فبدون شك ســـيصبح هذا البرنامج السياحى أحد أبرز البرامج السياحية شهرة فى اليابان وســـيحظى بإقبال شـــديد من جانب اليابانيين.

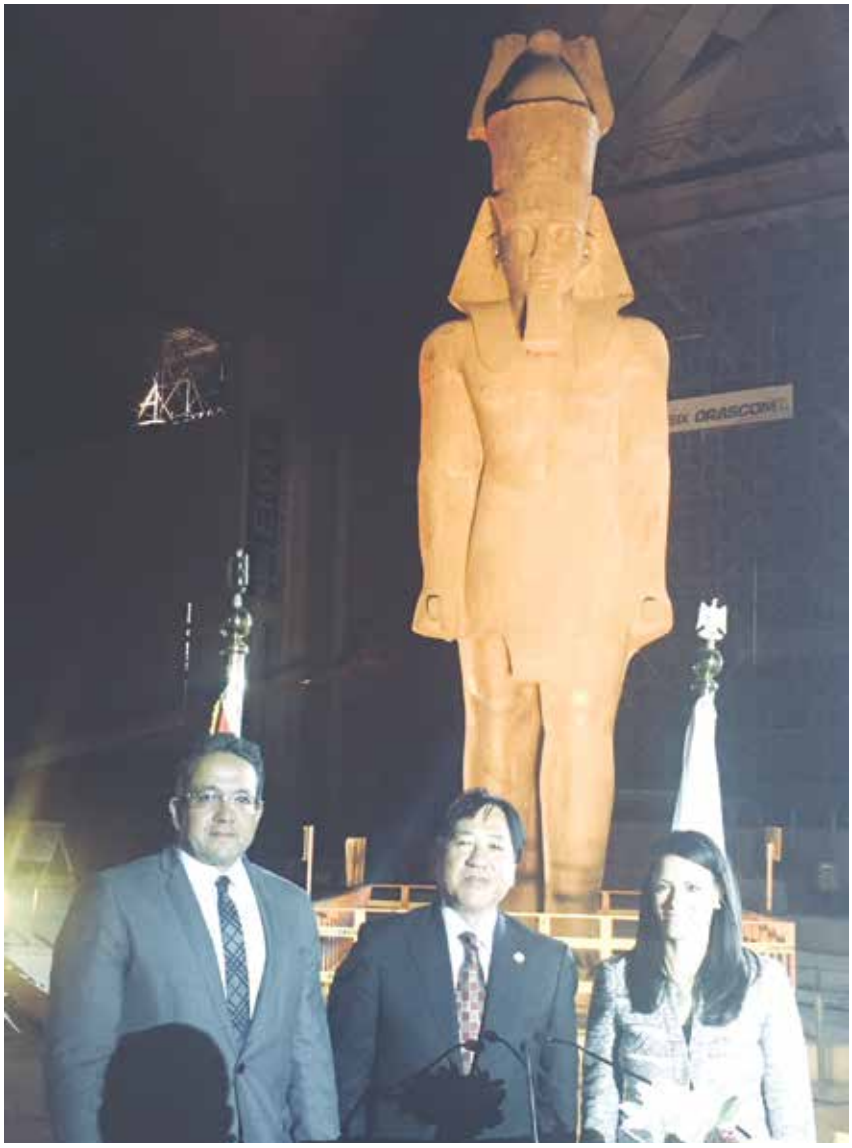

وزير الآثار د. خالد العنانى يودع السفير كاجاوا فى المتحف المصرى الكبير بحضور وزيرة السياحة

وبالإضافـــة إلى ذلـــك، تقام فى شـــهر مارس من كل عام على مسرح دار الأوبرا المصريـــة احتفالية الغناء فى كـــورال تعبيرًا عـــن التضامن مع المنكوبين وإحياء ذكرى ضحايا الزلزال والتسونامى الكبير الذى ضرب منطقة توهوكو باليابان فـــى 11 مارس عام 2011 وأودى بحياة أكثر من 15000 شخص. وقد شارك معنا فى الاحتفالية بدايةً من العام الماضى طلاب المدارس الحكومية الاسترشادية التى تطبق نظام التعليم على الأســـلوب اليابانى وكانت مناســـبة جيدة للتبادل والتفاعل بينهم وبين أعضاء الجالية اليابانية بالقاهرة. ومن الآن فصاعدًا، سيتم إنشاء المدارس النموذجية التى تطبق التعليم بالأسلوب اليابانى فى جميع أنحـــاء البلاد. لذلك أتمنى أن نتمكن مـــن القيام بدور فى تنشئة أطفال ذوى طبيعة بشرية غنية والتبادل فيما بيننا من خلال الموسيقى عن طريـــق عقد فعاليـــات الغناء فى كورال على مسرح دار الأوبرا المصرية وبمشـــاركة طلاب المدارس من جميع أنحاء البلاد فى المستقبل.

د. أحمد الجوهرى رئيس الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا ببرج العرب يودع السفير كاجاوا

## المتحف المصرى الكبير بالتكنولوجيا والخبرات اليابانية

عند ذكر التبادل الثقافى بين مصر واليابان، لا يمكن أن ننسى المتحف المصرى الكبير الذى هو قيد الإنشاء حاليًا بمنطقة الجيزة. ويبلغ إجمالى تكلفة البناء 1.4 مليار دولار أمريكى، قدمت اليابان منها قرضًا بالين اليابانى بلغت قيمته حوالى 800 مليون دولار أمريكى ويعادل حجم المبنى نفس حجم مبنى متحف اللوفر بفرنسا أو المتحف البريطانى. وبذلك سيصبح بالإمكان عرض الكثير من الآثار التاريخية التى لا يمكن عرضها حاليًا فى المتحف المصرى الحالى بالتحرير. ليس حجم المبنى فحسب، بل أيضًا باستخدام التكنولوجيا والخبرات والمعارف الأكثر تقدمًا فى اليابان من خلال تزويد المتحف المصرى الكبير بمعدات مثل الكمبيوتر ووسائل الاتصالات والشاشات والكاميرات وما إلى ذلك من تكنولوجيا متحفية متطورة، حيث أنه من المنتظر أن يصبح متحفًا مجهزًا بأحدث الأنظمة تقدمًا فى العالم، بما فى ذلك النظام الأمنى وما إلى ذلك. وبالإضافة إلى ذلك، يتم حاليًا دراسة إدخال المعارف والخبرات وأساليب الإدارة اليابانية من أجل تطوير أعمال سياحية جديدة بالتركيز على المتحف المصرى الكبير. كما أن تطوير منطقة الجيزة يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالقطاع السياحى الذى له أهمية بالغة بالنسبة للاقتصاد المصرى. ومن الضرورى أن نعمل على تحسين الأنشطة ووضع خطط تنمية ملموسة وتعزيز فكرة إدارة أساليب الضيافة التى تضمن عودة نفس أعداد السائحين للزيارة مرة أخرى وجذب السائحين من الجنسين ومن جميع الأعمار حول العالم لزيارة مصر. فحتى الآن، السائحون الذين تمنوا رؤية الهرم ولو مرة واحدة فى العمر جاءوا من جميع أنحاء العالم لزيارة الهرم، وعادوا إلى أوطانهم فى سعادة ورضا. ولكن من الآن فصاعدًا، ليس هذا هو مبلغ أمانينا. بل يجب علينا أن نجتهد لتصبح مصر البلد التى تجعل الشباب يفكرون فى العودة لزيارتها مرات عديدة، وأعتقد أنه بإمكاننا فعل ذلك. فقد استطاعت اليابان أن تستقبل حوالى 30 مليون سائح أجنبى فى العام الماضى. هذا العدد هو أربعة أضعاف عدد الزوار قبل عدة سنوات. إن إدارة أساليب الضيافة وصناعة السياحة فى اليابان تتغير بشكلٍ كبير. ويجب على مصر واليابان أن تتعاونا معًا وأن تجتهدا معًا من أجل أن تصبحا قوة سياحية كبرى حقيقية بما تعنيه الكلمة.

## معاً نقيم عالماً سلمياً مفعماً بالحياة

وختاماً، وبعد مضى أربع سنوات على توليّ منصب السفير، أحس بأن هذه الفترة مرّت بسرعة البرق. وأن مشاريع التعاون بين مصر واليابان، خاصة تلك المتعلقة بالبنية التحتية فى مجال توليد الكهرباء، تسير على قدم وساق. وإضافة إلى ذلك، فإن اليابان تظلُّ منقطعة النظير فيما يتعلق بالتعاون فى مجال التعليم والثقافة قياساً بالنشاطات والأعمال التى تقوم بها السفارات الأخرى بالقاهرة. لقد سُئلت كثيرًا أثناء مقابلات مع وسائل الإعلام المصرى، لماذا تركز اليابان على التعاون فى المجال الثقافى، ولماذا وعلى النقيض من الدول الأخرى، تقوم اليابان بتنفيذ مشاريع التعاون الثقافى فى مصر. وكانت إجابتى على هذا السؤال فى منتهى البساطة. وهى أن التعاون والتبادل الثقافى وحده فقط الذى بمقدوره تعزيز الصداقة بين البشر وبعضهما البعض وإقامة عالم ومجتمع سلمى ومفعم بالحياة. وقد صارت لديَّ هذه القناعة من خلال تعاملى مع الأسرة المصرية التى عشت معها وأصدقائى المصريين من جيلى الذين تدارست معهم. إن مصر واليابان شريكان يتمتعان بالثقة المتبادلة، كما أن الشعبين المصرى واليابانى تربطهما علاقة صداقة حقيقية تجمع بينهما إلى الأبد. دعونا نبنى معًا مستقبلًا مشرقًا لنا وللأجيال القادمة.

# بين صفقة القرن وخطة مارشال

**سعى دونالد ترامب منذ دخوله البيت الأبيض كرئيس للولايات المتحدة لفرض النفوذ الأمريكى دولياً من منظور اقتصادي. وتحركه دائما خلفيته كرجل أعمال ورغبته فى تحييد وعزل إيران. كما تسعى إدارة ترامب لإعادة ترتيب أوضاع الشرق الأوسط لضمان أمن وسلامة الحليف الأول أى إسرائيل، ومنع التمدد الإيرانى فى المنطقة. ولتحقيق ذلك رأت هذه الإدارة أن المدخل الحقيقى يتمثل فى سرعة إيجاد حل ما للقضية الفلسطينية، فعملت على بناء تصور محدد يعرض على الأطراف المختلفة ويشكل قاعدة ارتكاز لأى اتفاق قادم. هذا الإطار هو ما لقب بـ «صفقة القرن». وهذه الصفقة التى يمكن أن تنهى قرناً من الصراع العربى الإسرائيلى ارتكزت على تصورات إسرائيلية وأمريكية سابقة قدمها العديد من الجنرالات فى إسرائيل والمسئولون الأمريكيون.**

## الخطوط العريضة لصفقة القرن

العرض الأمريكى تجاوز كل أسس عملية السلام وقرارات الشرعية الدولية والاتفاقيات الموقعة. فهو ينهى الحديث عن دولة فلسطينية مع إسقاط لقضية اللاجئين ولحق العودة والقدس بشكل كامل، بما يقضى تماماً على مبدأ حل الدولتين على أساس حدود عام 1967. وإذا كانت صفقة القرن تقوم على أربعة أعمدة أساسية وهى إزاحة القدس من طاولة التفاوض، وإنهاء قضية اللاجئين، وضم الكتل الاستيطانية الكبرى والإبقاء على جيش الاحتلال فى كافة الأراضى المحتلة مع تواجد مكثف فى منطقة الأغوار، فإن الصفقة تشمل كأحد تفريعاتها معالجة للأزمة

منى الدالى
monamdaly@yahoo.fr

الإنسانية فى غزة. وقد رفضت السلطة الفلسطينية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية إظهار أى مرونة أو استعداد لمناقشة خطة أو صفقة القرن أو حتى لقاء مسئولين أمريكيين بعد أن اعترف ترامب بالقدس المحتلة عاصمة لإسرائيل فى 6 ديسمبر 2017 وقام بنقل السفارة إليها فعلياً يوم 14 مايو الماضي. كما توافقت كل الدول العربية وعلى رأسها مصر والسعودية والأردن وفلسطين على أن أية خطة لسلام الشرق الأوسط تتجاهل حق الفلسطينيين الصريح فى إقامة دولة فلسطينية مستقلة تعيش إلى جوار إسرائيل فى أمن وسلام، وعاصمتها القدس الشرقية هى خطة فاشلة مسبقاً، وأن أى مشروع يتجاهل هذين الشرطين الأساسيين لا يمكن قبوله مهما يكن مصدره، وهذا ما عبر عنه بوضوح قاطع الرئيس المصرى عبدالفتاح السيسى

والعاهل السعودى الملك سلمان بن عبدالعزيز والملك الأردنى عبدالله بن الحسين ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، ومن ثم فإن ما سُمى بـ «صفقة القرن» التى يروج لها جاريد كوشنير زوج ابنة الرئيس ترامب، وجيسون جرينبلات ممثل الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط لا محل لها من الإعراب، ويرفضها كل القادة العرب. وتروّج إسرائيل للصفقة على أنها نشاط اقتصادى ضخم يقوم على شبكة طرق سريعة وأنبوب نفط يمتد نحو ميناء غزة، مما يحقق عائداً مالياً ضخماً لكل من مصر وقطاع غزة والأردن وإسرائيل. هذا فضلاً عن مجاراة هذه الصفقة للاتجاهات الجديدة فى العالم، والقائمة على حلول متعددة الأطراف على أساس ربحى واقتصادي. إذن فالاهتمام الاستثنائى بالتسوية فى سنة ترامب الأولى فى الحكم ليس له علاقة مباشرة بإحلال سلام حقيقى فى الشرق الأوسط، إذ تعتقد القيادة الأمريكية الجديدة بأن حلاً للصراع الفلسطينى الإسرائيلى سوف يساعدها فى تحقيق مآربها فى منطقة الشرق الأوسط تحت شعار الحل الإقليمى والسلام الاقتصادى فى قالب جديد. ولكن الرفض العربى دفع المسئولين الأمريكيين إلى التفكير فى خيارات بديلة مثل توفير مساعدات تنموية لقطاع غزة يبرهنون من خلالها على أن الولايات المتحدة لا تزال ملتزمة تجاه الشعب الفلسطيني.

## خطه مارشال الجديدة

ومن ثم تواتر الحديث عن «خطة مارشال أمريكية» لمعالجة الأوضاع الإنسانية المأساوية فى قطاع غزة يعكف مستشارا دونالد ترامب، وهما صهره كوشنير ومبعوثه جرينبلات، على صياغتها فى الوقت الراهن. وتعتمد الخطوط العريضة لخطة معالجة الأزمة الإنسانية فى قطاع غزة التى تطرحها واشنطن على أساس الاتفاق على هدنة طويلة الأمد مع حركة حماس تشمل تبادل الأسرى، وتعهد حماس بوقف حفر الأنفاق، والكف عن تطوير واستيراد أسلحة متطورة وفتاكة، خاصة الصاروخية، والاحتفاظ بأسلحتها الخفيفة والمتوسطة، وعلى أن يتم فى المقابل توفير معالجات فورية طارئة لقضايا إنسانية معيشية أقرب إلى خطة مارشال غزية، مثل إنشاء محطات كهرباء توفر الطاقة لمدة 20 ساعة على الأقل يوميا، وتقديم مئات الملايين من الدولارات لإنعاش الاقتصاد وتوفير فرص عمل، وإعادة بناء البنية الصحية والتعليمية التحتية، وبناء ميناء غزة، وتوسيع مساحة صيد الأسماك فى البحر، ورفع الحصار، بشرط أن يقوم الاتحاد الأوروبى بالإشراف على تنفيذ هذه الخطة. ويتفق الجميع، بمن فيهم إسرائيل، على أن غزة على وشك الانهيار بعد سنوات طويلة من الحروب والصراع والإدارة السيئة والتشاحن الفلسطيني-الفلسطينى، وأن تداعيات انفجار هذه الأزمة الإنسانية المخيفة، ستطال حلفاء الولايات المتحدة وتزيد من التعقيدات فى المنطقة. لكن المعضلة التى تواجه إدارة ترامب حاليا تتمثل فى رغبتها فى عدم مكافأة حركة حماس أو السلطة الوطنية الفلسطينية. أى أن المعضلة المطروحة أمامها تتمثل فى كيفية إيجاد الآلية التى يمكن من خلالها تخفيف الأزمة الإنسانية والمعيشية فى غزة دون مكافأة حركة حماس التى تدير القطاع أو السلطة الفلسطينية بقيادة الرئيس محمود عباس الذى أظهر ما اعتبرته واشنطن «تصلباً» غير متوقع إزاء مشاريعها. هذا هو ما يشغل فكر الرئيس ترامب ورجاله حالياً. ويذكر أن إدارة ترامب جمدت كل المساعدات المالية المقدمة للسلطة الفلسطينية باستثناء تلك المخصصة لأجهزة الأمن منذ نهاية شهر يونيو الماضى، فيما امتنعت عن الإفراج عن الأموال التى جمدتها فى بداية العام الحالى لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «أونروا» التابعة للأمم المتحدة.

## ضرورة توحيد الصف وتحقيق المصالحة الفلسطينية

ويمكن تلخيص رؤية ترامب للصراع الفلسطينى الإسرائيلى على أنه قد آن الأوان أن تنسحب واشنطن من دور الوسيط فى عمليه السلام مع الاحتفاظ بدور الوصى أو العراب المهيمن، وأنه لابد من الدفع بقوى إقليمية لتتولى التعامل مع الأزمة والضغط على الفلسطينيين لتقبل الحد الأدنى والاعتراف بإسرائيل كأمر واقع غير قابل للتغيير. ولكن فوجيء ترامب بمقاومة فلسطينية حادة وجادة للمشروع رغم التلويح بالمساعدات الاقتصادية. كما رفض القادة العرب خيانة القضية الفلسطينية. فمصر، تظل الشقيقة الكبرى التى خاضت الحروب وقدمت الشهداء دفاعاً عن تراب فلسطين. ولم تفلح فزاعة المد الإيرانى الشيعى فى إخافة دول الخليج أو استمالتها للموافقة على إهدار الحق الفلسطيني. فى حين أعلن العاهل الأردنى أن صفقة القرن ستفجر الغضب فى الشارع العربى ولن يمكن تمريرها. لذلك نجد أن إسرائيل، نتيجة هذا الرفض، حثت واشنطن على طرح خطة لإنقاذ قطاع غزة تحت مسمى خطة مارشال الجديدة آملا فى أن يدفع تخفيف الحصار على غزة بسكان القطاع إلى الضغط على قادتهم للقبول بالصفقة فى سبيل العودة للحياة الطبيعية. ولكن هذا الرهان خاسر. فالشعب الفلسطينى تحمل الشتات والإقصاء والحصار فيما مضى من أجل حقه فى الدولة المستقلة وفى العودة وفى القدس لسنوات وسنوات. لذا فإن أى حل لا يرتكز على هذه الحقوق التاريخية لن يمكنه القبول به. وإزاء تلك المحاولة الأمريكية، بالاتفاق مع إسرائيل، على الالتفاف حول ثوابت تسوية القضية الفلسطينية التى ارتضاها المجتمع الدولى، أضحت الأولوية القصوى تتمثل فى ضرورة توحيد الصف الفلسطينى وتحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية وتصحيح العلاقة بين فتح وحماس وتهدئة الأوضاع فى قطاع غزة بما يضمن تحقيق كل ذلك. ويكتسب ذلك أهمية خاصة بعد أن تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية فى السنوات الأخيرة إلى أدنى مستوى له نتيجة للأزمات التى تفجرت فى العالم العربى واستمرار تعنت الجانب الإسرائيلى علاوة على الانقسام الفلسطيني. لذا فإن المصالحة ولم الشمل الفلسطينى هما الشاغل الأكبر للعرب الآن وهو ما يتم تحت رعاية مصرية نجحت فى تقريب المسافات بين السلطة الفلسطينية وحركة حماس والفصائل الأخرى.

# تداعيات حرب ترامب التجاريـــة..

**مع انطلاق شرارة الحرب التجارية بين أمريكا والصين قطبى الاقتصاد العالمى 9 مارس الماضى بسبب قرار الرئيس الأمريكى فرض رسوم جمركية بنسبة 25٪ على واردات بلاده من الصلب وبنسبة 10٪ على الألمونيوم, وما تبعه من ردود فعل غاضبة من العديد من دول العالم خاصة الصين، وهناك تساؤلات حول أثر تلك الحرب التجارية على الاقتصاد العالمى؟ وهل ممكن أن تؤدى لتغييرات جوهرية فى موازين القوى الاقتصادية؟ والأخطر هل تهدد مستقبل النظام التجارى متعدد الأطراف؟**

**أحمد عبد السلام**

**باحث فى الشئون الاقتصادية فى الأهرام**

هذه التساؤلات أثارها بشدة (اتفاق جيفتا) وهـــو الاتفـــاق الأول من نوعه بين اليابان والاتحـــاد الأوروبى لإقامة منطقة للتجارة الحـــرة بين العملاقين الاقتصاديين لينشـــئ تجمع يعادل ثلث الناتج المحلى العالمى والجديد فى هذا الاتفاق الموقـــع منتصف يوليو الماضى بالعاصمـــة اليابانية طوكيـــو أنه يحل نزاعات تجارية معقـــدة بين الطرفين حيث سمحت طوكيو بإعفاء الصناعات الغذائية بمـــا فيها مشـــتقات الحليب ومنتجات الألبان الأوروبية من الرســـوم الجمركية مقابـــل تخفيضات متدرجة على الرســـوم الجمركية الأوروبية على السيارات اليابانية.

ولعل المفوضـــة الأوروبية للتجارة سيســـيليا مالمســـتروم زادت من حدة التساؤلات حول مستقبل الحرب التجارية بتصريحاتها فور توقيـــع الاتفاق بأنه إشـــارة قوية ضد الحمائية الأمريكية، مشيرة إلى أن الاتحاد الأوروبى يعد حاليا قائمة بالواردات الأمريكية التى ستكون مســـتهدفة إذا فرضت الولايات المتحدة رسوما جمركية على السيارات الأوروبية، كما يقود رئيس المجلس الأوروبى دونالد توسك جهودا لتوثيق العلاقات التجارية بين الاتحـــاد والصين ثانى أكبر اقتصاد عالمى فى مسعى يهدد بعزلة واشنطن تجاريا خاصة وأن الاتحاد الأوروبى بدأ الشهر الماضى فى تطبيق إجراءات للحد من وارداته مـــن الصلب من دول العالم فى ظل تخوف الاتحاد من إغراق أسواقه بالصلب الذى سيصعب تصديره للولايات المتحدة بعد قرار ترامب.

هذه التطورات المتســـارعة تفرض على دول العالم خاصـــة الدول النامية دراسة سياســـاتها التجارية ومستقبل مفاوضاتهـــا حول اتفاقيـــات منظمة التجارة العالمية فى ضوء المخاوف من انهيار النظام التجارى متعدد الأطراف الذى تقوده منظمة التجـــارة العالمية والقائـــم على أســـاس رفـــع الحواجز الجمركية من قبل الدول النامية واتخاذ خطوات جادة لتيسير تجارتها مع الدول الصناعية الكبرى فى مقابل تعهد الدول الكبرى بتقديم حزمة من المســـاعدات التنموية للدول النامية والأقل نموا وهو الملف الـــذى يجرى التفـــاوض حوله جماعيا منذ جولة الدوحة عام 1997 فيما يعرف بالمسار التنموى ولكن للأسف لم تسفر المفاوضات عن أى تقدم حتى الآن رغم تقدم المســـار التجارى الذى شهد عـــام 2015 توقيع أهـــم اتفاق تجارى دولى وهو اتفاق تيسير التجارة العالمية الذى كان يتوقع معه زيادة قيمة التجارة العالميـــة بنحو تريليـــون دولار خلال السنوات العشر الأولى من تنفيذ الاتفاق.

هذه المراجعة لأسس التفاوض فى منظمة التجارة العالمية أصبحت ضرورة أيضا فى ظل انفراط عقد الدول الكبرى ومســـارعتها لتوقيع اتفاقيات تجارية ثنائية بـــل وإعلان الرئيـــس الأمريكى دونالد ترامب عـــدم إيمانه بالاتفاقيات متعددة الأطراف التى يرى أنها أضعفت بلاده ومطالبته بتوقيع اتفاقيات ثنائية محددة الالتزامات بدلا من مسار منظمة التجارة العالمية التى حتى الآن لم يختار ممثل لبلاده بها.

ولا شـــك أن مراجعـــة السياســـة التجارية للدول الناميـــة أصبحت أمراً حتمياً بعد الضرر الواقع على عدد كبير من دول العالم من هذه الحرب التجارية العالمية التـــى اعتقد معظم الخبراء أنها ســـتقتصر على صدام أمريكا بالصين باعتبار بكين المنتـــج والمصدر الأكبر للصلب على مســـتوى العالم، إلى جانب أن الإجراءات الأمريكية تستهدف بشكل أساسى سد العجز التجارى الضخم مع الصين.

وحتى الآن يعتبر الرئيس الأمريكى الرابح الأكبر من هـــذه الحرب التجارية حيث استطاع انتزاع تنازل مهم بإعلان كندا والمكســـيك موافقتهما على إعادة التفاوض حـــول اتفاقية تحرير التجارة التى تربطهما مع أمريكا والمعروفة باسم النافتا، وهو أحد شروط ترامب لاستثناء كندا والمكســـيك من الرسوم الجمركية الإضافية، كمـــا أن مكاســـب الرئيس الأمريكى تظهرها مؤشرات أداء الاقتصاد الأمريكى حيـــث يتوالـــى تراجع عجز الميزان التجارى شهراً بعد آخر بخلاف تدنى معدلات البطالة لتسجل أدنى رقم لها منذ 46 عاما، مما أســـهم بدوره فى تحسن معدلات النمو الاقتصادى.

لكن هذه النتائج هنـــاك من يراها خادعة حيث توقع تقرير آفاق الاقتصاد

قمة أوروبية يابانية واتفاق للتجارة الحرة

العالمى الصادر عن صندوق النقد الدولى خلال شهر يوليو الماضى أن يزداد زخم الاقتصاد الأمريكى بصفة مؤقتة على المدى القريب، ليبلغ معدل النمو 2.9٪ فى 2018 قبل أن ينخفض إلى 2.7٪ فى 2019. كما سيؤدى التنشيط المالى الكبير مع الطلب النهائى القوى بالفعل من القطاع الخاص إلى ارتفاع الناتج الأمريكى أكثر فوق مستوى النمو الممكن وانخفاض معدل البطالة إلى أقل من المستويات المسجلة فى الخمسين عاما الماضية، مما يخلق ضغوطا تضخمية إضافية. متوقعا انتعاش الواردات الأمريكية مع زيادة قوة الطلب المحلى، مما يزيد من عجز الحساب الجارى فى الولايات المتحدة ويوسع الاختلالات المالية المفرطة.

هذه الرؤية تتفق مع رسالة وجهها للرئيس الأمريكى مطلع مايو الماضى 1140 خبيرا اقتصاديا منهم 14 فائزا بجوائز نوبل حذروا فيها من مخاطر السياسة الحمائية مذكرين بموقف مماثل اتخذه 1028 خبيرا اقتصاديا عام 1930 حين حذروا الكونجرس الأمريكى من مخاطر إصدار قانون عرف باسم سموت هاولى طبق سياسات حمائية أدت لفرض رسوم جمركية على أكثر من 20 ألف سلعة كانت تستوردها أمريكا فى ذلك الوقت وهو ما تسبب وفق هؤلاء الخبراء فى نشوب أزمة الكساد العظيم وهى أول أزمة اقتصادية عالمية حيث امتدت آثارها لجميع دول العالم.

ولا شك أن مسارعة الاتحاد الأوروبى لتوقيع اتفاقيات تجارية مع اليابان ومحاولة التوصل إلى تفاهمات مع الصين تأتى للرد على تهديد ترامب بفرض رسوم جمركية إضافية على واردات بلاده من السيارات الأوروبية بعد رفضه استثناء منتجات الصلب والألمونيوم الأوروبية من الرسوم الجمركية رغم أنه منحها مهلة 6 أشهر قبل تطبيق القرار الأمريكى عليها، مع تلميحه بإمكانية الإعفاء بشرط التوصل لتفاهمات تجارية لإعادة التوازن للعلاقات التجارية بين جانبى الأطلنطى، وهى تفاهمات يبدو أنها ستقتصر على بريطانيا فقط التى أعلن ترامب خلال زيارته للعاصمة البريطانية لندن منتصف يوليو الماضى استعداده لتوقيع اتفاق تجارى عظيم معها.

أما الصين فإن الحرب التجارية مع أمريكا على أشدها فبعد أن فرضت بكين رسوماً جمركية بنسبة 25٪ على سلع أمريكية تستورد منها بما قيمته 3 مليارات دولار فى رد فعل أولى على قرار ترامب الذى رد سريعا بتكليف الممثل التجارى الأمريكى دراسة سياسات وممارسات الصين التجارية، لتحديد كونها تنتهك حقوق الملكية الفكرية للشركات الأمريكية أو لا؟ مع فرض رسوم أخرى على قائمة ثانية من السلع الصينية بقيمة 34 مليار دولار لترد بكين بزيادة الرسوم الجمركية أيضا على 128 سلعة أمريكية أبرزها الحبوب والخمور ولحوم الخنزير والسيارات، وحاليا هناك تهديدات متبادلة من البلدين بفرض رسوم جمركية على قائمة ثالثة من المنتجات بما قيمته 200 مليار دولار وتهديد من ترامب بزيادتها إلى 500 مليار. ومن أبرز السلع الأمريكية التى تضمها القائمة الجديدة (فول الصويا) فيما يعد ضربة صينية قوية لقواعد الحزب الجمهورى بالولايات الجنوبية التى تشتهر بزراعة هذا المحصول الاستراتيجى. كما سارعت بكين بإعلان عدم ضخ أى استثمارات صينية جديدة بالسوق الأمريكية والاتجاه لربط عملتها بالذهب فى إطار سعيها لإحلال اليوان الصينى محل الدولار كعملة لتسوية التعاملات الدولية فى أعقاب نجاحها فى ضم اليوان لسلة عملات صندوق النقد الدولى التى كانت مقصورة فقط على الدولار واليورو والجنيه الإسترلينى والين الياباني فعلى أساس قيم تلك العملات يقدم صندوق النقد الدولى مساعداته وقروضه للدول الأعضاء.

هذه المواقف المشتعلة تأتى رغم تحذيرات عديدة من خطورتها على مستقبل الاقتصاد العالمى وتعافيه الهش حيث أكدت كريستين لاجارد المدير التنفيذى لصندوق النقد الدولى فى كلمة ألقتها بمعهد آسيا بمدينة هونج كونج يوم 11 أبريل 2018 أن توقعات صندوق النقد الدولى لمعدل نمو الاقتصاد العالمى لاتزال متفائلة حيث يتوقع أن تسجل 3.9٪ العام الحالى وأيضا خلال عام 2019 رغم ثلاثة تحديات تواجه العالم على رأسها السياسات الحمائية محذرة من أن التاريخ يشير بوضوح إلى الضرر الذى تلحقه قيود الاستيراد بالجميع، خاصة المستهلكين الفقراء، فهى لا تقود إلى زيادة ثمن المنتجات ومحدودية الخيارات المتاحة فحسب، إنما تؤدى أيضا إلى منع التجارة من القيام بدورها الأساسى فى دعم الإنتاجية ونشر التكنولوجيات الجديدة، ونتيجة لذلك، حتى الصناعات المحمية ستعانى فى نهاية المطاف.

**بعد عقود من الحديث الغربى حول حرية التجارة وفتح الأسواق والاعتماد على استيراد المنتج ذى التكلفة الإنتاجية المحلية العالية، ذلك المنطق الذى قضى على العديد من الصناعات المحلية فـــى الدول النامية، يأتى الرئيـــس الأمريكى ليزع القناع عن وجوه كافة الـــدول الصناعية التى أغرقـــت العالم بمنتجاتها، فبعدما ظلت الولايات المتحدة خلال العقود الماضية ترفض الادعاءات بأن شركاتها تمتلك مزايا غير عادلة بســـبب حجمها، ولكن بعد أن أخذت شركات الدول الناشئة وعلى رأسها الصين تكبر فى الحجم، بدأت الولايات المتحدة تطلق الادعاء بأن الحجم يعطى لتلك الشركات مزايا غير عادلة، وعلى عكس المعتقد الأوروبى بأن السياسة التجارية ليست لعبة فيها «خاسرون وفائزون» وأنها يجب أن تكون بلا خسارة.**

يرى الرئيـــس ترامب عكس ذلك، فتحت شـــعار «أمريكا أولا» وفى ظل تزايد العجز التجارى الأمريكى تجاهل «ترامـــب» كافة التحذيـــرات من أن حربا تجارية، إذا اندلعت، فســـتكون ســـيئة جدا للعالم برمتـــه؛ حيث دق طبول الحرب التجارية على الشـــركاء التجاريـــين الذين يحققـــون فائضًا فـــى تجارتهم مع واشـــنطن، واصفًا تجارتهم مع الولايـــات المتحدة بغير المنصفة وغير العادلة، ومجيزًا إجراء مراجعـــات مرتبطة بالأمـــن القومى بمقتضى قانون للتجارة لم يجر تفعيله منذ عام 2001، وبدأ مسلســـل فرض الرسوم التجارية وهو ما قوبل برسوم

**أمل عبد اللطيف**

**amalabdelltif2006@gmail.com**

عقابية من هؤلاء الشركاء على العديد من وارداتهم من المنتجات الأمريكية، وكذلـــك تتبـــادل الـــدول الصناعية التهديدات وغلق أسواقها تجاه بعضهم البعض. وهنا يطرح التســـاؤل نفسه هل اتخاذ واشـــنطن إجراءات تجارية انتقاميـــة على حد وصـــف ترامب، قد أتـــى ثماره بشـــأن تراجع العجز التجارى الأمريكى وهل تلك السياسات الحمائية قد تشكل مصدر قلق رئيسى، على مستقبل التجارة العالمية، فى ظل تأثير الدومينو؟

## مظاهر دق طبول الحرب التجارية

شدد الرئيس ترامب فى برنامجه الانتخابى على الشـــعارات الحمائية والدعوات لحماية العمال والمؤسسات الأمريكيـــة، واصفًا منظمـــة التجارة العالمية بأنها «كارثة»، ودعت إدارته

إلى إصلاحات شاملة فى المنظمة، والتى تتهمها واشنطن بأنها تحابى دولا ناشئة على غرار الصين. وعلى مستوى المعاملات التجارية الثنائية، فمثلما كانت العقوبات الاقتصادية هى السلاح الأمريكى المصوب نحو أية دولة تتبع أى إجراء ترى واشنطن أنه يهدد الأمن القومى الأمريكى، أصبحت الرسوم الجمركية عقاباً لكل شريك تجارى لا يتفق مع واشنطن سياسيًا، فلم يفلت حتى حلفاء واشنطن الأوروبيين من سلاح غلق الأسواق الأمريكية كرد عقابى لهم على عدم موافقتهم على العديد من التوجهات السياسية الخارجية لواشنطن كالملف الإيرانى وزيادة نسبة الإنفاق العسكرى لأعضاء حلف الناتو الأوروبيين، إلى تواصل الاتهامات وتبادل الدول فرض الرسوم الجمركية،

فرغم أن الشراكة الاقتصادية بين الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة، تعد المحرك الأكثر أهمية للنمو الاقتصادى العالمى والتجارة، حيث تمثل نحو 30٪ من تجارة السلع العالمية، وما يقرب من 40٪ من التجارة فى الخدمات، ونحو نصف الناتج المحلى الإجمالى العالمى. لكن على ما يبدو أن خروج بريطانيا (حليفة أمريكا الأبرز فى الاتحاد الأوروبي) من الاتحاد فى 2020، جعل مفاوضات «اتفاقية الشراكة فى التجارة والاستثمار عبر المحيط الأطلسي»، غير مغرية بالنسبة لواشنطن، لاسيما وأن ربع صادرات الولايات المتحدة إلى أوروبا من نصيب بريطانيا، التى تعد أكبر أسواقها فى مجال الخدمات على مستوى العالم.

وفى ظل تلك التطورات، صرح الرئيس ترامب بأن سياسة الاتحاد الأوروبى التجارية مع بلاده «غير منصفة إطلاقا» معلنا فى مارس 2018 فرض رسوم جمركية على صادرات الاتحاد من الصلب بنسبة 25٪ والألومنيوم بنسبة 10٪، لتدخل حيز التنفيذ فى يونيو الماضى، وهو ما قوبل بإعلان المفوضية الأوروبية فى 20 يونيو 2018، أن الاتحاد الأوروبى سيطبق ابتداءً من 22 يونيو 2018، رسوما جمركية بواقع 25٪ على مجموعة من المنتجات الأمريكية قيمتها 2.8 مليار يورو (3.2 مليار دولار). وهو ما قوبل بتهديد أمريكا بفرض رسوم على السيارات الأوروبية. ولم تقتصر الحرب التجارية للاتحاد الأوروبى مع الولايات المتحدة على فرض الرسوم الجمركية، بل قام الاتحاد الأوروبى بتقديم شكوى قانونية ضد كل من الصين والولايات المتحدة لدى منظمة التجارة العالمية فى الأول من يونيو 2018، بعد إعلان واشنطن فرض رسوم جمركية عقابية. كما تصاعدت اللهجة الانتقادية للعلاقات التجارية الأمريكية مع الصين، ففى ظل المخاوف جراء الإفراط فى الإنتاج الصينى، وما يتعلق بالأمن القومى والدفاع، حيث بلغت قيمة الواردات من الصين لأمريكا خلال العام 2016 نحو 463 مليار دولار، مقابل صادرات 116 مليار دولار، بعجز تجارى وصلت قيمته إلى 347 مليار دولار بنسبة 60٪ من إجمالى العجز التجارى الأمريكى. وقد اتهم الرئيس ترامب الصين فى تصريحات مباشرة، بسرقة أمريكا بسبب سياستها التجارية وقال إن الصين تتلاعب فى عملتها، إضافة إلى تسببها فى خسائر الوظائف بأمريكا فى القطاع الصناعى. وإلى جانب الرسوم المفروضة على كافة الواردات الأمريكية من الصلب والألومنيوم، أطلقت واشنطن رصاصتها الأولى المباشرة لبكين. ففى 6 يوليو الماضى فرضت رسوماً نسبتها 25 فى المائة على سلع صينية تبلغ قيمتها 34 مليار دولار. وردت الصين على ذلك بفرض نسبة مماثلة على 545 منتج أمريكى، تبلغ قيمتها هى الأخرى 34 مليار دولار، وتتصاعد لغة التصعيد بين الطرفين، حيث كشفت بكين مؤخرا عن خططها الخاصة لفرض رسوم جمركية قدرها 60 مليار دولار على 5207 سلعة أمريكية، فى حال فرضت واشنطن الرسوم المُلوّح بها؛ حيث كانت الولايات المتحدة تهدد باحتمال تشديد الرسوم الجمركية على 200 مليار دولار من البضائع الصينية المستوردة.

## هل أتت سياسات ترامب ثمارها؟

أفادت وزارة التجارة الأمريكية، أواخر يوليو الماضى، بأن الإجراءات التجارية الأمريكية «تؤتى ثمارها بشكل أفضل بكثير مما كان متوقعاً» وتوقعت أن يحقق سوق الولايات المتحدة أرباحا بشكل كبير بعد إعادة التفاوض على ما وصفت بأنها «صفقات التجارة الفظيعة» بنجاح. ولكن بقراءة الأرقام، نجد أن السياسات التجارية التى قام «ترامب» بتبنيها لن تفعل شيئا يذكر لخفض إجمالى العجز التجارى والعجز فى ميزان المعاملات الجارية للولايات المتحدة، لأن ذلك العجز مرتبط بإنفاق الولايات المتحدة الذى يتجاوز الدخل. فعلى الرغم من تراجع العجز التجارى للسلع والخدمات فى مايو 2018 بنحو 9.8 مليار دولار بالمقارنة مع يناير 2018، إلا أن وصول الميزان التجارى لعجز قيمته 43.05 مليار دولار فى مايو2018 يعود بالميزان التجارى لمستوياته الطبيعية خلال العام 2017، ما يعنى أن ارتفاع العجز إلى 52.88 و55.53 فى شهر يناير وفبراير 2018 كان الاستثناء بالمقارنة بعام 2017، كما أن الواردات الأمريكية لم تتراجع حيث بلغت 258.38 مليار دولار فى مايو 2018 مقابل 238,595 مليار دولار فى مايو 2017 .

## حرب تجارية بين كبار المنتجين

ولـــم يقتصر انعـــدام الأثر على الميزان التجـــارى، بل يطال الاقتصاد الأمريكى بشكل مباشر، ففرض الاتحاد الأوروبى والصيـــن تعريفات جمركية على المنتجات الزراعيـــة الأمريكية، ســـيضر بالمزارعيـــن الأمريكيين، وستخسر الولايات المتحدة أكبر أسواق لتصريف منتجاتها خاصة من القمح والفول الصويا. كما إن زيادة الرسوم على واردات الفولاذ أضرت بالعديد من الشركات التى تعتمد عليه كمادة أولية بعد ارتفاع أسعاره، وبالمثل فى حالة فرض رسوم على السيارات الأوروبية، فالمصنعـــون الأوروبيـــون ينتجون 1.8 مليون سيارة سنويّاً على الأرض الأمريكية، يتمّ تصدير ما نســـبته 60 فى المائة إلى خارج أمريكا، وتحديداً إلى أوروبا ومناطق أخرى، وأى رسوم ســـيفرضها «ترامب» على السيارات وقطع الغيار ســـتكون بنتائج عكسية تتضرر منها أولاً المصانع الأمريكية، وبالتالى اليد العاملة هناك. وقد خلص تقرير صادر عن معهد «بيترســـون للاقتصاد الدولي» معنى بالشـــئون التجارية إلى أن شن الحرب التجارية الشـــاملة ســـيدفع بمعدلات البطالة المحلية فى الولايـــات المتحدة إلى 9 نقاط مئوية بحلـــول عام 2020 من واقع 4.9٪ المسجلة حاليا.

### مستقبل النظام التجارى.. وحرب النفوذ

فرغـــم تزايد الشـــكوك فى قدرة منظمة التجـــارة العالمية على فض المنازعـــات وتحقيق العدالة التجارية وفق طرق عديدة، خاصة بعد فشـــل الاجتمـــاع الوزارى الأخيـــر للمنظمة فى الخـــروج بوثيقة ترفض الحمائية التجارية وتدافع عـــن الدول النامية، كما فشـــل فـــى الإعلان عـــن جولة مفاوضات جديدة وتسوية النزاعات. إلا أن الولايـــات المتحـــدة لن تجعلها تنهار لاسيما وأن الكثير من التحليلات تؤكـــد أن الانتقـــادات الأمريكية ما هى إلا منـــاورة للحصول على وضع وامتيـــازات أكثر، خاصـــة وأن مهمة منظمة التجارة العالمية هى تبســـيط التجـــارة، وتســـهيلها، وجعلها حرة تنتقل بلا حدود جمركية، «وهذه كلها أمور حيويـــة للولايات المتحدة، كيف يمكن أن تدير ظهرها لها» على الأجل الطويل.

وفى نفس الوقـــت يعكس إعلان الصيـــن تأييدهـــا ودعمهـــا للنظام التجـــارى متعدد الأطـــراف، أننا إزاء مرحلة من الأفـــول التدريجى للعولمة ذات الصبغـــة الأمريكية لصالح بزوغ نمط من العولمة ذات صبغة تشاركية بين كافة الدول المنتجة. ومن الواضح أن النظـــام الدولى يصر على أن تظل البلدان النامية فـــى المنطقة الرخوة إنتاجيا حتى تظل مكاناً وسوقاً كبيراً مفتوحاً لعرض وبيع ســـلع ومنتجات الاقتصاديات الكبرى بصورة ضاغطة دون السماح بتدشـــين علاقة تبادلية تسمح بإنجاح تجربة الاعتماد المتبادل بين أســـواق ومنتجات كل الدول على بعضها بصورة تسمح للاقتصاديات النامية بالنمو والتطور والمنافســـة؛ حيـــث أصبـــح الإبقاء علـــى ظاهرة الفقر فى الدول النامية أمراً محكومًا عليها لضمان اســـتدامة حاجتها إلى مســـاعدة الفاعلين فى حقل العولمة،

فمنهج العولمة السائد الآن فى المجال الاقتصادى يشير إلى أن نسبة 20٪ من السكان العاملين سيكفى للحفاظ على النشاط الاقتصادى الدولى، فخُمس قوة العمل ستكفى لإنتاج جميع السلع وسد الخدمات التى يحتـــاج إليها المجتمع العالمى. وأكثـــر من ذلك، فإن طبيعة الاستثمارات الأجنبية فى الدول النامية تتسم بضآلة قيمتها ومحدودية جدواها على مستوى التنمية الاقتصادية، فقد بين تقرير الاســـتثمار العالمى لعام 2017 الـــذى أصـــدره مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأنكتاد) أن الولايات المتحـــدة ظلت تمثل فى عام 2016 أكبر متلق للاستثمار الأجنبى، تليها المملكة المتحـــدة. فيما احتلت الصين المركز الثالث، وظلت تدفقات الاســـتثمار الأجنبى المباشر الخارجة مـــن البلدان المتقدمـــة ضعيفة. وقد انخفضت بنسبة 11 فى المائة لتصل إلى تريليـــون دولار، الأمر الذى يرجع بصورة رئيسية إلى تراجع استثمارات الشركات الأوروبية متعددة الجنسيات. وعلى كل الأحوال، سيظل العالم الأقل نموا سوقًا لترويج بضائع الكبار سواء أمريكا أو الاتحـــاد الأوروبى أو حتى الصين التى ترفع راية حماية الحقوق التجاريـــة للدول الناميـــة إلا أنها فى الحقيقة تغرق أســـواقهم بمنتجاتها بشكل تعجز منتجات تلك الدول على الصمود أمامهـــا، ولكن فى ظل إقدام النظام الاقتصادى العالمى على عصر جديد يمكـــن أن يطلـــق عليه «ثورة الإنتاج الرخيص»، حيث إن الاقتصاد الذى يتمكن من إحداث ثورة فى كمية الإنتـــاج، تمكنه من إغراق الأســـواق العالميـــة بمنتجـــات رخيصة الثمن، حتى وإن كانت أقل من ناحية المكون التكنولوجى بين منافساتها؛ سيصبح هو القوة الاقتصاديـــة العالمية الأهم. على الدول الأقل نمواً الاقتداء بالنسق الفكرى للنمـــوذج التنموى الصينى،

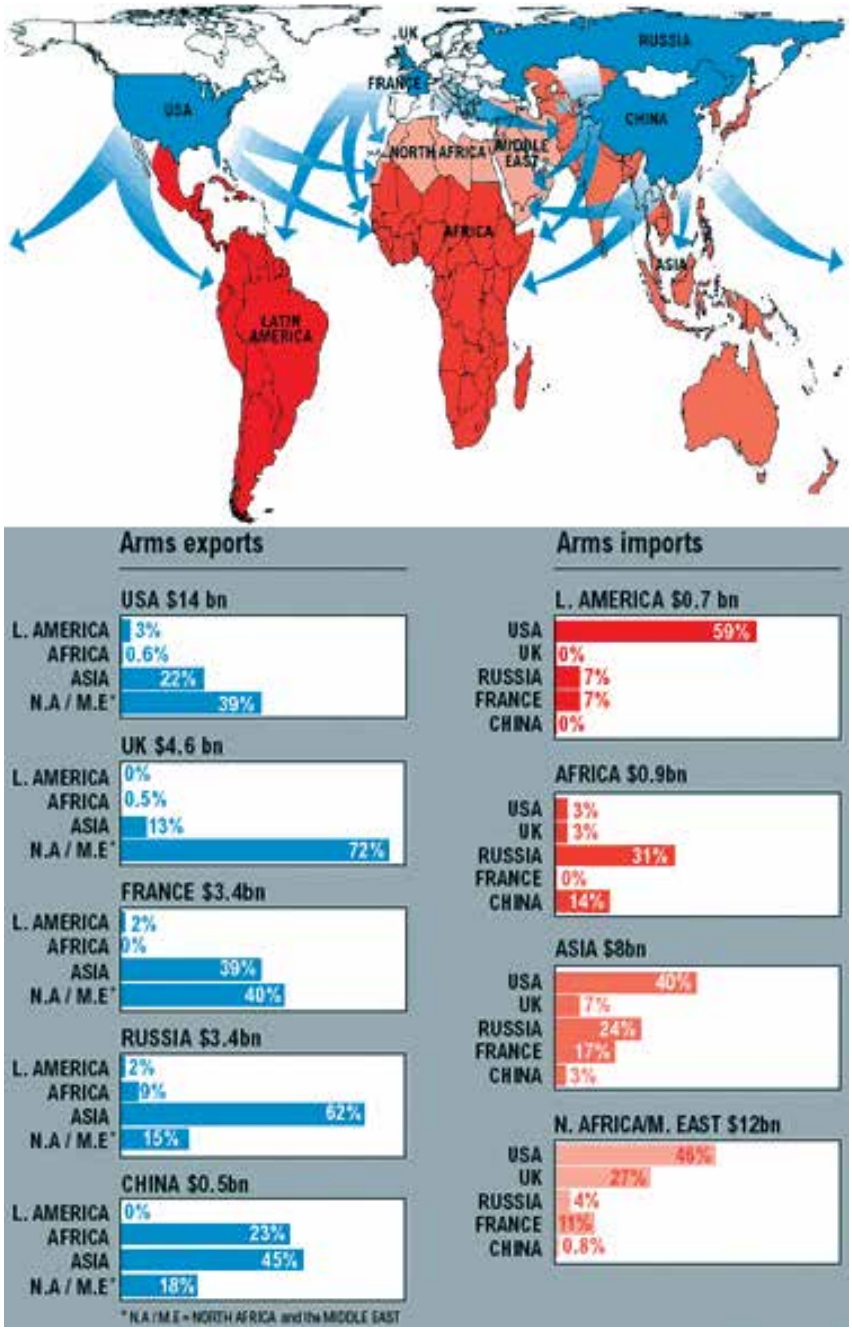


القائم على كثافـــة الإنتاج الرخيص؛ حيث تشـــير إحصاءات الإيكونومست إلى اتجاهـــات نمو التجارة التى تتجه لصالح الدول الناشئة.

وهنا لا يجب على الدول النامية أن تعول على غيرها، بل أن تعلن تكتلها وتصمد أمام العديد من الإغراءات التى تتقدم إليها لتقديـــم تنازلات تجارية وتعلن أنهـــا لن تفتـــح الحدود على مصراعيها قبل أن تجتمع أولا شروط التنميـــة الاقتصاديـــة داخليا، بحيث بينت الأبحاث الاقتصادية بأن استفادة الدول الســـائرة فى طريق النمو من تحرير المبادلات مرتبط أشد الارتباط بحصولهـــا على وســـائل تمكنها من الوصول إلى الســـوق العالمية بفضل بنيات تحتية مناسبة وخدمات جمركية ومصرفية فعالة كذلك إنتاج يتناسب مع الســـوق العالمية.. وأن تعلن عن احتفاظها بهامش سياسى كامل، لكى تتمكن من بلورة سياسات تنموية من صلب اختيارها.

# عمالقة الاقتصاد العالمى عام 2050

**عرض أحد الفيديوهات المعنونة 10 مدهشين على القمة AMAZING TOP TEN للتقارير التى أصدرتها شركة برايس ووتر هاوس آند كوبرز الأمريكية عن تنبؤاتها حول الإقتصاد العالمى، والتى تضمنت أنه فى عام 2050 يتوقعون أن تشكل بعض الاقتصادات مفاجآت فى وصولها إلى مراكز فى الترتيب لعشر أكبر اقتصادات فى العالم.**

**سفير عبدالفتاح عزالدين**

afmecairo@gmail.com


ومن المعروف أن القائمة «الحالية لأكبر 10 اقتصادات فى العالم هى كالتالى: الولايات المتحدة والصين واليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا والهند وإيطاليا والبرازيل وكندا.

وهذا يعنى أن معظم القائمة هى اقتصادات دول غربية وعلى رأسها الولايات المتحدة.

ولكن تنبؤات الشركة الأمريكية الشهيرة تشير إلى أن هذه القائمة سوف تشهد تغيرات دراماتيكية وفقا لتقديرات إجمالى الناتج القومى الإجمالى الاسمى NOMINAL GDP أى على أساس إجمالى الناتج من السلع والخدمات للاقتصاد خلال عام، حيث يتوقعون أن يصبح ترتيب أكبر الاقتصادات العالمية فى عام 2050 كما يلى: الصين والولايات المتحدة والهند واندونيسيا واليابان والبرازيل وألمانيا والمكسيك والمملكة المتحدة وروسيا.

وتبرز التقديرات أهم الأسباب وراء احتلال هذه الدول تلك المراكز المتقدمة فيما يلى بالترتيب التنازلى:

المركز العاشر: روسيا: سيبلغ إجمالى الناتج القومى لها 5.1 تريليون دولار ويدعمها فى هذا وفرة الموارد المعدنية والبترول والغاز.

المركز التاسع: المملكة المتحدة: سيبلغ إجمالى الناتج القومى لها 5.4 تريليون دولار وتعزى قوتها الاقتصادية إلى علاقاتها القوية مع الولايات المتحدة الأمريكية، واستمرار نموها السكانى وعزلتها عن المشاكل الاقتصادية للقارة الأوروبية «لازالت تستخدم عملة مستقلة».

المركز الثامن: المكسيك: سيبلغ إجمالى الناتج القومى لها 6.5 تريليون دولار وترجع قوتها الاقتصادية إلى علاقتها القوية بجارتها الولايات المتحدة، بالإضافة إلى القدرة الانتاجية العالية لاقتصادها.

المركز السابع: المانيا: سيبلغ إجمالى الناتج القومى لها 5.7 تريليون دولار وهى دولة قوية اقتصاديا ـ خاصة منذ الخمسينيات من القرن الماضي، واستمرت فى تحقيق نمو قوى جعلها الاقتصاد الثالث فى العالم لعشرات السنين قبل أن تلحق بها الصين، ومن نقاط قوة الاقتصاد استخدام التكنولوجيا العالمية والصادرات المتنوعة إلى جميع أنحاء العالم.

المركز السادس: البرازيل: سيبلغ إجمالى الناتج القومى لها 6.5 تريليون دولار ويتميز اقتصادها بالإنتاج الوفير وتعداد السكان الكبير ووفرة الموارد الطبيعية بالبلاد.

المركز الخامس: اليابان: سيبلغ إجمالى الناتج القومى لها 6.8 تريليون دولار وقد كانت ثانى أقوى اقتصاد فى العالم لعشرات السنين حتى تفوقت عليها الصين فى عام 2010.

المركز الرابع: اندونيسيا: سيبلغ إجمالى الناتج القومى لها 7.3 تريليون دولار وهى من مفاجآت الوصول إلى القمة لأنها حاليا تحتل المركز الـ 16 فى الاقتصاد العالمى، ولكنها ستحقق قفزة ضخمة يسبب الانتاجية الكبيرة وتوافر المواد الطبيعية والتعداد الكبير للسكان.

المركز الثالث: الهند: سيبلغ إجمالى الناتج القومى لها 28 تريليون دولار ورغم ان الهند مواردها الطبيعية ليست وفيرة، وأرضها صغيرة نسبيا فإن تعداد سكانها سوف يصبح الأكبر فى العالم خلال العام القادم حيث سيصل إلى 1.5 مليار نسمة، ويحتاج الاقتصاد الهندى إلى نسبة نمو صغيرة ولكن ستمرة ويشهد تصدير الهند إلى الخارج طفرة كبيرة.

المركز الثانى: الولايات المتحدة: سيبلغ إجمالى الناتج القومى لها 34 تريليون دولار فى عام 2050 ستكون الولايات المتحدة قد فقدت مركزها الأول لصالح الصين.

وقوة اقتصاد الولايات المتحدة يعود إلى ضخامة السوق الاستهلاكى بها بالإضافة إلى ريادتها التكنولوجية وقوتها التصديرية ومخزونها الضخم من الموارد الطبيعية وسوف تظل قوة اقتصادية عالمية لعدة قرون قادمة.

المركز الأول: الصين: سيبلغ إجمالى الناتج القومى لها 05 تريليون دولار وسيكون أكبر بكثير من الاقتصاد الأمريكى.

وإذا تحالف الاقتصادان الصينى والهندى وتعاونا من خلال الاتفاقات الاستراتيجية بينهما، فإنهما يصبحا ضعف قوة الاقتصاد الأمريكى، بما يعنيه هذا من تزايد أهمية كل من منطقتى المحيط الهادى والمحيط الهندى.

# كوكبنا يعانى تحت وطأة التحديات البيئية والمناخية

**إنه صيف حار جدا، إذ تواصل درجات الحرارة ارتفاعها المطرد عن معدلاتها خلال هذا الوقت من العام مسجلة رقم قياسى جديد وهو الأمر الذى ربما يتواصل العام المقبل أيضا. وفى وقت تعمل فيها أجهزة تكييف الهواء على حمايتنا من تلك الحرارة المرتفعة حتى إن كنت تمضى عطلتك الصيفية فى الساحل، فإننا نذكرك بأن هذا الارتفاع الحاد فى درجات الحرارة ما هو إلا وجه بسيط لظاهرة التغير المناخى.**

إذا ما هو التغير المناخى على وجه التحديد ولماذا أصبح يمثل قضية كبرى لكوكبنا؟ نيويورك تايمز تقدم لنا شرحا مفصلا لتلك القضية والمفاهيم الخاطئة المرتبطة بها.

## حياتك

قد تظن أن ارتفاع درجات الحرارة بمعدل درجتين أمر غير ذى قيمة؟ ربما يتعين عليك مراجعة معلوماتك فى هذا الشأن، ففى الوقت الذى يبدو حديث أحد علماء المناخ عن ارتفاع درجات الحرارة بواقع درجتين مئويتين مقارنة مع عام 1880 غير ذى قيمة بالنسبة لأشخاص مثلنا وخصوصا الذين لا يجدون ثمة فرقا بين 43 درجة مئوية و45 درجة مئوية، فإن هذا التغير الطفيف فى درجات الحرارة له آثار كارثية على كوكب الأرض. فقد أثبت العلماء بالدليل الدامغ أن هذا الارتفاع الطفيف فى درجات الحرارة تسبب فى موجات من الاحتباس الحرارى بالإضافة إلى الأعاصير والسيول التى أصبحت أكثر قوة من ذى قبل.

ما هى التبعات فى المستقبل؟ بدأت الآثار الخطرة الناجمة عن التغير المناخى فى بسط سيطرتها الفعلية على كوكب الأرض، ويشير الجدل المثار حول هذه القضية إلى مدى دلالة خطورة الموقف. وإذا ما استمر الوضع على ما هو عليه، فإن الأمور قد تتجه نحو الأسوأ فى غضون العقود الثلاثة المقبلة مع حالة من الاضطرابات وارتفاع معدلات المياه فى البحار وغرق المدن الساحلية. ولكن هذا لا يعنى أن تلك الأمور لا يمكن احتواؤها. فتغير السياسات والسلوك المرتبط بالبيئة قد يؤدى إلى تحسن الأوضاع وإحداث الفارق.

لم تستوعب الأمر بعد؟ إذا كان الأمر كذلك، ربما يتعين عليك قراءة المزيد هنا، حيث نقدم الأسباب غير المتوقعة والتى تؤدى إلى تفاقم أزمة التغير المناخى والتى قد تؤثر عليك أنت بصورة شخصية.

ويبدو أن الوضع قد ازداد سوءا: فقد سمعنا جميعا عن أساليب قياس معدلات الاحتباس الحرارى والتى تشمل معدلات ثانى أكسيد الكربون فى الهواء وارتفاع معدلات مياه البحر وبكل تأكيد ارتفاع درجات الحرارة، ولكن هناك شيء آخر يثير مخاوف العلماء وهو ارتفاع درجات الحرارة فى ليالى الصيف. ففى بعض المناطق بالولايات المتحدة، ارتفعت درجات الحرارة بالمساء لتصل إلى 38 درجة مئوية، وفقا لما ذكرته نيويورك تايمز، والتى حذرت فى تقريرها أيضا من أن المعدلات التى ترتفع بها الحرارة فى المساء تقترب من ضعف المعدلات التى ترتفع بها درجات الحرارة خلال النهار.

لماذا يجب أن تهتم؟ حسنا لسبب أساسى، ارتفاع درجات الحرارة خلال ساعات الليل قد يكون قاتلا. «المزيج بين ارتفاع درجات الحرارة فى النهار وأثناء الليل قد يكون قاتلا حقا، لأن الجسم لا يجد فرصة ليبرد خلال ساعات الليل»، حسبما تقول لارا كاشنج أستاذة علم الأوبئة البيئية فى جامعة سان فرانسيسكو. كبار السن والمرضى والأطفال الصغار، مهددين بشكل خاص من موجات الحرارة المرتفعة فى ليالى الصيف. وكذلك عمال الزراعة والبناء وغيرهم ممن يعملون فى الهواء الطلق، والذين لن يعود فى استطاعتهم تجنب الحرارة المرتفعة بالعمل فى أوقات مبكرة أو متأخرة من اليوم.

ولمن يظنون أن أجهزة التكييف تحميهم من التغير المناخى، نقول إن هذا التفكير هو أحد أسباب الأزمة. مكيفات الهواء تصدر الهواء الساخن إلى الغلاف الجوى، وترفع من درجات الحرارة الخارجية. أثر الاستخدام الكثيف لمكيفات الهواء على استخدام الطاقة وعلى حرق الوقود الأحفورى المنتج لتلك الطاقة، لا يساعد إطلاقا على مواجهة التغير المناخى.

وفى أجواء شبيهة بأفلام «ماد ماكس»، ستكون هناك مناطق من العالم غير صالحة للحياة حرفيا بنهاية هذا القرن. وبطبيعة الحال، فإن أول مكان يتبادر إلى الأذهان هو منطقة الخليج. ووفقا لنماذج محاكاة حاسوبية أعدها باحثون بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، فإن منطقة الخليج

## كوكبنا يعانى تحت وطأة التحديات البيئية والمناخية

ستكون أكثر المناطق حرارة فى العالم بحلول عام 2100 كنتيجة للتغير المناخى. ومع ذلك، لا يتوقع العلماء والاقتصاديون حدوث كارثة فى تلك المنطقة، نظرا للثروة التى تتمتع بها الدول الخليجية، علاوة على انخفاض عدد السكان، وانخفاض احتياجاتهم الغذائية.

المنطقة التى تشكل خطرا حقيقيا هى جنوب آسيا. يقول الفاتح الطاهر الأستاذ بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا والمشارك فى إصدار الدراسة إن «المناطق الأكثر تضررا فى شمال الهند، وجنوب باكستان، وبنجلاديش يسكنها 1.5 مليار نسمة». وتظهر الدراسة أن نحو 2٪ من سكان الهند معرضين لمزيج خطير من ارتفاع درجات الحرارة والرطوبة. ومن المتوقع أن ترتفع تلك المعدلات بنسبة 70٪ بحلول عام 2100 إذا لم يتم مواجهة هذا التغير المناخى. وتسببت الموجات الحارة فى جنوب آسيا فى صيف عام 2015 فى وفاة نحو 3500 شخص، ومثل هذه الأحداث ستصبح أكثر تكرارا وشدة، وفقا للباحثين.

سياسيون فى الهند يحذرون من كارثة وشيكة تهدد الصحة العامة فى عدد من المدن الهندية، وفقا لتقرير معمق نشرته صحيفة نيويورك تايمز. يقول سوجاتا ساونيك الذى كان مسؤولا رفيع المستوى فى وزارة الداخلية الهندية إن «تلك المدن ستصبح غير صالحة للمعيشة، إلا إذا قامت الحكومات المحلية بوضع نظم للتعامل مع هذه الظاهرة وتوعية المواطنين بها». وحتى الآن، فإن ردود الفعل غير كافية لمعالجة المشكلة.

هل ما زلت غير مقتنع بالخطر؟ ماذا عن احتمالية أن تفقد قهوتك الصباحية؟ التغير المناخى يشكل خطرا واضحا وحاضرا للغاية لمشروب القهوة الذى كان عنصرا أساسيا فى حياة ملايين البشر فى القرون الماضية، حسبما يقول هوارد شولتز الرئيس التنفيذى السابق لسلسلة مقاهى ستاربكس فى تصريحات لمجلة تايم. نصف الأراضى حول العالم التى تستخدم لزراعة حبوب القهوة عالية الجودة ستكون غير صالحة بحلول عام 2050 ووفقا لدراسة حديثة فان تلك النسبة قد ترتفع إلى 88٪ فى أمريكا اللاتينية.

كيف تواجه شركات القهوة الكبرى الأزمة؟ عدم اتخاذ الحكومة موقفا حاسما فى تلك القضية دفع الشركات مثل ستاربكس بالتدخل لتأمين حصولها على احتياجاتها الضخمة من القهوة. فى عام 2013، اشترت ستاربكس مزرعة بمساحة 600 فدان فى كوستاريكا حيث تقوم بزراعة وتحميص البن العربى. وتستخدم الشركة هذه المزرعة كحقل اختبار للتهديدات التى تواجه القهوة بسبب التغيرات المناخية. ويقول باحثون إن فى المستقبل القريب، سيضطر المزارعون إلى الانتقال إلى مناطق أكثر ارتفاعا عن سطح البحر كى يتمكنوا من زراعة البن، ولكن فى مناطق لن يجد المزارعون أماكن ليذهبوا إليها. ويقول شولتز إن «هناك مناطق بالكامل مهددة بأن تصبح غير صالحة لمواصلة زراعة البن العربي».

### بعد أن نجحنا فى نقل شعور

## الخطر إليك، ما الذى يمكننا فعله؟

العالم بأكمله يجب أن يعيد استخدام المخلفات بالطريقة التى تتبعها السويد. على مدار السنوات العديدة الماضية، أتقنت الدولة الإسكندنافية صناعة تحويل النفايات إلى طاقة. وبعد أن أصبحت النفايات الموجودة بالبلاد غير كافية لتوليد الطاقة اللازمة، أصبحت السويد تستورد النفايات بكثافة. وتقوم السويد بتدوير نحو 47٪ من مخلفاتها، وتستخدم نحو 52٪ أخرى من النفايات، مثل المعادن الخردة، ولوحات الدوائر الكهربية، والمخلفات الزراعية، فى برنامج تحويل النفايات إلى طاقة، والذى ينتج الكهرباء من حرق النفايات. ولا يتبقى بعد ذلك سوى 1٪ من النفايات والتى ينتهى بها المطاف فى مكبات النفايات.

وربما تتساءل لماذا قد يستورد أحد القمامة؟ من منظور بيئى، يضمن شراء بعض من نفايات العالم اللا نهائية إعادة استخدام المزيد منها، ما يعنى إن على الأقل نسبة ما من المليارى طن من النفايات لن ينتهى بها المطاف فى المحيطات أو الأنهار، أو فى أمعاء الكائنات البحرية. ومن ناحية اقتصادية، فإن بيع القمامة هو مكسب للطرفين فى معظم البلدان. ليس فقط لأن شحن القمامة إلى السويد يكون أحيانا أرخص بالنسبة للدولة من تكلفة التخلص منها فى مكبات النفايات، ولكن أيضا لأن بعض منشآت تحويل القمامة إلى طاقة تدفع ما يصل إلى 43 دولار لكل طن من النفايات. فى عام 2014 فقط، صدرت دول مثل بريطانيا وإيطاليا حوالى 2.3 مليون طن من النفايات، وهو ما ترجم إلى نحو 100 مليون دولار من الإيرادات.

فى مصر، تبدو إمكانيات إعادة تدوير النفايات كبيرة للغاية، خاصة الآن مع وضع الحكومة أخيرا تعريفة خاصة لمشروعات إنتاج الطاقة من المخلفات (1.03 جنيه للكيلووات ساعة). ومع وصول التعداد السكانى لنحو 100 مليون نسمة، فإننا على الأرجح ننتج مخلفات أكثر من أن نستطيع إدارتها. وهناك إمكانية لإعادة تدوير نسبة كبيرة من تلك المخلفات، واستخدامها لإنتاج الطاقة، بل وحتى تصديرها.

المسؤولية البيئية ليست بالضرورة عبئا ماديا. مؤخرا بدأت العديد من الشركات تبنى مفهوم الاستدامة كأولوية لديها، من خلال تركيب أجهزة موفرة للطاقة، وتقليل إهدار الطعام، وترشيد استهلاك المياه. وبينما يبدو ذلك عبئا ماديا، تتسارع الابتكارات لتخفيض تكلفة هذا التوجه الأخضر. تتحدث مجلة فوربس عن منتجعات سينوفا، والتى تعطى مثالا جيدا فى تحقيق الاستدامة مع كفاءة فى الإنفاق. من خلال إعادة تدوير البلاستيك والزجاج، واستخدام ألواح شمسية، وإنتاج الفحم الذى يستخدمونه فى الطهى، وإنتاج السماد من نفايات الفنادق. وعلاوة على ذلك، عينت المنتجعات خبيرا فى الهندسة البيئية للإشراف على بناء المنشآت والتأكد من عدم استخدام أسمنت فى بناء الغرف.

ويمكنك أيضا تمرير التكلفة إلى العملاء: قامت منتجعات سينوفا بفرض رسم على الأثر الكربونى بنسبة 2٪ على الزائرين لتخفيض الانبعاثات الكربونية المباشرة وغير المباشرة فى نطاق المنتجع، ويشمل ذلك أى انبعاثات كربونية يتسبب فيها الزائرين القادمين إلى المنتجع بالطائرة. وحتى الآن تم جمع 8 ملايين دولار من خلال تلك الرسوم، وجرى توجيهها إلى تمويل مشروعات مستدامة مثل بناء توربينات رياح فى الهند، وزراعة المزيد من الأشجار فى تايلاند، وتوفير مياه الشرب النقية للآلاف حول العالم.

الطائرات التى تعمل بالطاقة الشمسية ستحدث فارقا جذريا: تعمل شركة إيرباص على إنتاج طائرة تعمل بالطاقة الشمسية وتستطيع التحليق فى الجو لـ 120 يوما متواصلا. طائرة زيفاير التى تسعى إيرباص لتصنيعها لن تكون طائرة ركاب، بل فى الواقع سيكون وزنها مقارب لمتوسط وزن الإنسان، وفق ما تقوله «بى بى سي». ولكن قدرة الطائرة على البقاء فى الجو لفترات طويلة يعنى إمكانية الاعتماد عليها كمنصة للاتصالات أفضل وأسهل من الأقمار الصناعية. تقول صوفى توماس رئيسة برنامج زيفاير لدى إيرباص إن زيفاير لديها الإمكانية لإحداث ثورة على صعيد إدارة الأزمات، ويشمل ذلك مراقبة حرائق الغابات وتسرب النفط».

ارتفاع درجات الحرارة يعنى

## كوكبنا يعانى تحت وطأة التحديات البيئية والمناخية

انخفاض معدلات الإنتاجية: الإنتاجية على المستويين الشخصى والوطنى تنخفض بشدة بسبب ارتفاع درجات الحرارة بشكل غير مريح، وفقا لموقع بيزنس إنسايدر. يمكن أن تبدو الفكرة غريبة فى البداية، ولكن فلنفكر فيها بعض الوقت: ما هو مدى ميل أى منا للعمل أو الدراسة أو أن يكون منتجا بينما تصل درجة حرارة الطقس إلى 45 درجة مئوية؟ مع ارتفاع درجات الحرارة، يقوم الدماغ بقضاء مزيد من الوقت فى التخلص من الحرارة الزائدة والعودة إلى حالة التوازن، وهو ما يتم ترجمته مباشرة إلى أداء أقل. وهذا التأثير واضح على المستوى الوطنى - فقد أثبتت الدراسات أن الدول الأكثر دفئا تكون الإنتاجية بها أقل وينخفض بها الناتج المحلى الإجمالى. ويرجع هذا الانخفاض جزئيا إلى تدهور إنتاجية كل فرد، فى حين أن العناصر غير البشرية، مثل المحاصيل، يمكن أن تتضرر أيضا نتيجة الطقس الحار.

الانحرافات فى الأحوال الجوية يمكن أن تؤدى إلى ارتفاع وتيرة الصراعات، والتقليل من قدرتنا الإنتاجية: «لكل ارتفاع فى الانحراف المعيارى لدرجات الحرارة، يزداد عدد مرات النزاعات بين الأشخاص بنسبة 2.4٪، بل إن الصراع بين المجموعات، كما فى أعمال الشغب والعنف العرقى والغزو وعنف العصابات والحرب الأهلية، وغير ذلك من عدم الاستقرار السياسى ترتفع بشكل أكبر: بمتوسط 11.3٪ لكل ارتفاع فى الانحراف المعيارى فى درجة الحرارة، وفقا لما صدر عن المنتدى الاقتصادى العالمى. ويعتبر الصراع بين المجموعات أكثر تعقيدا لأنه يعنى الإضرار بالإنتاجية على الصعيد الوطنى.

### أموالك

التغير المناخى سيضر بمحفظتك أيضا: إذا كنت تعتقد بأن التغير المناخى سيؤثر فقط على العالم الطبيعى والموطن البيئى للإنسان، فأنت مخطئ تماما، إذ أن تأثيرات ذلك التغير ستضر ميزانيتك المنزلية أيضا. ووفقا لما جاء بموقع ناشيونال جيوحرافيك، من المتوقع أن تصل الخسائر الاقتصادية الناتجة عن موقف الإنسان اللا مبالى تجاه العناية بالبيئة خلال العقد المقبل إلى نحو 360 مليار دولار سنويا. إن التغير المناخى أمر واقع، وقد كان وسيظل له أثر مالى على كل جانب من حياتنا تقريبا. فهل لا زلت تعتقد بأنه لن يضر بك؟ موقع «يو إس نيوز» قدم قائمة ببعض النواحى التى يؤثر فيها التغير المناخى سلبا على محفظتك.

• صحتك: يميل النظام المناعى بجسمك إلى أن يضعف بسبب ارتفاع درجات حرارة الأرض. وينتج أيضا عن التغير المناخى تغيير أنماط الرياح مما يؤدى إلى نشوب الحرائق بشكل متكرر وتزايد مستويات الأوزون مما يزيد من حالات الربو وأمراض القلب والأوعية الدموية.

• طعامك: من المتوقع أن يؤدى التغير المناخى إلى خفض نسب المحاصيل والماشية، مما يؤدى إلى ارتفاع أسعار الطعام.

• راتبك: إن خروجك من المنزل وتوجهك إلى العمل فى تلك الحرارة الحارقة سيزداد صعوبة. ووفقا لتقديرات وكالة حماية البيئة، سيتم فقد 1.8 مليار ساعة عمل جراء ارتفاع درجة الحرارة بحلول عام 2100، مما يؤدى إلى خسارة قدرها 170 مليار دولار فى الأجور.

• فاتورة الكهرباء: ارتفاع درجة الحرارة خلال فصل الشتاء وارتفاعها بشكل أكبر خلال الصيف سيؤدى إلى زيادة استخدام مكيفات الهواء وارتفاع صافى تكاليف استهلاك الطاقة بنسبة تتراوح من 10 إلى 22٪.

• وسائل النقل: إذ أن شبكات الطرق والبنية التحتية لدينا فى خطر دائم من التغيرات المناخية، فإننا سننفق أكثر على خدمات الصيانة والإصلاح، أو حتى استبدال السيارات بالكامل.

### عائلتك

الأسرة الأصغر هى أفضل مساعدة البيئة: من بين جميع الأشياء التى يمكن للأجيال المقبلة فعلها لتقديم المساعدة لكوكبنا، يظل الأمر الأكثر فاعلية هو تكوين عائلة أقل عددا. هناك الكثير من الأشياء الصغيرة التى يمكننا جميعا القيام بها للتقليل من مساهمتنا فى تفاقم التغير المناخى. إلا أن ما سيكون له الأثر الأكبر هو الحد من الزيادة السكانية - فقد توصلت دراسة أجريت عام 2017 إلى أن طفل واحد أقل فى الأسرة، أكثر فاعلية 25 مرة فى خفض الانبعاثات الكربونية، مقارنة بالعيش دون سيارة، وفقا لما جاء فى موقع Population Matters لا تتسرع بتوجيه أصابع الاتهام إلى الأسر ذات الدخل المنخفض والتى لديها العديد من الأطفال: «الأفراد فى العالم المتقدم لديهم التأثير الأكبر، لذلك فإن الأشخاص الذين يختارون أن يكون لديهم أسر أقل عددا فى أغنى مناطق العالم سيكون لديهم أكبر تأثير إيجابى فورى... انخفاض الانبعاثات نتيجة قلة عدد الأشخاص الذين يولدون فى بلدان أكثر ثراء يسمح بالمزيد من التنمية

الاقتصادية فى البلدان الأكثر فقرا دون زيادة إجمالى الانبعاثات».

وبمجرد أن تحظى بأطفال، علمهم الاحترام والاهتمام بالبيئة فى سن مبكرة قدر الإمكان. يبدأ ذلك بالسلوكيات ونمط الحياة الصديق للبيئة الذى يتبناه طفلك وتصبح عادة لديه. بعض هذه العادات قد تكون مكلفة للغايـــة، مثل الاعتماد فقط على الأغذية العضوية، ولكن هناك تغيرات أخرى فى العادات والسلوكيات يمكن أن تفعلها ببساطة لتصبح نموذجا إيجابيا لأسرتك. يقدم موقع فيلى فويس برنامج لإعـــادة التدوير فـــى منزلك، يخفض استهلاك أسرتك من المنتجات البلاستيكية التى تستخدم لمرة واحدة، مثل الماصات وزجاجات المياه، وغيرها من الأفعال البسيطة المؤثرة والموفرة.

## أناقتـــك

التوجه الأخضر بكل الألـــوان: مع تزايد الوعى العالمـــى بالقضايا البيئية الملحة، أصبح مـــن الطبيعى أن يكون الجيل الصاعد من مصممى الأزياء أكثر حرصا على تطبيق ممارسات الاستدامة. «من الفســـاتين الراقيـــة المصنعة من أكياس القهوة وحتـــى الترتر المقطع من الزجاجات المعاد تدويرها، يحاول أحـــدث القادمين إلى عالـــم الأزياء أن يديروا ظهرهم إلـــى ماضى الصناعة الملوث»، حســـبما تقول وكالة رويترز، والتى أشارت إلى دراسة لمؤسسة إلين مـــاك أرثر تقول إن «أقـــل من 1٪ من الملابس يعـــاد تدويرها، ونحو نصف مليـــون طن من الألياف البلاســـتيكية الدقيقة تخرج من الملابس المغســـولة سنويا، أى ما يوازى أكثر من 50 مليار زجاجة بلاستيكية». اضغط هنا لمعرفة المزيد عن «الأضـــرار الحقيقية للمواد البلاستيكية الدقيقة».

الوعى البيئـــى لا يقتصر فقط على الأســـماء الصغيرة فى عالم الأزيـــاء. أديداس-على ســـبيل المثال- صنعت بالفعل وبكميات كبيرة أحذية مصنعة بالأساس من الزجاجات المعاد تدويرها. وتعمل الشركة أيضا تدريجيا على زيادة استخدام البلاستيك المعاد تدويره فى منتجاتها على مدى الســـنوات الســـت

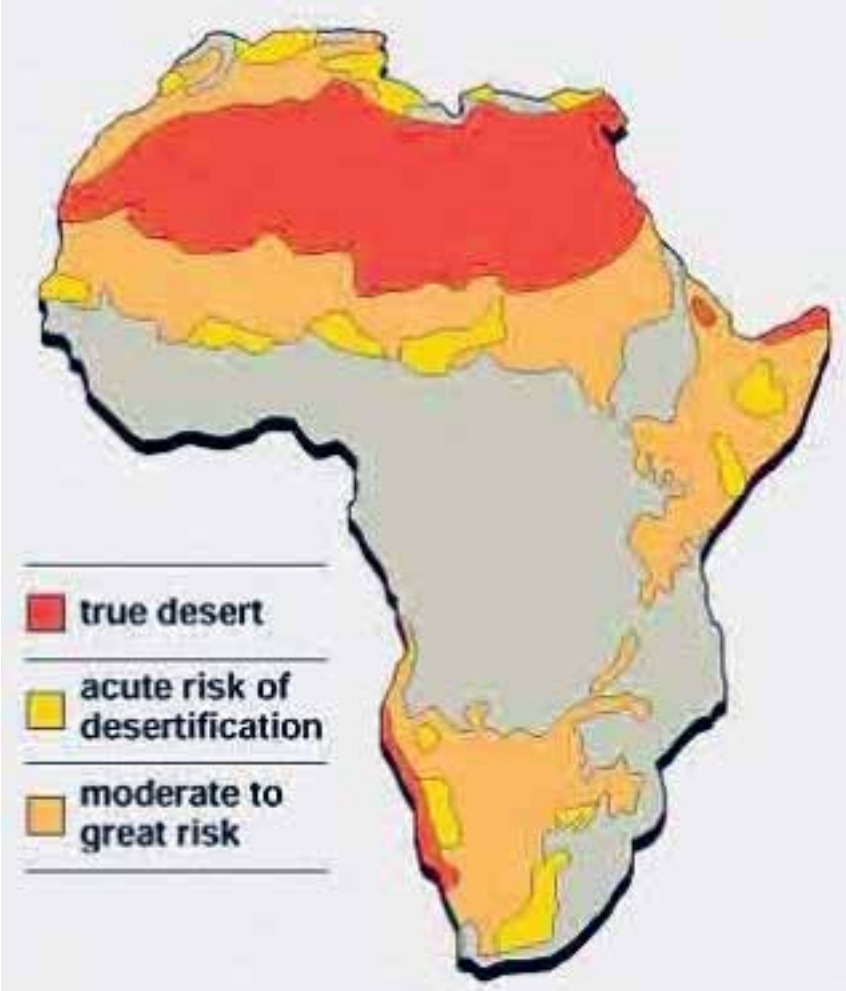


المقبلة، لتتوقف نهائيا عن اســـتخدام «البوليســـتر البكر» والذى يدخل حاليا بنسبة 50٪ فى المواد التى تستخدمها الشركة لإنتاج منتجاتها. وأعاد المصمم الإيطالى ســـلفاتورى فيراجامو إنتاج الحـــذاء الذى صنعته الشـــركة لنجمة «ساحر أوز» المطربة والممثلة الأمريكية الراحلة جودى جارلاند فى عام 1932... ولكن بـــدلا من جلد الغزال اســـتخدم المصمم خيوط الكروشـــيه العضوية، والمصبوغة بألـــوان طبيعية، ومبطنة من الجلد المصنع باستخدام تكنولوجيا اللايرتيك، دون اســـتخدام أى مياه أو انبعاثـــات كربونية فى عملية التصنيع، وفقا لموقـــع ذا ناشـــيونال. وأعلنت شـــركات مثل «نايكي» و«إتش أند إم» و«جاب» و«بيربيري» مشـــاركتها فى مبادرة عالمية لتقليل النفايات العالمية من خلال إعادة التدوير.

وإذا كنت تفكر كم ســـيكلفك ذلك الحـــذاء الصديق للبيئة، فـــإن خبراء الصناعة يعتقـــدون أن الفـــارق فى السعر بين البلاســـتيك المعاد تدويره والبلاستيك الجديد سيتقلص تماما فى السنوات المقبلة، مع تحول المزيد من الشـــركات نحو الموارد المتجددة، ومع زيادة قـــدرة الموردين على إنتاج مواد معاد تدويرهـــا بكميات كبيرة، وفق ما ذكرته صحيفة فايننشال تايمز.

***

**منشـــور بترتيـــب خـــاص مع «انتربرايـــــز» مع شكر وتقدير هيئة تحرير مجلة الدبلوماسي.**

**نشـــرة يومية تصدرها شـــركة انتربرايـــز فنشرز ذات المسئولية المحدودة – ســـجل تجـــارى رقم 83594.**

**www.enterprise.com**

## مقتطفات عن تقرير ولاية مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى

# بالحق في التنمية

### مقدمة للولاية

UNITED NATIONS
HUMAN RIGHTS
SPECIAL PROCEDURES
SPECIAL RAPPORTEURS, INDEPENDENT EXPERTS & WORKING GROUPS

كتب في يناير 2018 بواسطة مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بالحق في التنمية. السيد/ سعد الفرارجي

**أولا: نبذة عن**

مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى بالحق فى التنمية

**ما المقصود بمقرر الأمم المتحدة الخاص؟**

تم وصف المقرر الخاص بأنه «عيون وآذان» مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة وهو أيضا بمثابة صوت مستقل يعينه المجلس للتحقق من «ولاية» محددة وإعداد تقارير بشأنها «تتناول عادة موقف بلد ما أو إحدى قضايا حقوق الإنسان» واعتباراً من 1 أغسطس 2017 توجد 44 ولاية ذات مواضيع مختلفة و12 ولاية خاصة بالبلدان.

يعد المقررون الخصوصيون بمثابة خبراء مستقلين ـ وبرغم تعيينهم من قبل المجلس إلا أنهم ليسوا من موظفى الأمم المتحدة ولا يتقاضون أجراً مقابل عملهم ولا تعكس آراؤهم بالضرورة رأى الأمم المتحدة أو وكالاتها أو الدول الأعضاء بها.

ما هى ولاية مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى بالحق فى التنمية؟

يتولى المقرر الخاص المعنى بالحق فى التنمية مراقبة القضايا التى تؤثر على الحق فى التنمية والإبلاغ عنها والدعوة للترويج لها من جميع أنحاء العالم وهو مكلف بشكل صريح بالمساهمة فى الترويج للحق فى التنمية وحمايته وأعماله فى سياق تنفيذ خطة التنمية المستدامة لعام 2030 وإطار سينداى للحد من مخاطر الكوارث وخطة عمل أديس أبابا الصادرة عن المؤتمر الدولى الثالث لتمويل التنمية واتفاقية باريس بشأن تغير المناخ.

تم إنشاء هذا المنصب فى سبتمبر 2016 بموجب قرار مجلس حقوق الإنسان رقم 33/14 ويمكن العثور على الولاية الكاملة للمقرر الخاص هنا.

**من هو المقرر الخاص الحالى؟**

المقرر الخاص الحالى «والأول على الإطلاق» المعنى بالحق فى التنمية هو السيد/ سعد الفرارجى من مصر وقد بدأ ولايته فى 1 مايو 2017 لفترة أولية مدتها ثلاث سنوات.

**كيف يعزز المقرر الخاص حقوقى ويحميها؟**

يمتلك المقررون الخصوصيون عدداً من الأدوات تحت تصرفهم تساعدهم على أداء عملهم وتشمل:

التقارير المواضيعية العامة: يتعين على المقررين الخصوصيين تقديم تقارير سنوية إلى كل من مجلس حقوق الإنسان والجمعية العامة وتتناول هذه التقارير عادة تفاصيل أنشطتهم ونتائج الأبحاث حول موضوعات محددة وتشكل سجلاً مكتوباً لأعمال الولاية وتمثل هذه التقارير أدوات مهمة لتسليط الضوء على القضايا الملحة والاتجاهات العالمية فى مجال حقوق الإنسان: وتتضمن عادة توصيات لإجراءات محددة ترمى إلى تحسين الوضع على أرض الواقع.

الزيارات القطرية: يحق للمقررين الخصوصيين أيضاً زيارة الدول بناء على دعوة من الحكومات حيث يعقدون مقابلات مع الحكومة والمجتمع المدنى وآخرين لتقييم قضايا حقوق الإنسان المتعلقة بنطاق ولايتهم ويقدمون بعد ذلك نتائج هذه الزيارات ـ بالإضافة إلى التوصيات ـ فى التقارير العامة المرفوعة إلى مجلس حقوق الإنسان.

استلام الشكاوى والتحقيق فيها: يجوز لأى فرد أو مجموعة أو منظمة مجتمع مدنى أو كيان حكومى دولى أو هيئات حقوق الإنسان الوطنية تقديم شكوى بشأن انتهاكات حقوقهم مباشرة إلى أى مقرر خاص ويكون ذلك فى المقام الأول عن طريق استبيان على الموقع الإلكترونى لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة spsubmission. https ohchr.org:// أو فى حالة تعذر ذلك فعن طريق البريد أو الفاكس أو البريد الإلكترونى (urgent action@ohchr.org) ويفحص المقرر الخاص حينئذ هذه الشكاوى وقد يكتب طلباً رسمياً للحصول على المعلومات ـ يعرف باسم «الاتصال» ـ إلى الحكومة المعنية وتعرض هذه الاتصالات والردود الحكومية على كل دورة عادية لمجلس حقوق الإنسان .

يمتلك المقرر الخاص أدوات أخرى أيضاً تشمل عرض المساعدة الفنية إلى الحكومات وإجراء دراسات رسمية واستخدام منصة للمشاركة فى التوعية والأنشطة العامة التى ترفع الوعى حول الحقوق وغيرها.

**هل يتمتع المقرر الخاص بأية سلطات إنفاذ؟**

كلا لا يتمتع المقررون الخصوصيون بسلطات إنفاذ ملزمة قانوناً. ويعود للمجلس وهيئات الأمم المتحدة الأخرى والدول الأعضاء فى الأمم المتحدة تقرير ما إذا كانوا سيتصرفون بناء على نصيحتهم ولكن وضعهم كخبراء فى مجالهم يعطى تقييمهم أهمية وسلطة كبيرة وتمثل تقارير المقررين الخصوصيين أداة دعوة مهمة للمجتمع المدنى الوطنى لمتابعة وممارسة الضغط على الحكومات.

**ثانيا: الحق فى التنمية:**

**ما المقصود بالحق فى التنمية ولمن ينتمى؟**

يتعلق الحق فى التنمية بتعزيز وحماية قدرة الأفراد على المشاركة فى التنمية والإسهام فيها والتمتع بها ـ بما فى ذلك التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية ويتصور أن «الإنسان» «يجب أن يكون موضوعاً مركزياً ومشاركاً ومنتفعاً فى عملية التنمية. ولذلك لا يعد الحق فى التنمية حقاً من حقوق الإنسان فحسب فى حد ذاته، ولكنه أيضاً ضرورى للتحقيق الكامل لجميع حقوق الإنسان الأخرى، ويدعو أيضا إلى التوزيع العادل للمنافع الناتجة عن التنمية.

يعد الحق فى التنمية حقاً فردياً وجماعياً على حد سواء، وهذا يعنى أن الجماعات «على سبيل المثال الدول والشعوب والأمم والمجموعات» تعد أيضاً من المنتفعين من الحق فى التنمية.

يتشابك الحق فى التنمية بصورة كبيرة مع حق الشعوب فى تقرير مصيرها وحقها فى ممارسة السيادة التامة على كل ثرواتها ومواردها الطبيعية. ولذلك ينطبق الحق فى التنمية على كامل سكان الدول والولايات.

**ما سبب أهمية الحق فى التنمية؟**

حقق العالم تقدماً رئيسياً فى الحد من الفقر حيث تم انتشال أكثر من مليار شخص من الفقر المدقع منذ 1990 وعلى الرغم من هذا لا يزال هناك حوالى 800 مليون شخص يعيشون فى فقر مدقع اليوم ويعانون من الجوع ولكن الأكثر مدعاة للقلق هو أن معدلات الفقر موزعة بشكل متفاوت للغاية على سبيل المثال: تواجه النساء والأشخاص الذين يعيشون فى بلدان هشة أو متأثرة بالصراعات درجة عالية من التعرض للفقر، وقد يظل حوالى 35 فى المائة من السكان فى البلدان الأقل نمواً فى حالة فقر مدقع حتى عام 2030 إذا استمر عدم المساواة.

يتناول الحق فى التنمية القضايا العامة والهيكلية والأسباب الجذرية للفقر وعدم المساواة والصراع وسوف يساعد تنفيذه الفعال على الحد من الفقر وعدم المساواة ومنع الصراعات وتعزيز التقدم، وعدم ترك أى شخص يتخلف عن الركب بحيث يستطيع جميع الأفراد والشعوب العيش بحرية ومساواة وكرامة والتمتع بسلام دائم.

**هل يتعلق الحق فى التنمية بالتقدم الاقتصادى دون سواه؟**

لا، غالباً ما يتم إساءة فهم التنمية كعملية اقتصادية بحتة تقاس فقط عن طريق الزيادة فى إجمالى الناتج المحلى وعلى الجانب الآخر يؤكد الحق فى التنمية على عملية شاملة تتضمن التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وتضع الشعب ـ وليس الحكومات أو رجال الأعمال ـ فى بؤرة الاهتمام.

يتعلق الحق فى التنمية أيضاً بإنشاء نظام اجتماعى ودولى

يمكن فيه إعمال جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية بالكامل لجميع الأفراد والشعوب فى جميع البلدان ويتعلق بإنجاز نتائج محددة كما أنه يتعلق أيضاً بتنفيذ عملية محددة للتنمية تسمح بإعمال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالإضافة إلى الحقوق المدنية والسياسية والحريات عن طريق توسيع قدرات واختيارات الأفراد والشعوب لتحسين الرخاء وتحقيق ما يتمنونه.

### ما هى مصادر نشأة الحق فى التنمية؟

جاء ذكر الحق فى التنمية للمرة الأولى كحق مميز فى عام 1966 عندما أشار إليه وزير خارجية السنغال آنذاك «دودو ثيام» فى الجمعية العامة وربط ثيام الفشل فى تلبية الأهداف الإنمائية للأمم المتحدة بفشل الدول التى تحررت من الاستعمار حديثاً فى حل اختلال التوازن الاقتصادى المتنامى بين العوالم النامية والمتقدمة.

على الرغم من ذلك فإن أسس الحقوق يعود تاريخها لما قبل تصريح «ثيام» يمكن العثور عليها فى المواد:1 و55 و56 من ميثاق الأمم المتحدة وتنص هذه المواد على أن العلاقات السلمية والودية بين الأمم تتطلب ظروف الاستقرار والرفاه ـ وهى كلمات تؤكد بوضوح على أهمية الحق فى التنمية ويحظر الميثاق أيضاً التمييز ويمنح الأمم المتحدة الولاية لتعزز ـ من بين أشياء أخرى مستويات المعيشة الأفضل والتوظيف الكامل وظروف التقدم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والاحترام العالمى لحقوق الإنسان.

حصل الحق فى التنمية على المصادقة الرسمية فى إعلان الحق فى التنمية الذى اعتمد من خلال قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 41/ 128 فى 4 ديسمبر 1986 وقد عرف الإعلان الحق فى التنمية بأنه حق من حقوق الإنسان غير قابل للتصرف وبموجبه يحل لكل إنسان ولجميع الشعوب المشاركة والإسهام فى تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية والتمتع بهذه التنمية التى يمكن فيها إعمال جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية إعمالاً تاماً.

عمل الحق فى التنمية منذ ذلك الحين كقيمة إرشادية للعديد من الإعلانات والإطارات الدولية بما فى ذلك إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية لعام 1992 وإعلان وبرنامج عمل فيينا وخطة عام 2030 وأهداف التنمية المستدامة وإطار سينداى للحد من مخاطر الكوارث للفترة 2015 ـ 2030 وخطة عمل أديس أبابا الصادرة عن المؤتمر الدولى الثالث لتمويل التنمية واتفاق باريس بشأن تغير المناخ ومجموعة قرارات مجلس حقوق الإنسان ويشار إليه أيضا فى وثائق حقوق الإنسان الإقليمية الرئيسية فى الأمريكتين وأفريقيا وآسيا وفى الميثاق العربى لحقوق الإنسان.

### إعلان الحق فى التنمية

يحدد إعلان الأمم المتحدة المعنى بالحق فى التنمية بشكل قاطع التنمية كحق ويضع الأشخاص فى قلب عملية التنمية.

أعلنت الوثيقة الرائدة التى اعتمدتها الجمعية العامة فى 4 ديسمبر 1986 هذا الحق غير قابل للتصرف فيه معلنة أن لكل إنسان الحق فى المشاركة والإسهام فى تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية والتمتع بهذه التنمية التى يمكن فيها إعمال جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية إعمالا تاماً.

تتمثل واحدة من النقاط الأساسية التى يرتكز عليها هذا الإعلان فى أن السعى لتحقيق النمو الاقتصادى لا يشكل غاية فى حد ذاته. بالأحرى، يجب النظر إلى التنمية باعتبارها عملية شاملة تهدف إلى تحسين رفاه السكان كافة ولجميع الأفراد على أساس مشاركتهم النشطة والحرة والهادفة فى التنمية وفى التوزيع العادل للمزايا الناتجة عنها.

### هل الإعلان المعنى بالحق فى التنمية ملزم قانوناً؟

كلا ولكن مبادئه الأساسية ـ مثل حق تقرير المصير والتقدم الاقتصادى والاجتماعى ومستويات المعيشة الأفضل والمشاركة والشمول والمساواة وعدم التمييز ـ ترتكز على القانون الدولى الملزم قانونا مثل ميثاق الأمم المتحدة والعهود والاتفاقيات الدولية بشأن حقوق الإنسان» علاوة على ذلك تمثل المباديء مثل عدم التمييز وسيادة الدول أيضاً جزءاً من القانون الدولى العرفى الملزم لجميع الدول.

### لماذا تم إنشاء ولاية مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى بالحق فى التنمية؟

تم إنشاء ولاية المقرر الخاص فى سبتمبر 2016 لأن مجلس حقوق الإنسان رأى وجود حاجة ملحة لجعل الحق فى التنمية واقعاً لكل شخص ومثل توقيت القرار ـ قبل العيد السنوى الثلاثين لإعلان الحق فى التنمية مباشرة ـ فرصة فريدة للمجتمع الدولى لإظهار وتكرار التزامه بالحق فى التنمية.

لاحظ المجلس أيضا حاجة لدى المجتمع الدولى للسعى لزيادة قبول الحق فى التنمية كجزء لا يتجزأ من الإطار الدولى لحقوق الإنسان ويحتل ذلك أهمية على وجه الخصوص فى سياق تنفيذ خطط التنمية الرئيسية للأمم المتحدة على مدار العقد المقبل وما يليه بما فى ذلك خطة التنمية المستدامة لعام 2030 وإطار سينداى للحد من مخاطر الكوارث وخطة عمل أديس أبابا واتفاق باريس بشأن تغير المناخ.

للحصول على المزيد من المعلومات حول تحديات إعمال الحق فى التنمية انظر الجزء 3.

### هل توجد هيئات أخرى تابعة للأمم المتحدة تعمل على الحق فى التنمية؟

نعم تم تكليف مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان بتعزيز إعمال الحق فى التنمية وحمايته وتحسين الدعم من الهيئات ذات الصلة فى منظومة الأمم المتحدة لهذا الغرض. يتوافر المزيد من المعلومات حول عمل المفوضية السامية فى ذلك الميدان عبر الموقع الإلكترونى لمفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

تم تكليف الفريق العامل الحكومى الدولى المعنى بالحق فى التنمية ـ الذى تأسس عام 1998 - بمراقبة ومراجعة التقدم بشأن الحق فى التنمية وتحليل العقبات التى تحول دون التمتع بهذا الحق وتقديم التوصيات حول كيفية تعزيزه بشكل أفضل من المستويات المحلية والدولية ويجتمع الفريق العامل مرة كل عام ويقدم تقارير سنوية إلى مجلس حقوق الإنسان والجمعية العامة. يتوافر المزيد من المعلومات حول «الفريق العامل» عبر الموقع الإلكترونى لمفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

يعمل أيضاً عدد من وكالات الأمم المتحدة والمنظمات الحكومية الدولية بصورة مكثفة على قضايا التنمية بما فى ذلك برنامج الأمم المتحدة الإنمائى ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية «الأونكتاد» واتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ واللجنة الاقتصادية لأفريقيا والبنك الدولى وصندوق النقد الدولى ومنظمة التجارة العالمية ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» والمنظمة العالمية للملكية الفكرية ومنظمة الصحة العالمية.

يساهم المقرر الخاص فى عمل هذه الهيئات بمفهوم واسع ولكن منصبه كخبير مستقل يسمح له بتناول الموضوع من منظور حقوق الإنسان فى المقام الأول ويسترشد بمفهوم أن التنمية حق إنسانى فى حد ذاتها ويجب أن تحدث وفقاً لمباديء حقوق الإنسان للجميع وليس مجرد النمو الاقتصادى فحسب ويتولى المقرر الخاص تقييم البرامج والسياسات ويقدم توصيات عملية حول كيفية جعلها أكثر شمولية وعادلة ومنصفة وتشاركية ومستدامة.

## ثالثا: تعزيز وحماية وإعمال الحق فى التنمية: دور المقرر الخاص

### ما هى رؤية مقرر الأمم المتحدة الخاص لتعزيز الحق فى التنمية؟

خلال الأعوام الإحدى والثلاثين منذ إعلان الحق فى التنمية، ناضل المجتمع الدولى لتجاوز المهاترات السياسية فيما يخص تنفيذها. وفى الوقت نفسه ينتظر مليارات الأشخاص التحسينات فى حياتهم التى يمكن أن يقدمها الحق فى التنمية.

يشعر المقرر الخاص بحاجة لإحياء عملية الدعوة لدفع التنفيذ العملى للحق فى التنمية، ولن تكون الأنشطة التجارية كالمعتاد كافية لتحقيق التقدم، ونحن بحاجة ملحة لتجاوز الجدال والانتقال إلى التنفيذ.

توفر خطة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة فرصة فريدة من أجل هذا، ويركز المجتمع الدولى بشدة على هذه الخطة - من أهداف التنمية المستدامة إلى اتفاقية باريس بشأن المناخ - ويتم ضخ كميات كبيرة من المال والموارد فى تعبئتها.

**«لا تتعلق التنمية بالنمو الاقتصادى فحسب. ولكنها تتعلق بمنح الأشخاص القدرة على عيش حياتهم بكامل إمكاناتهم».**

## ما سبب الأهمية الشديدة للحق فى التنمية لجدول أعمال ما بعد 2015؟

يتلخص هذا فى المعنى الحقيقى «للتنمية».

لا تتعلق التنمية بالنمو الاقتصادى فحسب. ولكنها تتعلق بمنح الأشخاص القدرة على عيش حياتهم بكامل إمكاناتهم، ولا تتعلق بملء حساباتهم البنكية، ويجب أن يكون قياس «نجاح» التنمية دقيقًا ومتعدد الأوجه ويرتكز على احترام جميع حقوق الإنسان.

يرى المقرر الخاص أنه يجب الحكم على نجاح إطار التنمية لما بعد عام 2015 من وجهة نظر تحول التركيز بعيدًا عن المؤشرات الاقتصادية وتوجهه نحو الرفاه العام للأشخاص وإعمال حقوق الإنسان الخاص بهم. وعندما يستطيع الأشخاص فقط الوصول إلى التعليم، وعندما يسمح لهم بالعمل فى مهنة من اختيارهم وفى ظروف عمل لائقة وكريمة، وعندما يمكنهم الوصول إلى الخدمات المالية والرعاية الصحية والسكن وعندما يمكنهم المشاركة بشكل كامل وعادل فى تشكيل السياسات التى تحكم حياتهم، فإنهم يستطيعون تحقيق تنمية حقيقية ومستدامة، بعبارة أخرى فقط عندما يتم إعمال حقهم فى التنمية.

## ما التحديات الرئيسية لإعمال الحق فى التنمية؟

توجد العديد من التحديات، لكن المقرر الخاص حدد بصورة مبدئية ثلاثة عوائق رئيسية منحها أولية التعامل معها خلال فترة ولايته:

التسييس: بعد أكثر من 30 عامًا من اعتماد إعلان الحق فى التنمية، مازالت الدول منقسمة بشأن تفسير الحق، ويوجد نقاش محتدم بشأن وضع التأكيد النسبى على لائحة الالتزامات الوطنية للدول مقابل اعتراضات المجتمع الدولى فى تعزيز بيئة تمكينية لإعمال الحق فى التنمية، وتوجد اختلافات فى الرأى بين الدول بخصوص معايير ومؤشرات قياس تقدم تنفيذ الحق فى التنمية.

نتج عن هذه الاختلافات المفاهيمية افتقار إلى زخم كافٍ - وأرضية مشتركة - للإعمال الكامل للحق فى التنمية.

الافتقار إلى المشاركة: نتج عن الانقسام السياسى مستوى منخفض من المشاركة من جانب وكالات الأمم المتحدة والمجتمع المدنى فى تعزيز الحق فى التنمية وحمايته وإعماله، وبالرغم من تطور مفهوم الحق فى التنمية وتضمينه فى بعض الصكوك الدولية والإقليمية والدساتير الوطنية، إلا أن المستوى العام لفهم ما يعنيه هذا الحق بالفعل والمشاركة فى تنفيذه منخفض.

كان التقدم فى التنمية - فى نفس الوقت - متفاوتًا، لاسيما بالنسبة للأشخاص فى البلدان الأقل نموًا والبلدان النامية غير الساحلية والدول الجزرية الصغيرة النامية، بالإضافة إلى ذلك، يعرقل انخفاض مستوى الوعى بالحق فى التنمية بين المنظمات الشعبية جهود الدعوة.

الاتجاهات العالمية السلبية: يواجه تنفيذ الحق فى التنمية العديد من التحديات الأخرى ذات الصلة بحالة عالمنا اليوم؛ الأزمة المالية والاقتصادية العالمية، وأزمة الطاقة والمناخ، والعدد المتزايد من الكوارث الطبيعية، والأوبئة العالمية الجديدة، وزيادة التشغيل الآلى فى العديد من القطاعات، والفساد، والتدفقات المالية غير المشروعة وخصخصة الخدمات العامة، وتدابير التقشف وغيرها من الإجراءات، وشيخوخة سكان العالم.

يوجد أيضًا طلب متنام على الموارد لإعمال الحق فى التنمية - وهو طلب لم تتم تلبيته إلى حد كبير، وقد يتسبب الارتفاع فى النزاعات القومية والتوجه المتعلق بالابتعاد عن التضامن والتعاون الدولى فى المزيد من الإضعاف للحوكمة الدولية فى هذا السياق، «ويؤدى إلى زيادة تقليص الموارد وقلة الاهتمام بإعمال الحق فى التنمية»، وسيتطلب التصدى لتلك التحديات العالمية الجهد المركز من جميع أصحاب المصلحة ذوى المصلحة على جميع المستويات.

## كيف تتعامل خطة المقرر الخاص مع هذه التحديات؟

كخطوة أولية، يخطط المقرر العام لإجراء المزيد من البحث والدراسة لكل تحدٍ من التحديات المذكورة أعلاه، كما يخطط أيضًا للتالي:

العمل باتجاه تحديد وإزالة العقبات الهيكلية: العقبات الهيكلية التى تواجه تنفيذ الحق فى التنمية كبيرة، ويمكن أن يلعب المقرر الخاص دورًا مهمًا فى العمل على إزالتها، وهو يخطط لفعل هذا عن طريق التقييم المنهجى لسياسات التنمية الوطنية والدولية، وتقديم التوصيات لتعزيز التعاون الدولى الفعال، ويعتزم أيضًا عقد مشاورات واسعة النطاق لاستكشاف الوسائل الممكنة للتصدى لهذه القضايا المستمرة.

تعزيز الحوار البنَّاء: من بين الأدوات الأساسية لأى مقرر خاص أن يكون «داعيا للاجتماعات» - أى شخص يمكنه جمع الأشخاص معًا للتحدث وفهم وجهات النظر المختلفة والعمل على التوصل إلى حلول وللاضطلاع بهذا الدور يخطط المقرر الخاص لعقد حوار بنَّاء مع الدول وأصحاب المصلحة الآخرين لتحديد وتبادل وتعزيز الممارسات الجيدة المتعلقة بإعمال الحق فى التنمية، وسيركز هذا الحوار بشدة على كيفية استخدام الحق كقوة استرشادية لتنفيذ خطة عام 2030 وإطار سيندای وخطة عمل أديس أبابا واتفاق باريس بشأن تغير المناخ.

المساهمة بالتوصيات العملية: تم تكليف المقرر الخاص بالمساهمة فى تعزيز الحق فى التنمية فى سياق تنفيذ خطة التنمية الشاملة للأمم المتحدة، وتحقيقًا لهذه الغاية، فإنه يخطط لتقديم توصيات واقعية وعملية حول كيفية إعمال الحق فى التنمية على المستويات المحلية والدولية.

سوف توضع هذه التوصيات بالتشاور مع الدول الأعضاء والمنظمات الدولية والمجتمع المدنى والمجتمعات والمنتفعين المباشرين من برامج التنمية وأصحاب المصلحة الآخرين، ويفحص المقرر الخاص أيضًا العمليات المستخدمة لتنفيذ خطة عام 2030، مع الاهتمام بالتأكد من دمجهم لجميع المدخلات من أصحاب المصلحة ذوى الصلة.

يخطط المقرر الخاص لوضع مجموعة من المعايير لتقييم وقياس وإجراء مقارنة نوعية لما يمكن اعتباره ممارسات جيدة، فيما يتعلق بإعمال الحق فى التنمية فى سياق تنفيذ إطارات سياسة التنمية لما بعد عام 2015، ويعتزم جمع مجموعة من الأدلة التجريبية للممارسات الجيدة فى تصميم وتنفيذ ومراقبة وتقييم البرامج المؤدية إلى إعمال الحق فى التنمية وسوف يؤدى هذا إلى تزويد الدول بأمثلة للعمليات والقوانين والسياسات التى تضمن بالفعل مشاركة جميع قطاعات المجتمع فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية - وأنه لم يتم إهمال أى شخص.

التعاون مع الفريق العامل المعنى بالحق فى التنمية: يخطط

المقرر الخاص أيضًا للمساهمة فى عمل الفريق العامل المعنى بالحق فى التنمية، مع وجود رؤية لاستخدام خبرته لدعم ولايته الإجمالية، مع الأخذ فى الحسبان مشاورات وتوصيات الفريق العامل مع تجنب أى تكرار.

لعب دور تيسيري: للتصدى لتحدى التسييس، يرى المقرر الخاص أن دوره هو تيسير التعاون بين أصحاب المصلحة وبناء جسور بين المبادرات وأصحاب المصلحة والدول والقارات، ويعتبر هدفه الأسمى إنشاء منصات لتبادل الممارسات الجيدة والدروس المستفادة - وتوضيح هذه الممارسات الجيدة بطريقة واضحة وفعالة ومفيدة.

الاضطلاع بدور محفز: فى وقت يتعرض فيه التقدم نحو الحق فى التنمية للعرقلة بسبب الانقسامات، يأمل المقرر الخاص فى العمل كمتحدث باسم الحق فى التنمية، أو كمحفز للعمل الموحد وتعزيز التأثير، ويحتل هذا أهمية شديدة على وجه الخصوص فيما يتعلق بتنفيذ أهداف التنمية المستدامة، التى تؤكد على بناء مؤسسات فعالة وقابلة للمساءلة وشاملة وإعادة إحياء الشراكة العالمية من أجل التنمية المستدامة.

أساليب عمل المقرر الخاص

يتألف أساس عمل المقرر الخاص من الأنشطة المترابطة التالية:

(أ) تقديم التقارير السنوية بشأن الأنشطة المنفذة لتلبية ولايته إلى مجلس حقوق الإنسان والجمعية العامة، بما فى ذلك الدراسات المواضيعية حول القضايا الرئيسية المتعلقة بالحق فى التنمية، وتولى المقرر الخاص أيضًا إجراء دراسات متعمقة لإثراء هذه التقارير، وهو منفتح للاقتراحات من جميع أصحاب المصلحة فيما يتعلق بإجراء الدراسات المواضيعية خلال ولايته.

(ب) جمع وطلب وتلقى المعلومات من الدول والأطراف الفاعلة الأخرى ذات الصلة وتبادل المعلومات معها، بما فى ذلك منظمات المجتمع المدنى، حول المواقف أو الحالات المتعلقة بالحق فى التنمية.

(ج) المشاركة فى الحوار مع الدول الأعضاء من خلال الزيارات القطرية والوسائل الأخرى بهدف صياغة سياسات التنمية الدولية التى تسهل إعمال الحق فى التنمية وتعزيز التعاون الدولى الفعال.

(د) المشاركة فى الحوار مع هيئات الأمم المتحدة ووكالات التنمية والمؤسسات التى تركز على التنمية والتمويل والتجارة الدولية لدعم وتضمين جهودها لدمج الحق فى التنمية فى عملها.

(هـ) توحيد الجهود مع أصحاب الولايات - فى إطار الإجراءات الخاصة - الآخرين العاملين على القضايا ذات الصلة.

ما المباديء التى سترشد المقرر الخاص فى تنفيذ عمله؟

المشاركة والحوار والشفافية: يهدف المقرر الخاص إلى تنفيذ عمله بأسلوب تشاركى وتشاورى ومنفتح، ويعنى هذا إشراك جميع أصحاب المصلحة ذوى المصلحة بفاعلية على المستويات المحلية والإقليمية والدولية؛ الدول الأعضاء والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية ومراكز البحوث، وغيرها وسوف يستثمر المقرر الخاص الجهود الخاصة لتضمين جميع الأطراف الفعالة - خاصة المجتمع المدنى وأصحاب المصلحة غير الحكوميين، بما فى ذلك المجتمعات المتأثرة - فى عملية التشاور.

منظور المساواة بين الجنسين: فى نفس الوقت، لم تنجح جهود تنفيذ الحق فى التنمية مع الدمج المجدى لمنظور المساواة بين الجنسين، وسوف يولى المقرر الخاص اهتمامًا خاصًا بالبعد المتعلق بالمساواة بين الجنسين فى عمله، لاسيما فحص كيف أعاقت القوالب النمطية الجنسانية والهياكل الأبوية التنمية لمجموعات محددة - النساء فى المقام الأول والفتيات، وتتراوح مظاهر هذه المجموعة من القوانين التى تمنح وصولاً غير متساو إلى الأرض وغيرها من الموارد إلى سياسات التنمية التى تعرقل وصول النساء والفتيات إلى التعليم وتمويل الأنشطة التجارية والرعاية الصحية والسكن وحتى الغذاء.

الشمولية: يشير تاريخ تنفيذ الأهداف الإنمائية للألفية إلى تقدم الأقليات والسكان الأصليين بمعدل أبطأ وإلى تفاقم عدم المساواة القائم. بينما استفاد آخرون من التدخلات، ونجد مصلحة لدى الشعوب الأصلية والأقليات والأشخاص ذوى الإعاقة والمجموعات المحرومة الأخرى فى تنفيذ الحق فى التنمية وينبغى عدم إهمالهم، وفيما يتعلق بتنفيذ ولايته، فسوف يدافع المقرر الخاص بشدة عن الدمج والمشاركة الفعالة لجميع المجموعات المحرومة فى جميع المنتديات المرتبطة بالحق فى التنمية والتنمية المستدامة.

الحق فى التنمية والشباب: كان هناك 1.2 مليار شاب فى العالم تتراوح أعمارهم بين 15 و24 عامًا فى عام 2015، وبحلول عام 2030 وهو التاريخ المستهدف لأهداف التنمية المستدامة، من المتوقع أن يزيد عدد الشباب بمعدل 7 فى المائة، ليصل تقريبًا إلى 1.3 مليار شاب، ومن بين أكبر التحديات التى تواجه دولاً عديدة اليوم عدم كفاية الاستثمار فى رأس المال البشرى ومعدلات البطالة العالية بين الشباب. وفى حالة تزويد الشباب بما يكفى من التعليم والتدريب والوظائف، فإن النمو فى أعدادهم حينئذ قد يكون مفيدًا للغاية من أجل التنمية، وعلى العكس من ذلك، إذا كانوا عاطلين أو من أصحاب البطالة المقنعة، فإن العدد المتنامى للشباب سيشكل تحديًا لإنجاز التنمية المستدامة ويمكن أن يدل على زعزعة الاستقرار السياسى أو الاجتماعى أيضًا، ويتطلب الحق فى التنمية المساواة داخل الأجيال وبينهم ويرتبط بشكل وثيق برفاه الأجيال الشابة والأجيال المقبلة، ومن الممكن أن يكون الشباب قوة إيجابية للتنمية عندما يتم تزويدهم بالمعرفة والفرص التى يستحقونها ليزدهروا، ويعتزم المقرر الخاص العمل مع القادة الشباب فى كل أنحاء العالم لضمان وضع وجهة نظرهم فى الحسبان ومن عدم إهمالهم.

الترابط وعدم تجزئة حقوق الإنسان: يؤمن المقرر الخاص بأن حقوق الإنسان والحريات الأساسية - بما فى ذلك الحق فى التنمية - عالمية وغير قابلة للتجزئة ومترابطة ومتداخلة، ويعنى هذا أنه يجب إيلاء اهتمام متساو لتنفيذ وتعزيز وحماية جميع الحقوق؛ المدنية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. ويعنى أيضًا أن احترام حقوق معينة والتمتع بها لا يمكن أن يبرر الحرمان من حقوق الإنسان والحريات الأساسية الأخرى، ويتيح اعتماد سلسلة من الالتزامات الدولية التوافقية بما فى ذلك خطة التنمية المستدامة لعام 2030 - التى تعترف بشكل صريح بالحق فى التنمية - فرصة لإعادة إحياء الحق فى التنمية حيث يستحق نفس الاهتمام الذى تحظى به حقوق الإنسان الأخرى.

التعاون الدولي: يمثل التعاون الدولى فى حل المشاكل الدولية أحد الأغراض الرئيسية للأمم المتحدة، على النحو المنصوص عليه فى المادة 1 (3) من ميثاقها، علاوة على ذلك فإن الإعلان بشأن الحق فى التنمية ينص بوضوح على أن الحق فى التنمية لا يمكن إعماله بدون التعاون الفعال بين الدول، وبينما لا يستطيع المقرر الخاص إجبار الدول على التعاون، إلا أنه يستطيع حثها على ذلك، ولذلك فإنه يخطط لتقديم مساهمات مساعدة وبناءة للمساعدة فى تشجيع التعاون الدولى وخلق بيئة دولية تسهل إعمال الحق فى التنمية وجميع حقوق الإنسان.

**المتابعة:**

**اقرأ أحدث الأخبار والتقارير والتحديثات من المقرر الخاص على الإنترنت من خلال:**

**http://www.ohchr.org/EN/Issues/Development/SRDevelopment/pages/SRDevelopmentIndex.aspx**

## لن يتحقق الأمن النووى قبل التخلص من الاسلحة النووية

# المناطق الخالية من الاسلحة النووية والاستخدامات السلمية للطاقة

**رغم أن جهود منع الانتشـــار النـــووى لم تحقق بعد نجاحاً كاملاً على مســـتوى العالم ككل، إلا أن دور المنظمات الدولية المعنية والمعاهدات ذات الصله يظل أساسياً ولا يمكن التخلى عنه فى مواجهات الانتشار النووى. احد هذه المســـارات آنشاء مناطق خاليه من الاسلحه النوويةً والاستناد الى الخطوط الاسترشادية للأمم المتحدةً التى ينبغى أن تسترشـــد بها الدول فى إقامة المناطق الخالية من الســـلاح النووى، والتى تم وضعها فى تقرير صدر بتوافق الآراء عن لجنة الأمم المتحدة لنزع السلاح عام 1999.**

**سفير د. سامح أبو العينين**

samehenein@yahoo.com


### اولا: تجارب المناطق الخالية من الأسلحة النووية:

1 -معاهدة تلاتيلوكو (معاهدة حظر الأســـلحة النووية بأمريكا الاتينية والبحر الكاريبى):

هذة المعاهدات متعددة الأطراف تنشىء منطقة خالية من الأســـلحة النووية فى أمريكا الاتينية، وقد تم توقيعهـــا فى 14 فبراير 1967 فـــى تيلاتيلوكو بالمكســـيك وأصبحت ســـارية المفعول فى أبريل 1968، ومدتهـــا غير محددة، ويمكن للدول الأطراف أن تنسحب من المعاهدة بعد توجية إخطار مسبق فى غضون ثلاثة أشهر. وتحظر المعاهدة على الأطراف تجريب الأســـلحة النووية أو أستخدامها أو تصنيعها أو إنتاجها أوحيازتها أو المشـــاركة فى الأنشـــطة الرامية لتحقيـــق هذة الأهداف. وتحظر على الأطراف أيضاً تخزين الأسلحة النووية أو نشرها أو أمتلاكها. وينبغى أن ينحصر أســـتخدام جميع المواد والمرافق النووية فى الأغراض السلمية

يتـــم التحقق من الامتثـــال للمعاهدة من خلال اتفاقات للضمانات الشـــاملة بين الـــدول الأطراف والوكالة الدوليـــة للطاقة الذرية، كمـــا تعقد وكالة حظر الأسلحة النووية فى أمريكا اللاتينية اجتماعات منتظمة بشـــان أغراض المعاهدة وتشرف ايضاً على الأمتثال. ويتضمن مجال تطبيـــق المعاهدة الإقليم والبحار الأقليمية والفضاء الجـــوى للدول الأعضاء. ولضمان احترام المنطقة الخالية من الأسلحة النووية أيضاً من قبل الـــدول التى لا تنتمى للمنطقة، ولكنها تمـــارس حقوقها الســـيادية علـــى أرض المنطقة، فإن البروتوكـــول الأول من المعاهـــدة يقضى بأن تطبق هذة الدول الأحـــكام الواردة فى المعاهدة على أراضيها فـــى المنطقة. ويدعـــو البروتوكول الثانى جميع الدول الحائزة للأســـلحة النووية المعلن عنها إلى احترام اعتبار المنطقة غيرنووية وعدم أستخدام الأسلحة النووية أو التهديد بأستخدامها ضد الأطراف المتعاقدة. وفد صدقت جميع الدول الأعضاء على هذا البروتوكول.

2 - معاهدة بانجكوك (معاهدة إنشـــاء منطقة خالية من الأسلحة النووية بجنوب شرق آسيا):

تنشـــىء هذة المعاهدة متعددة الأطراف منطقة خالية من الأســـلحة النووية فى جنوب شـــرق آسيا، وقد وقعها فى 15 ديسمبر 1995 فى بنجكوك وبدأ تنفيذها فى مارس 1997. ومدة المعاهدة غير محددة ويقضى الانســـحاب منها توجية إخطار مسبق فى غضون 12 شهراً. ويعقد مؤتمر استعراضى للمعاهدة عادة بعد مرور 10 ســـنوات على بدء تنفيذها، وفى آى وقت من الأوقات بعد ذلـــك، ريثما تتوصل الدول الأطراف إلى توافق فى الآراء.

تحظر معاهدة بنجكوك علـــى الدول الأطراف استحداث الأســـلحة النووية أو تجربتها أو حيازتها أو امتلاكهـــا، وكذلك تحظر اســـتخدام أراضيها من قبل دول أخرى من أجل أى غرض من هذة الأغراض. ويطلب من الدول الأطراف ايضاً إبرام اتفاقات فردية مع الوكالة الدوليـــة للطاقة الذرية بخصوص تطبيق الضمانات الشـــاملة. يتضمن مجال تطبيق المعاهدة الإقليم والمجـــال الجوى التابعين للاعضاء فى رابطة دول جنوب شـــرق آســـيا، وكذلك مياهها الداخلية والإقليمية والأرخبيلية، والمناطق الاقتصادية الخاصة. وتضطلع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالتحقق من الامتثال، وكذلك إبلاغ وتبـــادل وتوضيح المعلومات، وارســـال بعثات تقصى حقائق، ولتقديم المساعدة على تنفيـــذ المعاهدة. وقد تحال المنازعات بشـــأن التنفيذ على محكمة العدل الدولية، وقد تحال مسألة عدم الامتثال فى نهاية المطاف إلى الأمم المتحدة.

3 -معاهدة راروتونجا (معاهدة جنوب المحيط الهادى الخالية من الأسلحة النووية).

معاهـــدة متعـــددة الأطراف تنشـــىء منطقة خالية من الأســـلحة النووية فـــى المحيط الهادى، وقعها أعضـــاء منتدى جنوب المحيـــط الهادى فى 6 أغســـطس1985، وبدأ تنفيذها فى 11 ديســـمبر 1986 ويقضى الانســـحاب من المعاهـــدة توجيه إخطار مسبق فى غضون 12 شهراً وتحظر المعاهدة تصنيع الأســـلحة النووية أو حيازتها أو إقامتها فوق أراضى الدول الأطـــراف، وكذلك إجـــراء تفجيرات نووية، وتسمح للدول الأطراف بتحديد الأنظمة بشأن نقل الأســـلحة النووية عبر فضائها الجوى ومياهها الســـاحلية، ويحظر أيضا على الدول الأطراف إغراق النفايات المشعة فى البحار ضمن تطبيق المعاهدة.

يتضمن مجـــال تطبيق المعاهـــدة كل أراضى الأعضاء فى منتـــدى جنوب المحيـــط الهادى التى صدقت علـــى المعاهدة، بما فى ذلـــك حدود البحر الإقليمى البالغ 12 ميلا. وتضطلـــع الوكالة الدولية للطاقة الذريـــة بالتحقق من الامتثال، ويجب أن تقبل الدول الأطراف تدابيـــر الضمانات الخاصة بالوكالة. ويمكن لمنتدى جنوب المحيط الهادى أن يجرى أيضا عمليات تفتيش موقعى وذلك بموافقة من ثلثى الدول الأطراف. وهناك ثلاثـــة بروتوكولات مرفقة بمعاهدة راروتونجا تتعلق بالدول من خارج المنطقة:

- يدعـــو البروتوكول الأول كل الدول التى لديها أراض فى جنـــوب المحيط الهادى إلى تطبيق أحكام المعاهدة التى تحظر نقل الأســـلحة النووية إلى تلك الأراضى.

- يدعو البرتوكول الثانى الدول الحائزة للأسلحة النووية المعلن عنها إلى عدم اســـتخدام الأســـلحة النووية أو التهديد باســـتخدامها ضد الدول الأطراف فى المعاهدة.

- يحظر البروتوكول الثالث على الدول الحائزة للأســـلحة النوويـــة المعلن عنها إجـــراء تجارب أو تفجيرات نوويه فى أى مـــكان ضمن مجال تطبيق المعاهدة.

هذا، وقـــد وقعت فرنســـاجميع البروتوكولات الثلاثة وصدقت عليها. أما الصين وروســـيا والمملكة المتحـــدة، فقد وقعـــت فقـــط البروتوكولين الثانى والثالث، وصدقت عليهما، فـــى حين وقعت الولايات المتحدة جميع البروتوكولات الثلاثة

4 -معاهدة بيلندابا (معاهـــدة منطقة إفريقيا الخالية من الأسلحة النووية).

معاهدة متعددة الأطراف تنشىء منطقة خالية من الأســـلحة النووية فى إفريقيا، فتح باب توقيعها فى 11 أبريل 1996 فى القاهرة، وهى تحظر تصنيع الأســـلحة النووية وتخزينها أو حيازتها أو امتلاكها أو إقامتها على أراضى الـــدول الأطراف، كما تحظر صراحة بحث وتطوير الأسلحة النووية، وكذلك إجراء التفجيرات النووية.

تسمح المعاهدة لكل طرف بأن يقرر بنفسه ما إذا كان يســـمح بعبور الأسلحة النووية فوق أراضيه أم لا، ويتضمن مجـــال تطبيقها جميع الأراضى التى تضم القارة الإفريقيـــة، والدول الجزرية الأعضاء فى الاتحاد الإفريقى، بالإضافة إلـــى جميع الجزر التى يعتبرها الاتحـــاد الإفريقى جزءا من إفريقيا. ويتولى التحقق من الامتثال الوكالة الدولية للطاقة التى تدير الضمانات بالنسبة لجميع الأطراف، ويمكن للوكالة أن

# المناطق الخالية من الاسلحة النووية والاستخدامات السلمية للطاقة

ترى القيام بناء على طلب من اللجنة الإفريقية للطاقة النووية – بعمليات تفتيش ناتجة عن التقدم بأية شكاوى. وهناك ثلاثة بروتوكولات مرفقة بمعاهدة بيلندايا لضمان احترام الدول غير الأطراف للمنطقة الخالية من الأسلحة النووية:

– يدعو البرتوكول الأول الدول الحائزة للأسلحة النووية المعلن عنها إلى عدم استخدام الأسلحة النووية ضد أى عضو فى المعاهدة.

– يدعو البروتوكول الثانى الدول الحائزة على الأسلحة النووية المعلن عنها إلى عدم تجريب أو تشجيع التفجيرات النووية فى أى مكان ضمن مجال تطبيق المعاهدة.

– يخص البروتوكول الثالث الدول ذات الأقاليم التابعة لها فى المنطقة، ويقتضى منها أن تحترم الأحكام المحددة بالمعاهدة الخاصة باعتبار المنطقة خالية من الأسلحة النووية. وقد وقعت الدول المعنية الحائزة على الأسلحة النووية البروتوكولات الثلاثة.

## ثانيا: انظمة الضمانات من الاتحاد الأوروبى وأمريكا اللاتينية

1 – الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية

اتفاق تم توقيعه كجزء من معاهدة روما (1957) لإنشاء نخام معنى بإدارة المواد النووية بهدف تشجيع تطوير استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية فى أوروبا. ويضم الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية مؤسستين رئيسيتين هما: إدارة الضمانات ووكالة التوريد.

تدير إدارة الضمانات نظام الضمانات التابع للاتحاد وتشرف من خلاله على كافة المواد النووية لدول الاتحاد غير الحائزة على الأسلحة النووية، كما تشرف على.استخدام كافة المواد النووية فى الأغراض المدنية فى دول الاتحاد الحائزة على أسلحة نووية. وتمتلك وكالة التوريد اسميا كافة المواد النووية المستخدمة فى الأغراض غير العسكرية والموجودة بحوزة بلدان الاتحاد، ولها الحق فى استعراض كافة مشتريات المواد النووية التى تنتج أو تستورد داخل منطقة الاتحاد الأوروبى.

كما يتعين إشعار وكالة التوريد بجميع عمليات نقل المواد النووية والعقود المتعلقة بمعالجة أو تحويل أو تشكيل الخامات

أو المواد النووية الأولية أو المواد الانشطارية الخاصة. وفى حالة رفض الوكالة الموافقة على عقد ما، فبالإمكان إحالة قرارها إلى المفوضية الأوروبية التى يجوز الطعن فى حكمها أمام محكمة العدل الأوروبية. كما تؤدى وكالة التوريد دورا فى التفاوض بشأن الاتفاقات الدولية وتنفيذها فيما يتعلق بتوريد الوقود النووى.

2 – نظام ضمانات الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية

نظام للتحقق من الامتثال أنشىء بموجب معاهدة الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية لعام 1957، هدفة ضمان عدم قيام أعضاء الاتحاد الأوروبى بتحويل المواد النووية التى بحوزتهم لأغراض غير سلمية، وضمان الالتزام بأحكام المعاهدات ذات الصلة بتوريد المواد النووية لطرف ثالث. ويشتمل النظام على عنصرين هما: عملية الحصر وعملية التفتيش الموقعى. ويستتبع عملية الحصر حفظ السجلات الخاصة بالخامات والمواد المصدرية والمواد والانشطارية الخاصة المستخدمة أو المنتجة، وحفظ سجلات نقلها.

والدول الأعضاء ملزمة بإبلاغ المفوضية الأوروبية بنوعية المفاعلات التى تشغلها واستخداماتها الرئيسية، ومستويات الطاقة الحرارية، وأنواع الوقود، والمخططات العامة للمنشأت، والعمليات التقنية المستخدمة. كما أنها ملزمة بتقديم تفاصيل عن مخزوناتها من المواد النووية وعمليات نقلها. ويتولى مفتشو الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية تنفيذ عمليات التفتيش الموقعى. ولا يحق للدول الأعضاء الاعتراض على المفتشين المعينين أو تأخير عمليات التفتيش. وفى حالة وجود اعتراض على عمليات التفتيش، يمكن للمفوضية الأوروبية أن تعرض الأمر على محكمة العدل الأوروبية، أو يمكنها أن تفرض عقوبات من أجل إنقاذ الامتثال لمعاهدة الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية. وقد أنشىء نظام ضمانات جديد فى عام 1975، وهو ينسق الأنشطة الرقابية بين الوكالة الأوروبية للطاقة الذرية والوكالة الدولية للطاقة الذرية من أجل تلبية متطلبات معاهدة عدم الانتشار، المتمثلة فى إخضاع الدول الأطراف فى المعاهدة غير الحائزة للأسلحة النووية للضمانات الشاملة. ويتطلب ذلك إنشاء نظام حصر ومراقبة تابع للدولة، إلى جانب وجود ترتيبات بين الاتحاد الأوروبىللطاقة الذرية والوكالة الدولية للطاقة الذرية والدولتين الحائزتين للأسلحة النووية، ألاوهما بريطانيا فرنسا. وهاتان الدولتان تخضعان لفئتين من الضمانات هما:

– الضمانات المشتركة بين الاتحاد الأوروبى للطاقة الذرية والوكالة الدولية للطاقة الذرية التى تشمل كافة المواد النووية المستخدمة فى الأغراض المدنية.

– الضمانات الخاصة بالوكالة الدولية للطاقة الذرية التى تشمل فئة من المرافق المعروضة طواعية.

3 – الوكالة الأرجنتينية – البرازيلية لحصر المواد النووية ومراقبتها

هيئة منفذة أنشئت لإدارت النظام المشترك لحصر المواد النووية ومراقبتها، الذى اتفقت عليه الأرجنتين والبرازيل عام 1990 بغرض التحقق من استخدام كلا الطرفين للماد النووية فى الأغراض السلمية حصرا. وتتولى هذه الوكالة جمع المعلومات من كلا الطرفين حول مسائل تصميم المرافق النووية ومخزونات هذه المواد وما يلحق بها من تغييرات، إلى جانب عمليات نقل المواد النووية خارج هذه المرافق أو فيما بينها، هذا بالاضافة إلى قيام الوكالة بعمليات تفتيش موقعى.

وفى عام 1991، تم توقيع اتفاق رباعى فيما بين الأرجنتين والبرازيل والوكالة الأرجنتينية – البرازيلية لحصر المواد النووية ومراقبتها والوكالة الدولية للطاقة الذرية، ينص على قيام الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالتعاون مع الوكالة الأرجنتينية – البرازيلية بتطبيق الضمانات الشاملة على كافة المواد والمنشأت النووية التى هى بحوزة كل من الأرجنتين والبرازيل. وبموجب الاتفاق، أسندت إلى الوكالة الأرجنتينية البرازيلية المسئولية الأساسية عن الضمانات. ويحق للوكالة الدولية للطاقة الذرية إجراء عمليات تفتيش موقعى لكل مرفق من المرافق النووية. ويتيح الاتفاق للوكالة الدولية للطاقة الذرية، أيضا، أن تطلب من أى الطرفين أن يمتثل للنظام المشترك لحصر المواد النووية ومراقبتها، فى حال إعاقته لأى إجراء من الإجراءات المتعلقة بالضمانات. وفى حالة عدم تلبية الطرف للطلب، يمكن للوكالة الدولية للطاقة الذرية عرض المسألة على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

## ثالثا: الخطوات العريضة اللازمة للبنية التحتية للمفاعلات النووية

1 –تسمح كافة المعاهدات الخاصة بالمناطق الخالية من الأسلحة النووية بالاستخدام السلمى للطاقة النووية، وفقا للمادة الرابعة من معاهدة منع الانتشار النووى وهو بالتالى حق أصيل لكافة الدول الأطراف فى المعاهدة.

2 –من الاهمية بمكان تناول موضوع إقامة المفاعلات النووية لأغراض توليد الطاقة بمنتهى الحرص وبشكل علمى من خلال إجراء الدراسات والخطط الدقيقة الواضحة والأمنة لهذا الموضوع لما يحيط به من مخاطر متعددة الجوانب.

3 –مسألة التكلفة الاقتصادية المتوقعة للمحطات النووية وكيفية تمويلها وقدرة اقتصاديات الدول على تدبيرها دون الوقوع فى مصيدة القروض الخارجية، مسألة حيوية ومحورية فى هذا الصدد، حيث أن التمويل المطلوب لهذه المحطات مبالغ ضخمة حيث يصل ثمن المحطة إلى 8 مليارات دولار تقريباً، لأن المحطة تأخذ حوالى من 8 ـ 10 سنوات للتدشين، وبالتالى عملية التمويل مهمة جداً.

4 – الخبرة الفنية ليست فقط المساعدات الفنية وخبرات الوكالة الدولية للطاقة الذرية ولكن أيضاً الخبرة المؤسسية المرتبطة بها، بما فيها نقل التقنية وتوطينها وبالتالى لابد أن يتم بلورة نظرة شاملة فى هذا المجال.

5 –أهمية دراسات الجدوى التى تسبق بناء المحطات، وتعد عنصراً حاكماً فى نجاح هذا البرنامج، لأنها لابد أن تكون دراسة متعمقة ودقيقة. كما أن موضوع إدارة المحطات وصيانتها وضمان سلامتها وأمنها وسلامة الشعوب التى تقام فى وسطها هذه المحطات قضية مهمة تطرح نفسها بقوة.

6 –أهمية مراجعة الخبرات المتاحة لجهاز الأمن النووى فى مجال تقييم المواقع وتدريب كوادر على تطبيق معايير الأمان النووى الصادرة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية وإستكمال الخبرات المطلوبة لتقييم ومراجعة أمان مواقع المحطات النووية وتوفير الموارد الحديثة والاستعانة باستشاريين عند الحاجة لتقييم تقارير أمان المحطات النووي

7 –ضرورة المتابعة الوطنية الدقيقة للمسائل الخاصة بالأمن والأمان على ضوء اهتمام مصر بإطلاق برنامجها النووى السلمى، واتصال هذا المشروع الوطنى الطموح بالموضوعات المرتبطة بالأمن والأمان النووى،سواء السياسية أو الفنية .ومن هنا أهمية أن تواكب مصرهذه التطورات من أجل تعزيز وتطوير بنيتها الأساسية على المستوى الوطنى لحماية المواد النووية وأمن المصادر المشعة، ومواكبة التطورات الخاصة بأجراءات سلامة المفاغلات النووية والأشخاص العاملين فيها والمناطق التى تقع فيها بما يتماشى مع المعايير الدولية.

8 –يتطلب إنشاء نظام للأمن والأمان النووى على المستوى الوطنى توفير الخبرة والدراسة الفنية والمعدات والبرامج الحسابية والمعدات المتخصصة ومعدات الأتصالات لتحديد الأجراءات والأجهزة ذات الصلة كما تعتمد أنظمة الحماية المادية على تشكيلات فعالة من النظم والإجراءات للتعامل مع المواقف المختلفة ومنها الكوارث الطبيعية والزلازل

## رابعا: الوسائل المتطورة للتعامل مع النفايات

1 – يتم تخزين عناصر الوقود المستهلك (التى تم حرقها فى قلب المفاعل) فى صناديق فى الوعاء المساعد للمفاعل.

2 – يضمن نظام التبريد بقاء عناصر الوقود

المستهلك دون تلف .

3 -هناك نظام دقيق لإدارة المخلفات المشعة السائلة الناتجة عن مختلف نظم تشغيل المفاعل يشمل تصنيفها، وحجمها، والتخزين المؤقت لها .

4 - يتم تخزين النفايات الناتجة من الخلايا الحارة ومن معامل الكيمياء الإشعاعية فى خزانات خاصة .

## خامسا: التحرك الدولى فى مجال الأمن النووى

يحظى موضوع تعزيز الإجراءات الخاصة بالأمن النووى بقدر كبير من الاهتمام الدولى والإقليمى فى المراحلة الراهنة فى ضوء إعلان العديد من الدول عن نيتها إطلاق برامج نووية لاغراض سلمية، وايضاً بسبب الآثار الوخيمة التى خلفها حادث فوكوشيما فى اليابان فى مارس 2011، مما دفع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بعقد مؤتمر وزارى فى يونيو 2011 فى فيينا تناول دعم الإجراءات الخاصة بالأمان النووى، كما عقد سكرتير عام الأمم المتحدة اجتماعا رفيع المستوى الأمن والأمان النووى على هامش الدورة 66 للجمعية العامة فى نيويورك فى سبتمبر 2011 فضلا عن عقد القمة الثانية للامن النووى فى مارس 2012 بسيول بكوريا الجنوبية، « علما بأن القمة الأولى للأمن النووى عقدت فى واشنطن فى أبريل 2010 بمبادرة أمريكية وبمشاركة 46 دولة من بينها مصر .

## سادسا: التعريفات النووية ذات الصلة

يتضمن اتخاذ عدة إجراءات وترتيبات للحد من سرقة مواد أو تقنيات أو معلومات الأمن النووى يمكن توظيفها فى إنتاج سلاح نووى، وللرقابة على تجارة ونقل وحيازة المواد ذات الاستخدام المزدوج، بالإضافة إلى إخراءات لإحكام السيطرة على منافذ الوصول إلى المنشأت النووية .

ويتضمن إتخاذ الإجراءات الخاصة بسلامة المفاعلات النووية والأشخاص العاملين فيها والمناطق التى تقع فيها، وإجراءات التأمين اللازمة لمنع تسرب المواد الإشعاعية والإجراءات العلاجية فى حالة حدوث التسرب وغير ذلك.

## سابعا: أهم العناصر اللازمة لتحقيق الأمن النووى

* الحق فى الاستخدام السلمى للطاقة النووية: التأكيد على أن معايير الأمن والأمان لا بد ألا يشكلا أى عائق أمام الحق غير القابل للتصرف فى الاستخدام السلمى للطاقة النووية .

* دور الوكالة الدولية للطاقة الذرية: التأكيد على أن الوكالة تعد المنظمة الأساسية المنوطة بالتعامل مع المسائل الخاصة بالأمن والأمان النوويين، وأن المبادرات الدولية الأخرى فى هذا الشأن لابد وأن تبقى فى إطار طوعى دون إلزام على الدول، وأ، تكون هذه المبادرات مكملة لعمل الوكالة وليس بديلا عنها وأن تتسق مع قواعد الوكالة للأمان النووى ومعايير الأمن النووى .

* بناء القدرات: التأكيد على محورية الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى مساعدة الدول الأعضاء وبناء قدراتها لتعزيز البنية التحتية الأساسية الخاصة بالأمن والأمان النوويين .

* تبادل الخبرات العلمية : التأكيد على أهمية تبادل الخبرات العلمية والفنية بين الدول وخاصة مع الدول النامية وذلك لتعزيز المنظومة الدولية للأمان النووى .

* التدريب على التعامل مع الكوارث : التأكيد على ضرورة تبادل الخبرات وتعزيز التعاون الفنى فى مجال التدريب على مواجهة الكوارث النووية والتسريبات الإشعاعية .

## ثامنا: اتفاقية الأمم المتحدة للحماية المادية للمواد النووية

* تتصل اتفاقية الحماية المادية للمواد النووية على نحو وثيق بمشكلة الاتجار غير المشروع فى المواد النووية إذ أن على الدول الأطراف فى الاتفاقية الالتزام قانونا بما يلى :

* أن تجعل ارتكاب أفعال معينة « على سبيل المثال سرقة مواد نووية - التهديد بأستخدام مواد نووية لإحداث اضرار « جرائم تستحق العقاب بموجب التشريعات الوطنية .

* أن تقوم بتسليم أو محاكمة الأشخاص الذين ينسب إليهم ارتكاب أى فعل من هذا القبيل .

* أن تقدم المساعدة لأية أطراف أخرى فى الاتفاقية فى حالة وقوع حادث .

* أن تتعاون على استرداد واستعادة وحماية المواد النووية المسروقة .

* ينبغى أن تتضمن النظم الحكومية للحماية المادية إجراءات تكفل تقليل احتمالات سحب مواد نووية بدون إذن . وكذلك توفير إجراءات سريعة وشاملة لتحديد أماكن المواد النووية المفقودة واسترجاعها لتقليل اثار التخريب إذا ما حدث.

## تاسعا: التشريعات والأطر القانونية الحالية فى مصر

* قانون 59 لعام 1960 بشأن تنظيم العمل بالإشعاعات المؤينة والواقاية من اخطارها، وينظم استخدام المصادر المشعة الإدارة المأمونة لها . ويقتصر استعمال أو امتلاك المصادر المشعة فى الهيئات العاملة فى هذا المجال والتى تتوفر لها الشروط الرقابية . كما ينص القانون على عدم جواز استعمال الأشعاعات المؤينة إلا لمن يرخص له بذلك .

* قانون الجمارك رقم 66 لعام 1962 وتعديلاته واللائحة التنفيذية له :ويتضمن أن كل بضاعه تدخل مصر أوتخرج منها يجب أن يقدم عنها بيان وأن تعرض على السلطات فى أقرب فرع جمركى وفقآ لما تحدده مصلحة الجمارك كما يجب أن يقدم للجمارك بيان تفصيلى « شهادة إجراءات « عن أية بضاعة قبل البدء فى اتمام الاجراءات ولو كانت هذه البضاعة معفاة من الضرائب الجمروكية . ويجب أن يتضمن هذا البيانجميع المعلومات والايضاحات والعناصر التى تمكن من تطبيق الأنظمة الجمركية واستيفاء الضرائب عند الاقتضاء .

* القانون رقم 188 لعام 1975 واللوائح المرتبطة به لمكافحة تداول المواد التى تدخل ضمن اسلحة الدمار الشامل بكافة انواعها . وينص القانون 188 لعام 1975 على أنه فيما يخص الأصناف التى تعتبر فى حكم المفرقعات والموادالخطرة والكيماويات والمواد المشعة والنووية، يتم الإفراج عنها فقط بعد تقديم الموافقة أو الترخيص اللازم من الجهة المختصة وموافقتها عنها بعد تقديم الموافقة أو الترخيص اللازم من الجهة المختصة وموافقتها على الافراج عنها .

* فانون رقم 4 لعام 1994 بشأن البيئة ولائحة التنفيذية : حظر تداول المواد والنفايات الخطرة بغير ترخيص من الجهة الادارية المختصة وتشديد العقوبات فى حال أية مخالفة فى هذا الشأن / حظر تداول المواد والنفايات الخطرة التى يصدر عنها إشعاعات مؤينة بغير تؤخيص من هيئة الطاقة الذرية / حظر إقامة أى منشأت بغرض معالجة النفايات الخطرة إلا بترخيص من الجهة الادارية المختصة وجهاز شئونالبيئة . وذلك بالإضافة لحظر استيراد النفايات الخطرة أو السماح بدخولها أو مرورها فى أراضى الدولة من غير ترخيص من الجهة الإدارية المختصة بمرور السفن التى تحمل النفايات الخطرة فى البحر الإقليمى أو المنطقة الاقتصادية الخالصة .

## عاشراً: التعامل مع مسألة الإرهاب النووى

وفى هذا الإطار، فإن تهديد الإرهاب النووى من خلال استخدام الأسلحة النووية أو المواد النووية، حتى وإن كان احتمالا مستبعداً، يدفعنا إلى خلاصتين رئيسيتين :

* إن مجرد وجود أسلحة نووية واحتمال استخدامها، ووجود منشأت نووية غير خاضعة لنظام الضمانات، يعد فى حد ذاتة مصدر تهديد عالمى رئيسى .

* الحاجة لضمان تدابير رقابية فعالة على الأسلحة النووية، حتى يتم التخلص منها ومن المواد النووية تماماً لضمان عدم الحصول عليها بشكل غير مشروع والاتجار غير المشروع فيها، وكذلك ضمان عدم النفاذ بدون رقابة إلى المنشات النووية .ولذلك فان تحقيق أقصى درجات الأمن النووى لا يمكن الوصول إليه بدون التخلص التام من الاسلحة النووية، وفقآ للمادة السادسة من معاهدة الانتشار النووى.

## الخلاصة:

الإجراءات الوطنية الخاصة بتعزيز البنية الأساسية ذات الصلة

* ضرورة المتابعة الوطنية الدقيقة للمسائل الخاصة بالأمن والأمان على ضوء اهتمام مصر بإطلاق برنامجها النووى السلمى، واتصال هذا المشروع الوطنى الطموح بالموضوعات المرتبطة بالأمن والأمان النووى، سواء السياسية أو الفنية ومن هنا أهمية أن تواكب مصر هذه التطورات من أجل تعزيز وتطوير بنيتها الأساسية على المستوى الوطنى لحماية المواد النووية وأمن المصادر المشعة، ومواكبة التطورات الخاصة باجراءات سلامة المفاعلات النووية والأشخاص العاملين فيها والمناطق التى تقع فيها بما يتماشى مع المعايير الدولية .

* يتطلب إنشاء نظام للأمن والأمان النووى على المستوى الوطنى توفير الخبرة والدراسة الفنية والمعدات والبرامج الحسابية والمعدات المتخصصة ومعدات الاتصالات لتحديد الإجراءات والأجهزة ذات الصلة كما تعتمد أنظمة الحماية المادية على تشكيلات فعالة من النظم والإجراءات للتعامل مع المواقف المختلفة ومنها الكوارث الطبيعية واللزلازل .

* يوفر القانون رقم 7 لعام 2010 لتنظيم الأنشطة النووية والإشعاعية « وهو القانون الذى تم التصديق علية أواخر عام 2010 ويتضمن إنشاء هيئة رقابية مستقلة فى المجال النووى ولكافة الاستخدامات السلمية « المظلة الشاملة لمستقبل النشاط النووى السلمى المصرى لأغراض الطاقة والتنمية .

*يجب أن يكون هناك دعم خارجى للأنشطة النووية السلمية فى المنطقة وللمشروعات ذات الصلة بما يعزز شفافية هذه الأنشطة. ويشمل ذلك البرامج الثنائية للمساعدة الفنية والبرامج التى تقدمها الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

# البحر الأحمر والقرن الأفريقى وتهديدات المضايق الدولية

**الوصف الجغرافى والاهمية الاستراتيجية للمضائق الدولية:**

**يعـــرف علماء الجغرافيا الطبيعية المضيـــق بأنه مياه تفصل بين اقليمين وتصل بيـــن بحرين وأن يكون ضيق الإتســـاع، وقد تكون بطريقة طبيعيه وأن تكون مياه المضيق صالحه للملاحـــه الدولية، فضلا عن إعتبارها جزءا من أعالى البحار. وأن هذا الوصف الجغرافى ذو الطبيعـــة القانونيه ينطبق على معظم المضايق والممرات الدولية المســـتخدمة فى الملاحة الدولية. فضلا عن أن بعض المضايق الدولية له أهمية استراتيجيه خاصه لحركه الملاحة الدوليه مثل مضيق باب المندب الذى يفصـــل مياه وعالم البحر الأحمر عن مياه خليج عدن والقرن الأفريقى وغرب المحيط الهنـــدى، ومضيق هرمز الذى يفصل مياه الخليج العربى عن خليج عمـــان وبحر العرب الذى هو جزء من شـــمال المحيط الهندى، ومضيق ملقا الذى يربط المحيط الهندى مع بحـــر الصين الجنوبى وعالم المحيط الهادى ويمر منه حوالى 80% من ناقلات النفط فى طريقها من الخليج الى شـــرق وجنوب شرق أسيا، وأكثر من 50% من سفن شحن البضائع والتجارة الدولية، ومضيق سوندا الذى يصل أستراليا بجنوب شرق أسيا، ومضيق لومبوك الذى يربط أندونسيا بعالم المحيط الهندى ودول جنوب أســـيا، ومضيق جبل طارق الذى يصل عالم البحر المتوسط مع غرب أوروبا وشرق الولايات المتحدة وكندا، ومضيقى البوسفور والدردنيل اللذان يفصلان البحر الاسود عن بحر ايجه الذى يعد جزء من البحر المتوسط.**

**سفير د .عادل السالوسي**

**dr.adelelsaloussy@hotmail.com**

الممرات الدوليـــة وتهديدات المضائق بين القانون والسياسة الدولية:

بالنســـبه لأتفاقية جنيف عام 1958، أعتمـــدت الأتفاقية فى جلســـات مجمع القانون الدولى حكم محكمة العدل الدولية فى قضيـــة مضيق كورفو عـــام 1949، وأقرت فى حكمهـــا مبدأ حرية الملاحة فى المضايق الدولية.

ثم تطور النظـــام القانونى للمضايق الدولية فى ظل مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار عام 1982 ليميز بين ثلاثه أنواع من المضايق المستخدمة فى الملاحة الدولية وهى :

1. المضايق التى ينظـــم المرور فيها اتفاقيات خاصة ولا تخضع لأحكام اتفاقية قانون البحار لعام 1982.

2. الأتفاقيات التـــى يطبق فيها نظام المرور العابـــر، وأعتبـــرت الإتفاقية أن المقصود بالمرور العابر هو نظام وســـط بين المرورالبرئ والمرور الحر وهو الذى تمارسه السفن فى أعالى البحار .

3. والنوع الثالث هـــو المضايق التى ينطبق عليها المرور البـــرئ حيث يكون المضيق جزء من البحر الأقليمى أو منطقة اقتصاديـــة خالصة، ولا يجـــوز للدولة أن توقف حـــق المرور البرئ فـــى المضيق، وينطبق عليها قاعدة حق تحليق الطائرات، وقاعدة مـــرور الغواصـــات طافيه على الســـطح ورافعه أعلامهـــا (وتنطبق هذه القاعـــدة القانونيه علـــى معظم المضايق الدولية الصالحة للملاحة ومنها مضيق باب المندب).

التنافس العالمى علـــى غرب المحيط الهنـــدى والمضائـــق الرئيســـية الثلاث (بابالمندب، هرمز، ملقا):

لقـــد أدى تنافـــس القـــوى الكبرى والاقليميه فـــى المحيط الهندى بســـبب التحول التدريجى لمركز الثقل من الغرب إلى الشرق، إلى أدراك هذه القوى للأهمية الأســـتراتيجية لذلك المحيط فى رســـم سياستها العســـكرية والأقتصادية وذلك بحكم موقعـــه الجيوبوليتيكى فى خريطة العالـــم، وأرتباطه بمضايـــق دولية بالغه الأهمية ( باب المندب – هرمز – ملقا ).

فمشـــهد التنافس بين القوى الدوليه لذلك المحيط يختلف اليـــوم عن التنافس الإســـتعمارى فى أعقاب حركة الكشوف الجغرافيـــة فى القرنيـــن 16,15بل حتى التنافس الإســـتعمارى فى أعقاب الثورة الصناعية فى أوروبا فى القرنين 19,18من حيث الأطـــراف المنخرطة فيـــه، فاليوم وعلى عكس الماضى لا يجـــرى التنافس بين قوى وافدة من خـــارج المنطقة مثلما كان يحدث فى القـــرن 19 بين بريطانيا وفرنســـا وإيطاليا، بل بيـــن دول المحيط الهندى وشرق أسيا تارة وبين قوى وافدة من خـــارج منطقه المحيـــط الهندى وأن الأمر أصبح محاوله لكســـب مواقع للنفوذ فى شـــكل قواعد عسكرية، والحصول على تسهيلات للسفن والأســـاطيل الحربيه من خلال القوة الناعمـــه والمتمثله فى تقديم الحوافز والأغراءات العسكرية والأقتصادية. كما أن التنافـــس الحالى هو صراع موانئ وجزر وقواعد عســـكرية أى صراع بحرى فى الأســـاس طرفاه وأعمدته الرئيسية فى المرحلة القادمة الولايات المتحدة الأمريكيه من خلال تواجدها فى قاعدة ديجوجارسيا العملاقـــه وكذلك جيبوتى والتســـهيلات الأخرى فى بعـــض دول المنطقه والطرف الأخر الصين من خلال قواعدها العسكريه الجديدة فى المرافئ الرئيسية فى جيبوتى وبعض دول بحر العرب وجنوب أسيا .

فلقـــد رصدت بعض مراكـــز الأبحاث لبعض القوى الأقليمية الكبرى فى أســـيا ظاهرة تنافس الوجود العسكرى وتطوير القدرات البحرية لعـــدد من القوى الدولية فى منطقة المحيـــط الهندى، ودلالات ذلك على الأســـتقرار الإقليمى كـــون المحيط الهندى معبر رئيســـى لمســـارات حركه التجارة الدوليه ونقل مـــوارد الطاقة. هذا فضلا عـــن المخزون الهائل مـــن الموارد الطبيعية الغير مســـتغله فى قاع المحيط. ( ويظهر ذلك واضحـــا لإدراك هذه القوى لأهميه تلك المـــوارد بعد أقراراتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار عام 1982 وظهور ما يعرف بالمناطـــق الأقتصادية الخالصة للـــدول وهى المنطقة التى تمتد لمســـافه 200 ميل بحرى من نقطـــة قياس البحر الأقليمى للدولة الشاطئية).

صعود الصين العسكرى والأقتصادى فـــى المحيطين الهنـــدى والهادى وطرق التجارة البديلة:

وتمثل الصيـــن الصاعـــدة بقوة فى الأقتصاد العالمى والتى جرى اســـتبعادها طوال القرن العشرين عن منطقة المحيط الهندى والشرق الأوسط بسبب خلافات على الزعامة مع الولايات المتحدة والهند، فضلا عن طغيان عامـــل الجغرافيا، تتحرك الان بشكل سريع لبناء دور عسكرى وأقتصادى

ونفوذ سياسى عملاق فى المحيط الهندى عبر شبكة من القواعد العسكرية والبحرية حول ساحل المحيط الهندى فى باكستان على بحر العرب، وبحر عمان، وصولا إلى القرن الأفريقي.

فالصين تخطط حاليا لتجاوز هذه العقبات السياسيه والجغرافية لشق قناه مائية عبر برزخ كراKraفى تايلاند لربط المحيط الهندى وموانى الصين الواقعه فى بحر الصين الجنوبى وتجنب المرور فى مضيق ملقا الأستراتيجى ( الأمر الذى سيؤدى فى حاله تنفيذ هذا المشروع الى القضاء نهائيا على دولة سنغافورة ).

كما تعمل الصين حاليا على حفر قناه جديدة عبر أراضى نيكاراجوا لربط المحيطين الهادى والأطلسى فى مقابل قناه بنما التى تسيطر عليها الولايات المتحده وتربط هى الأخرى المحيط الأطلسى بالهادى، ومن المتوقع أن ينتهى العمل بهذه القناه فى عام 2020 ويمكنها مرور ما يصل إلى 25000 حاوية عبرها، ويعتبر هذا المشروع ذو أهمية أستراتيجية لأن التمويل والتنفيذ صينيا بالكامل وبدعم روسيا الاتحادية وبعض دول أمريكا اللاتينية، الأمر الذى سيجعل الصين تتحكم فى معبر مائى دولى على مشارف الولايات المتحدة.

كما تستخدم الصين حاليا الممر الشمالى الشرقى لأسيا أو طريق المحيط المتجمد الشمالى الذى أدى بفضل ظاهرة الأحتباس الحرارى إلى ذوبان الجليد فى القطب الشمالى وتقليل الزمن والوقود وتكاليف مرور سفن الحاويات عبر قناتى السويس وبنما. فبفضل الأحتباس الحرارى أصبحت السفن الصينيه قادرة على المرور عبر المحيط المتجمد الشمالى مختصرة الطريق إلى أوروبا،إذ ستقل مسافة الرحلة من شنغهاى بالصين إلى ميناء هامبورج بألمانيا عبر المحيط المتجمد الشمالى وهو الممرالجديد للتجارة الدولية الذى تتزعم الصين أستخدامه بمقدار 2800 ميل بحرى عن نفس الرحلة فى حالة المرور بقناة السويس.

مصر والتاريخ السياسى للبحر الأحمر والقرن الأفريقى فى القرن التاسع عشر :

لقد كانت مصر متواجدة بقوة فى المنطقة طوال القرن التاسع عشر يوم كانت موانئ البحر الأحمر ومضيق باب المندب والقرن الأفريقى من السويس شمالا وعيذاب وسواكن ومصوع وعصب وزيلع وبربرة بالقرن الأفريقى وهرر بالداخل الأثيوبى أملاكا مصرية.

أن منطقة جنوب البحر الأحمر والقرن الأفريقى تشهد دائما وخاصة بعد أكتشاف رأس الرجاء الصالح عام 1497 ثم حفر قناة السويس وأعدادها للملاحة الدولية عام 1869 احتداما للمنافسة والصراع بين القوى الأقليمية والدولية، فقد ظهرت البرتغال فى الفترة التالية لحركة الكشوف الجغرافية وأصطدمت بالمماليك فى مصر فى مطلع القرن 16، ثم ظهور بريطانيا وفرنسا وايطاليا فى القرن 19، ثم القوى الدولية الجديدة فى القرن 20 بعد الحرب العالمية الثانية وهى الولايات المتحدة والأتحاد السوفيتى، ثم ظهور قوى دولية أخرى مع مطلع الألفية الثالثة وهى الصين واليابان والهند، وقوى شرق أوسطية صاعدة بسبب الصراعات على الموارد والطاقة والممرات المائيه وتأمين التجارة الدولية مثل إيران والمملكة العربية السعودية والأمارات العربية وتركيا ومصر بالطبع كدولة تمثل عناصر الأقليم التاريخية والجيوسياسيه والأقتصادية من خلال ملكيتها لأهم منافذ التجارة العالمية فى العصر الحديث ألا وهو قناة السويس بما تمثله من موقع استراتيجى للربط بين الشرق والغرب.

البحث عن منظمة إقليمية للأمن والتعاون للبحر الأحمر والقرن الأفريقي:

تمثل دائرة البحر الأحمر والقرن الأفريقى أهم ركائز الأمن القومى المصرى والعربى، فهى تؤثر بشكل مباشر على أمن مصر وسلامتها وأقتصادها فلقد كان البحر الأحمر حتى وقت قريب بحيرة عربية، فكل الدول المطله عليه تقريبا دول عربية وبالمثل دول القرن الأفريقى جيبوتى والصومال أعضاء فى جامعه الدول العربية.

وتبرز أهمية الحفاظ على مضيق باب المندب فى حماية الملاحة البحرية العالمية وخاصه سفن نقل البضائع والبترول والغاز الطبيعى وهى تشكل اهمية أقتصادية لتأمين الممر الملاحى لقناة السويس بأعتبارها شريان هام وجزء ثابت من مصادر الدخل القومى لمصر بالعملات الحرة، فضلا عن الأهمية المعاصره لوقوعها على الجزء البحرى الهام لطريق الحرير البحرى الجديد للصين فى أتجاهه إلى دول أوروبا.

لقد بات تأثير الازمة اليمنية مباشراً على الامن القومى العربى، فقد ادى استمرار الازمة منذ 2011 وحتى الان الى تأكل البنيان الاجتماعى وتماسك مؤسسات الدولة اليمنية، فضلا عن تردى الاوضاع الانسانية، وتنامى ظاهرة الارهاب والجماعات المتطرفة، بالاضافة الى تداعيات الازمة على الممر الملاحى لجنوب البحر الاحمر و مضيق باب المندب، وتبعات ما كشفت عنه الازمة من ازدياد النفوذ الايرانى و تدخله المباشر فى الامن القومى العربى من خلال الحوثيين.

وجاءت كل هذه الاحداث المتلاحقة لتعيد إبراز أهمية موقع اليمن الجيوبوليتيكى من خلال موانئ الحديدة والمخا على البحر الاحمرومضيق باب المندب،ومن خلال تملكهالجزيرة ميون مدخل ومفتاح البحر الاحمر، فضلا عن اهمية خليج عدن وموانئ حضرموت والمهرة على بحر العرب، وملكيتها لارخبيل سوقطرة فى مواجهة القرن الافريقى و ساحل شرق افريقيا بالكامل.

فتأمين دائرة البحر الاحمر والقرن الافريقى والحفاظ عليها تمثل اهمية خاصة لاستقرار امن الموارد المائية فى هضبة الحبشة ومنطقة البحيرات العظمى الاستوائية، ويمكن السعى نحو التوصل الى اتفاق اقليمى لتأمين المنطقة بالكامل يضم الدول العربية المطلة عليه، وبعض دول القرن الافريقى لدعم وتقوية الروابط والعلاقات الثقافية والاقتصادية والامنية فيما بين هذه الدول فى شكل منظمة للامن والتعاون الاقليمى.

# مبادرة الحزام والطريق ...طريق الصين إلى الريادة العالمية

**كثيراً ما قرأنا وسمعنا عن طريق الحرير، ذلك الطريق التاريخى القديم، وظل الحديث عن هذا الطريق حديثاً تاريخياً عن فترة زمنية سابقة، ولم يكن من المتوقع أن يتم تناول هذا الطريق من قبل الرئيس الصينى فى عام 2013 ليكون نواة ومحورًا لأهم وأحدث مبادرة أطلقتها الصين مؤخرًا حملت اسم «مبادرة الحزام والطريق».**

**د . عدلى أنيس**
أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب- جامعة القاهرة، وأستاذ جغرافيا الكتاب المقدس بالكلية الإكليريكية – الأنبا رويس
freeuni@yahoo.com

الصين ذلك المارد الذى يتقدم بخطوات سريعة بل بقفزات عالية على العديد من المستويات العسكرية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية. والمتتبع للشأن الصينى يجد أن بكين كادت أن تصل إلى هدفها بأن تكون أكبر قوة اقتصادية فى العالم، لكن الصين تجيد التعلم من دروس التاريخ فهى لا تريد أن تكون نسخة مكررة من الولايات المتحدة، ولكنها ترفع شعار التعاون المفيد لها ولجميع الأطراف المتعاونة معها، وتقدم نفسها كنموذج مختلف عن الولايات المتحدة، نموذج لا يسعى إلى الاستئثار بالفوائد منفرداً بل يسعى لتقاسم الخير مع الجميع. ولنتتبع أولاً طريق الحرير القديم ثم ننتقل إلى مبادرة الحزام والطريق لنتعرف عليها وعلى الدول التى تشارك فيها ومن بينها مصر، ولنتعرف أيضاً على هيكل وبنية طريق الحرير الجديد وبعض من انعكاساته الاقتصادية والسياسية.

## إحياء طريق الحرير القديم

طريق الحرير هو ذلك الطريق التاريخى القديم الذى ربط منذ ألفى عام بين أجزاء من قارة أوروبا بالمناطق الواقعة بشرق وجنوب غرب آسيا عن طريق شبكة تجارية، وقد تم تأسيس الطريق خلال عهد أسرة هان (206 ق.م – 24م) بهدف تعزيز التجارة والثقافة بين الصين وآسيا وأفريقيا وأوروبا، ويمتد الطريق أكثر من 7000 كم. وقد عُرف مصطلح «طريق الحرير» فى نهاية القرن التاسع عشر؛ على يد الجغرافى الألمانى «ريتشهوفن» لوصف مجموعة الطرق التجارية التى تربط بين الصين والهند والعالم المتوسط من خلال آسيا الوسطى. ويفضل كثير من الباحثين استخدام صيغة الجمع (طرق الحرير) بدلاً من الصيغة المفردة؛ حيث إن الطريق يتكون من شبكة كبيرة ومتغيرة باستمرار من المسارات التى استخدمت لأنواع متنوعة ومختلفة من التبادلات التجارية والثقافية، وكانت أهم السلع بالطبع هى الحرير ومنها عرفت هذه الشبكة من الطرق باسم طريق الحرير؛ وأيضاً كان الاهتمام بنقل الحرير كونه سلعة جميلة وخفيفة الوزن وذات قيمة عالية.

لم يكن طريق الحرير طريقاً لنقل السلع وحسب؛ ولكن من خلاله تم تبادل الأفكار والثقافات، وأيضاً استخدم لسفر وانتقال الأفراد.

جغرافيّا يشير مصطلح طريق الحرير إلى شبكة من الممرات والمحطات التجارية والواحات والمراكز التجارية التى تربط شرق آسيا بالبحر الأبيض المتوسط. وعلى طول الطريق، ربطت مجموعة من الطرق الفرعية ذلك الطريق الرئيسى بوجهات مختلفة، ومن تلك الطرق الفرعية ذلك الطريق الذى يؤدى إلى شمال غرب الهند، وبالتالى إلى طرق أخرى فى جميع أنحاء شبه القارة الهندية. ويعتقد عموماً أن شبكة طريق الحرير تمتد من نقطة فى شرق العاصمة الصينية القديمة تشانجآن (شيان حاليًا) إلى نقطة النهاية الغربية فى بيزنطة (القسطنطينية) وأنطاكية ودمشق وغيرها من الشرق الأوسط. وبعيدًا عن هذه النقاط النهائية، قامت شبكات تجارية أخرى بتوزيع سلع طريق الحرير فى جميع أنحاء العالم المتوسطى وأوروبا، وفى جميع أنحاء شرق آسيا. وعلى ذلك لا يمكن الحديث عن طريق الحرير فى معزل عن أوراسيا (أوروبا وآسيا) كسياق جغرافى مكانى. وخضعت التجارة على طول هذا الطريق إلى الظروف الداخلية لبعض الدول والظروف الإقليمية بل والعالمية أحيانا؛ فكانت تزدهر أو تتراجع وفقاً للظروف فى الصين، وبيزنطة، وبلاد فارس، وغيرها من المناطق والبلدان الواقعة على طول الطريق. وكانت هناك دائمًا مسارات مُنافسة أو بديلة برًا وبحرًا لاستيعاب التجارة الأوروبية الآسيوية عندما تكون الظروف على طول طريق الحرير غير مواتية. ولهذا السبب، ينبغى النظر إلى السياق الجغرافى لطريق الحرير بمنظور واسع، بما فى ذلك الطرق البحرية التى تربط اليابان وجنوب شرق آسيا بطرق التجارة القارية البرية.

## المحرك الأقوى لسياسات الصين

مبادرة الحزام البحرى للقرن الـ 21 وطريق الحرير هى تلك المبادرة التى أطلقتها الصين عام 2013 حيث تم التركيز على السياسة الخارجية للصين، وعلى أن تُسخر لها كل قدرات الدولة فى القطاعين العام والخاص. وهذه المبادرة ستشكل المحرك الحاسم والفاصل والأقوى لأهداف الصين وطموحاتها المستقبلية. وباختصار تقوم هذه المبادرة على أساس استخدام التفوق الاقتصادى للصين فى الخارج وتصدير قدراتها القوية فى مجال البنية التحتية إلى مناطق أخرى من العالم خاصة فى أفريقيا وآسيا. وتتمحور المبادرة حول عدد من المحاور السياسية والاقتصادية على حد سواء، كما أن فكرة المبادرة تهدف إلى تحفيز التجارة والتبادل مع الدول المجاورة للصين لزيادة الصادرات الصينية لاسيما الهندسية منها. وتدويل العملة الصينية، وخلق علاقات طيبة مع دول الجوار. وتهدف المبادرة بشكل رئيسى إلى تنمية غرب الصين من ناحية، وتعكس الاهتمام الصينى بالخارج فى اتجاهات غرب الصين الأقل نموًا، وآسيا الوسطى، والشرق الأوسط، وأوروبا، وستكون الأولوية للغرب أى لأوراسيا؛ بسبب قربها من غرب الصين، ووفرة الموارد، والحاجة إلى استقرار إقليمى أكبر. واتجاه ثان نحو الشرق، أى جنوب شرق آسيا، نظراً لأهمية تجارتها مع الصين. واتجاه ثالث نحو الجنوب أى جنوب آسيا وأفريقيا. مع تطوير الطريق البحرى.

تغطى مبادرة الحزام والطريق 69 دولة،

وتضم أكثر من نصف سكان العالم (4،4 مليار نسمة)، وحوالى 30% من اقتصاد العالم، كما أن البنية الأساسية التى تحتاج إليها حوالى 5 تريليونات دولار أمريكى. ويوضح الشكل (2) أن مبادرة الحزام والطريق تستهدف بالأساس ثلاث قارات هى آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتضم الصين وروسيا ومنغوليا، وخمسة أقاليم جغرافية. ويشير معهد العلوم الجغرافية وبحوث الموارد الطبيعية التابع للأكاديمية الصينية للعلوم، إلى أن دول «الحزام والطريق» تمثل 43٪ من مساحة الأرض (67.7 مليون كيلومتر مربع) و4،4 مليار نسمة و38،2٪ من الناتج المحلى الإجمالى العالمى (27،4 مليار دولار أمريكي). وفى ذلك، فمن الضرورى أن نأخذ فى الاعتبار الاختلافات الشاسعة فى الوزن الاقتصادى لهذه الدول. إن مفهوم «الحزام والطريق» له مكونه المحلى بالإضافة إلى المكون الدولي؛ ويمكن اعتباره أيضاً أداة للسياسة الإقليمية الصينية للحد من الفجوة بين المناطق الساحلية المزدهرة وبقية المناطق الحبيسة.

## كيف يتأثر حجم المرور فى قناة السويس؟

فمبادرة الحزام والطريق هى مظلة كبيرة تضم تحتها مجموعة ضخمة حالية ومحتملة من البنية الأساسية سواء القائمة بالفعل أو المُخطط لها، ويصاحبها مجموعة من الاتفاقات التجارية الثنائية والإقليمية لتطوير مجموعة كبيرة وواسعة ومتمددة من الأصول منها الطرق والسكك الحديدية والموانىء والمطارات ومحطات الطاقة وخطوط أنابيب النفط والغاز ومعامل تكرير البترول ومناطق التجارة الحرة، فضلاً عن دعم تعزيز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والبنية التحتية المالية والتمويلية، وحتى عام 2016 تم رصد 250 مليار دولار لمشروعات تم إنشاؤها بالفعل أو تم الاتفاق على تنفيذها. ووفقاً لتقديرات الصين، يبلغ الطول الإجمالى للسكك الحديدية بالحزام والطريق 4542 كيلومترا. ومن الأسئلة المهمة التى تحتاج إلى المزيد من البحث للإجابة عليها: هل سيؤثر النقل البرى والنقل بالسكك الحديدية عبر الحزام على حجم المرور فى قناة السويس؟ هل إنشاء خطوط بترول وغاز طبيعى لهذه المسافات الضخمة سيكون تأثيره سلبياً على قناة السويس؟ ويفترض الباحثون أن يتأثر حجم المرور فى القناة حال استخدام قطارات فائقة السرعة تعمل بمصدر طاقة رخيص بحيث تقل تكلفة النقل من خلاله عن النقل البحرى الذى يعرف بأنه أرخص أنواع النقل. أيضاً قد تؤثر أنابيب البترول والغاز على حجم المرور بالقناة، ومن ثم تصبح المشروعات التى تقام حالياً ومخطط لإقامتها مستقبلاً فى المنطقة الاقتصادية لقناة السويس هى العامل الفعال الذى يحافظ على أهمية القناة حيث ستكون

القناة نقطة بداية لنقل المنتجات إلى مناطق أخرى من العالم، كما ستعد نقطة مقصد أو نهاية تستقبل الخامات ومستلزمات الإنتاج لمشروعات تنمية إقليم قناة السويس. إن نقل البضائع والأفراد ليس هو الهدف الوحيد للصين لكنها تدعم أيضاً نقل المعلومات والاتصال عبر أوراسيا، وهذا يشير إلى تطوير البنية التحتية للاتصالات، مثل الإنترنت فائق السرعة، وشبكات المحمول، وخدمات الأقمار الصناعية، وغيرها. والمكون الثانى المهم من مكونات مشروع الحزام والطريق هو التعاون الاستثمارى، إذ تدرس الصين انتقال شركاتها إلى المستوى الدولى (تصدير الخدمات ورأس المال) لخلق ظروف استمرار النمو الاقتصادى. ومن المجالات المهمة الأخرى للتعاون ضمن هذه المبادرة هو الزراعة، وذكر الجغرافيون الصينيون أن التعاون الزراعى الدولى المكثف فى أوراسيا سيضمن الأمن الغذائى للصين ويعطى دفعة لتنمية الزراعة فى الدول الأخرى. وفى معظم هذه الدول، تعانى الزراعة من انخفاض الكفاءة، وضعف المعدات التقنية والخبرة، وضعف الاستثمار. لذلك، بالنسبة لهذه الدول، ستكون الصين جذابة فى مجال التعاون الزراعى. ومن المتوقع أن يستغرق تنفيذ المشروع حتى عام 2049 وهو العام الذى ستحتفل فيه الصين بمرور 100 عام على إنشاء جمهورية الصين الشعبية.

إن حجم المبادرة التى طرحتها الصين لا يسمح بتجاهل أهميتها الجغرافية السياسية بالنسبة للاقتصاد العالمى ككل. وكثيراً ما يرتبط تشكيل المشهد الجيواقتصادى والجيوسياسى الدولى فى الجغرافيا بالتناوب بين تكامل ودورات التنمية الاقتصادية العالمية، واستمرت دورة التكامل العالمية الأولى – باكس بريتانيكا- من منتصف القرن التاسع عشر إلى عام 1914. وبدأت الدورة الثانية من التكامل العالمى باكس أمريكانا فى عام 1945، عندما شكل الاقتصاد الأمريكى نصف اقتصاد العالم. وربما بعد عقدين من الاضطراب فى «عالم متعدد الأقطاب»، قد تأتى الدورة الثالثة باكس سينيكا أى التكامل والازدهار الصينى. إن إستراتيجية «الحزام والطريق» هى محاولة لتحديد معالم مرغوبة للصين فى المرحلة الجديدة من العولمة، وإيجاد سبل لتنفيذها العملى. والمبادئ الرئيسية لـ «العولمة على النمط الصيني» هى السلام والاستقرار والتعاون والتنمية والمنفعة المتبادلة، والأهم من ذلك، التنوع والعدالة. وتعتزم الصين الانتقال إلى المرحلة الجديدة لا من خلال هدم النموذج القديم، بل من خلال التحسن التدريجى نحو تعزيز حرية حركة السلع ورأس المال فى جميع أنحاء العالم. ويحتاج الاقتصاد العالمى، ولاسيما فى الدول النامية، إلى رفض النموذج الاقتصادى الليبرالى الجديد الذى أدى إلى زيادة عدم المساواة فى العالم. وتشير الدروس المستفادة من أمريكا اللاتينية وأوروبا الشرقية إلى أن الدول الوحيدة القادرة على الاستفادة الكاملة من العولمة هى تلك التى ظل نظام الدولة بها قوياً يقوم بالتنمية لصالح الشعب ولم يتبع الطرق الهادفة إلى تقليل التدخل الحكومى. إن «دعوة» الصين بأن «تقود» العولمة الجديدة أصبحت ملحوظة بشكل خاص على خلفية رفض قطاعات كبيرة من السكان والقطاعات الاقتصادية غير الراضية عن العولمة، أضف إلى ذلك فوز ترامب فى الانتخابات الرئاسية الأمريكية وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبى. إذاً هناك تحول عن سياسة الولايات المتحدة لحماية العولمة، بعدما كانت لعقود من الزمن أهم محرك للعولمة والتجارة الحرة، وبلا شك سوف تستفيد الصين بذلك، وأعتقد أنها على استعداد لالتقاط العصا. ويتوقع الباحثون المزيد من الانعكاسات السياسية والاقتصادية لهذه المبادرة، ولعل البحث الذى شاركت فيه – مع مجموعة من الباحثين المتميزين من معهد التخطيط القومي- من أهم الأبحاث التى ألقت الضوء على الكثير من خصائص هذه المبادرة وآثارها الاقتصادية والسياسية، وأدعو القراء إلى الاطلاع على هذه الدراسة القيّمة التى نشرت مؤخرا ضمن «سلسلة قضايا التخطيط والتنمية» بمعهد التخطيط القومى وحملت عنوان «مبادرة الحزام والطريق وانعكاساتها المستقبلية الاقتصادية والسياسية على مصر».

وختاماً يظل التساؤل قائماً هل ستنجح الصين بما لها من قوة اقتصادية وبما لها من استثمارات ضخمة – ليس فى الدول النامية فحسب بل فى كبرى الدول الأوروبية- أن تحقق أهدافها وأن تنجح فى تحقيق نمو اقتصادى عادل وشامل فى الدول النامية.

# نحو توثيق دقيق لتاريخنا المعاصر

**يعرف قاموس كامبردج «المراجعة التاريخيـــة» Historical Revisionism بأنها طرح أسئلة بالإضافة إلى محاولة تغيير معتقدات حالية فيما يخص أحداثاً وقعت سواء بالنسبة لأهميتها أو فيما يخص معناها.**

**Asking questions about and trying to change existing beliefs about how events happened or what their importance or meaning**

**ومما لاشك فيه أن العديد من الأحداث التى تتعلق بتاريخ مصر المعاصر، إذا اتفقنا على أن بدايته فى أعقاب نهاية الحرب العالمية الثانية وبزوغ الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى كقطبى العالم، تحتاج إلى محاولة مؤسسة علمية بغرض تقييمها ونقدها، وذلك بهدف تحقيق فهم أوضح لما تطورت إليه الأمور بعد ذلك.**

**سفير محمد أبو الدهـب**

**mabouldahab1@gmail.com**

وفى هذا الصدد فإن قضايا الجلاء والتنمية والصراع العربى – الإسرائيلى بالإضافة إلى العديد مـــن التحديات الأخرى، والتى بـــرزت كأولويات منذ يوليو 1952، بـــات من المهم تناولها فى إطارها الســـليم والـــذى تعتبر المصادر الأولية الأساس العلمى لها.

فمـــن المتفق عليـــه أكاديمياً أن المصادر الأولية لأى بحث علمى تشمل الوثائق الحكومية الرســـمية الخاصة بالموضوع الذى يتم بحثه، بالإضافة إلى آراء من عايشوا الحدث أو كتابتهم إبانه. هذا وتذخر الثقافة السياســـية المصريـــة بمذكرات وشـــهادات عدة لكثير من السياســـيين عـــن أحداث عايشـــوها وإن كانت الســـمة الغالبة أنها قد كتبت بعد تقاعد معظمهم عن مناصبهم الرسمية، ويستثنى من ذلك، أستاذنا القدير الراحل د. بطرس غالى، ســـكرتير عام الأمم المتحدة الأسبق ووزيـــر الدولة للشـــئون الخارجية لســـنوات طويلة، والذى تعد يومياته المنشـــورة فى أجزاء عدة من الأهمية بمكان لأى أكاديمى مصرى أو أجنبى. يبقى الجزء الأهم فيما يخص المصادر الأولية وهو الـــذى يتعلق بالمتاح من الوثائق الرســـمية الحكومية المصرية والذى يعد محـــدوداً للغاية، اللهم إلا أصحاب الحظوة الذين استأثروا بصور من مكاتبات ووثائق تم اســـتخدامها لاحقاً فى كتابات متعددة.

وأيا كانـــت الأســـباب المختلفة فليس ذلك محل النقاش هنا، فلحسن الحظ أن المتاح من الوثائق الأمريكية والبريطانيـــة المتعلقـــة بمصر منذ 1952 كثير ومتنوع. ولقد اخترت لهذا المقال وكنموذج للمراجعة التاريخية، الوثيقة رقم 380 من الجزء المعنون: Foreign Relations of the United States، 1961 –1963، Volume XVIII، Near East 1962 –1963

والمتـــاح على موقـــع الإنترنت الخـــاص بمكتـــب المـــؤرخ بوزارة الخارجية الأمريكية Office of the Historian، Department of State

إذ صـــدرت الوثيقـــة كتقديـــر خاص للمخابرات الوطنية Special National Intelligence Estimate بتاريخ ٤ ديســـمبر 1963 وعنوانها «برنامج الصواريخ للجمهورية العربية المتحـــدة وتبعاته على إســـرائيل»، وتنقســـم هذه الوثيقة إلـــى جزئين: الأول والمعنون «المشكلـــة» وينص على تقدير الاحتمالات الخاصة بتطور برنامج صواريخ الجمهورية العربية المتحدة على مدى الخمس ســـنوات التالية وانعكاســـات ذلك بالنســـبة لإســـرائيل. والجزء الثانى المعنون بـ «الخلاصة» وبـــه نقاط يمكن إجمالها فيما يلي:

1 – بحلول منتصـــف 1964 قد تتمكن الجمهوريـــة العربية المتحدة من نشر بضعة صواريخ أرض – أرض قادرة على الوصول إلى إسرائيل، ولكن هذه الصواريخ قـــد لا تزيد حمولتها عـــن 500 رطل (حوالـــى 226.79 كيلوجـــرام) ومداها مـــن 5 إلى10 أميال ولن تكون لديهم رؤوس نووية وستكون قيمتها العسكرية ضئيلة.

2 – ســـوف تســـعى الجمهورية العربية المتحدة علـــى مدى الخمس ســـنوات القادمة لإنتاج صواريخ أكثر

كفاءة إلا أن ارتفـــاع التكاليف وعدم كفاية وسائل الإنتاج ونقص العاملين الأكفاء سيحد من فاعلية ذلك.

3 - يدعـــى قـــادة إســـرائيل أن صواريخ الجمهورية العربية المتحدة علـــى الرغم من عـــدم كفاءتها يمكن أن تؤثر تأثيـــراً خطيراً على معنويات إســـرائيل وتعوق نظـــام التعبئة مما يمكن القـــوات التقليدية المصرية من اجتياحهـــا. وبالنظر إلـــى عدم دقة ومحدودية حمولة هـــذه الصواريخ، فليس مـــن المتوقع على مدى الخمس ســـنوات المقبلة أن تكون هناك نتائج خطيرة لأى هجوم صاروخى من هذا النوع.

4 - تعاقدت إســـرائيل مع شركة فرنسية لتطوير 250 من صواريخها أرض - أرض وأن التقـــدم فى برامج الأسلحة المتقدمة سيثير التوترات على كلا الجانبين وســـيكون هناك خطر أن يقوم أحـــد الطرفين باتخاذ إجراء عدائى. نهاية الوثيقة.

ولعل الســـؤال الذى يطرح نفسه فى هذا الخصوص هـــو إلى أى مدى كان هناك إدراك مصـــرى لتقديرات الجانب الأمريكى فى هذا الشان خاصة فى المرحلة التى سبقت حرب 1967؟ وعلى أى أساس بنى التقرير نتائجه؟ وماذا كانت مصـــادر معلوماته؟ آخذا فى الاعتبار أن هناك فقرات محجوبة من التقرير لـــم يتم الإفراج عنها بعد. وأيا كانت التفاصيل الخاصة بذلك فإن إتاحة المراجع الأولية للباحثين ستمكن من الإجابة والتقييم الموضوعى فى هذا الخصوص. ومما لاشك فيه أن صدور قانون حرية تداول المعلومات المزمع سيســـهم إلى حد كبير فى الإجابة عن ما سبق، بالإضافة إلى إتاحة الفرصة نحو توثيق دقيق لتاريخ مصر بصفة عامة.

**أهمية التوثيق فى حياة الامم**

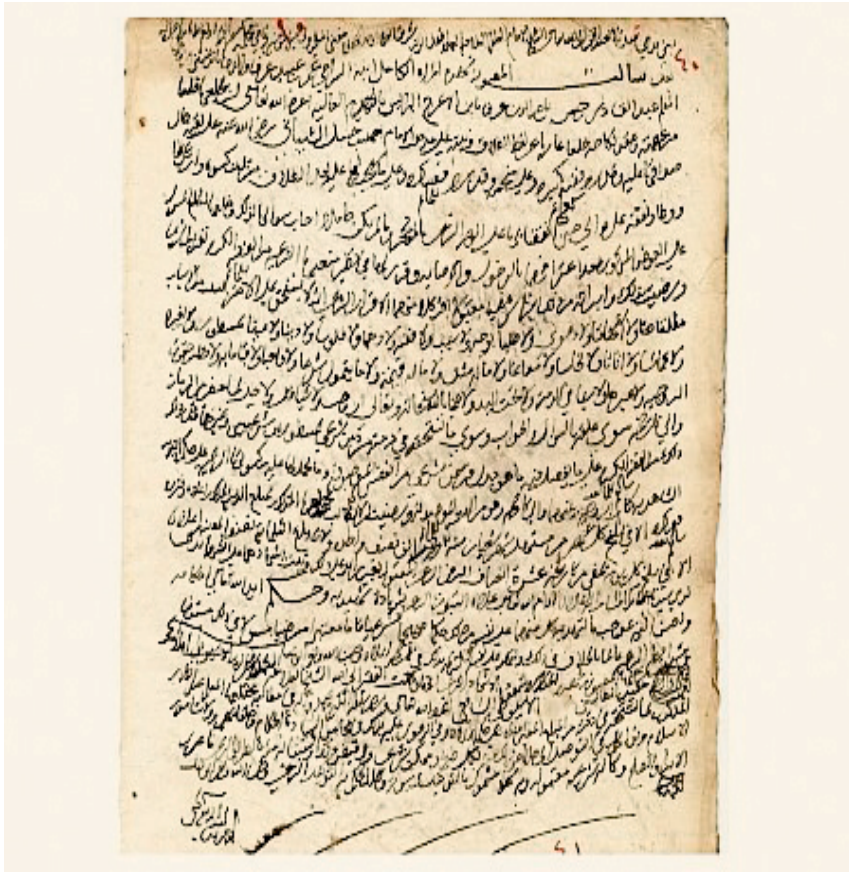

# المانيـا والشرق الأوسط

## منذ زيارة القيصر فيلهلم الثانى إلى المشرق عام 1898

**صدر عن سلسلة عالم المعرفة الكويتية فى فبراير 2018 ترجمة لكتاب المانى بعنوان «المانيا والشرق الأوسط» منذ زيارة القيصر فيلهلم الثانى إلى المشرق فى العام 1898 حتى الوقت الحاضر من تأليف رولف ستاينجر استاذ التاريخ المعاصر وترجمة د. لورنس الحناوى ومراجعة الدكتور رضوان السيد.**

**سفير عبدالفتاح عزالدين**

afmecairo@gmail.com

اســتعرض الكتــاب المؤلفات التى صدرت باللغة الالمانية عن علاقات المانيا بالشــرق الأوسط واســتنتج انها كانت تركز على فترات تاريخيــة معينة مثل فترة ما قبل الحــرب العالمية الثانية أو على موضوعات معينة مثل النفط وذكر «الشــىء الذى يفتقر إليه لإتمام حلقات هذه السلســلة كان تقديم ملخص شامل وجامع لهذه الكتاب وهذا هو بالضبط ما يقوم به هذا الكتاب منطلقاً من الأبحاث التى ضمتها دفــات الكتب الحديثة التى صدرت أخيرا» وقد صــدر هذا الكتاب بالألمانية فى عام 2015.

يبــدأ الكتاب بعرض وعــد القيصر فيلهلــم الثانى بدعم فكرة إنشــاء دولة يهودية فى فلســطين التى كانت تابعة للســلطنة العثمانية ورفض الســلطان العثمانى لهذه الفكرة.

يذكــر الكاتــب «وعلــى الرغم من ان فيلهلــم لــم يكن يحــب اليهود ولا الفلســطينيين فإن التعامل التجارى مع الســلطنة العثمانية سار فى طريق جيد حيث حصلت الامبراطورية الالمانية على امتياز بناء سكة حديد بغداد».

ثم عرض الكاتب لتحالف المانيا مع الدولة العثمانية أثنــاء الحرب العالمية الأولى ومحاولات إثارة الشعوب العربية ضد انجلترا عدوة المانيا وبعد ذلك عرض لاتصالات الحسينى مفتى فلسطين بهتلر فى الثلاثينيات من القرن الماضى وهرب الحسينى إلى برلين.

كذلك تناول سياسات الالمانيتين بعد الحرب العالمية الثانيــة تجاه المنطقة وتنافســهما كل من منطلــق عضويته فى تحالف عســكرى معاد وكانت أهم التهديــدات هى اعتــراف بعض الدول العربية بألمانيا الشــرقية بالإضافة إلى التعويضــات الالمانية والأســلحة التى قدمتها المانيا الغربية لإسرائيل.

يتحدث المؤلــف بعد ذلك عن حرب 1967 ويشــير إلى أن الموقف الألمانى المعلــن كان محايداً علنــاً ولكنه مؤيداً لإسرائيل عملياً ويذكر الكاتب بنود ورقة عمل السياسة الألمانية فى الشرق الأوسط والتى وقعت بعد 14 يوماً من الحرب.

انتقل الكاتــب لتناول العمليات التى قامت بها بعض المنظمات الفلســطينية ضد المصالــح الالمانيــة مثل حادث أوليمبيــاد ميونخ فى ســبتمبر 1972 وحادث اختطاف طائــرة لوفتهانزا فى أكتوبر 1972 مروراً بحرب 1973 حيث مرت شحنات أسلحة أمريكية بالأراضى الألمانية مما اضطــر الحكومة الالمانية إلى إصــدار بيان سياســى عما جرى الحديث عنه ســراً مع واشنطن تضمن «بأن ارسال شحنات أسلحة من أراضى المانيا الغربية ومن المخازن الموجودة على الأراضى الالمانيــة لأطراف النزاع هو أمر لا يمكن الســماح به وان حكومة المانيا الغربيــة تنتظر من أمريكا وقف تسليم الشحنات من فوق أراضى المانيا الغربية ومنها بشكل كامل».

بعد ذلــك تحدث الكاتــب عن أزمة البترول وحرب الخليج وتحقيق الوحدة الالمانيــة وحرب العــراق وعن الحرب الأخيرة أورد الكاتب عبارات غير متوقعة مثل «أما الانتقاد الحاد الذى طال الرئيس بوش فصدر عن المتحدث باسم الحكومة الالمانية أوفى ـ كارستن هيير وهو الذى أبدى شــكوكه الجدية حول أفق الرئيس الأمريكى فــى مقابلة له مــع قناة 24 الإخبارية حين قال لقد لاحظنا المستوى الثقافى للرئيس الســابق لأهم دولة كان متدنياً بشكل استثنائى ولهذا السبب فإنه كان من الصعب التواصل معه».

ويختتم الكاتــب بتعداد ما لم يورده فى الكتاب عن أحداث معظمها وقعت منذ عام 2011 وتتضح أهمية الكتاب فى:

1 - يتضمن تاريخــا كاملا لتذبذب علاقات ومواقف المانيا من قضايا منطقة الشرق الأوســط منذ عام 1898 وحتى الآن.

2 - به ســجل لآراء القوى السياسية المختلفة داخــل المانيــا وآراء بعض حلفاءها تجاه مشــكلات المنطقة خلال تلك الفترة.

3 - الكتــاب به عدد كبير من الصور الفوتوغرافيــة الوثائقية فى كل فصول الكتاب السبعة.

الموضوعــات والأحداث التى تناولها الكتاب هامة ومن خلالهــا يمكن تفهم العوامل التى تحكم السياســة الالمانية تجاه المنطقة والسياسة الالمانية تلعب دوراً هاماً فى أوروبا والعالم.

# مائة عام من الأدب الروسى

**صدر كتاب مائة عام من الأدب الروسي: دليلك إلى الأدب الروسى فى القرن العشرين عن المركز القومى للترجمة فى يونيو 2018، وهو من تأليف فلاديميـــر أكيموف، وترجمة كل من الدكتور أنور محمد إبراهيم والدكتـــور على غالب محمد غالب ويقع فى حوالى 560 صفحـــة من الحجم الكبير وهو مجهود ضخم فى الترجمة عن الروسية مباشرة والمترجمان من رواد الترجمة المباشرة عن اللغة الروسية.**

يتناول الكاتب فى النصف الأول من الكتاب بنظرة تاريخية وتحليلية ونقدية الأدب الروســـى من عام 1890 وحتى ما بعد سقوط الاتحاد السوفيتى.

أمـــا النصـــف الثانى مـــن الكتاب فيحتـــوى علـــى دليل للكتـــاب الروس وأعمالهـــم ومصائرهم فـــى تلك الفترة ويختتم الكتاب بقائمة مراجع طويلة قام المترجمان بترجمتها إلى اللاتينية أيضًا.

يرى الكاتب أنه يمكن تقسيم فترات الدراسة المتداخلة إلي: العصر الفضى، العصر الســـوفيتى، العصر الروســـى الحديث ويـــدرس خلالها ثلاثة أنواع من الأدب وهي: الأدب الرسمى السائد، وأدب المنشقين داخل البلاد ولا تنشر كتاباتهم رســـميًا، وأدب المهاجرين الروس الذين هاجروا لأســـباب عديـــدة ولكنهم ظلوا يكتبون أدبًا باللغة الروسية.

يحلـــل الكاتـــب تأثيـــر التطورات السياســـية علـــى الأدب ودور الرقابة الحكومية والتيـــارات الفكرية والأدبية الســـائدة داخل كل فترة وعلى ســـبيل المثال كانت الحرب الروســـية اليابانية وثورة 1905 فى روسيا سببًا فى اتجاه الأدباء إلى السياسة وتحولهم من النزعة الفردية التى ميزت الفترة الســـابقة لها، وظهر الاهتمـــام بالجماعة وتأثير الأدب على مسار الأحداث فى المجتمع.

ومثـــال آخر أن ثـــورة 1917 كانت تعنى هيمنه الدولة على الأدب فتم إغلاق الصحف البرجوازيـــة، واضطر كثيرون إلى الهجرة إلـــى الخارج، ومن اضطروا إلى البقاء أخذوا يعبرون عن أنفسهم فى كتابات سرية.

يذكـــر الكاتـــب أنه خـــلال الفترة الســـوفيتية كان الأدب خاضعاً للتوجيه وللرقابـــة ويعكس النظـــرة الطوباوية للشـــيوعية العالمية. كان هناك ما أسماه المؤلـــف الأدب الهادئ غير المســـيس الذى يتناول الإنســـان الروسى البسيط فى الممارســـة الطبيعية العادية بعيدًا عن النموذج الســـوفيتى لأسلوب الحياة

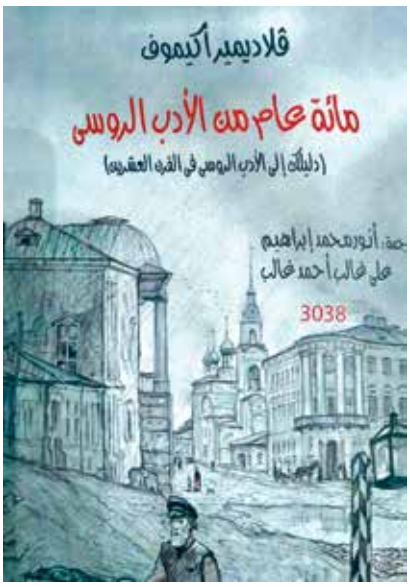


كان أدبًا موضوعاتـــه التأمل واللقاءات والأحاديث فـــى تدبر الأمـــور اليومية والخالدة، ليس فى «الصراع من أجل» أو «الصراع ضد».

من هؤلاء الكتاب يـــورى كازاكوف وجورجى ســـيمينوف ويورى كورانوف وغيرهم، ولا أعتقد أنه تم ترجمة أى من مؤلفاتهم إلى اللغة العربية.

وفى الفترة الســـوفيتية أيضًا يتناول الكاتب الأدب القومى الروسى «فلابد فى جميع الأزمات، ولدى كل الشـــعوب كان أولًا وقبل كل شـــئ أدبًا قوميًا»، ونلاحظ أنه على ما يبدو ولهذا السبب لم يتناول المؤلف الإنتـــاج الأدبى فى الجمهوريات الســـوفيتية لأنها كانت لشـــعوب أخرى غير الشعب الروســـى. (رغم أن الاتحاد الروســـى الحالـــى يتكون أساسًـــا من العنصر الروسى والعناصر التركية).

وعن الحرب وفتـــرة الانقاذ القومى فـــى 1941 - 1946 يقول الكاتب: «لقد جاءت معظم نتائج الحرب خادعة للشعب فى كثير من الأمور الأساسية، لقد خرج منها متوقعًا حدوث تغييرات عليه وعلى أرضه العزيـــزة لقد انتظر أن يتحرر من الأمور التى ظلت دائمًا غير قابلة للإدراك لكنه راح يشـــعر أكثر بوطأة العبودية الاجتماعية والروحية».

ويتحدث المؤلف عن فترة ما يسميه أزمنـــة الركـــود أى نهاية الســـتينيات وحتى الثمانينيـــات حيث ظهرت حركة ذاتيـــة للـــروح الإبداعية فـــى أعقاب التوجه الليبرالى لخرشـــوف - وفى هذه السنوات حصل على جائزة نوبل كل من شولوخوف عام 1965 وسولجنستن عام 1970 وبرودسكى عام 1987.

وعن الأدب فى نهاية، القرن العشرين يقول: «لا يزال الفنان المعاصر مطمورًا تحت صخور الانفجار الذى لم يسبق له مثيل» ويرجح أنه سيســـتمر اتجاهان: أدب «الاستهلاك المحلي» وأدب «الأسئلة الخالـــدة» وبجانـــب هذا يعاد نشـــر الأعمال التى منعت فى الماضى وأعمال المهاجرين الروس وتأسســـت دور نشر جديدة كثيرة.

إن الكاتب يحلـــل وينتقد الاتجاهات الأدبية الروســـية طوال قرن من الزمان وبيـــن العلاقـــة بين السياســـة والأدب وكيف حاول الكتاب الهروب من طغيان السياسة.

يعد هذا هو الكتاب المترجم الأول من نوعه باللغـــة العربية الذى يتناول تاريخ الأدب الروسى فى القرن العشرين الذى تميز بتغيرات هائلة فى روســـيا، والذى تميز أيضًا بظهور عشرات الأسماء الأدبية التى لا نعرفها مثلمـــا كنا نعرف كتاب العصر الذهبى أمثال تولستوى وبوشكين ودستويفسكى وتشيخوف وكتاب العصر الفضى أمثال جوركى ويسنين.

هذا كتاب ودليل ضـــرورى لكل من يـــدرس أو يهتم بالأدب الروســـى وهو باختصار كتاب ممتع وشيق وجاد.

**عرض سفير عبدالفتاح عزالدين**

**afmecairo@gmail.com**

# واحـــة الغـــروب

**«واحة الغروب» تتنـــاول موضوعاً عزيزاً على الكاتب: الصحراء. لقـــد تناول الكاتب موضوع الصحراء أكثر من مرة، فأبدع فى وصفها، مثل روايـــة «الملك أنا جئت»، غير أن «واحة الغروب» مليئة بالأحداث والشخصيات والحوارات، التى يســـتعرض الكاتب من خلالها آراءه فى المواقف السياســـية والتاريخية المختلفة، وأبرزها موقفه من ثورة عرابى. «واحة الغروب» سلســـلة من اللوحـــات التى يلعب فيها الضوء الذى تشـــوبه حمرة دورا مهمة، غيـــر أن هذا الغروب يرمز فى ذات الوقت إلى غروب العديد من الشـــخصيات والمواقف، سواء كانت تمثل غروب أفراد أو مواقف سياسية كانت سريعة الانطفاء، مثل ثورة عرابى..**

**سوسن رحمى**

إنه يجســـد انطفاء حياة شـــباب الواحة، الذيـــن يحكم عليهم بالإعدام من شـــيوخ الواحة، فـــى حروب لا معقولة يشنها هؤلاء الشيوخ، من وقت لآخر، وهم جالسون يشاهدون مصرع هؤلاء الشباب وكأنهم يشاهدون إحدى حلبات صراع العبيد مع الأســـود فى روما. الغروب يشـــهد أحداث مصرع مليكة، الطفلة، التى ما لبثت أن طرقت باب الشباب حتى حكم عليها بالإعدام من نساء الواحة، وقد ملأ قلوبهن حقد وغيرة من هـــذه الطفلة الجميلة التى تبدو بأناملها فتصنع تماثيل وكأنها ورثت الأجـــداد. حكم عليها بالإعدام، فانهلـــن عليها ضربًـــا، حتى لفظت أنفاسها.. أما جريمتها لأنها اخترقت قواعد الأرامل فتركـــت حجرتها قبل الميعاد المحـــدد لها، رغم أنهن على يقين من عذريتهـــا فقد كان زوجها الشاب «عاجزًا». الغروب يرمز أيضًا لنهاية رحلة العذاب التى تعرض لها المأمور الذى دمره إحساسه بالذنب من موقفه تجاه ثـــورة عرابى، رغم أنه قد شـــارك فى إحـــدى معاركها، فشـــل فى حبه للثورة كما فشل فى زواجه من كاترين ثم كان بزوغ حبه لأختها «فيونـــا». كان فراره للواحة من أجل النجاة بحياته، فكان غروبه غروبـــاً مأســـاوياً.صور الكاتب من خلال هذه الأحداث مجتمعه، صورة الغـــرب الانتهازى الـــذى ينقب عن الآثار حتى يمـــلأ متاحفه، وأبحاثه. إنها نظرة التعالى التى تكسو ملامح «كاترين» زوجته، قســـوتها وموقفها من الشاويش إبراهيم الذى أصيب فى حادث، بسبب إصرارها على اقتحام المعابد، إنها لا تعير اهتمامًا لمشاعر ومعتقدات أهـــل الواحة ولا تأخذ فى الاعتبار احتـــرام خصوصيتهم، فالأنا الغربية تحرك مشاعرها وتصرفاتها. تنقســـم الرواية إلى عدة أبواب وكل باب يحمل اســـم إحدى الشخصيات فيقـــوم الكاتب بعملية ســـرد تكون بمثابة شهادة للشخصيات المختلفة والرئيســـية.. ويتخلل هـــذا التقييم تصريحات للشـــخصية فتكشـــف الأهداف والنوايا الخاصة بها.

تتبـــدى هـــذه الأبـــواب وكأنها اعترافات، وهكذا تكتمل أمامنا صورة الشـــخصيات حتى ولو كانت ماهرة، فى الســـيطرة على انفعالاتها وهى تتعامل مع باقى الأشخاص.. كاترين تفصح عـــن كل نواياها وخطتها فى الحضور إلى مصر وسفرها للواحة. أما الإسكندر فهو يعترف عن أهدافه الحقيقيـــة، وقد بعث فيـــه الكاتب الروح فقـــام بهذه الاعترافات.. يقول الإســـكندر: غاية ما يمكن أن يصل إليه الإنســـان فى عقيدتنا أن يصبح بطلاً، مثل هيرقـــل، أى خالدًا، ولكن دون مرتبـــة الآلهة.. إن مصر وحدها هى التى تؤله ملوكهـــا. ثم يضيف وهو يسرد تفاصيل تأملاته: ماذا فعل اليونانيون بحريتهم (...) لم يتوقفوا عن الانقســـام والاقتتال، حتى مدنهم كانت تبدد بعضها البعض (...) لكن ها هم المصريون، دامت دولتهم الآن آلاف السنين، مستقرة بسطوة الأرباب والفراعنة والكهنة. ثم يستأنف وهو يتحدث عن أهدافه.. إنه لن يتوقف عن فتوحاته حتـــى ينجح فى صنع عالم جديد تتحد فيه أجناس البشر وتتكلم لغة واحـــدة: اليونانية.ومن الدروس التى تلقاها من الكهنة المصريين أن «لابد من إخافة العامة دائمًا بالعقاب والعذاب علـــى الأرض (...) يجب أن

يعبدونى فى الخـــوف «وبالخوف». وكانـــت النهاية المحتومـــة الموت، فيضيف: «نسوا جثمانى على سرير الموت فى القصـــر». يعود الكاتب إلى أحداث الروايـــة بعد التوقف مع الإســـكندر الأكبر، وكأنـــه أراد بهذا الســـرد أن يتحدث عن تاريخ معاناة المصريين خلال العصور المختلفة، ســـواء مع الحاكم فـــى الداخل أو المســـتعمر الذى أتى وقد تســـلح بالأدوات اللازمة للاســـتغلال. وتعود بقية الأحداث إلى مســـارها الطبيعى حتى تصل إلى النهايـــة المحتومة، رحيـــل زوجة المأمـــور، الذى يقول محدثًا نفســـه: «منذ جئنـــا إلى هذه الواحة انكســـر شـــىء، لا أعرف ما هـــو.. انتهى هنا نهـــار علاقتنا إلى غروب فى هذه المحطة الأخيرة، إلى الأفق الغربـــى، كما وصفته، كاترين،

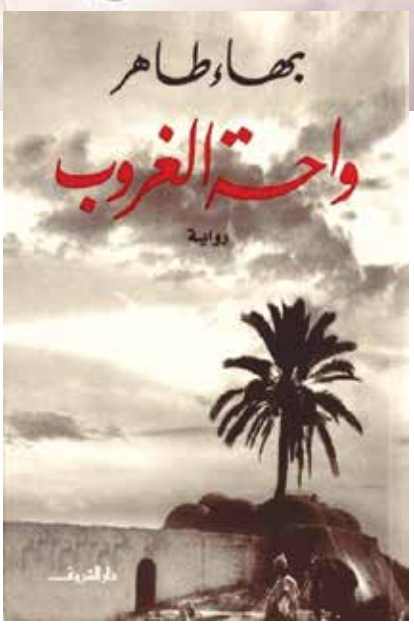


ثم يضيف تفتت زواجنا مثل الرمال، ثم بددته مليكة. تعلـــق قلبه بفيونا، التى قال عنها الشيخ صابر: «عرفت فى حياتـــى أمثالها، فـــى كل دين وملة، مثلهـــا يولدون وقـــد وهبهم الله الســـماحة وصفاء النفس». إن ظهور فيونا وسط هذا الضباب وهذه الأحداث الدامية، هـــذا الظهور الذى ما لبث أن انطفأ مثل «ثورة عرابى»، وطويت صفحتهـــا. إن ظهور فيونا قد كشف الصورة الحقيقية لكاترين، صاحبة الفكر الغربى المتعالى. تقول فيونا لأختها وهى تسخر من أنانيتها: «تعالى انظرى إلـــى هذه الحضارة، وتقصد حضارة بريطانيا، المعجونة بالدم من أيرلندا إلى مصر إلى الهند إلى ما لا نهاية».

وتنتهى الرواية بانفجارات: فقد دمر محمود المعبد وهو يقول محدثًا نفســـه: هذا هو المجد الذى يكشف لنا الإنجليز، لنعـــرف أننا كنا عظماء وأننا الآن صغار.. كما تنتهى الرواية بالتصالح النفســـى الذى يشـــعر به محمود وهو يحتضر تحت الأنقاض. إن هذا النور الذى يغمر داخله، ما هو إلا لحظة انكشاف الحقيقة فوضحت الرؤية له.

# لمـاذا كان ماركـس على حـق؟

**فى إطـار احتفال الكثير من الدوائر عبر العالم بالمئوية الثانية لميلاد المفكر والفيلسوف وعالم الاقتصاد السياسى الألمانى المولد والبريطانى الإقامة «كارل ماركس»، صدرت طبعة جديدة لواحد من الكتب المهمة التى تناولت فكر «كارل ماركس»، وكانت طبعته الأولى قد صدرت عام 2011. والكتاب بعنوان: «لماذا كان ماركس على حق؟» وهو من تأليف الأستاذ الجامعى البريطانى «تيرى إيجلتون»، وهو وإن كان فى الأصل أستاذاً فى الأدب الإنجليزى بجامعة «لانكستر» البريطانية، فإنه أيضاً أستاذ النظرية الثقافية بالجامعة الوطنية لأيرلندا فى جالواى.**

سفير د. وليد محمود عبد الناصر
walidabdelnasser@yahoo.com

وكان المؤلف قد سجل فى مقدمة الطبعة الأخيرة أن برأيه توجد عشرة انتقادات رئيسية شائعة ضد كارل ماركس ومشروعه الفكرى، وأنه يسعى فى كتابه إلى الرد على تلك الانتقادات الأساسية وتفنيدها، مؤكداً أنه بالرغم من حالة شبه الإجماع على أن كارل ماركس هو المفكر الأكثر تأثيراً فى القرن العشرين، فإن من وجهة نظر المؤلف أيضاً أن ماركس مستمر التأثير فى القرن الحادى والعشرين وفى قرون قادمة، وإن كان التأثير يأتى الآن من زوايا بعضها جديد ومستحدث وبعضها الآخر معاد وقديم.

وأول هذه الانتقادات هو الدفع بأن ماركس اعتبر أن كل شىء فى الحياة يتمحور حول الاقتصاد، وتقليله من شأن، بل أحياناً إنكاره الوجود أصلاً، اعتبارات أخرى إنسانية أو معنوية أو روحية أو حتى سياسية واجتماعية وثقافية ولكنها تقع خارج نطاق الاقتصاد. وجاء رد المؤلف مرتكزاً على منطلقين: الأول هو إبراز حقيقة وحجم الدور الفعلى الضخم الذى يلعبه الاقتصاد فى حياة المجتمعات والشعوب، سواء كان ذلك من منظور تاريخى أو فى زمن «كارل ماركس» أو فى الوقت الراهن أو فى المستقبل، وتأثيره الكبير فيما حوله من مكونات أخرى لحياة الإنسان والمجتمع، أما المنطلق الثانى فكان به نفى لمقولة أن «ماركس» اعتبر الاقتصاد هو الاعتبار الحاكم لكل ما عداه فى عالمنا، حيث أبرز المؤلف هنا، مقتبساً من أقوال وكتابات ماركس ذاته أو من كتابات بعض «شرحائه» ما يؤكد أنه كان يعطى اهتماماً كبيراً لاعتبارات أخرى، خاصة من خلال إبرازه جدلية العلاقة فى فكر ماركس بين البنية التحتية (الاقتصادية) والبنية الفوقية القانونية والقيمية والسياسية والثقافية والاجتماعية، والتأثير المتبادل، من واقع كتابات ماركس نفسه، فيما بينهما.

أما الانتقاد الثانى الذى تناوله المؤلف بالتمحيص من وجهة نظره، فهو القول بأن «ماركس» كان مؤكداً على الطابع المادى للإنسان والمجتمع ونافياً لوجود أو دور أو أهمية للاعتبارات الروحية والمعنوية والأخلاقية وغيرها من اعتبارات غير مادية، وفى مقدمتها بالطبع المسألة الدينية. وهنا، تمحور رد المؤلف وتفنيده على العديد من المرتكزات، كان أولها نفى التفرقة بين المادى واللا مادى، سواء داخل الإنسان الفرد من جهة أو بداخل المجتمع أو الجماعة التى يعيش فيها هذا الإنسان من جهة أخرى. فحالة الرفاه المادى التى من المفترض أن تتحقق خلال المرحلة الشيوعية من تطور البشرية، طبقاً لكارل ماركس، هى التى ستولد مجتمع الوفرة الذى بدوره سوف يتيح لمواطنيه الفرصة للتفرغ للتفكير والتأمل فى أمورهم المعنوية والأخلاقية والروحية، بعيداً عن تمحور حياتهم حول سعى لا ينتهى للحصول على ما يوفر احتياجات المعيشة الأساسية لهم ولأسرهم. أما فيما يتعلق بالمسألة الدينية، فيعيد المؤلف تأكيد ما شرحه تفصيلاً من قبل العديد من الكتاب والمفكرين والمحللين المتعاطفين مع ماركس وفكره، وذلك من أن «كارل ماركس» لم يكن معادياً للأديان فى حد ذاتها، بل إنه مجرد رفض توظيفها من قبل الطبقات الرأسمالية الحاكمة لتغييب وعى الإنسان من ناحية أو تزييف هذا الوعى من ناحية أخرى.

وأما الانتقاد الثالث لماركس وفكره، والذى يتصدى له المؤلف فى كتابه، فهو اتهام «ماركس» وفكره بالمثالية، وهنا يشير المؤلف إلى التناقض الذى يقع فيه بعض منتقدى ماركس من الجمع بين اتهامه بالمادية المطلقة من جهة ثم اتهامه فى ذات الوقت بالمثالية المطلقة وهى صفة مناقضة للصفة المادية. إلا أن المؤلف لا يتوقف كثيراً عند إبراز هذا التناقض، بل ينطلق لدحض القول بمثالية ماركس وفكره. فهو يذكر فى هذا السياق بحقيقة أن «ماركس» ذاته له العديد من الكتابات التى امتلأت بالانتقاد للمثاليين، حتى من صفوف اليسار ذاته، سواء من المعاصرين له فى زمنه أو من السابقين عليه، وأنه اعتبر أن الأحلام الخاصة بالمستقبل، والتى لا تمت بصلة للواقع تضر البشر ومجتمعاتهم، خاصة الطبقات الكادحة منهم، أكثر بكثير مما تفيد أو تبعث على الأمل، خاصة وأنها فى النهاية تفشل ومن ثم تولد الإحباط لدى البسطاء من البشر، وعلى الجانب الآخر كانت مثالية ماركس، بحسب المؤلف، من النوع الذى يسعى للربط بين الأهداف والغايات والمثل المطلوب تحقيقها أو الوصول إليها وبين ما هو موجود على أرض الواقع ومعاش وبين ما هو قابل للتحقيق.

وكان الانتقاد الرابع الذى تناوله المؤلف بالتفنيد متصلاً بالانتقاد السابق، وهو أن ماركس لم يفهم طبيعة النفس البشرية جيداً، وأنه تصور أن البشر يمكن فى مرحلة ما أن يكونوا مثاليين ومضحين

بصالحهم الخاص من أجل الصالح العام، واعتبر هـــؤلاء المنتقدون أن هـــذا الفهم يناقض طبيعة البشـــر وليس له سند من التاريخ الإنســـانى. وهنا يعلق المؤلف بأن موقف هؤلاء المنتقدين إنما يعكس موقف الرأســـمالية ومفكريها من البشر، متهماً النظام الرأسمالى بأنه هو الذى جعل البشر بهذا السوء من حيث فرض قوانين التنافس بأى ثمن وبلا حدود من جهة وتهميش من لا يقدر على الوفاء بقواعد اللعبة بشكل غير إنسانى من جهة ثانية. كما يضرب المؤلف أمثلة من المجتمعات السابقة على المرحلة الرأســـمالية، أو حتى بعـــض الجماعات الإنســـانية التى تعيش اليوم على هامش النظام الرأســـمالى، والتى يضحى أفرادها عن رضا واقتنـــاع بمصالحهم الخاصة من أجل الصالح العام، وذلـــك ليؤكد على أن هذه الخصال الســـيئة فى البشر تعاظمت وتضاعفـــت بســـبب النظام الرأســـمالى وإفرازاته. إلا أن المؤلف يذهب إلى خطوة أبعد من ذلك حين يؤكد أن «كارل ماركس» نفســـه لم يفترض أن البشـــر ســـتتغير طبائعهم بمقدار مائـــة وثمانين درجة أو أنهم ســـيتحولون إلى ملائكة بمجرد قيام الثورة الاشـــتراكية ثم التحول إلى المرحلة الشـــيوعية، بـــل إن «مـــاركـــس»، ودائماً بحســـب المؤلف، كان واقعياً إلى حد كبير فى توقعاتـــه وبراجماتياً بدرجة كبيرة فى تصوره لما سيحدث فى هاتين المرحلتين، فهـــو أدرك أن التنافس فيما بين البشـــر سوف يستمر، ولكن ســـتحكمه الضوابط الجديدة التى ســـوف يضعهـــا ويفرضها النظام الموجود فى تلك المرحلتين، وذلك حتى لا يتحول إلى أداة إفناء للبشـــر وهدر لآدميتهم وإنسانيتهم، كما أن التفاوت بين البشر سوف يستمر ولن ينتفى فى هاتين المرحلتين، ولكن ذلك ســـيحدث لأن البشر متفاوتون فى احتياجاتهـــم أصلاً، وليس فقط فى قدراتهم أو إمكانياتهم.

والانتقاد الخامس للماركســـية الذى يتعرض له المؤلف هو ذلك المعنى بفشل التجربة السوفيتية واعتبارها دليلاً على فشل النظرية الماركسية فى الأساس. والمؤلف يعبر بوضوح عـــن رفضه لهذا الانتقاد من جذور افتراضاته ومسلماته، حيث أنه يشير إلى أن تجارباً أخرى لتطبيق الماركســـية كانت أكثر نجاحاً، وذلك مثل حالات الصين وفيتنـــام وكوبا وغيرهـــا، ويدفع فى هذا الســـياق بطرح مكرر استخدمه مدافعون عن ماركس فى الســـابق وهو أن ماركس كان يتوقـــع أن تحدث الثورة الاشـــتراكية

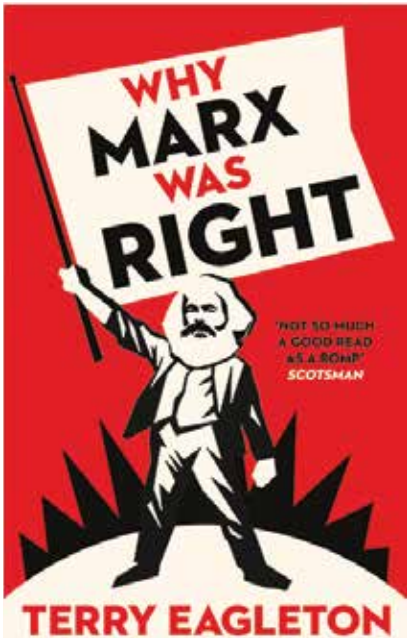


فى دولـــة صناعية متقدمة وليس فى حالة روســـيا التى كانت فى أكتوبـــر 1917، عندما قامت الثورة البلشفية بها، دولة فى المراحل الأولى من الرأسمالية وكان ما زال موجوداً بها العديد مـــن مظاهر المرحلة الإقطاعيـــة، وأن الحالة الوحيدة التى توقع فيها ماركس قيام ونجاح ثورة اشـــتراكية فى دولة أوروبية غير متقدمة صناعياً هو أن تقوم ثورات اشتراكية تالية لها مباشرة فى بلدان صناعية متقدمـــة، مثل ألمانيا، لتدعم هذه الثورة الأولى وتوفر لها ســـبل البقاء والتطـــور، وهو الأمر الذى لم يحدث فى حالة الثورة البلشفية فى روسيا. ثم إن المؤلـــف ينتقل فى رده إلى نقطة تقليدية، ليس فقط من المدافعين عن الماركســـية، بل من جانـــب المدافعين عن أية عقيدة أو أيديولوجية، وهو القول بأن فشل التطبيق كان لأخطاء فى التجربة وأن الفكر لم يطبق كما كان ينبغى أن يكـــون، ولذا يدفع بأنه يتعين عدم القفز من ذلك للتوصل لاستنتاج مفاده خلل النظرية ذاتها.

ونكتفى هنا بتناول هـــذه الانتقادات الخمس ورد المؤلف عليهـــا، وننتقل إلى انتقـــادات أخـــرى لم يطرحهـــا المؤلف وبالتالى لم يرد عليها أو تناولها ضمنيا فى معرض رده على الانتقادات العشـــرة التى شملها كتابه.

وأولـــى النقاط التـــى نثيرها هنا هو الاتهام للماركســـية بأنها أوروبية المنشأ والتركيز والاهتمـــام، وأنها، مثلها فى ذلك مثل الرأســـمالية، تعتبر الغـــرب بمعناه الحضارى، أى أوروبا وامتداداتها الخارجية هى محور العالـــم ومركز الكـــون، وأن الماركسية بالرغم من رفعها شعار الأممية لم تنجح فـــى التخلص من هذه الســـمة التى اتسمت بها الرأسمالية. وترتبط بهذه المســـألة نقطة ثانية ذات علاقة بها، وهى من الأمور التى تؤخذ أيضاً على الماركسية وصاحبها، وهو عدم اتخاذ موقف حاســـم وواضح وقاطع تجاه الاستعمار الأوروبى للشعوب الشـــرقية. ودائماً ما يستشهد فى هذا السياق بأن «كارل ماركس» اعتبر على سبيل المثال أن الاستعمار البريطانى للهند قـــد يكون مفيداً لتلك الدولـــة الكبيرة لأنه يحولها من «النمط الشـــرقى للإنتاج»، كما أســـماه ماركس، إلى المرحلة الرأسمالية، وبالتالى، بحســـب افتراضـــات النظرية الماركســـية، فإن هذا من شأنه أن يقترب بالهند من مرحلة الثورة الاشتراكية.

وبالإضافة إلى ما سبق فبالطبع يبقى، وبالرغم من كل شـــيء، موقف الماركسية تجاه كل مـــن الدين والقوميـــة والوطنية موضوعاً مستمراً فى إثارة الجدل والنقاش والخلاف، بل والتباين، وبلا حســـم نهائى متوقع فى المستقبل المنظور، ولكن الأهم فى هذا الســـياق يبقى موقف الماركسية تجاه الأديان، وذلك نظـــراً للطابع الأممى لكليهما ولذا فهما يتنازعان نفس الأرضية الجماهيريـــة اللامحـــدودة وذات الدفع العقائدى بامتلاك الحقيقة المطلقة.

والواقـــع أن الكتاب الـــذى عرضنا له يعتبر إســـهاماً مهماً فى التأريخ والتوثيق للمفكر والفيلسوف الكبير «كارل ماركس» وأفكاره، وهو أمر مســـتحق بلا جدال فى الذكـــرى المئوية الثانية لميـــلاده، وأخذاً فى الاعتبـــار أهمية دوره وتأثيره، مع عدم تجاهل أن الكتاب صـــادر عن مؤلف أقر مسبقاً، وبأمانة علمية تحسب له، بانحيازه لماركـــس وأطروحاته الفكريـــة، كما أنه أبداً لم يـــدع على مدار الكتاب اتباع منهجاً محايداً، ولكنه، وعلى الرغم من ذلك، اتصف بقدر كبير من الموضوعية فى غالبية أجزاء الكتـــاب، وكذلك بالاتســـاق الداخلى فى وجهات النظر التى طورها ودفع بها. وأقول هنا «غالبية أجزاء الكتاب» عن قصد، نظراً لأنه فى القليل من الحالات استخدم وجهات نظـــر متباينة فى مواضـــع متعددة لدرء اتهامات مختلفة تناولت ماركس وفكره.

# محطات فى حياة سمير علام

**يتناول هذا الكتاب ، أسـرة مصرية تألقت على مدى تاريخها المشـرف الثرى بألأعمال العملاقة ، التى مازالت تحكى قصة وفاء هذه الاسـرة نحو وطنها ، وأصبحت مثـل أعلى للإصرار على النجاح والجدية فى العمل ألمتميز .**

**ونبحر مع الكاتب وصاحب السيرة فى شواطئ النجاح ودروبها المتعددة ومع رحلته التى انفردت دائما بالريادة ، وهى رحلة تستحق ان تروى ، لما لها فائدة لشباب اليوم والغد أيضا .**

**عرض: عادل عبد الصمد**

يتناول هذا الكتاب أسرة مصرية ، تعد من النخـب ألمتألقة فى مجتمعنا ، ذات ألإسهام ألبارز فى حياتنا ، يقدم ( سمير علام ) أحد ابنائهـا النابهين فى كتابه محطات فىحياتى ) من خلال الحديث عن حياتها وأعمالها العملاقة فى عالم المعمار وعطائها الذى لم تستطع العواصف مهما كانت قسوتها ان تحجبها عن تنفيذ كل ما يسند اليها من أعمال تشرف بها الاوطان ، فنسـتدعى الصـور المتناثرة من هنا وهناك ، لنقتـرب من حياتهم ، ونتعرف على ملامح عصرهم ، ونشاهد كيف كان التكوين الفكرىوالثقافى لكل منهم ، وإلى أى المدارس ذهبت هـذه النخبة وعلى أى أساتذة تتلمذت الابناء لتواصل رحلة العطاءبنفس الهمة والنجاح؟

وماهى الفنون التى شـكلت ذوقها وحسـها الجمالى وكيـف تغلبت تلك الاسرة على الصعاب لتحافظ على عظمة نجاحها .نضع هذه التجربة الثرية أمام الاجيال الشـابة ، لعلها تكون هادية لهم وما أحوجنا أن نقرأ ونتعرف على طريق التفـوق والنبوغ ، طريـق العمل الجاد المثمر الذى يكلل بالنجاح والتميز .

فهـذه تجربة لها أهميتهـا ، لنخبة كافحت وناضلت وتفوقت فأصبحت لها بصمات مهمة فى عالم التشييد والهندسة المعمارية فى مصر وانحاء العالم العربى بل تعدت شهرتها عالمنا العربى. يسجل الكاتب وصاحب السيرة سمير علام ،فى كتابه قصة حسـن علام الوالد العصامى فيقول :

قطع والدى حسن محمد علام ( رحمه الله ) طريقه فى عالم ألإنشأت ، بشركته ( حسن علام للمقاولات ) منذ بواكير حياته إلى أن وافته المنية فى سبعينيات القرن الماضى.طيلة ذالك الطريق ، كنت واحدا ممن شهدوا كيف بنى والدى صرحه لبنة لبنة بإرادة لاتلين رغم التحديات الكبيرة ، والمصاعـب المرة التـى واجهتنا فى مراحل متفرقة )

نشأ حسن محمد علام ( رحمه الله ) فى مدينة المنيا بصعيد مصر ،وورث العمل بمجال المقاولات عن جده محمد علام ، وانضم حسن علام لطبقة رجال الاعمال ، فى مقتبـل عمره ، وأصبح نجما مرموقا فى مجـال المقاولات ، خلال فترة زمنية بسـيطه ، معتمدا فىذالك على نفسه ، حيث توسع فيما تركه والده من أعمال ، وشـملت فروع شركته أغلب محافظات مصر .حرص حسن علام على الجدية وحب العمل ومباشرة أعمال شـركته بنفسه برغم تعدد أفرعها ، وأكتسب شعبية كبيرة وسط المهندسـيين والفنيين وعمال البناء ، نتيجة لخبرته الادارية والفنية التى اكتسبها فى مجال عمله

ويقول سمير علام :

( أضع شـهادتى هنا ، وأسـرد محطات من حياتى التى واكبت مراحل مهمة من تاريخ شركتنا ، بل من تاريخ وطننا الحبيب ، لا أبتغى شيئا أبعد من حقيقة ما عشـته طيلة أكثر من ستة عقود فى محراب العمل ، فأذنى أقول بصدق : أن السـطور التـى تحملها طيات هذا الكتاب ، ماهى إلا مشـاهد كنت طرفا فيها ، عشت خلالها مابين انتصارات باهرة ، وأزمات عاصفة فوق تراب الوطن ، وخارج أرضه . )

وأكبـر الصعـاب والازمـات التى واجهت عائلة علام التى شـيدت شركة علام للمقاولات واحتلـت مكانة متميزة فى مصر والعالـم العربى ، تحولت من ملاك إلى موظفين ، بعـد قرار تأميم الشـركة فى سـتينيات القرن الماضى ، الـذى أحالها من ملكيـة خاصة إلى ملكية حكومية ، ولكن لم تنكسـر عائلة علام.ولـم يتغير طريق عائلـة علام ، فظلت فى مواصلة الجـد والدأب لرفع اسم الشـركة عاليا ، على مر العصور ، وظلت روح التحدىوألإصرارللوصول إلى الهدف المنشـود ، إصرار ودأب ، وتعب وسـهر وعناء طويل مـن أجل تحقيق آمال ونجاحات أسـرة وشـركة جمعت بين المحبة والاحتراف فى العمل ، ذالك العناء الـذى تجاهله كثيرون ممن آثروا الإكتفاء برؤية قمـة الجبل ، دون اعتناء بجهود من واجهـوا الصعاب لبلوغ تلك القمـة .ويحاول الابن فى هـذا الكتاب رسـم بورتريه لتجسيد قيمة رحلة الاب العصامى وكيف شـق طريـق النجاح ليجعل من شـركة علام قيمة وقامة فى مصر والعالم العربى فيقول :

( سارت أمور شـركة والدى رويدا رويدا ، إلى أن جاء عام 1938 حيث كان ابى مع القدر على موعد ، ليبرز أسـمه وأسم شـركته فى عموم مصر.فالملك فـاروق كان فى طريقه للاسـماعيلية ، وأصيب فى حادث سـيارة ، فتم نقله إلى أقرب قرية ، من منطقة القصاصيين ، ليخضع للعلاج ، فى اقرب عيادة طبية ، لكنها لم تكن مؤهلة لاسـتقبال حالة مثل حالـة الملك فاروق ، فكاد أن يلاقى ربه .... ونتيجة لهذا الموقف ، أمر الملك بسرعة بناء مستشفى فى ذالك المكان ، وكان ذالك اول صفقة لوالدى مع وزارة الصحة ، لبناء مستشـفى القصاصيين على الطريق الزراعى الواصل من القاهرة إلى الاسماعيلية ) .

وكانت المكافأة حصول حسن علام على البكوية ، على هذا المجهود الكبير، وعمره خمسة واربعين عاما ، وشملت عقود الشركة فى وقت مبكر ، إنشاءات ومبان متعددة ، منها محطـة كهرباء دمنهور

واول مصفـــاة لتكريرالنفطالمصريفى السويس ، ونالت الشركة سمعة وشهرة كبيرتين ، وبدأت الشركة تنافس الشركات الكبرى ، مثل شـــركة العبد باشا واحمد بكير وعلى ابراهيم باشا الذى أنشأ مبنى سنترال الاوبرا ومجمع التحرير. وخلال عدة اعوام ، اصبحت الشـــركة واحدة من كبريات الشركات ، فى مجال البناء ، جنبا الى جنب مع شركة ( المقاولون العرب ـ عثمان احمد عثمان ) واصبح لشركة علام دورها الوطنـــى الرائد فى دعم الاقتصاد المصرى .ويسجل ســـمير علام محطة لها اهميتها وهى محطة ( روضة اطفال المحلة ) ليصور لنا كيـــف كان التعليم فى المدارس الحكومية وما غرســـته من معانى وسلوكيات لا يمكن تجاهلها ؟

( كانـــت الروضة التـــى كانت تتبع الحكومة ، فناء واســـع ، يزدان بالاشجار الوارفة ، والزهور الجميلة النضرة ، حول بناء معمارى مميز ، وإننى أتذكر فى تلك السنوات البعيدة ، كيف كانت المدرسات فى تلـــك الروضة ، أمهـــات ومعلمات ، حريصـــات على اكتشـــاف مواهبنا ، وتوظيفها بالشكل المناسب ،وكيف كن يسقننا حب الوطن والانتماء بملاعق من أمومة صادقة ، فيقصص علينا ســـيرة أبطال المصريين والعرب ، مثل : صلاح الديـــن الايوبى ، وعمـــر المختار واحمد عرابى ومصطفى كامل ، حتى يغرســـن فينا البطولة وقدسية الذود عن الوطن إذا تعرض للخطر ، كما كن يعلمننا الرسم والموسيقى ، فى أجواء تفيض بالمحبة والصفاء والصدق).

ويقدم صـــورة اخـــرى للمدارس الحكومية التالية للروضة قائلا :

( كنت أعشـــق مادة التاريخ ، بسبب مدرسها المبدع الأســـتاذ شرف ، ومادة الجغرافيا من اجل مدرسها الأستاذ قنديل ، فهاتان المادتان تمثلان لمصرنا الحبيبة قمة التفـــرد والتميز ، فمـــن يصدق ان فلاسفة الاغريق وعلماءها مثل افلاطون وارسطو وســـقراط وفيثاغورث تعلموا على أيدى الفراعنـــة ، فى (أون ) عين شـــمس حاليا اقدم جامعة على مستوى العالم ، ولا غرابة فأننى عشقت فيما بعد العمل فى التعمير رغم ان دراستى كانت بكلية التجارة ، وكذالك اكتســـبت خبرة ومعرفة عن آثارنا من الاستاذ شرف ، فقد لنا جميعا والدا وصديقا ، وكان حريصا على اصطحابنـــا الى الاماكـــن الأثرية ليشـــرح لنا عظمة الأجداد الفراعنة على مدار التقلبات التاريخية التى شـــهدتها الأسرات التى حكمت المحروسة ، وكانت

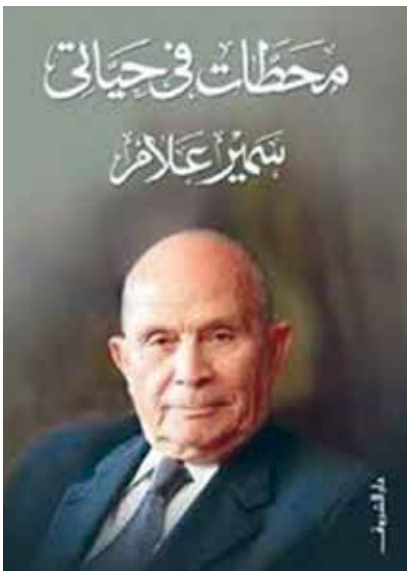


تلـــك الرحلات بمثابـــة دعائم وحصانة وطنية ضد أى تلوث فكرى أو ثقافى ... )

ومن المحطات التى كانت لها اهميتها فى حياة اســـرة عـــلام ، محطة صدمة التأميم وبمقتضاها نقـــل ملكية قطاع خاص فى مجال معين إلى ملكية الدولة .

ويسجل سمير علام خواطره قائلا :

كان والدى وأشـــقائى مثل كل الذين بنوا أنفســـهم فى تلك الفتـــرة بالكفاح والعرق والصبر، حتى نجحوا فى اعمالهم بكل نزاهة وشـــفافية وشرف ، ولذالك كانت صدمتنا كبيرة جدا ، بســـبب قرار التأميم ، لماذا ؟

لاننا لم نكن كما اشيع وقتها عن الذين طالهم التأميم بأنهم إقطاعيون استولوا على اموال الدولة اواراضيها او اشـــئ آخر ، فنشاط والدى كان معروفا للجميع ، كرجل عصامى فى مجـــال المقاولات ، ويشـــهد على ذالك تاريخـــه الوطنى الناصح ، ولم يكن إقطاعيا ، ولم يستول على مال عام او خاص من احد . ... )

( وظل والدى يعمل بكل اجتهاد حتى آخر يوم فى حياته ، كما لو ان الشـــركة مازالت ملكيته الخاصة وليســـت ملكل للدولة ، وتشـــهد على ذالك أعداد جوائز كئوس الانتاج التى حصل عليها ، ....

وبعد وفاة والـــدى رحمه الله ، تولى شـــقيقى فهمى علام إدارة الشركة منذ تاريـــخ الوفاة عـــام 1976 وحتى عام 1983 ، ثم توليت انا بعد شقيقى منصب رئيس مجلس الادارة حتى عام 1995 )

ويســـتمر ســـمير علام فى تقديم محطات لها اهميتها لمن يريد ان يعرف طرق النجاح والتفرد فيقول :

( كان والـــدى يتابـــع اهتمامـــى بمشروعات الطرق ، وما بها من معدات مختلفة ، فى هذا المجال ، وهو الامر الذى جعله يوجهنى للتركيز فى قطاع الطرق لأتعلم أدق تفاصيله ، وبعد التخرج أسند لى والدى مسئولية قطاع الطرق ، بكل ما فيه ومن فيه من خبراء ومهندســـين مصريين وأجانب كبار لهم اسماؤهم فى المجال ،وقد كانت بدايتىكأى موظفعادى جدا فى شركة والدى ، وهذا ما اوصلنى إلى منصـــب عالمىفى مجال الطرق وهو نائب رئيس الاتحاد الدولى للطرق ومقره سويسرا .

وكان اول مشـــروع أدرتـــه آدارة كاملة بنجاح مشـــروع مطار بلبيس عام 1956 وعندما اسند للشركة تنفيذ كلية طيران بلبيس وما بها من رصف ممرات للطائرات ، لم اتوقع ان اقف امام البطل الراحـــل الفريق مدكور ابـــو العز قائد القاعدة الجوية فى بلبيس ....

وكان الفريـــق مدكور ابـــو العز ، يزورننفى موقع العمـــل بالمطار ، من وقت لاخر بســـيارة يقودها بنفسه ، بعد ان ينتهى من عمله الرســـمى وبملابسه المدنيـــة وكان يصمم علـــى الجلوس بجوارى كوالـــد وكصديق ويطمئن على ســـير العمل ، وظل يتابع العمل بنتظام حتى انتهى المشروع )

ومن المشـــروعات العملاقة مشروع اعـــادة رصف وتأهيل طريـــق القنطرة شرق ـ العريش هو ثان المشروعات التى اسندت لســـمير علام قبل حرب 1956 وكان فريق حسن علام بعد الحرب ينفذ المشـــروع بدقة وبـــروح المقاتل الذى يرفض الانكســـار ويصـــر على التحدى وإحراز النصر ، وكان ســـمير علام فى هذه الفتـــرة يعمل طيلـــة 28 يوما فى الشـــهر ، يحصل على يمين راحة فقط ليجلس مع اسرته فى بداية حياته.فازت الشركة بتنفيذ مشروع طريق سفاجا ـ القصير ـ مرســـى علم عام 1962 ولم تقصر شركة علام رغم قرار التأميم وقال الاب للابناء

( إنتم عارفيـــن ان الفلوس مش كل حاجه ، والبلد بتمر بظروف صعبة جدا ، ولابد ان نقـــف خلف قيادتها وندعمها بكل مـــا نملك ) فتقبل الجميع النصيحة بنفس راضيـــة .وما احوجنـــا فى هذه الاوقات العصيبة وفى مرحلة بنا الوطن بجدية وهمه لا تلين الى مثل هذه النخبة المعطاءة والمخلصة للوطن لتمر مصر مـــن مرحلة هى الاصعب فـــى تاريخها وتخطو بخطـــوات ثابتة طريق الصعاب وتصل الى برالامان والتقدم .

إعداد ناديـــة الريـــس
رئيسة رابطة زوجات الدبلوماسيين

**خصصنا صفحات الرابطة للمعرض السنوى لرسومات عضواتنا, والذى أقيم للعام الثالث علـــى التوالى بالتعاون مع وزارة الثقافة قطاع العلاقـــات الثقافية الخارجية حيث افتتحه د. حمدى أبوالمعاطى نقيب التشكيليين.**

وقد أقيم المعرض هذا العام فى الفترة من 15 إلى 28 أبريل، واستمر أسبوعين مما أعطى فرصة أكبر للزوار للمشاهدة والاستمتاع بالأعمال الفنية المتميزة بدعم مشكور من مدير المركز المصرى للعلاقات الثقافية الخارجية جمال فتح الدين.

معرض (عشر دقات) اشتركت به عشـــر فنانات من زوجات الدبلوماسيين بأعمال مختلفة حظيت باستحسان وإعجاب جميع من شاهدها من فنانين ونقاد ومهتمين بالحركة الفنية.

**ويسعدنا نشر بعض هذه الأعمال المشاركة فى المعرض بأيادى السيدات:**

**أميمة خطاب وماجدة الصباحى وريهام صلاح الدين وعلا الصيفى وهدى القونى ود. ميساء حماده ومها زاهر وهبة أبوسنة وأميمة جوهر ومنال متولى.**

علا الصيفى

د .ميساء حماده

اميمه خطاب

مها زاهر

ماجده الصباحى

هدى القونى

ريهام صلاح الدين

هبه خورشيد

# الرسم بالألوان الزيتية

**يعتبرُ الرســـم واحداً من أهم الفنون التى يقبل عليها البشـــر، فهو فن جميل يظهر موهبة وإبداعاً لا نظير لهما مـــن حيث القدرة على التخيل والتحكم باليد وتوظيف العناصر الفنية بعضها مع بعض، وهو من أكثرِ الفنون جمالاً وانتشاراً فى جميع أنحاء العالم، وأحد مواد التعليم الأساسية بالمدارس فى مختلف أنحاء العالم.**

**سالى سالم**

**حرم السفير محمد خليل**


ويتواجد عدة أنواع للرسم كرسم الطبيعة، ورســـم البورتريه، والرســـم بالفحم، والرسم بالماء، والرســـم بالرصاص، والرسم بالألوان الزيتيّة، ولكل نـــوع أدواتُه الخاصّة، وطريقته المختلفة فى الرســـم. أتطـــرق فى مقالى هذا للألوان الزيتيّة، وهى عبارة عن معجون ملون بالزيت، وتتكـــوّن من ثلاثة ألوان أساســـيّة: الأحمر، والأزرق، والأصفـــر، والألوان الثانويّة التى يمكن صنعُها عن طريق المزج بين الألوان المختلفة، ويمكن تخفيف أو تغميق درجة كلّ لون عن طريق إضافة اللون الأبيض للتفتيح أو زيادة كمية أحد الألوان المستخدمة. وتعدّ فُرش الألوان من أهمّ الأدوات اللازمة للرســـمة، ولكلّ نوع من الألوان (مائية أو زيتية أو غيرها) فرشٌ خاصّـــة، فالألوان الزيتيّة تحتـــاج إلى الفرش المعتدلة فى القســـاوة، حيـــث تتوافر الفرش بأنواع وأشـــكال مختلفة، ولكل شكل استخدامٌ معيّن، فمثـــلاً الفرش ذات الـــرأس الصغير المدبّب تســـتخدم لتلوين النقاط الصغيرة أو المساحات الضيّقة جداً، أما الفرش التى تأتى على شـــكل المروحة فتستخدم فى رسم شكل الغيوم، وكذلك الفرش العريضة تســـتخدم فى رســـم الخطوط العريضة، وغيرها الكثير. كما يســـتخدم زيت خاصٌ عند اســـتخدام الألوان الزيتيّة، وهو زيت بـــذرة الكتان، حيث يُعطى الألـــوانَ لزوجةً ومرونة، ويســـهّل عملية دمج الألوان مع بعضها، فى حين يستخدم التربنتين فى تنظيف الفرش والأدوات المســـتخدمة فى الألوان الزيتيّة.

الرســـم بالألوان الزيتية هو أحد أشـــكال الفنون التشكيلية منذ أقدم العصور حيث عرفه قدماء المصريين والآشوريين واليونانيين، ولهذا الفن دور كبير فـــى تاريخ الحضارة والمدنية، وقد اشتهرت الألوان الزيتية في الأوساط الفنية منذ القرن السادس عشر الميلادى تم أكتشاف الألـــوان الزيتية من قبل الأخويـــن الهولنديين (هيوبرت وجان فان إيـــك) فهما أول من أتقن مزج الألوان بالزيت،

واللوحات المرســـومة بالألوان الزيتية هى الأكثر وجوداً فى المعارض والمتاحف الفنية. وينفرد الرسم الزيتى بميزة بقاء اللوحة المنفذة سنين كثيرة إذا أحسن اختيار السطح والألوان. وازدهر فن الرســـم بالزيت أثناء فترة النهضة الأوروبية حيـــث اتجه الفنانـــون إلى تناول الموضوعات اليوميـــة بعيداً عن الأجواء الدينية التى سيطرت على فنون عصر النهضة، فأبدعوا فى تصميم الأزياء وتزيين الأثاث المنزلى وفى الرسم والتلوين على زجاج النوافذ.فى تصميم الأزياء وتزييـــن الأثاث المنزلى وفى الرســـم والتلوين على زجاج النوافذ.

وتعد الموناليـــزا أو الجيوكاندا واحدة من أفضـــل الأعمال على مر تاريخ الرســـم، بدأها ليوناردو دافنشى عام 1503 وتم الانتهاء منها عـــام 1510، وأهم ما يميز اللوحة هو تقديمها لتقنيات رســـم متقدمة لاتزال مستخدمة حتى الآن، وهى الإســـقاط المتوسط للجسم بدلا من رسم الجســـم كاملا الذى كان منتشرا آنذاك، والرسم المجســـم، وتقنية الرسم المموه دون خطوط محددة إلى جانب تداخل الألوان.

وفى مصر، يعد متحف محمـــد محمود خليل بالجيزة أحد أهم متاحف الفنون التشكيلية الذى يحتوى على ما يزيد عن 300 لوحة زيتية ومائية وباستيل، ويضم أعمالا فرنسية لأعظم فنانى القرن التاسع عشر (رينوار، فان جوخ، جوجان، كورو)، وتعد لوحة زهرة الخشخاش، ولوحة الحياة والموت، ولوحة ذات رابطة العنق من أهم الأعمال الفنية المعروضة بالمتحف.

أعرض هنا عدداً من اللوحات الزيتية التى قمت برســـمها مؤخرا فى إطار الإعداد لاحتفال سفارة مصر لدى ألبانيا بالعيد القومى والذى تم خلالـــه تنظيم معرض بعنـــوان «مصر... الحضـــارة والثقافـــة» ضم لوحـــات تعكس الحضـــارة المصرية وبعـــض جوانب التراث الثقافى المصرى.

## وصول الأسرة الرابعة للقمة وبداية الانحدار

# لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية (6)

**الملك خوفو 2551 – 2528ق.م**

**كان ومازال وسوف يظل الملك «خوفو» ومعجزته الهندسية مصدراً لكثير من الأقاويل والافتراءات والنظريات التى تفتقر فى كثير من الأحيان إلى الأسانيد القوية التى لا ترقى إلى جعلها من الحقائق الثابتة حتى وقتنا الحالى.**

«خوفو»، أو «خنوم خوفوى» (بمعنى المعبود خنوم يحميني) هو ثانى فراعنة الأسرة الرابعة، وهو بدون أدنى شك ابن الملك «سنفرو» والملكة «حتب حرس» الأول. تولى «خوفو» حكم البلاد بعد موت أبيه وقد عرفنا من بردية تورين, والتى ترجع إلى الدولة الحديثة أن الملك خوفو حكم نحو23 سنة, ولكن تغير هذا الرقم بعد العثور على النص المكتشف حديثاً بالصحراء الغربية والذى يثبت لنا أن الملك خوفو قد حكم من 30 إلى 32 عاماً.

لم يترك خوفو لنا إلا القليل من المعلومات المسجلة عن عهده. فبجانب هرمه فى الجيزة والذى يعتبر أحد عجائب الدنيا السبع، لا نعرف له من آثار إلا القليل، ومنها ذلك التمثال الصغير المنحوت من العاج ويبلغ طوله حوالى الثلاث بوصات. وقد عثر عليه فلندرز بترى فى معبد خنتى امنتيو فى أبيدوس. ومن الجدير بالذكر أن تاريخ هذا التمثال مازال مثار جدل بين العلماء فمنهم من يرجعه إلى عصر خوفو ومنهم من ينسبه إلى الأسرة السادسة والعشرين.

أشارت آثار تلك الأسرة إلى تزوج الملك خوفو من أربع نساء هن «مريت – إيت– اس»، وهى الزوجة الرئيسية، وثلاث زوجات ثانويات هن: «حنوت– سن» و«نبت» أما الزوجة الرابعة فما زال اسمها غير معروف. وأنجب «خوفو» من «مريت– إيت– اس» عدداً من الأبناء أحدهم الأمير «كا– وعب» الذى توفى إبان حكم أبيه، وأنجب من الزوجات الأخريات عدداً آخر من الأبناء نذكر منهم «جدف رع» و«خع– اف– رع» (خفرع).

**أ.د. محمد إبراهيم على**

**وزير الآثار الأسبق**

**moibrahim53@gmail.com**


على الرغم من الشهرة الواسعة التى نالها هذا الملك بسبب هرمه الشهير فإن معلوماتنا عن عصره تعتبر ضئيلة جدا كما أن ما لدينا من المعالم الأثرية التى بنيت عهده قليلة جدا. على أية حال، يمكن القول إن انتقال السلطة من أبيه إليه كان سلميًا لأن كبار مسئولى البلاط فى عصر أبيه احتفظوا بمناصبهم إبان حكمه.

خلال فترة حكمه التى امتدت لأكثر من 30 عامًا، أحكم «خوفو» السيطرة الكاملة على مناجم الفيروز فى سيناء ومحاجر الديوريت فى النوبة وبفضل هذه السيطرة استطاع أن يقيم مجموعته الجنائزية والهرم الأكبر فى الجيزة. ولما كانت إقامة مثل هذه الأبنية تتطلب الكثير من العرق والمعاناة والجهد فقد ارتبطت باسم هذا الملك سمعة سيئة للغاية، على عكس ما تمتع به والده سنفرو من سمعة. ووصلت تلك الأقاويل إلى آذان هيرودوت عندما زار مصر حوالى 450 قبل الميلاد وأفاد بأن «خوفو» قام بإغلاق المعابد، وسخر رعاياه لإقامة قبره المرموق وجعل ابنته تعمل بالدعارة لمساعدته فى إتمام هذا الهرم. وربما لم يكن هناك سوء نية من الكاتب اليونانى فيما قاله بقدر ما كان ذلك ترديداً لما سمعه من العامة الذين قابلهم عند زيارته لمنطقة الجيزة.

جاءت شهرة الملك خوفو أساساً من إنجازاته المعمارية وفى مقدمتها بناء الهرم الأكبر والذى استغرق بناؤه أكثر من 20 عامًا واشترك فى إقامته أكثر من 20 ألف عامل، ويعتبر قمة المشاريع اكتمالا من حيث هندسة بناء الأهرامات

تمثال خوفو (المتحف المصرى بالقاهرة)

## وصول الأسرة الرابعة للقمة وبداية الانحدار

المصرية.

وكما ذكرنا بدأ تناول السمعة السيئة لهذا الملك جزئيا مع هيرودوت (الذى زار مصر بعد 22 قرنا من وفاة خوفو) الذى كتب: «أولا، أغلق خوفو جميع المعابد، ومنع تقديم القرابين، ثم أجبر المصريين للعمل من أجله... ووصل خوفو إلى درجة من الشر ونتيجة لافتقاره إلى المال، وضع ابنته فى بيت من بيوت الفجور لكى تحصل له على الدعم المالى لإكمال بناء الهرم».

بالإضافة إلى ذلك، فقد جاء فى بردية وستكار، «إن خوفو يعتبر فرعوناً قاسياً وغير عادل لشعبه على عكس والده، الفرعون سنفرو». وكان للسينما أيضاً نصيبها من المسئولية فى انتشار هذه السمعة السيئة لخوفو، عندما مثلت، فى فيلم الوصايا العشر، تسخير العبرانيين خصوصاً فى بناء الهرم ومجموعته الجنائزية.

ولمناقشة هذا الأمر ففى البداية لا بد من التأكيد أولاً على ما أثبتته الأدلة الأثرية من تمتع الملك خوفو بتوقير واحترام كبيرين عبر التاريخ المصرى وحتى فى العصر المتأخر. فقد وصل مجموع الكهنة الذين ارتبطوا بعبادته الجنائزية إلى 67 كاهناً بعد أن كانوا 10 فقط خلال عصر الأسرة الرابعة، سبعة منهم كانوا أعضاء فى العائلة المالكة. ثم أصبحوا 28 خلال الأسرة الخامسة. وهذا بالفعل عدد كبير بشكل غير عادى بالمقارنة مع عدد الكهنة الذين ارتبطوا بالعبادة الجنائزية لأبيه الملك «سنفرو» خلال نفس الفترة فقد اقتصر العدد على 18 فقط. وكان للعبادة الجنائزية تلك أهمية اقتصادية كبيرة دائماً حيث كرست لها جانب كبير من المنتجات الزراعية.

ومن ناحية أخرى فهناك ملاحظة مهمة وهى وجود عدد كبير من مقابر الأفراد حول الهرم الأكبر فى الناحيتين الشرقية والغربية مما يعكس رغبة هؤلاء فى الاستمتاع بتواجدهم بالقرب من قبر الفرعون ولكى يبعثوا معه. وبالإضافة إلى ذلك، وإذا تحدثنا عن الإسراف الاقتصادى فى الأبنية فقد بنى سنفرو على الأقل ثلاثة من الأهرامات الكبيرة فى ميدوم دهشور تصل أحجامها إلى أكثر من ثلاثة ملايين متر مكعب، ولم يوصف أبدا بأنه طاغية فى العصور

الهرم الأكبر

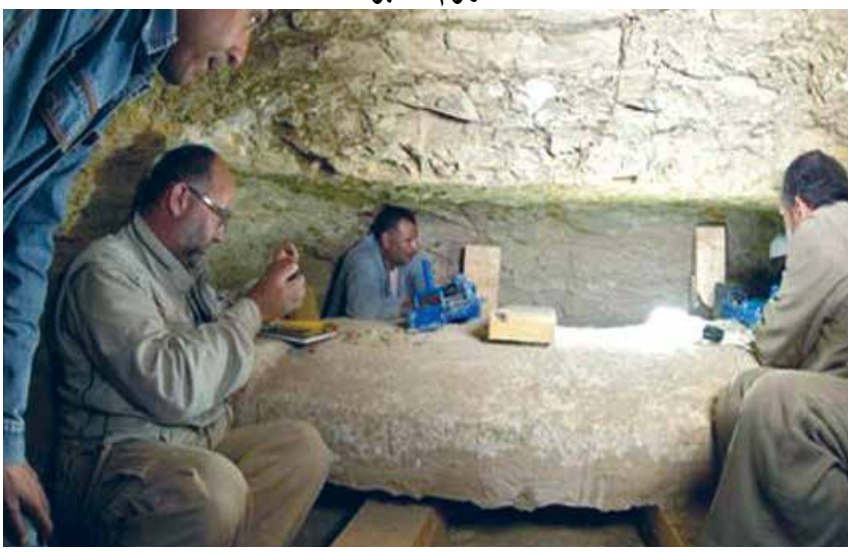

العمل فى إحدى مقابر العمال التى كشف عنها دكتور زاهى حواس فى الجيزة

تمثال مهندس الهرم الأكبر "حم ايونو" متحف يبليزيوس "pelizaeus" بألمانيا.

اللاحقـــة. كما أنه مـــن المعروف قيام خوفو ببناء المعابد وليس إغلاقها وعلى وجه الخصوص بـــدأ بناء معبد حتحور فى دندرة، ووجد فى أساســـات معبد المعبودة باستت فى «تل بسطة» عناصر للنصب التذكارى مسجل باسمه.

وعلاوة على ذلك ، فقد كشف زاهى حواس، الأمين العام للآثار المصرية فى ذلك الوقت عن مقابر الحرفيين والعمال الذين اشـــتركوا فى بناء الهرم وأثبتت هذه الاكتشـــافات عن أن هؤلاء العمال كانوا من المصريين وكان يتم تغذيتهم ورعايتهم بشـــكل جيد ممـــا يدل على وجود نظام إدارى متمكن لهذا المشروع الضخم للسيطرة وحسن إدارة هذا الكم الكبير من العمـــال الذين تم إحضارهم من القرى فى جميع أنحاء مصر، وربما ليس بشكل دائم، للمســـاهمة فى هذا المشروع الدينى العظيم.

## الهرم الأكبر

شهد عهد خوفو الوصول إلى ذروة المعرفة فـــى علم الهندســـة والعمارة وتجمعت لدى المهندســـين فى عصره الخبـــرات التى تم اكتســـابها على مر العصور السابقة.

## المهندس والمشروع

بمجـــرد أن اســـتقر خوفو على عـــرش مصر خلفاً لأبيـــه، اختار الملك الجديد، ربما بناء على نصيحة مهندسه المعمارى «حم ايونـــو»، هضبة الجيزة لبناء مجموعته الجنائزية. وكان اختياراً رائعاً لمـــا توفر للموقـــع فى العصور القديمة من مزايا كثيرة فهو يسيطر على كل الوادى أسفله كما كان الموقع فارغًا تمامًا من أى أبنية أخرى.

ولنتوقـــف قليلاً للحديـــث عن هذا المهندس الـــذى لا يقل فى عبقريته عن ســـلفه «أيمحتب» وزير الملك زوســـر ومهندســـه المعمارى. كان «حم ايونو» واحداً من أفراد العائلة المالكة. وقد بنى لنفسه مصطبة واسعة (G 4000) فى الجانب الغربى للهرم الأكبر فى الجيزة. تم التنقيب عن هذه المصطبة وحفرها من قبـــل البعثة النمســـاوية الألمانية برئاسة عالم المصريات الألمانى هيرمان

صورة توضح وصول النيل وقت الفيضان إلى مشارف هضبة الجيزة
الجيزة عام 1927

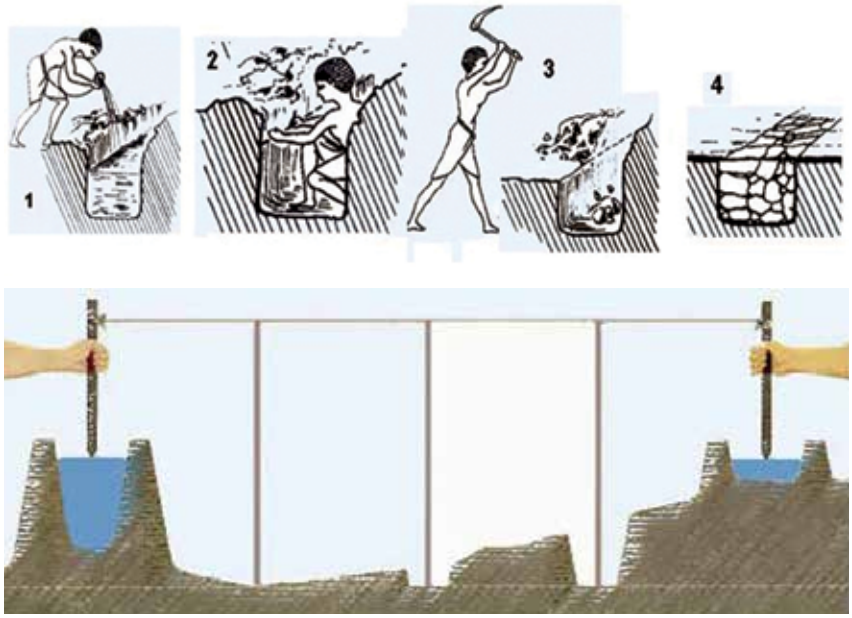


فكرة جعل قاعدة الهرم فى مستوى أفقى كامل

يونكر فى عام 1912.

توفرت لـــدى هـــذا المهندس كل المقومات التقنية حيث قام «حم ايونو» ببناء الهرم بدقة تدعو للدهشة والعجب مســـتفيداً من خبرات كل من ســـبقه من مهندســـين وحتى عصر ســـنفرو ومستخدماً أبسط الوسائل. وقد احتاج تشـــييد هذا الأثر، أكثر مـــن مليونين، وثلاثة آلاف كتلة مـــن الحجر الجيرى، وتزن بعض تلك الكتل نحو خمسة عشر طناً، وكانت أحجار قلب الهرم مقطوعة كالمعتاد من محجر محلى، يقع بالقرب من أبى الهول، بينما جُلبت كتل كســـاء الهرم من أفضل أنـــواع الحجر الجيرى المُستخرج من طُرة.

## طريقة بناء الهرم

بعيداً عما يثـــار بين الحين والآخر من ترهات عمـــن قام ببناء الهرم الأكبر وكيفية البناء. فمن الثابت والمؤكد طبقاً للأدلة الأثرية، وعلى رأســـها اكتشاف زاهى حواس لمقابر العمال فى الجيزة، أن المصريين، وليـــس غيرهم، هم من قاموا ببناء مقبرة مليكهم.

أما فيما يخص طريقة البناء، فتوجد نظريات عديدة عن كيفية بناء الأهرامات، ولعـــل أكثر النظريات قبـــولاً تلك التى طرحهـــا عالم أمريكـــى يُدعى «دوس دونهام Dows Dunham»، نتيجةً لعمله

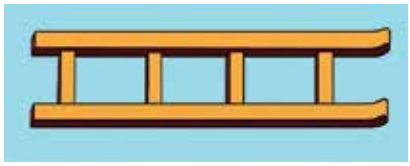

الزحافة التى كان يتم عليها نقل الأحجار

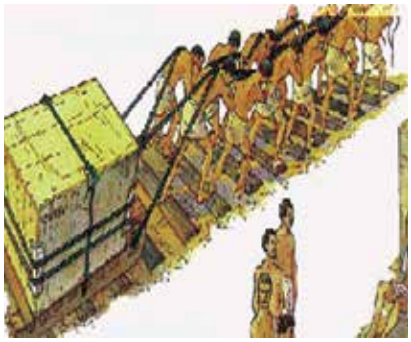

نقل الأحجار إلى موقع البناء بواسطة الزحافة

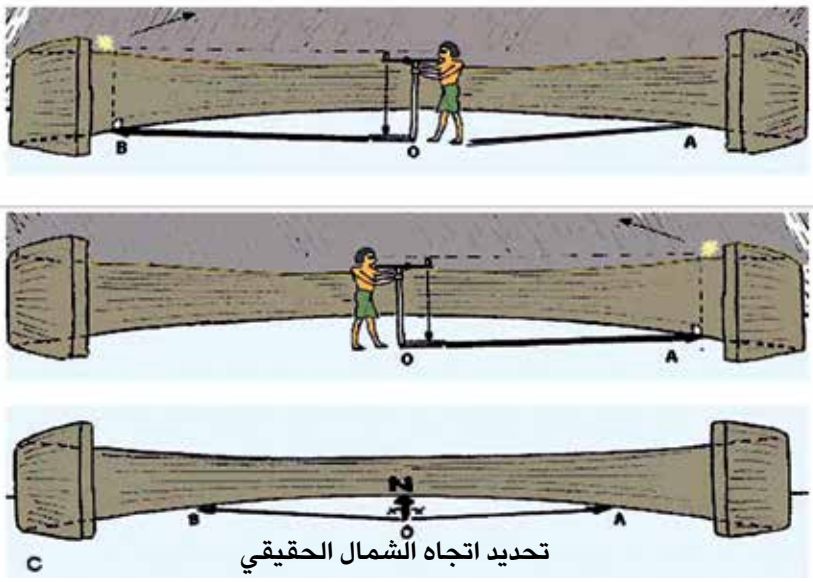


تحديد اتجاه الشمال الحقيقي

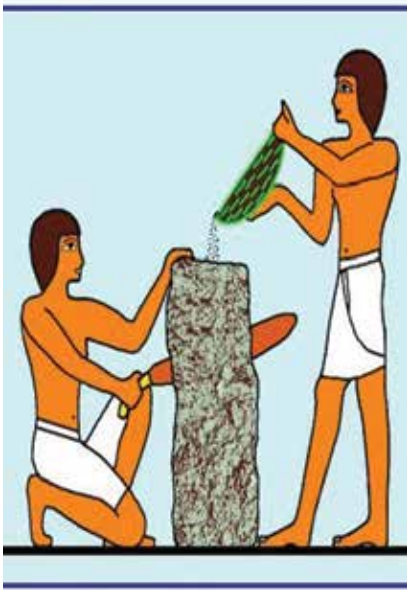

## وصول الأسرة الرابعة للقمة وبداية الانحدار

فى موقع الأهرامات بالجيزة، حيث طرح فى نظريتـــه، أنه توجد أربعة منحدرات من الحصى و(الدبش والرديم) والطين، تبـــدأ من كل جانب مـــن أجناب قاعدة الهرم، بُنيت على السطح الخارجى غير المكســـو بحجارة كســـاء الهرم، حيث تُمدد النهايات العلوية لتلك المنحدرات، كلما ارتفع البنـــاء طبقة فوق الأخرى، وقد استُخدمت ثلاثة منحدرات من تلك

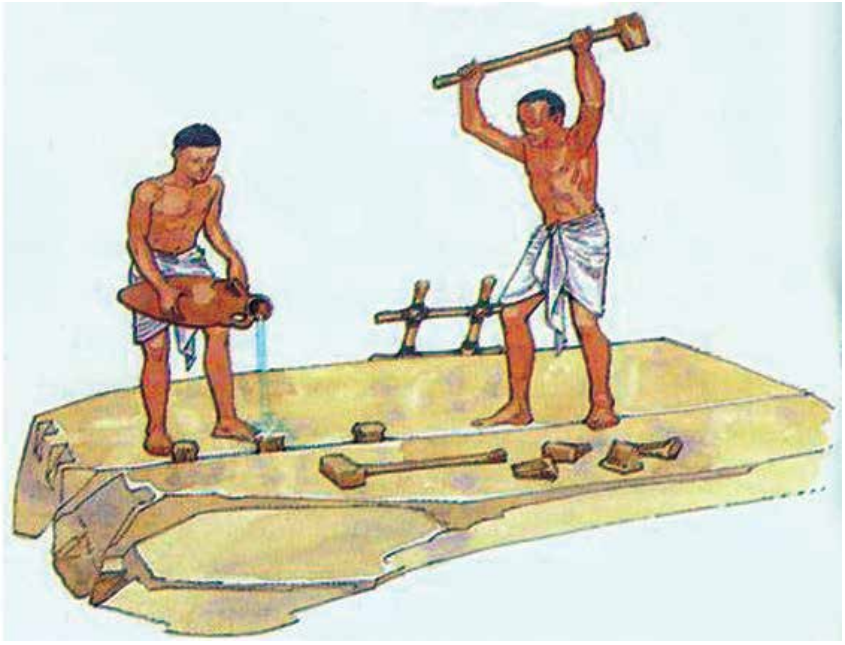

طريقة قطع الأحجار

المنحدرات الأربعة فى سحب الزلاجات التى تحمل كتـــل الحجـــارة، والمواد الأخرى، إلى الطبقة الجارى تشـــييدها، أما المنحدر الرابع فقد خُصص للأفراد الهابطيـــن بالزلاجـــات الفارغة. ووفقاً لأطروحة هذا العالـــم، كان عدد العمال 2500 عامل فقـــط يعملون بكفاءة فى موقع العمل، ومما لاشـــك فيه استخدام عدد أقـــل من العمال مـــع تقدم أعمال البناء، ولكن لابد وأن عدد العمال الذين اســـتخدموا فى قطع ونقل الحجر كان عدداً كبيراً، غير أن هذه الأرقام لم تصل إلى المائة ألـــف، وهو الرقم الذى زعمه مترجمو تلك الأيـــام، للرحالة اليونانى هيرودوت.

أشار عالم آثار آخر هو «اف. بيترى F.Petrie»، إلى أن مسألة تنظيم العمل لهى أمـــر مهم، تفـــوق أهميته تحديد العـــدد الفعلى للعمال، كما أشـــار إلى احتمال استخدام عمال مهرة باستمرار للإضطلاع بأعمـــال المحاجر، وتجميع، وتركيب الكتل الحجريـــة، بينما كانت أعمال جـــر الحجـــارة إلـــى الموقع، أعمالا موســـمية، نفذها عمال الحقول، المتعطلين عن العمـــل الزراعى، حيث تغمر مياه الفيضان أراضيهم.

لا يوجد تحت أيدينا أية وثيقة مصرية مباشرة تلقى الضوء على الطريقة التى استخدمها بناة الهرم، سواء فى التخطيط أو التشييد لبناء الهرم، وبالرغم من ذلك، فوفقاً للدراسات التى أجريت فى هذا الشأن، يمكننا تتبع تشييد مراحل البناء المتعاقبة.

## 1 - اختيار الموقع

لابد وأن اختيار موقع الهرم قد تم بعناية فائقة ليجاور العاصمة، ومن ثم، كان من المحتم اختياره ليقع فى الجانب الغربى من النيل، الذى اعتُبر بمثابة عالم الموتى، فهو مملكة «أوزيريس خنتى إمينتيو Osiris Khenty - Imentyw» أو (أوزيريس سيد أهل الغرب)، كما أن الجانب الغربى هو الموضع الذى تغرب فيه الشمس، كما كان من الضرورى أيضاً أن يكون مستوى الموقع أعلى من أقصى مستوى معلوم لديهم لفيضان النيل، على أن لا يبعد كثيراً عن النهر، فقد كان من المعتاد استخدام السفن فى نقل الأحجار من محاجرها، وهى اللازمة لكساء الهرم، والأبنية المجاورة له، كما يتعين أن تكون المنطقة المنتخبة، مسطحة قدر الإمكان، والصخر الأساسى فيها صلد صلادة كافية لدعم، وتحمل الوزن الهائل للإنشاء بكامله، ولابد وأن يكون الموقع المُختار، خالياً من أى عيوب أو نزوع نحو التشقق.

## 2 - إعداد الموقع

عقب اختيار المكان المناسب، أصبحت المهمة الأولى هى تنظيف المنطقة المختارة، من الرمال وأى نوع من أنواع الدبش والرديم والحصى، لكى يتم تشييد البناء على صخر تأسيسى صلد، تلى ذلك أن بدأ العمال فى ضبط منسوب سطح الصخر، وتسويته، وكانت قطع الحجارة المتخلفة والمستبعدة من الموقع، يُعاد استخدامها إما لملء أى نوع من أنواع انخفاض مستوى الأرض، أو أنها تُنحى جانباً لاستخدامها فيما بعد.

نتيجة لخبرات المصريين السابقة فى إعداد أراضيهم للرى، باستخدام الماء الواصل إليهم من مياه النيل، عبر شبكات من الترع والقنوات، أصبح المصريون خبراء بحق فى تقنية تسوية الأرض، ويمكن رصد هذه الدرجة الرفيعة من الدقة فى بناء هرم خوفو، حيث أن محيط الأساس والحدود الخارجية للقاعدة لم يصادف أى انحراف عن مخطط التسوية الفعلى، إلا بما يزيد قليلا عن خمس بوصات لا غير، وهو انحراف مقداره بسيط لا يمكن إدراكه إلى حد بعيد، بيد أن هذا المقدار الضئيل هو ما جعل الجانب الجنوبى الشرقى أعلى من الجانب الشمالى الغربى.

اعتمدت التقنية المستخدمة فى إعداد المنطقة المربعة الشكل، على الماء. فكانت المرحلة الأولى من التشييد هى إحاطة المساحة المربعة بجدار مبنى من ا لطو ب اللبن، يعقبها حفر شبكة من الخنادق فى الصخر، لعمل عدد من الكتل المستطيلة، تأخذ شكل المصطبة، حيث تعمل هذه الخنادق على فصل بعضها عن بعض. وكان من المعتاد أن تملأ المساحة كلها بعد ذلك بالماء. أما المرحلة الأخيرة فكانت قياس المسافة من مستوى سطح الماء إلى قمة الكتل المستطيلة، حيث يحتم - أسلوب العمل - قطع زوائدها، لتصبح كلها متساوية وفى مستوى واحد، ومن ثم، عندما تصبح قمم هذه الكتل المستطيلة فى مستوى واحد يمكن أن تنصرف المياه، لتُملأ الخنادق مرة أخرى بالحجارة وقطع الصخور، ولتصبح المنطقة المستهدفة، منطقةً مستوية جاهزة لبدء عمليات التشييد والبناء، وقد أثبت وجود هذا النظام، شبكةٌ من الخنادق وجدت غير مستكملة، على مسافة قريبة من الجهة الشمالية للهرم الثانى.

تسوية الأحجار

## 3 - تحديد نقاط الجهات الأصلية الأربعة

ينبغى أن تكون المساحة المُخطط اتخاذها قاعدة للهرم، أقرب ما تكون إلى شكل المربع الصحيح، حيث يجب أن يواجه كل وجهة من أوجه الهرم إحدى الجهات الأصلية. ولابد وأن بناة الهرم قد استخدموا لهذا الغرض جرماً سماوياً أو أكثر من جسم سماوى، حيث لم يعرف المصريون القدماء البوصلة المغناطيسية، ولكن يغمض علينا تحديد نوع تلك الأجرام والأجسام أو عددها، مما استُخدم لتعيين تلك الجهات الأصلية، بيد أنها كانت كافية لتحديد أحد محاور تلك الجهات الأصلية، ومن ثم يمكن تحديد المحور الآخر باستخدام مربع مُعد لذلك. ولعل الأبنية الحالية، التى بُنيت أركانها بزوايا قائمة صحيحة، تثبت حتمية توفر أداة دقيقة مع مشيدى الهرم، لتحقيق تلك الغاية.

يمكن استقصاء المعلومات المتعلقة بالطرق المستخدمة، والاحتفالات الخاصة بالتشييد والبناء، من بعض النصوص التى يرجع تاريخها إلى أزمنة متأخرة، وتصطبغ بالصبغة الرسمية. ويظهر -على جدران بعض المعابد المصرية التى بُنيت إبان العصرين اليونانى والرومانى - الملك مُمثلاً وهو يعين حدود الجدران الخارجية الأربعة، بعد رصد موقع نجوم مجموعة الدُب الأكبر، وكان من المعتاد استخدام بعض الأدوات لتحقيق تلك المسألة: وأول تلك الأدوات، أداة تُسمى «ميرخيت Merkhet»، تتكون من عمود أفقى ضيق، توجد عند أحد طرفيه كتلة صغيرة، تعلو مستوى العمود، ويوجد

موقع الحجر الجيرى المحالى بجانب الهرم الثانى بالجيزة

## وصول الأسرة الرابعة للقمة وبداية الانحدار

ثقب مستعرض، مثقوب فى تلك الكتلة، كما يوجد أخدود عمودى، شُق أسفل كل فتحة للثقب، وبدون شك كان الغرض هو رصد النهاية العلوية للخط العمودى.

استنباطاً من معنى تلك الأداة (= المُؤشر)، يتبين أنها استُخدمت لتقوم بعمل «ساعة الظل»، و«الساعة المائية»، و«الساعة النجمية»، وبمعنى آخر هى أداة لقياس ساعات الليل، بتحديد ارتفاع النجم فوق الأفق. كانت الأداة الثانية تُستخدم لمراقبة النجوم، وهى عبارة عن رافدة النخيل، بفتحة على شكل الحرف «V»، مقطوعة فى النهاية الأعرض.

نتناول الآن الطريقة التى كانت تُستخدم لتحديد اتجاه الشرق الحقيقى، حيث كانت الخطوة الأولى هى بناء سور دائرى من الطوب اللبن، قطره بضعة أقدام، يُشيد على القاع الصخرى الذى تمت تسويته بالفعل لبناء الهرم، ويبلغ ارتفاع هذا السور ارتفاعاً يكفى لحجب الرؤية عن أى شخص يقف فى منتصف الدائرة، عدا رؤية السماء، ثم يقوم شخص يقف فى منتصف الدائرة برصد بزوغ نجم كالشمس، عبر فتحة الأداة المذكورة آنفاً، وفى اللحظة التى يظهر فيها النجم فوق الجدار المبنى بالطوب اللبن، يوجه الشخص الراصد، الموجود فى منتصف الدائرة، فرداً آخر، ليضع علامة على الجدار، تنطبق تماماً على الخط – الوهمي – الممتد بين الراصد والنجم (الشكل 40p)، ويتعين إعادة نفس العملية لحظة أفول نفس النجم، لتحديد اتجاه الغرب الحقيقى، ومن ثم يمكن تحديد الشمال الحقيقى بتنصيف الزاوية «p o q»، وللتأكد من صحة المسألة، يمكن تكرار العملية باستخدام عدة نجوم أخرى، بنفس الطريقة، وذلك قبل تفكيك الجدار.

### 4 – طريقة البناء

بعد أن يفرغ البناءون من كافة أعمال الإعداد والتجهيز، من تسوية مستوى القاعدة، وتوجيه الأجناب الأربعة فى اتجاه الجهات الأصلية، يبدأون مرحلة أخرى من الإنشاءات.

### نقل الكتل الثقيلة

تحتم على المصريين، الذين لم يعرفوا البَكَرة قبل عصر الرومان، أن يوجدوا الوسيلة السهلة والعملية لنقل الكتل الثقيلة ورفعها لأعلى، ومن ثم، فقد استخدموا أنواعاً خاصة من المنحدرات، المكونة من الطوب والطين، تتدرج فى الميل، بادئة من أسفل، من مستوى الأرض، وصاعدةً فى الاتجاه الأعلى، حتى تصل للارتفاع المطلوب.

لم يواجه المصريون القدماء أية مشكلة من المشكلات، أثناء تشييدهم الهرم المُدرج، فقد اعتُبرت كل مصطبة من المصاطب بمثابة منصة، بُنيت عليها أربعة منحدرات جانبية، مُشَكلة طرقاً جانبية، كل طريق مواجه لأحد وجوه الهرم، كما كانت تُبنى جسورُ ضيقة، مقابل أجزاء من وجوه الهرم، لم تكن تُغطيها الطرق المنحدرة، جزئياً أو كلياً، لتتيح موطئاً، يسمح بتقدم العمل لمرحلة تالية، ولتُمَكن البنائين من مناولة حجارة الكساء الخارجى، ولتيسر لهم المناورة بها، وبالخفض المتتالى لارتفاع هذه الجسور يمكنهم بدء أعمال الكساء للسطح المُعرض من الهرم، بينما الجزء العلوى من الهرم مازال تحت الإنشاء.

استُخدمت تقنية مشابهة لهذا الأسلوب فى بناء الهرم الكامل، ولكن بدون إضافة جسور الموطئ، تلك المستخدمة فى بناء الهرم المُدرج. ووفقاً لهذه التقنية المستحدثة كان العمل يبدأ بمنحدر واحد فى كل جانب من أجناب الهرم، ويواصل ميله إلى أن يصل مستوى الأرض، وكان طول تلك المنحدرات وارتفاعها يتزايدان بما يتناسب والزيادة فى ارتفاع الهرم، وعندما يصل البناءون إلى قمة الأثر، يضعون عليه القمة الهرمية الشكل المصنوعة من الجرانيت. ولم يكن يظهر للعيان، الموجودين على مستوى الأرض، أى من الأجزاء الحجرية، التى أُقيمت بالفعل، وببساطة يمكن تعليل ذلك، إذ كانت المنحدرات تغشى الأوجه الخارجية للهرم بالكامل.

كانت مرحلة العمل الأخيرة هى تغطية البناء بالكامل، بكساء من أحجار الحجر الجيرى المعتاد استخراجها من محاجر طُرة، وكان من اللازم أن تُرص بميل نحو الداخل، فى اتجاه قلب الهرم، بزاوية مقدارها 75 درجة، وكان من المعتاد أن يتم إنجاز عملية البناء تلك، مع إزالة المنحدرات، بداية من القمة، ونزولاً لأسفل.

## كانت لدراسة الطب قواعد ملزمة فى مدارس ملحقة بالمعابد

# مظاهر حضارتنا المصرية العظيمة (4)

### الطـــب

**يرجح العلماء أن الطب بـــدأ أول مرة عمليا عن طريق التجارب التى اقتضتها ضرورات الحياة اليوميـــة، وكان يضاف إلى حصيلة التجارب ما يثبت فائدته ويســـتغنى عما يلحق الضرر، وكان هناك اعتقاد بوجود أرواح خبيثة تتسبب فى وجود الأمراض، ولهذا كان الطب فى أول أمره متصلاً ومتمشياً مع السحر. وقد كان الطبيب - فى الغالب- يمارس أعماله الطبية بجانب بعض الأدعية والرقى لحماية المريـــض من الأرواح الخبيثة، ويمكن أن يعد هذا نوعا من الإيحاء بالشـــفاء، إذ تؤكد النصوص المصـــــرية القديمة أن لبعض الآلهة تأثيراً على أعضاء الجسم مثل الإله رع إله الشمس الذى اتخذ من الوجه مكاناً له، وحتحور إلهة الحب اتخذت العينين وأنوبيس إله التحنيط الشفتين وتحوت إله العلم مع باقى أعضاء الجسم.**

**سفير محمد عهدى خيرت**

**makhairat@gmail.com**

وقد أتت هذه الفكرة مع الأســـاطير الدينية، وهكذا أصبح الإله الذى يتغلب على الثعبـــان خير مصل لـــه، والإله الـــذى يتغلب على العقـــرب خير دواء له. وكانت لدراســـة الطب قواعد ملزمة حيث كانـــت هناك مدارس طبية وأغلب الظن أنها كانت ملحقـــة بالمعابد فى أون وســـايس وغيرهـــا. وقـــد عرفت مصـــــر الأطباء المتخصصين منذ أقـــدم العصور، وأوضحـــت البرديات الطبية تخصصاتهم، ولعل من أشـــهر الأطباء المصـــريين «أيمحوتب» وزير الملك زوســـر (القرن الثامن والعشرين قبـــل الميلاد) والذى ألـــه فى العصور المتأخـــرة، وأطلق عليه الإغريق اســـم اســـكليوس إله الطب عندهم، وهناك أيضا رئيس الأطباء «أيـــرى» (الدولة القديمة) الذى تخصـــص فى أمراض العيون، بمعنى أنه كان هناك تخصص كامل. وكما ذكـــر هيرودوت كان هناك طبيب للعيـــون وطبيب للرأس وطبيب الاضطرابـــات الداخلية، ومعروف أيضا أنه كان هناك أطباء لعلاج الناس جميعا وأطباء للجيش وأطباء للقصور الملكية، كمـــا وجدت فئة مـــن الكهنة يمكن أن يطلق عليها اســـم أطباء العقاقير، وهم الذين تخصصوا فـــى العلاج بالعقاقير وتلاوة الأدعية، كما وجدت طبقة أخرى تخصصت فـــى اللفائـــف (أوت) أى المحنطين.

وقد لعبت الآلهة دوراً مهماً فى الطب فهناك الإلهة إيزيس التى تهب الشـــفاء والتى أشفت ابنها حورس من كل جراحه وكانت مهتمة بشـــئون الســـحر وهى التى أشفت الإله رع من صداع الرأس، وهناك أيضا الإلهة سخمت ربة الجراحة وحامية الجراحيـــن، وهناك خنوم الإله الخالق حامـــى الحوامـــل والمختص بشئون الولادة، كذلك الإله أنوبيس رب التحنيـــط والعقاقير الطبيـــة، ثم الإله تحوت رب العلم والحكمة ونســـب إليه الإغريق اختراع الطب والصيدلة، وأخيراً هناك الطبيب المهندس أيمحوتب.

وقد انقسم العلاج عند المصـــريين القدماء إلى قسمين أولهما علاج ما هو ظاهـــر، وثانيهما علاج مـــا هو باطن، ويتمثل الأول فـــى العمليات الجراحية البسيطة والكســـور، ويتمثل الثانى فى الأمراض الباطنية، ويتميز الأول بالخبرة

والملاحظة والمهارة، والثانى بالأدوية والعقاقير والسحر الذى اعتبر نوعاً من أنواع العلاج النفسى لإتمام عملية الشفاء.

## أبو الهول

يرجح أنه كان فى الأصل تمثالا للملك خع - ف - رع (2616 - 2578 ق.م) وأطلق عليه الإغريق اسم سفينكس. وخلال عصر الأسرة الثامنة عشرة اعتبره المصريون رمزاً للإله حور - آم - أخت (حورماخيس)، وظهر أثناء الحفائر عشرات من الألواح عليها اسم الإله الآسيوى بو حول أو حورون الذى ساواه الآسيويون بالإله المصرى، وتحور اسم بو حول إلى أبى الهول فى اللغة العربية.

وعندما اتصل الإغريق بمصر كان لهذا التمثال نصيب كبير من اهتماماتهم ونظروا إليه كرمز للغموض والأسرار، وكان الناس فى العصرين البطلمى والرومانى يقصدونه للزيارة ونقشوا كثيراً من النصوص على مخلبيه يتساءلون عن سره الذى لا يريد أن يبوح به لأحد حتى أصبح اسمه مرادفاً للصمت.

## ألوهية الملك

كانت مصر من الأمم الأولى التى قامت حياة شعبها على التعاون والنظام، وكانت أيضا أول الأمم التى أجبرتها ظروفها الطبيعية على إيجاد حكومة تسيطر على شمالها وجنوبها تحت حكم ملك واحد هو سيد البلاد وملك الوجهين القبلى والبحرى. ولا يمكن الجزم بأن الملك المصرى قد تمتع بألوهية منذ أول التاريخ والدليل على ذلك أن أبطال الوحدة بين الشمال والجنوب قد أمضوا وقتا طويلا يحاولون تحقيقها بحد السلاح. وأغلب الظن أن تأليه الملك كان نتيجة لهذه الصعاب التى قابلت الوحدة فخرج الكهنة بفكرة تأليه الملك ورفع قدره بين الناس حتى يصل إلى المرتبة التى تعلو بمركزه كبشر ينتمى تارة إلى الجنوب وتارة إلى الشمال، ويعتقد أن ألوهية الملك لم تتحقق تماماً ولم توضع أسسها الثابتة إلا على يد زوسر أول ملوك الأسرة الثالثة، واعتبر المصريون ملكهم إلها يحيا بينهم على الأرض وهو من لحم ودم ولكن ينتمى إلى الآلهة فى السماء، هو «حورس بن أوزيريس» يتعالى فى مقامه بحيث لا يجب على فرد الشعب أن يرفع نظره إليه أو يلمس إصبعه جسده المقدس. إلا أن الملك الإله كان يتقيد فى سياسته بتعاليم «ماعت»، و«ماعت» هى إلهة رمز إليها المصرى القديم إلى كل المثل العليا التى يجب على الحاكم أن يرعاها فى تنفيذ سياسته فى الحكم، وهى العدل المطلق والصدق الكامل والرحمة، والقسوة مع المذنب، وكان هذا هو الإطار الذى يتحرك فيه الملك بين الناس وإذالم يحقق الملك الماعت فإنه لا يفقد فقط أهليته للألوهية، ولكن يفقد أيضا أهليته فى الملك. وكما كان الملك يتمتع بقدسيته وهو حى فإنه كان يتمتع بنفس القدسية وهو ميت، فهو ملك الدنيا الثانية يحكمها وهو مسجى فى تابوته الموضوع داخل هرمه الكبير ومن حوله تسكن مجموعة كبيرة من رجال الدولة فى مقابرهم التى شيدوها على شكل مصاطب حول هذا الهرم، وعندما اعتنق المصرى

## مظاهر حضارتنا المصرية العظيمة

عقيدة أوزيريس أصبح الملك هو الآخر أوزيريسا يحكم الدنيا الثانية كما حكم الدنيا الأولى، وإذا كان جسده المحنط هو الذى يبقى فى الدنيا الثانية فقد اعتقد المصرى القديم أن الملك يذهب إلى مكان ما فى السماء ليعيش بين مجموعة الآلهة التى تعيش بها.

### التحنيط

عكف المصريون منذ بداية تاريخهم على دفن موتاهم فى الصحراء، فكانت هى التى أوحت إليهم بفكرة الخلود بعد الموت فرمالها الجافة وحرارة طقسها جففت جثث الموتى تجفيفاً طبيعياً جعلت الإنسان يرى فى الموت نوعاً من الانتقال إلى دنيا ثانية تمتاز بالحركة. ونظراً لاعتقاد المصريين أن المحافظة على الجثة هى الضمان الأول للتمتع بالدنيا الثانية وبالحياة الأبدية فقد لعب التحنيط عندهم دوراً رئيسياً وأعطوه كل عنايتهم وسخروا علومهم وخبراتهم للوصول به إلى حد الكمال. ولا يعرف بالتحديد متى بدأ التحنيط والأرجح أن ذلك يرجع إلى العصر العتيق، وقد بلغ التحنيط قدراً عظيماً من التقدم خلال عصر الأسرة الثالثة، ومن الأمثلة على ذلك أحشاء الملكة «حتب – حرس» والدة الملك خوفو التى عثر عليها محنطة. ولم يعثر حتى الآن على نصوص تسجل مراحل التحنيط المختلفة، إلا أن المؤرخ هيرودوت سجل وصفاً دقيقاً لهذه المراحل عندما زار مصر فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وقد ذكر أن هناك ثلاثة أنواع من التحنيط، الأولى اتبعت فى تحنيط أوزيريس والتى تستخدم فى تحنيط الملوك، والثانية أقل تكلفة والثالثة أقل من الثانية. والطريقة هى أن يقوم المحنطون بإخراج المخ من الجمجمة بآلة معدنية لها طرف ملتوى، ثم يفتحون الجثة لإخراج ما تحتويه من عناصر رخوة ثم يقومون بغسلها من الداخل بنبيذ البلح وسوائل ذات روائح عطرة، ثم يتم ملؤها بمسحوق المر وبمواد أخرى، ثم يقومون بوضع الجثة بكاملها فى ملح النطرون لمدة سبعين يوما، وبعدها يغسلون الجثة غسيلاً جيداً، ثم يلفونها فى قماش الكتان بعد أن يغمسوه فى سائل لاصق.

وقد أثبتت الأبحاث صحة ما ذكره هيرودوت، وزيد عليه أن المحنطين كانوا يلفون أصابع اليدين كل على حدة بلفائف رقيقة جدا، ثم يلفون اليدين والقدمين وبعدها يلفون الجثة بأكملها بكفن يصل طوله إلى مئات الأمتار، ثم يحكمون اللفائف حول الجثة بأشرطة من قماش سميك تتخذ اتجاهات متعارضة، كما كان يتم عقب إخراج المواد الرخوية من الجسم ملء الفجوات داخل الجسم والرأس بمادة صمغية يستخرجونها من خشب الأرز، وكانت تملأ بلفائف من الكتان المغموس فى مواد صمغية.

وقد كون المحنطون من أنفسهم طبقة معينة حتمت عليها طبيعة عملها أن تبقى منعزلة عن غيرها، وانقسمت إلى عدة مراتب منها المحنط العادى (أوت) ثم المحنط صاحب الختم والذى كان عليه أن يختم الجثة بعد تحنيطها وقبل البدء فى عملية لفها فى كفنها، ثم المحنط كاهن أنوبيس، ثم الرئيس العارف بأسرار التحنيط، ثم الكاهن المرتل الذى كان من واجبه القيام بترتيل بعض الصلوات المعينة فى كل مرحلة من مراحل التحنيط، وكانت مهمته رئيسية لأنه كان يقوم بأداء الطقوس الجنائزية المتوارثة التى أجريت للإله أوزيريس، واعتقد المصرى القديم أن التقصير فى أداء تلك التراتيل يهدد صاحب الجثة فى حياته الأبدية.

# بـــولاق أبـو العـــلا

**يُعد حى "بـولاق أبو العـــلا" من أعرق أحياء القاهرة ويقع على الجانب الشرقى للنيل. ومن أبرز العـــلامات بالحى المبنى الشاهق لوزارة الخارجية ومبنى الإذاعة والتليفزيون. ويسيطر هذان المبنيان على خط الســـماء والمنظر العام من النيل قبل وكالة البلح الشهيرة. وهناك أيضا مبان ضخمة مثل برجـــى مركز التجارة العالمى، وبرجى نايل ســـيتى، والبنك الأهلى المصرى، بالإضافة إلى أسواق تجارية وفنادق كونراد وفيرمونت.**

**أ. د. رانـدا بليـــغ**

**أستاذة الآثار المصرية بجامعة المنصورة**

**randa.baligh@gmail.com**

ويحده من الشـــمال شارع السبتية، ومن الجنوب شـــارع اسطبلات الطرق، ومن الشـــرق شوارع ســـيدى العليمى وعلوة الحجاج وتل نصر ووابور النور. ومن شوارعه الرئيســـية الآن كورنيش النيل وشـــارع الجلاء، وشارع 26 يوليو (فؤاد ســـابقا) وشارع رمسيس (الملكة نازلى ســـابقًا). ولكن مـــاذا عن تاريخ تلك المنطقة المهمـــة بالقاهرة. فنظرًا للمتغيرات الجديدة بالمنطقة التى أدت إلى إزالة أجزاء كبيرة منها عند ما يعرف بمثلث ماسبيرو، نســـتعرض هنا هذه المنطقة ونشـــأتها وتطورها، والمواقع المهمـــة بها ونذكر معلومات بســـيطة عن المناطـــق القريبة منها التى اتصلت بها عبر تاريخها حيث إن التقســـيمات الإدارية الحديثة لـــم تكن موجودة وقت إنشـــاء الحى الذى ظل مرتبطًا بالقاهرة الخديوية أو الإسماعيلية لفترة طويلة.

## نشأة حى بـولاق

يأتى اســـم بـــولاق من الفرنسية Beau Lac "بـــو لاك" بمعنى البحيرة الجميلة. ويقال إن جزيرة الزمالك كانت تحمل اسم بـــولاق قديماً. ولفهم تطور المنطقة يمكننا أن نعود إلى زمن العصر الإســـلامى المبكر فى مصر، وأيضاً إلى عام 1771م حين وقع ما يعرف بالطرح السابع للنيل، حيث زاد معدل الطمى فى منطقة بـولاق وخلق مساحة من الأرض بالقاهرة لم تكن متاحة من قبل.

فى بداية العصور الإسلامية أقيمت عدة عواصم لمصر، منها الفسطـــاط التى أنشأها عمرو بن العاص عام 641 م فـــى فترة الخليفة عمـــر بن الخطاب على الجانب الشـــرقى للنيل وعلى النيل مباشرة بمنطقة مصر القديمة الحالية. بعدها أنشئت مدينة العسكـــر بواسطة العباســـيين وظلت عاصمة لمصر من 752 إلى 870 م. أما القطائع فأنشـــأها أحمـــد بن طولون بين العســـكر وجبل المقطم للشـــمال الشـــرقى من مدينة العسكر، وظلت عاصمة لمصر من 868-905 م. وبنى أحمـــد بن طولون جامعاً كبيراً سمى باسمه وبجواره بيمارستان للعلاج المجانى. بنيت القطائع على جبل يشـــكر الذى تقول الأساطير المحلية أن سفينة نوح رســـت عنده. وقد تحطمت مدينة القطائع تماماً فى القرن العاشـــر الميلادى ثم بنى الخليفة الفاطمى المعز لديـــن الله الفاطمى مدينة القاهـــرة فى القرن العاشـــر الميلادى حيث كلف قائده جوهـــر الصقلى الذى كان أرمنيًا، ببناء مدينة القاهرة. وكانت الفســـطاط

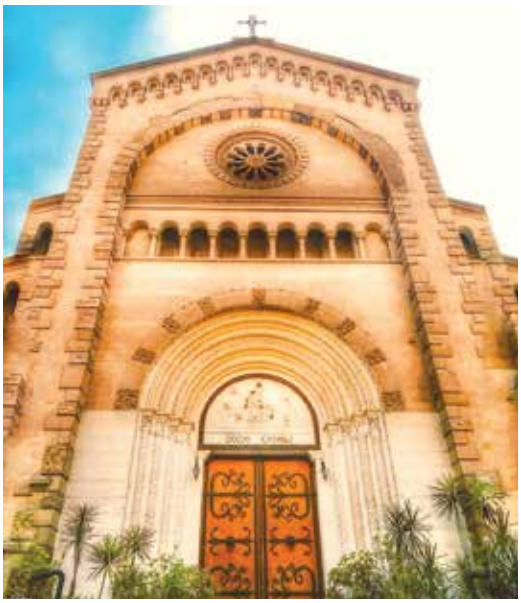

كنيسة العذراء سيدة الكرمل

جامع سَنَّان باشا بشارع السنانية

أقرب عواصم مصر الإسلامية للنيل وكان الميناء حينئذ فى المنطقة المعروفة بأثر النبى بالقرب من فم الخليج بمنطقة جنوب القاهرة. وقد بنيت جميع العواصم للشمال أو الشمال الشرقى من العواصم الأقدم حيث إن الرياح السائدة هى تلك القادمة من البحر المتوسط بالشمال حتى لا تتنفس المدينة الجديدة هواءً ملوثًا من العواصم الأقدم. وقد ظل هذا التقليد ساريًا لوقتنا الحالى حين بنى حى مصر الجديدة للشمال من القاهرة الخديوية أو حى الإسماعيلية نسبة للخديو اسماعيل كما كان يعرف، وحتى التجمع الأول إلى الخامس والعاصمة الإدارية الجديدة. ونظراً لامتداد العمران دخلت العواصم الثلاث الأولى لمصر الإسلامية ضمن مدينة القاهرة. ويلاحظ أن أغلب العواصم لم تبن على النيل مباشرة. وكانت هناك مواني نيلية مهمة، منها منطقة فم الخليج حيث كانت بداية القناة التى شقت منذ عصر الأسرة الثانية عشرة الفرعونية لوصل البحر المتوسط بالأحمر عن طريق فرع من فروع النيل. وكان هناك ميناء آخر مهم عند بولاق بالقرب من وكالة البلح.

ولمتاحف الآثار المصرية تاريخ مرتبط بمنطقة "بولاق أبو العلا"، فقد أنشئت هيئة الآثار 1835م على يد محمد على باشا. بعدها وضعت الآثار لفترة فى متحف صغير عند بحيرة الأزبكية بقلب العاصمة. ثم نقلت لقلعة صلاح الدين حفاظًا عليها حتى أهدى الخديو عباس حلمى الأول مجموعة الآثار التى كانت آنذاك فى قاعة واحدة بالقلعة، للدوق النمساوى ماكسيميليان. وفى عام 1858م أنشئت مصلحة الآثار المصرية أثناء فترة حكم الخديو سعيد، وأقيم متحف للآثار المصرية بمنطقة "بولاق أبو العلا" فى 1859م عندما تم اكتشاف كنز إيعح حتب. ثم حدث فيضان عال عام 1878م أغرق محتويات متحف بولاق. وتم نقل القطع لاحقًا فى 1889م لأحد قصور الخديو إسماعيل فى موقع حديقة الحيوان بالجيزة الآن حيث تنازل عنه الخديو للحفاظ على الآثار. ونذكر اثنين من علماء الآثار الفرنسيين الأوائل ساهما فى إنشاء مصلحة الآثار والحفاظ على الآثار ودراستها، وهما Auguste Mariette الذى أعطى لقب باشا وكان أول حرف فى اسمه "M" يزين سور المتحف الحالى بالتحرير حتى وقت قريب، كما نقلت رفاته لحديقة المتحف المصرى بالتحرير، و Gaston Maspéro الذى أعطى اسمه للشارع والمنطقة حول مبنى الإذاعة والتليفزيون. ثم جاءت الآثار المصرية مرة أخرى إلى مقر الأنتيكخانة بالتحرير أو ميدان الإسماعيلية قديمًا، فاستقرت بالقرب من أول موقع جمعت فيه. وقد صمم متحف التحرير بواسطة المهندس الفرنسى Marcel Dourgnon والآن أنشأت الحكومة المصرية متحفين كبيرين للآثار هما متحف الحضارة NMEC بالفسطاط على الجانب الشرقى للنيل، والمتحف المصرى العظيم GEM بالجانب الغربى للنيل بالقرب من أهرامات الجيزة، وكلاهما بالقاهرة الكبرى التى تضم كلاً من محافظات القاهرة والجيزة والقليوبية. ومازالت وزارة الآثار المصرية مستمرة فى إنشاء المتاحف فى كافة أنحاء الجمهورية.

أما عن الخديو إسماعيل الذى افتتحت قناة السويس فى عهده، فيستحق أن نكتب عنه فى مقال آخر، فقد كان من أكثر من أضافوا لوضع وأهمية "بولاق أبو العلا" بعد محمد على، ثم إنه من أكثر من أقاموا إنشاءات خالدة بمصر. فقد شيد الكبارى والقصور والتماثيل والمدن، وحديقة الحيوان بالجيزة. وإليه يرجع الفضل فى تنفيذ أعمال الجانب المصرى بمشروع إنشاء قناة السويس. إلا أن الأعمال الإنشائية التى قام بها ومن ضمنها دار الأوبرا القديمة التى حرقت فى القرن العشرين، أدت إلى وضع مصر فى مأزق مالى حرج بسبب الديون المتراكمة، مما ساهم فى ازدياد النفوذ والامتيازات الأجنبية آنذاك. ولكن تظل منشآته شاهدة على عصر رقى لا ينسى.

وقد تطورت المنطقة فى عصر الحملة الفرنسية على مصر بين 1798

و1802م، فبنـــى مهنـــدس الطـــرق والكبارى الرئيسى بالحملة المعروف بـ Lepère طريقًا مســـتقيمًا بين الأزبكية وبـــولاق يمر على قنطرة المغربى التى كانـــت تعلو خليج الطويلـــة أو الخليج الناصـــرى القديم. وقد نمـــت المنطقة وازدهـــرت وصارت المركـــز التجارى والمالى للعاصمة فى فترة حكم محمـد علـــى الكبير بالقرن التاسع عشر. فقد أمر محمـــد علـــى بتوسيع وتطوير الطريق لبـولاق، وأنشأ بها ترسانة لبناء الســـفن إبان الحملة ضد الوهابية، كما أنشـــأ أول مطابع فى الشرق المعروفة بالمطبعـــة الأميريـــة ببـــولاق. وبنى المصانع والمسابك بالمنطقة الصناعية بالسبتية، كما أنشأ الدواوين فى المسافة بين بـــولاق وشـــبرا على النيل. ومن أهم ما أنشـــأ بها مصنع للورق كصناعة مكملـــة لاحتياجات المطابـــع الأميرية، ودار لسبك الحروف المعدنية بالمنطقة، فصارت جاذبة للمطابع وأنشـــيء بها حـــى الصحافة ببـــولاق إذ نجد مقار الجرائد اليومية الأساســـية التى أممت فيما بعد، كمبانى جرائد الأهرام وأخبار اليوم والمساء. وأضيفت مدرسة صناعية ومساكن للمهندسين، بالإضافة لمصنع أقمشة كبير عرف بالمبيضة، حيث كان تبييض الأقمشـــة يتم باستخدام طرق حديثة آنذاك. وكثرت المصانع والمكابس بالحى الذى شـــهد عصره الذهبى بين فترة حكم محمـــد علـــى، والخديو إســـماعيل وخلفائه. ففى عصر الخديو إســـماعيل تم ربط الإســـماعيلية بحى الإســـماعيلية من ميدان التحرير آنذاك، لشارعى ســـليمان باشا وشريف (وكان يعرف بشارع المدابغ)، عن طريق شارع بـــولاق أو 26 يوليو الحالى. وفى عصر الخديو إسماعيل بدأ إنشاء كوبـــــرى بـــولاق ليصل بـــولاق بالزمالك. وقد افتتح كوبـــرى "بـــولاق أبو العـــلا" الذى اشتهر بكوبـــرى "أبو العـــلا" فى 1912م أثنـــاء فترة حكم الخديو عباس حلمى الثانى حفيد الخديو إســـماعيل. وساهم الكوبـــرى ووسائل المواصلات كالترام فـــى ازدهار منطقة بـــولاق، لاسيما عندما أنشئت مصلحة الوابورات أى السكك الحديدية.

وامتدت العمارات الفخمة والمبانى على طول الطريق من الأزبكية لبـولاق، مثال عمارة الجندول للموسيقار الشهير محمـد عبد الوهاب التى أقامها فى مكان بار سان جيمس الذى كان الشاعر أحمد شـــوقى يرتاده، وعمارة شيكوريل التى أقيمت فى موقع بار الحلوانى الشـــهير آنـــذاك، "صولت". وكان بـــار صولت وبار المحروســـة بمحاذاتـــه، ملتقى الوجهاء أمثـــال عائلات المانســـترلى ويكن، بالإضافة لبار بطرسبرج بالجهة المقابلة. كما أقيمت عدة فنادق ضخمة مثل فنـــدق جراند هوتيـــل، وكلاريدج، وإيدن، وجلوريا، وكارلتون. وأقيم مبنى دار القضاء العالى، وأمامه عمارة كبيرة فخمة مزخرفـــة بزخارف جصية وقباب تعرف بعمارة لاجيفواز. وأقيم بالمنطقة سوق التوفيقية خلف دار القضاء العالى.

أما عن شارع رمسيس ويعتبر على أطراف حى "بـــولاق أبو العـــلا"، فكان به مقـــار الإســـعاف، والجمعية المصرية للدراسات السياسية، وجمعية الشبان المســـلمين، ومعهد الموسيقى العربيـــة، ومعهد ليوناردو دافنشـــى للفنـــون والعمارة (افتتحت مدرســـة ليونـــاردو دافنشـــى ببـــولاق للطلبة المصرييـــن المهتمين بالثقافة الإيطالية بمقر القنصلية الإيطالية، ومعهد دانتى أليجيرى منذ سنوات)، ومصلحة الكيمياء والجمعية المصرية للحشـــرات، ونادى القضاة، ونقابة الصحفيين بشارع عبد الخالق ثروت، فضلًا عـــن باب الحديد ومصلحة الوابورات.

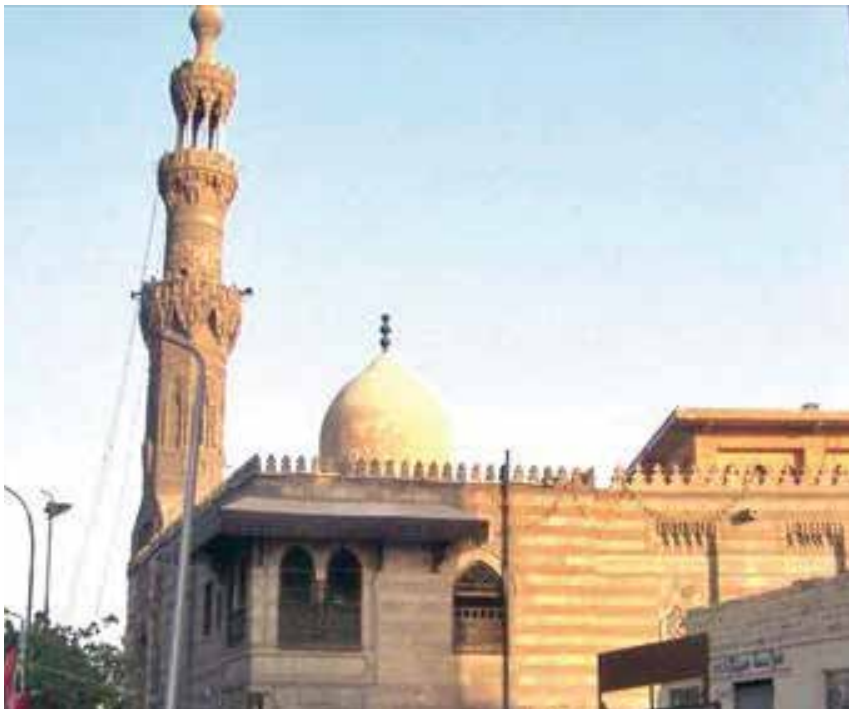

جامع السطان أبو العلا

ونظرًا لوجـــود الميناء النيلى المهم للعاصمة ببـــولاق بعـــد أن أخذ أهمية أكثر من ميناـــاء أثر النبـــى، لذا كثرت الأسواق بمنطقة "بـــولاق أبو العـــلا". وانتشرت الجاليات الأجنبية بالقرب من الميناء. وكان شـــارع رمسيس الحالى تقطعه قناة مياه. وكانت فترة الازدهار بالمنطقة التى تقع حول منطقة القاهرة الخديوية وشـــارعى رمسيس والجلاء، بين النصف الأخير للقرن التاسع عشر، للنصف الأول من القرن العشرين.

## شارع 26 يوليـــــو

يُعد من أهم الشوارع بـ"بـــولاق أبو العـــلا" ويبدأ من حديقة الأزبكية، ويمر ببـولاق ثم يعبر حالياً النيل ويقطع جزيرة الزمالك ثم المهندسين، ويستمر كمحور 26 يوليو ليصـــل إلى مدينة 6 أكتوبر. الأهم أن اســـمه فى الأساس كان شارع بـــولاق حيث إنه الشارع الذى كان يصل بـــولاق بالقاهرة الخديوية وجعل بـــولاق من أحياء القاهرة الرئيســـية

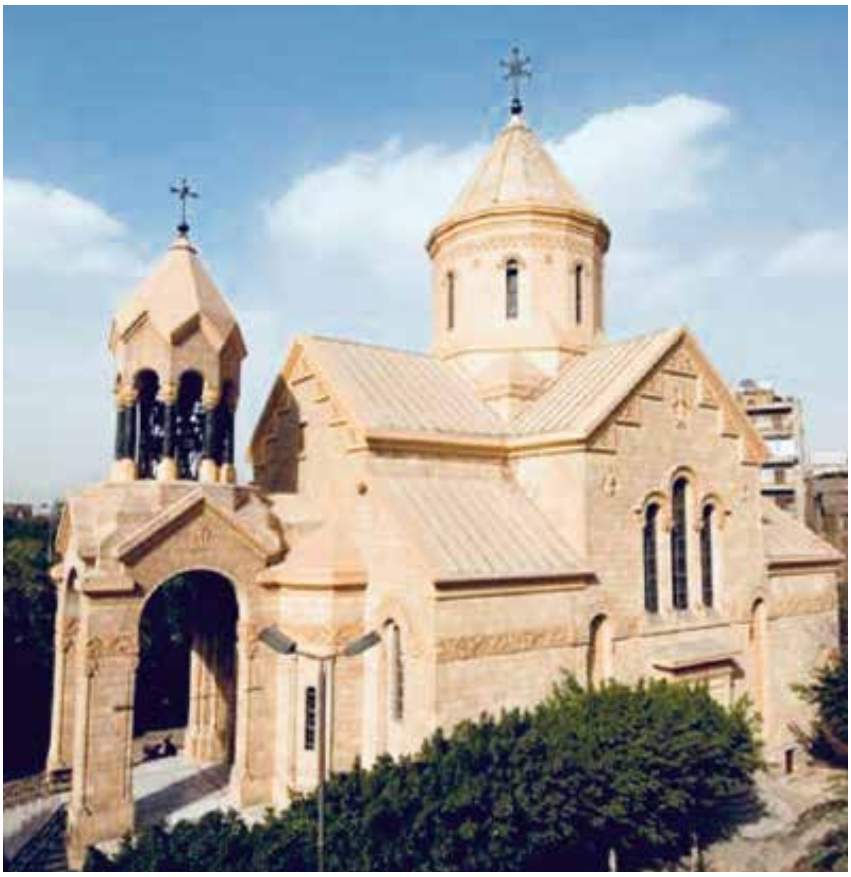

كنيسة الأرمن الأرثوذكس بشارع رمسيس

التجارية والصناعية. بعدها عرف باسم شارع فؤاد. وكان الملك فاروق يمر كثيرًا فى مواكب سيارات مكشوفة فى هذا الشارع المتسع الفخم من النيل للأزبكية.

## كوبرى "أبو العلا"

وهو كوبرى معدنى كان يصل جزيرة الزمالك بمحافظة الجيزة. تم تصميمه وإنشاؤه بواسطة المهندس الفرنسى النابغة ألكسندر جوستاف إيفل (1832 -Alexandre Gustave Eiffel 1923م)، الذى صمم برج إيفل وصار رمزًا لمدينة باريس، وتمثال الحرية الذى صار رمزًا لمدينة نيويورك الأمريكية. وقد صمم إيفل الذى اشتهر بمنشآته المعدنية، كوبرى "بولاق أبو العلا" وكوبرى إمبابة (حوالى 1892/1902م) الذى تم نقل جزء منه لدمياط وعرف بكوبرى دمياط، بالإضافة إلى عدد من الفنارات المعدنية أشهرها فنار البرلس. وكان كوبرى "أبو العلا" يفتح من أعلى لمرور المراكب العالية التى كانت تبحر من أقصى جنوب مصر للشمال. وقد بيع الكوبرى كحديد خردة فى تسعينيات القرن العشرين مما أثار موضوع ضرورة الحفاظ عليه كأثر. وظل كوبرى "بولاق أبو العلا" يربط بين الزمالك وبولاق منذ 1912 حتى 1998م عندما تم تفكيكه. وهو يرقد الآن مفكوكاً على كورنيش النيل أسفل كوبرى الساحل حيث تم استبداله بكوبرى 15 مايو. ولا يزال كوبرى "أبو العلا" فى انتظار إعادة إقامته على البر ليكون مركزًا ثقافيًا وملتقى للفنانين على غرار كوبرى دمياط الذى أعيد استخدامه كمركز ثقافى، ثم أهمل بعد يناير 2011، وفى انتظار إعادة تأهيله للقيام بدوره الثقافى بمحافظة دمياط.

## كوبرى إمبابة

أما كوبرى إمبابة القديم الذى صممه إيفل وبنى حوالى 1890/1892م، فكان أول كوبرى يسمح بمرور القطارات فوقه بين القاهرة والجيزة حيث يبدأ خط قطارات الصعيد، كما تم وصل بولاق بالجيزة عن طريق ترام كان يعبر للجانب الغربى من النيل. وقد بنى الكوبرى القديم جنوب الكوبرى الحالى وكان يصل بين إمبابة بالبر الغربى وروض الفرج بالبر الشرقى للنيل ببولاق. وكان طول كوبرى إمبابة فى 1890 حوالى 490 متراً، تم نقل حوالى 170 منها لإنشاء كوبرى عبر النيل بدمياط بعد أن تم فك كوبرى إمبابة القديم. وكان كوبرى إمبابة القديم يتكون من ست وصلات متصلة، ووصلة واحدة تتحرك على حاملها لتسمح بمرور المراكب المرتفعة. وكان عرض كل فتحة حوالى 21.5 متر. وكان هناك خط قطار واحد بالكوبرى القديم يحيط به من الجانبين ممران للسيارات والمشاة. وقد بدأت شركة مقاولات فرنسية فى بناء الكوبرى الحالى حوالى 1913م، ثم تعطلت بسبب الحرب العالمية الأولى، واستأنفت العمل حيث تم افتتاح كوبرى إمبابة الجديد فى 1925م. وكان أكبر ويتحمل أوزاناً أكبر للقطارات وبه خطان للقطارات وخطان للسيارات وخطان منفصلان للمشاة.

## كوبرى دمياط

عندما ظهرت الحاجة لبناء كوبرى ليصل بين شقى دمياط تم نقل بعض أجزاء من كوبرى إمبابة الذى تم تفكيكه إلى دمياط. وبنى كوبرى دمياط بين 1927 و1929م وأضيفت له أجزاء جديدة كممرات إضافية للمشاة. واحتوى كوبرى دمياط القديم على الجزء المتحرك لكوبرى إمبابة مع حوالى ثلاثة أجزاء أخرى. وقد بيع كحديد خردة لمقاول فى التسعينات من القرن العشرين مقابل 70.000 جنيه مصرى. وتنبه محافظ دمياط آنذاك لذلك وهو مهندس معمارى، فأعاد الكوبرى ثم قام بتصميمه ليكون امتداداً للمكتبة العامة بدمياط وفيه قاعات اجتماعات ومؤتمرات وكافيتريات ليكون بمثابة مركز ثقافى وحضارى. وللأسف تم إهماله بعد 25 يناير وبانتظار أن يعاد تأهيله.

## مدرسة كالوسيديان الأرمنية

انتقلت مدرسة كالوسيديان الأرمنية لمنطقة بولاق على شارع الجلاء بالقرب من مطلع كوبرى أكتوبر الحالى بالتحرير فى 1907م، واحتلت مساحة كبيرة هناك حتى بيعها وهدمها فى

الألفينات من القرن الحادى والعشرين. وكان مقر البطريركية الأرمنية بها لوقت طويل بعد إنشائها. ووقت يناير2011م تم نقـــل الطلبـــة منها إلى مدرســـة كالوســـيديان نوبارىان الأرمنية بمصر الجديدة نظرًا للاعتبارات الأمنية ولوقوع المدرســـة بالقرب من ميدان عبد المنعم رياض. وهناك صورة للمبنى الرئيســـى للمدرسة ببـــولاق فى 2008م. ويعود تاريخ المدرســـة إلـــى 1854م عندما تم إنشـــاؤها كروضة أطفال ومدرســـة للمرحلة الابتدائية فـــى البداية، وكانت مرتبطة بالدراسات الإكليريكية وملحقة بإحدى كنائس الجالية الأرمنية. وحملت فى الأول اسم مدرسة خورينيان على اسم مؤسسها المؤرخ موسيس خورينياتسى. وفى 1897م حملت اســـم مؤسســـها جارابد أغا كالوســـد، فصـــارت تعرف بمدرســـة كالوســـيديان. وتبرع نوبار باشا وهو أرمنى الأصل، بمعظم أراضى المدرسة الأرمنية بموقع بـــولاق المركزى فى قلب المدينة بالقـــرب من المتحف المصرى بالتحرير. ويستحق نوبار باشا وقفة خاصة حيث كان رئيسًـــا لوزراء مصر لثلاث فترات ما بين 28 أغسطس 1878 و12 نوفمبر 1895م، وكان أول رئيس نظـــار أو رئيس وزراء فى عصر الخديو إسماعيل. كان نوبار باشا يمتلك أراضى متنوعة بمصر تربو على 2060 فداناً. وكان الهدف من بناء المدرســـة هو عمل مدرسة للجالية الأرمنية يدرس فيها الأرمن لغتهم وتاريخهم ويشبعون فيها عاداتهم حتـــى يحتفظوا بهويتهم وتراثهـــم الذى يعتزون بـــه كثيرا، مع اشتهارهم بوطنيتهم المصرية فى الوقت ذاته. وكان الانضمام للمدرســـة يعتمد علـــى إثبات الأصل الأرمنـــى على الأقل من جانب أحد الوالدين. وكانت الدراسة باللغة الإنجليزية والفرنســـية والأرمنية والعربية، ولغات أخرى أوروبية كلغات إضافية. واستمرت المدرسة فى التطور حتى وصلت للمرحلة الثانوية وكانت تعد الطلاب للدراســـة بالجامعات المصرية. وكان بهـــا مقررات للمـــواد الاجتماعية لتأهيل الطلاب. ولذلك اشـــتهر الأرمن بمعرفتهم لعـــدة لغات مما كان يفيدهم كثيرًا فى ســـوق العمل بعـــد التخرج. ولاحقاً بنيت حضانة تابعة للمدرســـة بشبرا. وكانت المدرســـة تفخر بنسبة تخـــرج مائة بالمائة بيـــن الطلاب، كما كانت نسبة المعلمين للطلاب بها حوالى 1 لـ 12 لضمان جودة التعليم. واشتهرت المدرسة بأنشطتها المختلفة الخارجية. وفى السبعينيات من القرن العشرين بنى جزء من كوبـــرى 6 أكتوبر بالتحرير على موقع المدرســـة، ممـــا أدى لهدم المبنى الأساســـى للمدرسة، وظل مبنى ثانوى وجزء من الملعب الرئيسى أو فناء المدرسة. ومؤخرًا بين 2017 و2018م، تم هـــدم الجزء المتبقى من المدرســـة ببـــولاق ضمن عمليات التطوير وإزالة العشـــوائيات بمنطقة مثلث "بـــولاق أبو العـــــلا" التى قامت بها محافظة القاهرة بالتعاون مـــع صندوق تطوير العشوائيات بوزارة الإسكان. وقد حظيت المنطقة بنصيب من العشـــوائيات كان من ضمنها عزبة القرود التى أزيلت فى الثمانينات من القرن العشرين، وعشش الترجمان. فتاريخيًا نعلم أن اســـطبلات الطرق كانت مقامـــة للجنوب من مبنى وزارة الخارجية الحالى ببـــولاق بشارع اسطبلات الطرق، وبها أيضاً مقر جمعية الرفق بالحيوان.

## مبنى الإذاعـــة والتليفزيـــون

يعود المبنى للســـتينيات من القرن العشـــرين. وتكفل معماره المميز وبرج الإذاعة بجعله من معالم القاهرة، وكان التليفزيـــون يعتبر بمثابـــة نافذة على العالم، لذلـــك كان البرنامج المعروف باســـم "نافذة على العالـــم" من أقدم برامجه. وقد استمر التليفزيون بقناتيه الأساسيتين لسنوات كثيرة مهيمناً على الإعلام، حتى انتشـــرت القنوات الخاصة والفضائيات بأنواعهـــا. وأضيفت قناة ثالثـــة فى حقبة الثمانينـــات من القرن العشرين، تلتها عدة قنوات أخرى للدلتا والصعيد والإسكندرية حتى صار عددها ثمانـــى قنوات. وكانـــت القنوات تعمل فى مواقيت محددة، ثم يفصل الإرســـال ويظهر تشـــويش على الشاشـــة حتى الصباح حين كانت القنوات تفتتح بتلاوة القرآن الكريم قبل بث البرامج المتنوعة. وقد اهتمت القيادة السياســـية بتأمين مبنى الإذاعة والتليفزيون، لاســـيما فى

مستشفى الجلاء التعليمى

يناير 2011م، وذلك للدور البارز الذى تلعبه الإذاعة. وقد بنى المبنى الحالى بين أغســـطس 1959م وتم افتتاحه فى 21 يوليو 1960م. ويقـــع موقف الأتوبيس النهرى الرئيســـى بالعاصمة أمام مبنى الإذاعة والتليفزيون بشـــارع ماسبيرو. ويعود هذا لاســـم عالم الآثار الفرنسى الشهير جاستون ماســـپيرو الذى كان رئيسًـــا لمصلحة الآثـــار المصرية. أما الإذاعة فكانت سابقة للتليفزيون، وظلت لســـنوات تصل لأبعد المناطق وأبسط الفئات حيث كان الكثير من البســـطاء يعتمـــدون عليها، خاصـــة بعد ظهور وانتشـــار الراديو الترانزيســـتور الذى كان يوفر المعلومات الأساسية والترفيه لكافة فئات الشـــعب. واشتهرت الإذاعة ببث حفلات كوكب الشـــرق أم كلثوم فى الخميس الأول من كل شهر، كما اشتهرت برامـــج كثيرة مثـــل "مـــن الجاني"، و"أغانى وعاجباني"، و "كلمتين وبس" للفنان الراحل فؤاد المهندس الذى كانت شقيقته السيدة صفية المهندس، رئيسة للإذاعة المصرية.

## مبنى وزارة الخارجيـــة

يُعد مبنى وزارة الخارجية ببـــولاق هو أحـــدث مقارها حيـــث تنقلت بين ميدان الإسماعيلية أو التحرير، ثم شارع النيل بالجيزة بالقرب من كوبـــرى عباس، إلـــى أن انتقلـــت للمقر الحالى ببـــولاق الذى تم افتتاحه فى 1994م بعد أن قامت شـــركة المقاولون العرب بتنفيذه. وهو مبنى شـــاهق الارتفاع من الأســـمنت مقام على 4800 متر مربع

سينما الكورسال على بابا

بارتفـــاع 143م، و42 طابقاً، منها 39 فـــوق مســـتوى الأرض، وفوقه مهبط للطائرات الهليكوبتر بأعلى المبنى. وقد أقيم المبنى بالمنطقة التى كانت تعرف بـ "الحطابة". ويحتوى على أشـــكال زخرفية على هيئة زهرة اللوتس وهى من الرموز الفرعونية المعروفة، حيث كانت زهرة اللوتس تصور على جدران المقابر والتوابيت واللوحات والمتوفى يستنشقها كدليل على البعث وكأنه يعيد بها روحه وحياته.

## وكالـة البلـــح

تعتبر وكالة البلح من أشـــهر معالم بولاق. وتبدأ بعد مبنى وزارة الخارجية على كورنيش النيـــل، وتمتد للداخل فى عدد من الأزقـــة والحوارى الضيقة حيث يباع فيها كل شيء تقريبًا، وإن اكتسبت شهرتها الحالية من بيع الأقمشة والمانى فاتورة بأنواعها، والحديد الخردة وقطع غيار السيارات، والملابس المستعملة. ولا يعرف أحد بالمنطقة تاريخها بالتحديد، لكن وجودها بهـــذا المكان كان مرتبطًا بالمينـــاء النيلى. ففى كتابـــة التاريخ يعتد المؤرخون دائمًا بالتراث الشـــفهى وبأسماء الأماكن، فالاسم فى حد ذاته قد يدل على أشـــياء كثيرة. فمن المؤكد أن اســـمًا مثل "مينا البصل" بالإسكندرية يدل على أن محصول البصل كان يصدر من هذا المكان فى فتـــرة زمنية معينة فســـمى المكان باسمه. وكان هناك فيلم سينمائى شهير باســـم "وكالة البلح" بطولة نادية الجندى ومحمود ياسين من إنتاج عام 1982م عن قصة لأديب جائزة نوبـــل نجيب محفوظ وإخراج حســـام الدين مصطفى. وتعرض لصراعات كبار التجار بالوكالـــة، ثم محاولاتهم للاتفاق على تحديد أسعار بعض السلع.

## سينما الكورســـال - على بـــابـــا

أنشـــئت ســـينما الكورســـال فى أربعينيات القرن العشـــرين بواســـطة بعض الأجانب. وكانـــت من أقدم وأكبر الســـينمات بمصر إذ كانت تسع حوالى 700 فـــرد. وأقيمت بشـــارع 26 يوليو وكانت تذكرتها بـــ 2.5 قرش. وكانت تحمل لقب "آخر سينما ترسو" فى مصر، مع العلم بأن ترسو من اللفظة الإيطالية "ترتزو" بمعنى ثلاثة، أى درجة ثالثة، وعلمًا بأن الدرجة الأولى بالإيطالية هى "پريمو" أى واحد. ثم تحولت ســـينما الكورسال إلى سينما على بابا. وللأسف فقد أزيلت ســـينما على بابا مؤخرا فى 2018/2017م ضمن أعمال إقامة خط مترو الأنفاق. وكانت سينما على بابا أو الكورسال تتميز بإعلانات أو "أفيشات" الأفلام المرسومة بألوان صارخة ورسم رديء، كما كانت تقدم أفلامًا من مواسم سابقة. وقد قام النجم السينمائى أحمد مكى بعمل فيلم أســـماه "ســـينما على بابا" وهو مقسوم إلى قصتين وفيلمين مختلفين فى إشارة صريحة لآخر سينما ترسو فى مصر حيث كان العرض يقدم على الأقل فيلمين بنفس التذكرة، وأحيانًا ثلاثة أو أربعة أفلام بنفس الحفلة. وقبلها كانت سينما فاتن حمامة وبعض سينمات المحافظات تقدم مثـــل تلك العروض. إلا أن إزالتها خســـارة لمعمارها المميز ولكونهـــا جزءاً من التراث الســـينمائى بمصر حيث يســـمح للبسطاء بالترفيه، كما كان اســـتهلاك الطعام والشـــراب وحتى السجائر مسموحًا به بشكل أكبر لمرتاديها.

## المطابـع الأميريـــة

أنشأ محمـــد علـى الكبير المطابع الأميرية ببـــولاق فى 1821/1820م، بعد أن أرسل بعثة إلى ميلانو بإيطاليا فى 1815م تحت رئاسة نيقولا المسابكى، لتعلم أساليب الطباعة. وأنشئت المطابع الأميرية بـ"بـولاق أبو العـــلا" وكان

إحدى المركبات الملكية بمتحف المركبات الملاصق لوزارة الخارجية

## بـــولاق أبـو العـــلا

أول إنتاجها قاموس مصرى إيطالى صدر فى 1822م. واشترى الخديو اسماعيل الطابعة وعادت للدولة فى عصر الخديو توفيق. وبعد ثورة 1952م قام الرئيس عبدالناصر بإنشاء الهيئة العامة لشئون المطابع الأميريـــة فى 1956م وألحقها بوزارة الصناعة. ومـــن أهم إصداراتها الجريـــدة المصرية التـــى تحتوى على التشـــريعات والقوانيـــن وتصدر كل خميس، وجريدة الوقائع المصرية، أقدم الجرائد الحديثـــة وتصدر يوميًا عدا يوم الجمعة والعطلات الرسمية. وقد أنشأت الهيئة مبنى حديثاً فـــى الجهة المقابلة بالنيل بمنطقة الـــوراق فى إمبابة، كما أن الطابعة الأثرية معروضة الآن بمكتبة الإسكندرية. ونظرًا لوجود مصانع الورق والطباعة وغيرها من الصناعات المكملة للطباعة ببـولاق، فقد استمرت المنطقة فى اجتذاب المؤسســـات الصحفية مثل جرائد الأهرام وأخبار اليوم. وحاليًا يوجد المبنى الرئيسى للهيئة المصرية العامة للكتـــاب على كورنيش بـــولاق بجوار فندق كونراد، كما أن دار الكتب والوثائق المصرية ملاصقة تمامًـــا لهيئة الكتاب حيث كانت دار الكتـــب والوثائق تابعة لهيئة الكتاب حتى عام 1993م.

### المعبـد اليهـــودى

يقع فى شارع عدلى، معبد "شعار ها شـــمايم" أو بوابة الســـماء، حيث بنى هذا المعبد فـــى 1899م فى موقع مركزى وراق بقلـــب العاصمة بتمويل من عدة عائلات يهوديـــة كبيرة. وكان معبدًا لطائفـــة الربانيين الســـفرديم. وكان يوســـف أصلان قطاوى باشا من أكبر المســـاهمين كما تدل لوحة بداخل المعبد. وكان قطاوى باشا وزيرًا للمالية فى أوائل القرن العشرين بحكومة زيوَر باشا. وقد ساهم بدرجة كبيرة فى إرساء قواعد بنك مصر مـــع طلعت حرب، كما قام بدور كبير فى كتابة دستور 1923م. وقد زخرف المعبد بشعار النخلة المثمرة التى قيل إنها تمثل شـــجرة الحياة وهى من الرموز الأساســـية ليهود الشرق. أما النجمة السداسية التى يطلق عليها نجمة داوود فلم تنتشـــر كثيـــرًا إلا فى القرن العشرين، بينما كان شعار الـــ "مانورا" أو الشمعدان المميز هو الأكثر انتشارًا. والآن قد تقلص عدد طائفة اليهود الذين لم يغادروا مصر لحوالى ســـت سيدات مســـنات تبعًا للقائمين علـــى الطائفة، وما زال أفراد الطائفـــة من المصريين يمارسون فيه الشعائر بينما يذهب أغلب اليهود غير المصريين لمعبد المعادى.

### الجالية الإيطاليـــة فى بـــولاق

ارتبطـــت منطقـــة "بـــولاق أبو العـــــلا" بالإيطاليين، فكان بها مقر القنصلية الإيطاليـــة، والنادى الإيطالى، فضلاً عـــن المدرســـة الإيطالية بمقر القنصليـــة، ويقال إن شـــارعًا بمنطقة القنصليـــة عرف بشـــارع المدرســـة الإيطاليـــة. وكان هناك عـــدد كبير من التجار الإيطاليـــن بالمنطقة، لذا كثرت الكنائـــس اللاتينيـــة بالمنطقة. ومن ضمنها كنيســـة وديـــر العذراء جبل الكرمل للرهبان الفرنسيســـكان بشارع الوابور الفرنســـاوى المتفرع من شارع 26 يوليو أمام الســـينما القديمة (على بابا)، وكنيســـة كور دو إيســـوس ســـاكروم بشـــارع عبد الخالق ثروت. وكان هنـــاك عدد من المـــدارس كذلك حيث كان عدد الجالية حتى خمسينيات القرن العشرين حوالى 3600 نسمة. إلا أن الاعتـــداء الإرهابى 11 يوليو 2015م أدى لانســـحاب الإيطاليين من المنطقة وإغلاق النادى الاجتماعى والمعهد. ولم يبق الآن سوى مدرســـة الفرانسيسكان بميدان التحرير وشارع محمود بسيونى وكانت مرتبطة بالإيطاليين أيضًا لكون الرهبنة الفرانسيسكانية إيطالية المنشأ. وقد اشـــتهر المركز الترفيهى أو النادى الإيطالى الذى أغلـــق بمطعم من أفضل مطاعم مصر، وكان يؤمـــه علية القوم والممثلون بجانب أفراد الجالية الإيطالية ممـــا كان يضفى رونقًا علـــى المنطقة بأسرها.

### الكنيســـة الإنجيليـة بالإسعاف

اللافتة الموضوعة على الباب تحمل اسم "الكنيســـة الإنجيلية بالإسعاف"، لكـــن البعـــض بالمنطقـــة يعرفونها ككنيســـة سانت چوزيف أو القديس يوســـف. ويقال إنها وقت إنشائها كانت تخدم الفرنسيين والألمان الإنجيليين، إلى أن استقل الألمان الإنجيليون بكنيســـة منفصلة. وقد بنيت فى 1913م وتجددت فى 2003م. وقد ظلت الكنيســـة حتى 1975م فى خدمة الجالية الفرنســـية، حيث بنيـــت بالطوب الأحمـــر وبطراز معمارى لـــه جزء علوى مثل الشـــكل الهرمـــى أو الجمالونى المدبب ككنائس فرنســـا وسويســـرا. ولكن مع انحسار الجاليـــات الأوروبيـــة فقـــد خصصت الكنيســـة لخدمة المصريين الإنجيليين مؤخرًا. وتعد فى معمارها وقلة زخارفها من أبســـط الكنائس المتبقية بالمنطقة، كما أن الطائفة لا تتبع نظام الكهنوت ولا يرتدى القساوسة زيًا محددًا بل يرتدون

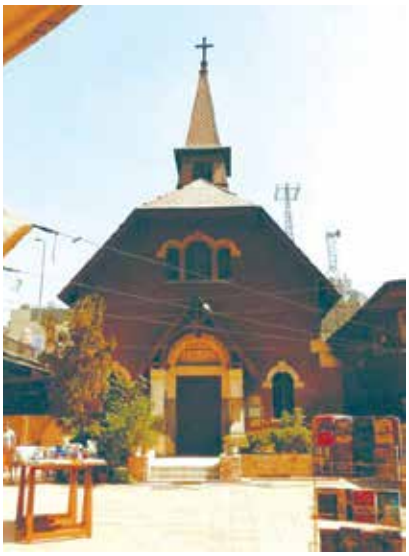

الكنيســـة الإنجيليـة بالإسعاف

الملابس العادية.

## مطرانية الأرمن الكاثوليك

هنـــاك مطرانية لطائفـــة الأرمن الكاثوليك فى 36 شارع صبرى أبو علم بحى عابدين. بنيت الكنيسة فى 1926م ثم تم عمـــل تجديد لها عـــام 2002م. ويقوم المطران الحالى كريكور كوســـا بعمل صلاة ســـلام بصفة شبه دورية لكل الديانات والطوائف ويحضرها عدد من مشايخ الأزهر وممثلون عن الطوائف المســـيحية الأخرى. وكانت هناك مكتبة كبيرة بالمطرانية تم نقلها لكنيسة الأرمن بمصر الجديدة لصعوبة ركن السيارات فى وسط المدينة.

## كنيســـة سان آنـــدروز

أو القديـــس أنـــدراوس المتحدة بالإسعاف، وتقع فى 38 شارع 26 يوليو عند تقاطعه مع شـــارع الجلاء ومحطة مترو عبد الناصر. وتتميز باســـتقبالها لكل الطوائـــف والجنســـيات بترحاب للتعبد. وهى مرتبطة بكنيســـة إسكتلندا واللغة الغالبة عليها هى الإنجليزية وهى لغة القداس الرئيسى الذى يعقد صباح الجمعة فى العاشرة. وتركز الكنيســـة منذ عـــام 1978 تقريبًا على مســـاعدة اللاجئين وتقيم معارض دورية بمقرها لمنتجات اللاجئين وأشـــغالهم اليدوية لحوالى خمس مجموعات مختلفة، منهم الســـودانيون والنيجيريون والعراقيون. وتشـــمل رعاية اللاجئين تعليم الأطفال وتوفير وجبة للأطفال ولبن، ومســـاعدة الكبار فـــى عمـــل منتجـــات لبيعها

المعبد اليهودى بشارع عدلى "شعار ها شمايم"

سوق الأقمشة بوكالة البلح

والمساعدة فى حل المشـــاكل، وغيرها مـــن الخدمات للاجئيـــن. ويرجع مبنى الكنيســـة لعـــام 1908م وهى أيضًا كنيســـة صغيرة الحجم مثل الكنيســـة المقابلـــة البروتســـتانتية أيضًا ولكن بها حديقة أكبر تقلصت كثيرًا بســـبب العمران.

## الكنيســـة الإنجيلية الألمانيـــة

بالقرب من مبنـــى جريدة الأهرام بشارع الجلاء وعنوانها 2 شارع الجلاء. فى عام 1869م منح الخديو إســـماعيل قطعـــة أرض بشـــارع المغربى، وهو شارع عدلى الآن، للألمان والسويسريين الذين استقدمهم لمشروع قناة السويس، لبناء كنيســـة. وقد قام الأمير فريدريك ويلهلم بوضع حجر الأساس للكنيســـة التى كانت بشارع المغربى قبل أن يصبح الإمبراطور فريدريك الثالث. وفى 1907م قامت الطائفة الإنجيلية البروتســـتانتية ببناء تلك الكنيســـة ومعها مدرســـة ومسكن، وبدأت الصلاة بها منذ 1911م. ومؤخـــرًا فتحـــت الكنيســـة أبوابها للاجئين الأفارقة. وتتكون الكنيســـة من أربعة طوابـــق، بالطابق الثانى منها أرغـــن كبير أثرى. وتتميز الكنيســـة بعشر نوافذ من الخشب والزجاج الملون، وعشـــر دوائر زجاجية ملونة بالسقف. وعند الباب الداخلى تمثالان عند أعمدة،

أحدهما للقديس فيليب ميلانشتون الذى بنى كثيـــرًا من المدارس الألمانية لمن لا يملكون الإمكانيات للتعلم، والآخر لمارتن لوثر مؤســـس الطائفة الإنجيلية والذى نادى بإصلاحات دينية.

## كنيســـة العذراء جبل الكرمـــل

وتقع بشـــارع الوابور الفرنساوى (رقـــم 7) المتفـــرع من شـــارع 26 يوليـــو، وبهـــا مبنى ملحـــق للرهبان الفرانسيســـكان، وهى طائفة إيطالية الأصل كاثوليكية المذهب أنشأها القديس الإيطالى فرانســـيس الأسيزى فى القرن الثالث عشـــر الميلادى. أنشئت الكنيسة بين 1926-1929م بواســـطة الجالية المالطية التى كانت مقيمة بـ"بولاق أبو العلا"، وهى تتبع كنيسة روما ويشرف عليها الآباء الفرانسيســـكان. كانت اللغة الســـائدة بها هى الفرنســـية حتى عام 2003م. بنيت الكنيســـة على شـــكل صليب وبهـــا 39 عاموداً، عدد الضربات التى تلقاها المسيح. وفى 2003م بدأت الصـــلاة فيها أيضًـــا بالعربية للأقباط الكاثوليك. وتعد من أكبر وأفخم كنائس بولاق ويدل حجمها ومعمارها والرخام الكثير المستخدم على ثراء ونفوذ الجالية الإيطالية فى مصـــر، خاصة بولاق، فى أوائل القرن العشرين.

كنيســـة الروم الأرثوذكـــس

بجـــوار مبنى الأهرام، كنيســـة كونســـتانتين (قســـطنطين) وهيلينا، وتتميز بطـــراز معمارى فريد وزخارف كثيرة وبها برج ســـاعة (معطلة حاليًا). وعلى الجانب الآخر مـــن مبنى جريدة الأهرام هناك مبنى آخر يتبع الكنيســـة وبه برج ساعة آخر. وقد تعذر الحصول على معلومات عن الكنيســـة التى يبدو أنها مهجورة، لكن أهل المنطقة يطلقون عليها كنيســـة اليونانييـــن. وتعانى طائفة الروم الأرثوذكس من تراجع أعداد الجالية اليونانية، فاضطرت مؤخرًا لبيع عدة كنائس تم هدمها، منها كنيســـتان مميزتان بالمنصورة. إلا أن كنيســـة الجلاء هذه بمعمارها المميز وزخارفها ستكون إزالتها خسارة كبيرة إن تم ذلك. ونأمـــل ألا تُزال تلك الكنيســـة لطرازها المعمـــارى الأثرى المحبب ونقوشـــها الكثيرة.

كوبرى إمبابة

مدرسة الفرانسيسكان بالتحرير

## كنيســـة القديسة دميانـــة

تعرف فى المنطقة بكنيسة القديسة دميانة، لكنها غالبًا مكرســـة على اسم القديســـة الشـــهيدة دميانة والأربعين عذراء. وقد أضيف لهـــا مبنى آخر هو كنيسة جميع القديسين. وكنيسة دميانة تتبع طائفة الأقبـــاط الأرثوذكس، وتقع فى 2 شـــارع العدوية البرانى المتفرع من شـــارع الصحافة بالقرب من مبنى الأهرام. وأنشـــئت فى 1905م فى عصر البطريرك أو البابـــا كيرلس الخامس. وكانت القديسة دميانة قديماً ابنة مرقص حاكم إقليم البرلس، ولها دير كبير عامر حاليًا بالراهبات فى برارى بلقاس بشرق الدلتا. وقد اشتهرت بكونها من أوائل من أنشأ بيوتًا للعذارى كما كان يطلق على الرهبانيات النســـائية، كما أنها عادةً ما تصور مع الأربعين عذراء، عشرون على كل جانب حيث استشهدن معها.

## كنيســـة كوردى إيسو ساكـــروم

Cordi Iesu Sacrum أو كنيســـة قلب يســـوع المقدس، وتقع أمام نقابة الصحفيين وعنوانها 3 شارع عبد الخالق ثـــروت. وكان القس دانيـــال كومبونى قد طلب قطعـــة أرض بتلك المنطقة من الخديو إسماعيل لإنشاء معهدين للطلبة السودانيين المسيحيين. وهى كنيســـة تتبع الكاثوليك اللاتين أو الرومان وهى من أكبر وأفخم الكنائس بالمنطقة.

كنيســـة الأرمـــن الأرثوذكـــس

بشارع رمسيس، كنيســـة القديس جريجوريوس المستنير، وتقع فى 179 شارع رمسيس. وقد صممها المهندس ليفون نافيليـــان، ومولها بوغوص نوبار باشا. وهى مميزة بمعمارها ذى الصبغة الأرمنية الواضحة فى شكل القباب. وبها تسعة أجراس ومكتبة ومركز طبى، وتعد من أكبر الكنائس بمنطقة وسط القاهرة

عامةً.

## كنيسة سان جوزيف

وتقع بشارع محمد فريد أمام بنك مصر. وتتبع الرهبان الفرانسيسكان الكاثوليك ولهم دير بها. أنشئت الكنيسة فى 1950م وتم تجديدها حوالى 1996م، وهى مميزة بمعمارها الذى زين بشكل المشهر وهو صفوف بيضاء أفقية تقطعها صفوف حمراء أو طوبية اللون، وبفنائها تمثال للقديس فرانسيس الأسيزى، مؤسس الرهبنة الفرانسيسكانية. وملحق بها قاعة النيل ومقر المركز الكاثوليكى للسينما الذى يلعب دورًا مؤثرًا فى الحياة الثقافية فى مصر. وحاليًا يقيم الراهب بطرس دانيال المسئول عن المركز السينمائى بالكنيسة، حفلًا موسيقيًا سنويًا فى وقت أعياد الميلاد، صار الآن لشهرته وجودته يعرض على كثير من القنوات التليفزيونية مثال قناة روتانا.

## جامع "أبو العلا"

يعد جامع السلطان "أبو العلا" من أهم معالم المنطقة وأشهر جامع كان بها يومًا ما، بدليل أن اسم "أبو العلا" صار يرمز للمنطقة كلها. كان الشيخ الصالح حسين أبى على المكنى باسم الشيخ "أبو العلا" الذى توفى فى 1486م، من أصحاب الكرامات. وقد سمى أيضًا بالسلطان "أبو العلا" رغم أنه لم يكن سلطانًا ولا حاكمًا، لكنه لقب أطلقه عليه مريدوه حيث كان بمثابة سلطان للأولياء كما تقول اللافتة بباب الجامع. وكانت له خلوة فى زاوية صغيرة على النيل بمنطقة "بولاق أبو العلا" الحالية التى عرفت باسم الشيخ لاحقًا. وكان من مريديه تاجر كبير هو الخواجة نور الدين على البرلسى الذى أوصاه الشيخ بالاهتمام بخلوته وتكبيرها. فبنى هذا الجامع على طراز المدارس المتقاطعة الإيوانات المنتشرة فى العصر المملوكى، وألحق به ضريح وقبة دفن فيها الشيخ أبو العلا فيما بعد. ودفن بالجامع عدة مشايخ آخرين فى عصور لاحقة، منهم الشيخ أحمد الكعكى المتوفى فى 1545م والشيخ مصطفى البولاقى الذى توفى فى 1846م. ويعد المنبر الخشبى من النماذج الشهيرة للخشب المطعم فى عصر المماليك الجراكسة. وعليه نص يذكر اسم صانعه على بن طنين.

كنيسة كوردى إيسو ساكروم

## جامع سنان باشا

يُعد جامع سنان باشا ثانى أقدم جامع أنشىء فى العصر العثمانى، وأكبر مسجد أثرى فى "بولاق أبو العلا". وكان سنان باشا والياً لمصر مرتين فى القرن السادس عشر الميلادى بين 1867 و1871م، وبنى مسجده على النيل مباشرة فى بولاق بين 1567 و1571م، وتحطمت آخر أسواره الخارجية عام 1902م. ويقع بشارع السنانية بمنطقة السبتية بحى "بولاق أبو العلا". ونظرًا لضيق المسافة لقربه من النيل، فلم يخطط المصمم المعمارى لفناء كبير أمام المسجد، وله ثلاثة إيوانات فى الجهات الشمالية والجنوبية والغربية. وتبلغ أبعاد المسجد 35 فى 37 متراً ويبلغ قطر القبة 15 متراً، وبنيت من الداخل بالآجر أو الطوب الأحمر وبها ست عشرة (16) نافذة.

وتوجد مزولة من القاشانى بالجهة الجنوبية الغربية للمسجد أنشأها حسن الصواف فى 1862م. وأنشىء الجامع على الطراز العثمانى لذا نجد أن مئذنته التى تقع فى الجانب الجنوبى الشرقى وبها شرفة ومستويان تفصلهما شرفة دائرية، على شكل القلم الرصاص تبعًا للطراز العثمانى فى عمارة المآذن. وهناك عدة ملحقات بالجامع منها بيت للقهوة وحمام أثرى. وقد قام بعض الأشخاص بتحويل الحمام الأثرى إلى فندق ضمن التعديات التى تتم فى بعض الأحيان، ثم استردته الآثار فى الألفينيات وهو مغلق منذ ذلك الحين.

## جامع القاضى يحيى

يعتبر جامع القاضى يحيى أقدم جوامع منطقة "بولاق أبو العلا" حيث بنى فى عصر دولة المماليك الجراكسة. بناه القاضى زين الدين يحيى سنة

محطة مصر ( باب الحديد)

باب الحديد من روائع المخرج العالمى يوسف شاهين

## بـــولاق أبـو العـــلا

1449م أيام الســـلطان چقمق. وعرف بجامع المحكمة حيـــث تحول إلى مقر للمحكمة من القرن الســـادس عشـــر لعصر محمد على. وبـــه أربعة إيوانات أكبرها إيـــوان القبلة بثلاثة أروقة، وفناء مكشوف. وتقع المئذنة إلى يسار الباب الغربى ولم يبق منهـــا الآن إلا قاعدتها ودورتها الأولى. وحدث تعدٍ خطير على الجامـــع إذ احتله أحـــد التجار لتخزين الخردة، ومنع المصلين ومفتشى الآثار من دخوله لسنوات.

### متحف المركبـات الملكيـــة

ويقع بشـــارع 26 يوليـــو مجاوراً لوزارة الخارجية وبالقرب من مســـجد "أبو العـــــلا". وكان فى الأســـاس مبنى مصلحة الركائـــب الخديوية التى أنشأها الخديو إســـماعيل بأواخر فترة حكمه. وعرفت لاحقًا باسطبلات الخاصة الملكيـــة، أو اســـطبلات الملك كما كان المارة يســـمونها. ويتميز المبنى المطل على شـــارع 26 يوليو بنقـــوش بارزة لرؤوس خيول غاية فى الروعة. وتحول المبنى إلى متحف المركبات الملكية وبه حوالى 78 عربة منهـــا 22 عربة جاءت كهدايا للأسرة العلوية من عصر الخديو اســـماعيل لعصر الملك فـــاروق. وكان به مكان لعربات القطار، واســـتراحات للســـائقين والعاملين. وللأســـف أغلق المتحـــف للترميم منذ أكثر من عشـــر ســـنوات وتعطل العمل بالترميمات منذ ينايـــر 2011م. ويقول حارس المتحف أن سائحًا ألمانيًا جاء للمتحف قبل غلقه وقال إن جـــده كان يروى لـــه أنه كان يحمل لقب "صانـــع المركبات الملكية" فـــى عصر الملك فـــؤاد الأول، وأنه كان يحفر اسمه بجزء خفى بالعربات. وتأكد السائح بالفعل من صحة الرواية عندما عثر على اســـم جده، مما يثبت أيضًا أن ملوك مصـــر كانوا يقـــدرون الصناعة الألمانية للمركبات.

### مبنى محطـة مصـــر

تقع محطة مصر بمنطقة عرفت فى السابق بمنطقة باب الحديد حيث يقال إن بوابة حديدية كبيرة كانت بالمنطقة. وفى عصـــر الرئيس عبد الناصر تم نقل تمثال رمســـيس الثانى الضخم من ميت رهينة أو منف بالجيزة أمام المحطة، مع إضافة نافورة تنبثق عند قدمى التمثال. ومنذ ذلك الحين عرف الميدان وشـــارع الملكة نازلى ســـابقًا بميدان وشـــارع رمسيس. وفى عصر الرئيس مبارك تمت تسمية الميدان والشارع ومحطة المترو باســـم الرئيس مبارك. وبعد 25 يناير 2011م ســـميت محطة المترو بمحطة الشـــهداء، بينما ظل ســـكان القاهرة يطلقون على الميدان والشـــارع اســـم رمسيس. وظل اسم باب الحديد مرتبطًا بالمحطة، خاصة بعدمـــا قدم المخرج المصرى العالمى يوســـف شاهين فيلم "باب الحديد" الذى صور بمحطة مصر بالقاهرة. وكان فيلم "باب الحديد" من بطولته مع هند رستم وفريد شوقى.

وتعد السكة الحديد ثانى أقدم سكة حديد عالمياً، حيث أقيمت فى انجلترا بين عام 1789م- 1830م وأقيمت فى مصر فى 1853م. ويرجع مبنى محطة مصر لهذا التاريخ حيث أعد لافتتاح الســـكة الحديد. وكان أقدم خط سكة حديد فى العالم يربط بين ليفربول ومانشســـتر بإنجلترا. وقد ارتبطت مانشستر ارتباطًا وثيقًا بمصر حيث كانت مصانع القطن هناك تعتمد على القطن المصرى طويل التيلة. وقد أنشأ الســـكة الحديد بمصر حفيد الإنجليزى الذى اخترع القطارات. أما عن خطى القطار والمســـافة بينهما وعرض عربات القطار فحســـبت تبعًا للمقاييـــس القديمـــة المرتبطة بعصر الرومان، وهى مسافة اثنين من الخيول

متجاوريـــن. وتوجد أقـــدم قاطرة فى العالـــم الآن فى مصر وهـــى معروضة بمعبد الكرنك الشـــهير بالأقصر، وهى قاطرة صغيرة الحجم جلبت لتســـتخدم فى أعمال الحفائر بالمعبد. وكان هناك متحف للسكة الحديد بمحطة مصر على رصيف رقم واحد، لكنه أغلق أبوابه ولم يفتح بعد أعمـــال التجديدات التى تمت بالمحطـــة بعد ينايـــر 2011م. وكان المتحف يحتوى على عدد من القطارات النادرة التى كانت تعمل بالفحم والبخار، وعدد من عربات القطارات.

## مستشفى الجلاء التعليمي

يرجع مبنى المستشـــفى بتقاطع شـــارع الجلاء مع شارع 26 يوليو لعام 1934م فى عصر الملك أحمد فؤاد الأول الذى كانت المستشـــفى باسمه. بعدها سميت بمستشفى الأوقاف، ثم مستشفى الجلاء. والعنوان هو41 شـــارع الجلاء، ويعرفها الشعب باسم مستشفى الجلاء للولادة لتخصصها فى أمراض النســـاء والأطفال والتوليد. والمبنى نفســـه من الطوب الحرارى الأحمر.

## فتـــوات بـــولاق

اشـــتهر ســـكان بولاق الأصليون بالشـــهامة والإقدام. وقـــاوم أهل بولاق الحملة الفرنســـية، كما عرف حى بولاق بحى أولاد البلد الفتوات. وكان الفتوة فى النصف الأول من القرن العشرين شخصًا قويًا شهمًا، يدافع بنبوته عن الضعفاء. بعدها تحولت الفتونة إلى شـــيء أقرب للبلطجة قوامـــه التلميح بالعنف مقابل إتاوة دورية نظير الحمايـــة، علمًا بأن عدم دفع الإتاوة يؤدى للعنف من جانب الفتوة البلطجى وأعوانـــه. ومن فتوات بولاق الذين اشتهروا فى القرن العشرين إبراهيم كروم فتوة الســـبتية، وســـلامة صبرى بمنطقة الفرنساوى. وهناك فيلم مشـــهور إنتاج 1981م باسم "فتوات بولاق" بطولة فريد شوقى ونور الشريف وإخراج يحيـــى العلمـــى. وبالإضافة للفتونة، اشـــتهر حى بـــولاق بمطاعم الفول والطعمية، وبمخابز عرفت بإنتاج السميط، الذى يشبه pretzels ويصنع مـــن عجين طـــرى. واعتـــاد البائعون الجائلـــون أن يأخذوا الســـميط المميز من بولاق ليبيعـــوه على كورنيش بولاق والكبارى مع البيض المسلوق والجبن.

## مستقبل حى بـولاق

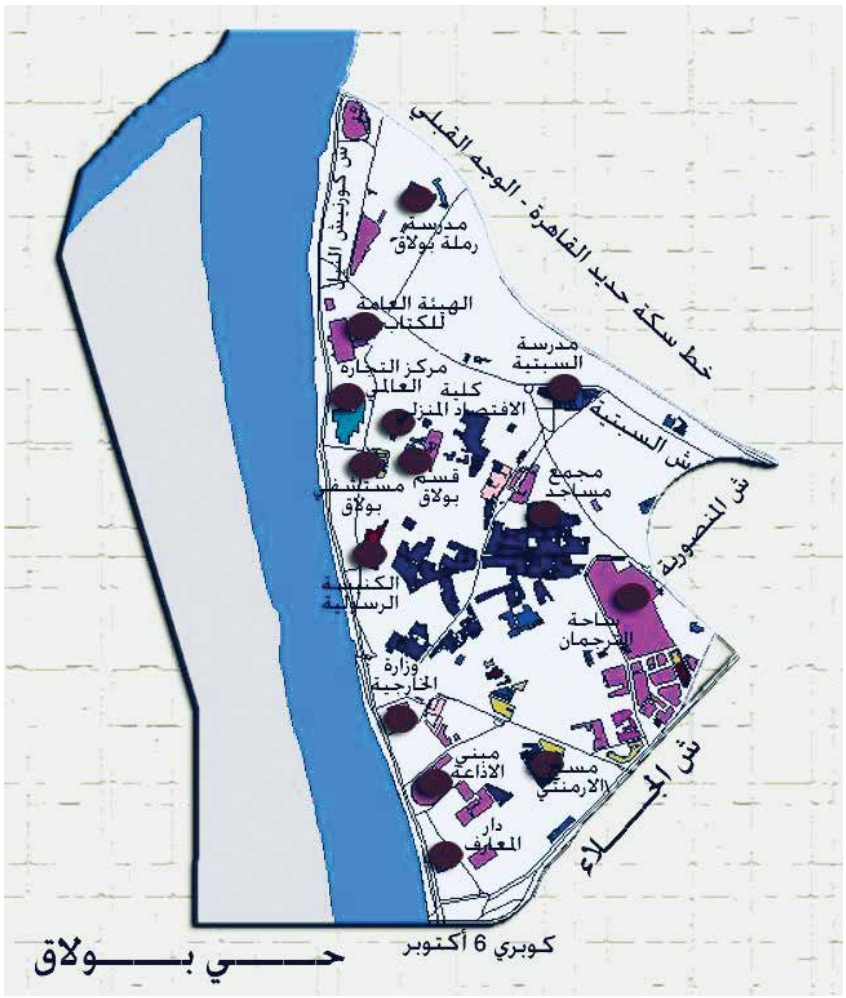


خريطة عامة لبولاق أبو العلا

تصور تخيلى لتطوير مثلث ماسبيرو

لم يتم بعد الإعـــلان عن تفصيلات المخطط الخاص بمنطقة "بـــولاق أبو العـــلا"، إلا أن تكهنات أهل المنطقة تـــدور حول تشـــييد مراكـــز تجارية، ومكاتب إدارية وفنادق ومساكن فاخرة فى أبراج، وحدائق، ومحطة تحت الأرض لخط المترو الجديد الذى يجرى إنشاؤه. وتدور مخاوف أهل المنطقة حول قلقهم مـــن إزالة أجزاء أخـــرى ضمن مخطط المنطقة العمرانى. ولكن المؤكد أن شكل المنطقة ســـيختلف كثيرًا فى السنوات القادمة.

# بوغوص بك يوسفيان 1768-1844

**يعتبر بوغوص بك يوسفيان (أو الترجمان أو الخواجة) المؤسس الحقيقى للخارجية المصرية فى العصر الحديث، كما يعتبر من جانب أخر المؤسس المحورى للجالية الأرمنية بمصر، وذلك لدوره فى تشجيع العديد من أبناء جلدته للهجرة والاستقرار بمصر وبناء المؤسسات الخاصة بهم، استناداً للمكانة السامية التى وصل إليها خلال فترة حكم محمد على الذى اعتمد عليه فى إدارة ملفى التجارة والسياسة الخارجية، لمواهبه وإمكانياته الدبلوماسية واللغوية والإدارية المتميزة.**

**مستشار ناجى غابة**

naguighaba@hotmail.com

ولد بوغوص بأزمير، وكان فى بداية حياته المهنية ترجماناً (مترجم) للقنصلية البريطانية فى مسقط رأسه، ثم ألحق للحملة العثمانية التى توجهت لمصر فى عام 1801 لطرد الفرنسيين منها، كترجماناً للصدر الأعظم (الوزير الأول)، ويعود بعدها بسنتين إلى مصر مع على باشا بوغول الملقب بالجزائرى أحد الولاه العثمانيين المعينيين لحكم مصر. ويذكر نوبار باشا نوباريان (نجل شقيقة بوغوص) فى مذكراته: أن بداية معرفة محمد على بخاله كانت بعد فترة قليلة من تنصيبه والياً على حكم مصر، وكان بوغوص أو الخواجة (كلمة تعنى السيد فى العمل) رئيساً لخزانة جمارك دمياط، وعلى إثر مناقشة بينه وبين محمد على فى بعض الأمور المالية استشاط الأخير غضباً منه، وصاح قائلاً: «فليسق من قدميه»، وكانت إشارة كافية لقواسيه لإعدامه، فتقدم أحد القواسة بسرعة لتنفيذ الأوامر، ولكن القواس كان تركياً مديناً بمعروف لبوغوص، فتظاهر بأنه يقوده إلى شاطئ النيل لإلقاء جثته بعد إعدامه، إلا أنه أخذه إلى منزل مهجور حيث اختبأ وعاد ليخبر محمد على بأن أوامره قد نفذت.

وبعد فترة وجيزة مر محمد على بضائقة مالية فى رشيد واحتاج بشدة إلى النصيحة، قائلاً:»رباه، لو كان بوغوص هنا لأنقذنى من هذه المنحة»، وكان القواس الذى أمر بقتل بوغوص حاضراً، واعتقد أن الوالى تساوره الشكوك نحوه ويريد التأكد من تنفيذه لأوامره، فإرتمى تحت قدميه طالباً الرحمة، فسأله: «لم الرحمة؟»، فإرتجف القواس وأقر بأنه لم ينفذ الأوامر، فصاح محمد علي:» بوغوص حى؟ اذهب وأحضره حالاً، وإلا دفعت رأسك ثمناً لرأسه» وتم استدعاء بوغوص، ومنذ ذلك الحين لم تمر أى سحابة سوداء لتعكر صفو الثقة التى رسخها بوغوص فى نفس سيده. وفى 5 يونيو 1819م أصدر محمد على أمراً موجهاً لبوغوص لنفى الرعايا الأجانب العاطلين عن الزراعة والتجارة والمشبوهين إلى بحر برة (خارج البلاد) ومكاتبة القناصل بذلك، ليصبح بذلك مسئولاً عن ملف العلاقات الخارجية نظراً لقدرات الخواجة المالية وإجادته لعدة لغات، فإلى جانب التركية والأرمنية، كان يجيد اليونانية والإيطالية والفرنسية، إلى أن أصبح أول ناظر للخارجية المصرية لدى ترأسه لديوان التجارة والأمور الأفرنكية عام 1826، وظل فى هذا المنصب حتى وفاته عام 1844.

وتولى بوغوص خلال توليه منصب نظارة الخارجية العديد من المهام، كان أهمها: إدارة شئون رعايا الدول الأجنبية المقيمين بمصر، والتعامل مع القناصل الأجانب فى مصر والذين كانوا فى أغلبهم مقيمين بالإسكندرية، مما ترتب عليه أن نقل بوغوص مقر إقامته للإسكندرية، بالإضافة إلى مهمة توجيه أوامر محمد على إلى وكلائه (الكاتخدا) فى الخارج للحصول على مختلف احتياجات الوالى الحربية أو الاقتصادية أو التعليمية، أو لتلبية متطلبات الباشا الشخصية.

ونجح بوغوص خلال فترة توليه حقيبة السياسة الخارجية فى أداء مهمته بنجاح منقطع النظير، حيث احتفظ بعلاقات ودية مع جميع الدول الأوروبية، وأدار المفاوضات المعقدة مع الباب العالى والقوى العظمى خلال أزمتى 1833 و 1840 بمنتهى الاقتدار، مع نجاحه فى تقويض معاهدة بلطة ليمان التى أبرمت بين بريطانيا والدولة العثمانية عام 1838 بهدف القضاء على النظام الاقتصادى لمحمد على. وتم وصف بوغوص بتاليران الصغير (وزير خارجية نابليون المحنك)

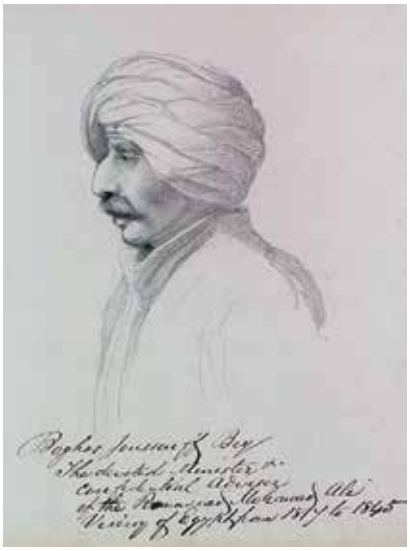

لوحة زيتية لبوغوص بالمبنى الإدارى كاتدرائية الأرمن الأرثوذكس بالإسكندرية

شاهد قبر بوغوص بك فى الحديقة المتاخمة للكنيسة الأرمنية بالإسكندرية، من الرخام على طراز الباروك

الكاتب مع الأب جريجور موراديان مطران الأرمن الأرثوذكس بالإسكندرية وفى الخلفية صورة مؤسس الخارجية المصرية والجالية الأرمنية بمصر

تمثال نصفى لبوغوص (Buste) من البرونز، يتوسط بهو النادى الإجتماعى الأرمنى بالإسكندرية

مدخل المدرسة الصناعية الأرمنية بالإسكندرية، وتحمل اسم بوغوص تكريماً له من قبل الجالية لهبته أرض المدرسة والكاتدرائية من أملاكه الخاصة

حيث اعتبره العديدون ممن أرخوا لعصر محمد على - كرينيه قطاوى - أنه أهم موظف حكومى فى إدارة محمد على، وأنه لم يشاركه فى هذه الأهمية إلا عثمان نورالدين الذى كان مسئولاً عن الأوضاع الداخلية. ولم تقتصر مسئوليات بوغوص على صعيد العلاقات الخارجية، فكان له دور كبير فى صنع القرار الاقتصادى لمحمد على، حيث أن جميع المسائل والمشكلات المالية والتجارية التى واجهت محمد على أوكلها بلا استثناء الى بوغوص للبت فيها وحلها، ويكفى دليلاً على ذلك أن الوالى قد اصدر أوامره فى 1825 بضرورة اخذ رأى بوغوص قبل الاقدام على بيع أى محصول، بل واستشارته فى كل سلعة تصدر الى الخارج أو تستورد منه.

ويقال أنه صاحب الفضل فى إدخال فاكهة اليوسفى لمصر وعرفت باسمه منذ ذلك الحين (اليوست أفندي).

كما كان بوغوص مسئولاً عن تنظيم البعثات التعليمية إلى أوروبا، فأسفرت اتصالاته مع أصدقائه الأوروبيين عن استبعاد الدويلات الإيطالية لإنتشار أنظمة الحكم الاستبدادية فيها وتعصبها دينياً ضد المسلمين، ولكنه آثر فرنسا التى اتسمت بتسامحها مع الغرباء ومؤسساتها التعليمية ذات المستوى الرفيع، فضلاً عن مناخها الصحى، وقد اختار بوغوص عدداً كبيراً من اعضاء بعثة 1826 الى فرنسا (البعثة الأولي)، وكان منهم أربعة من الأرمن، وظل بوغوص ينظم البعثات إلى أوروبا، ويتراسل مع المشرفين والمسئولين هناك، أما المبعوثون الى انجلترا فقد اصدر محمد على امراً الى ابنه ابراهيم بأن يجرى اختيارهم بواسطة بوغوص، وان يقيموا فى بيت «بريجز» صديقه كى يتعلموا فن البحرية لديه، وبذا استفاد محمد على من العلاقات الشخصية لبوغوص يوسفيان. ويتضح مدى أهمية بوغوص لدى الباشا أنه فى أعقاب وفاة الرجل عام 1844، علم الوالى بعد يومين أن مراسم دفن بوغوص لم تتم بالشكل الرسمى واللائق به، فإجتاحته نوبة غضب وأمر بإخراج الجثة من القبر وإعادة إجراءات الدفن باحتفال يشهده كبار الموظفين الذين لم يشاءوا أن تحاط جنازة ذمى باحتفالات رسمية.

# مفاعل الزمن الجميل لتخصيب الخيال

**من قال إن الزمن الجميل عبارة عن ورد بلا أشـــواك، أفراح بلا آلام، عذوبة بلا عذاب، ماء ورد بلا ماء نار، نســـيم بلا عواصف، زبيب بلا زعابيب، هدهدة بلا زلازل، دغدغة بلا صفعات، فراشات بلا عناكب، بلابل بلا خفافيش، غزلان بلا خراتيت، عسل بلا علقم؟؟**

**من قال إن الدنيا دائما ربيع والجو بديع قفل لى على كل المواضيع؟**

كلا فتحلـــى كل المواضيع فتح فتح فتح!!!

كلا إنما يكمن جمال الزمن فى هذه التباينات بشرط أن تتناسق وتتوازن أو حتى تتصارع مع احتـــرام وحدة الكل كمنظومة المعجزات التى تكون الجسد الواحد: إن تنويعـــات البهجة وأطياف الشقاء تثرى دلالة الســـاعة وتضاعف قيمة الدقيقة وتصقل ياقوتة اللحظة!

إن جمال الزمن ليـــس فى الهروب مـــن الصراعات ولا فى غـــض الطرف عن الظلم أو الســـكوت على المنكر أو تجاهل العدوان، كما أنه لا يعنى تأجيج الصراعات ولا الاكتفاء بموقف المتفرج وإنمـــا معناه التحيز للحـــق والتصدى للقهر ومحاولة تغييـــر الواقع حتى لو فشـــلت فإنه لا يرادف بالضرورة الزهو بالنصر وإنما يرادف بذل كل شىء فى ســـبيل إحقاق الحق والشهود على الحق وقول الحق وتكريس كل نفس من أجل أن يسود العدل ويسطع الحب!

أى أنه النقيض المطلق لكل أشكال الطناش: الذاتى والقومى والدولى!

بـــل إن أجمل مـــا فـــى الزمن هو التحـــدى إذا تحول من مجـــرد رد فعل إلى إستراتيجية وتخطيط طويل النفس يتموج بين الخيال والواقع بين تشخيص أمراض الوجدان وعلاجها من خلال جهد منظم ومتصل لتحقيق هدف إنســـانى ســـام ابتغاء لوجه اللـــه الأعز الأكرم أو لتدبير انقلاب فى السلوك من الاستهلاك إلى الإنتاج ومن الاســـتجداء إلى الكرامة ومن التزوير إلى تحكيم الضمير!

وجديـــر بالذكر أن إيقـــاظ الضمير مشـــروط بتحدى الذات: فمن العبث أن ندعى الثورية أو نزعم تعمير الأرض دون بناء الإنسان والنهوض بالوجدان وإصلاح القلوب ومجاهدة النفس فى كل لحظة.

**سفير د. محمد حسونـة**

mohammad.eternitynow@gmail.com

مـــا الذى يتبقى مـــن أجمل الأغانى المصرية إذا نزعنا منها الشجن؟ إن كل لوحات فان جوخ مفعمة بأقصى درجات التوتر ومع ذلك فهى جميلة بل إن القلق واليأس أصبحا من ملامح الحداثة الفنية ولا يعنى ذلك النواح واللطم وإنما تجاوز المعاناة والأحزان والأشجان ومهما بلغت قســـوة الواقع أو مرارة الوقت وبشاعة التضخم وشناعة الفساد ومأساة البطالة أو حتى مصيبة الاحتلال فإن القدرة على الحلم تظل هى طوق النجاة ثم حشـــد الطاقات وشـــحذ العزائـــم لترجمة هذا الحلم إلى واقع أجمل هو طريق الخلاص.

من قـــال إن الإبـــداع مقصور على المتاحف؟ كلا إنما التحرير إبداع وتقرير المصير إبداع والانتخابات النزيهة إبداع وقتل الطغاة والإرهابيين إبداع والعشق إبداع فى إبداع.. بل إن مجرد التنفس قد يتحول إلى إبداع!!

وليس شـــارع المعز بنموذج الإبداع الوحيد فى القاهرة ولا حارات الجمالية التى أبهـــرت نجيب محفـــوظ فالإبداع يتفتح فى حركة الحياة قبل أن يكمن فى الكتب بل إن تذوق شهد الرضا فى لحظة الموت قد يكون ذروة الإبداع!!!

والحمد لله إن رؤية الأبد أيضاً ليست أحاديـــة البُعد، إنمـــا التباين بين الجنة والنار فى معظم الديانات هو الذى يُعلى من حرية الاختيـــار ويدربنا على تحمل المسئولية.

ومن أجمل اللوحات فى تاريخ الفن التشـــكيلى «روضة النعيـــم» للمصور الهولندى جيروم بوش التى رسمها فى القرن السادس عشر وهى مع ذلك تفوق فـــى عصريتها مخيلة فنان الســـريالية «ســـلفادور دالى» فى القرن العشرين واللوحـــة معروضة فـــى متحف برادو فى مدريد ولم تتح لى مشـــاهدتها حتى اليوم ولكن صورتها تزين جدران غرفتى منذ ثلاثين عاما ومازلـــت كلما تأملتها اكتشـــفت فيها دلالات وتفاصيل كانت خافية علىّ من قبـــل! وهى عبارة عن 3 لوحـــات تريبتيك متصلة تمثل النشـــأة الأولـــى ثم الفـــردوس والجحيم فتضع المشـــاهد أمام مفترق طريقين لا ثالث لهما: كأن الخروج مـــن أحدهما دخول فى الثانى.. ولم يســـتنفد مؤرخو الفن

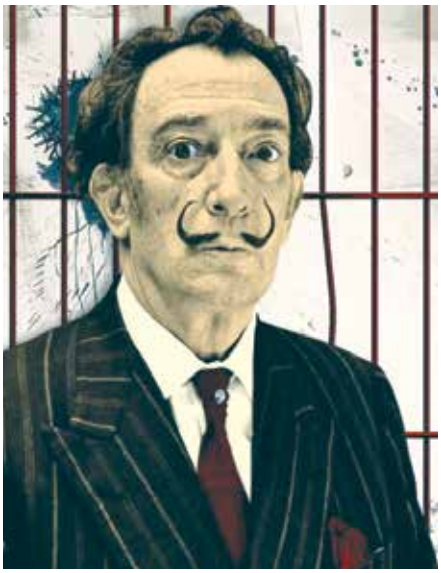

سلفادور دالى

تفسيراتها حتى اليوم.

أمـــا دالى فقد ســـعدت بزيارة بيته ومتحفه فى مدينة فيجيراس الأســـبانية ومازالت لوحاته تتحدى الخيال بغوصها فى اللاشـــعور وقدرته على اســـتخراج أجمل الدرر رغم ما يعلق بها من شوائب كابوســـية تلامس الجنـــون! وقد تمت ترجمة سيرته الذاتية إلى العربية بعنوان «يوميات عبقـــرى» كما امتد خيال دالى إلى ابتكار سلسلة من العطور وقنيناتها.

والخيال الخلاق ليـــس ترفاً ولكنه من أهم ثمـــار الصوفية لاســـيما لدى الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى وهو المطلوب لتجديد الخطاب الدينى ذلك أنه ما من وصول إلى مقام الإحسان بدونه: «اعبد ربـــك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإن يراك».

إننا فى أمـــس الحاجة لتاريخ الفن كله بـــل لمنظومة الفنـــون بأكملها كى ندرك معنى «كأنك».. كما أننا نحتاج لكل شموس الكون لنتخيل ولو «فرفوتة» من عظمة «نور على نور»!!

وربمـــا كان ســـر هـــذه العصرية المتجددة يكمن فى التموج بين السكينة والتوتر وفى هذا التـــوازن بين الصفاء والعطاء فرهافة الفنـــان تجعله يتعذب أشد العذاب من كل ما يهين الإنسان فى أى مكان على هـــذه الأرض وفى نفس الوقـــت فإن فرحة الإبـــداع التى تغمره تفوق فى حد ذاتها كل متع الدنيا!!

ومن أكثر الكتب التى يعاد نشـــرها بصفـــة دورية بمختلـــف اللغات كتاب «النبى» لجبران خليل جبران الذى لخص فيه بحثه الطويل عـــن الحكمة كما أن المعرض الذى أقيم لأول مرة عام 2000 لرســـوماته أثبت تكامل مواهبه الأدبية والتشـــكيلية بما يماثل جمع الشـــاعر الإنجليزى وليام بليك بيـــن الموهبتين والذى يصعب إنكار تأثره به.

وكلنا نذكر قصائـــده الرائعة التى خلدتها فيروز «اعطنـــى الناى وغنى» و«ســـكن الليل» و«المحبة» و«أطفالكم ليسوا لكم أطفالكم أطفال الحياة»، إلخ.. ولقد أتيحت لى زيارة مسقط رأسه فى «بشـــرى» فى جبال لبنان حيث يعتبر جمال الطبيعة بـــؤرة للإلهامات تتوهج فيها المشاعر ولا يقل عن جبران عبقرية روائى المهجـــر ميخائيل نعيمة صاحب كتاب «مرداد» وإن كان أقل شـــهرة منه ورغم الكثافة الرمزية التى تميز أسلوبه فإن الفيلســـوف كثيراً مـــا يطغى على الأديب وهى نفس الإشكالية التى شابت أعمال أديبنا المبدع إدوار الخراط والتى نجح فى تجاوزها خلال روائعه الأخيرة بوصوله إلى ذلك التـــوازن المعجز بين الشعور واللاشعور.

وربما كان المهجر أيضاً قدر الروائى الليبى الفذ إبراهيم الكونى الذى توغل فى أساطير الطوارق حتى أصبحت الصحراء بحضورها الجليل بطلة كل رواياته.

وفى ظل ثورة الاتصـــالات وطفرة المواصلات لم يعـــد للمهجر أو المنفى نفس المعنى الذى كان له فى الماضى، فالفنـــان قد يحمل وطنـــه كله بأحزانه وأفراحه فى قلبه: ولو حللتم دمه لوجدتم فيه تموج أنهـــاره وحفيف نخيله وأنين ربابته ونايه وشذى زهوره وحلاوة ثماره بل واسم معشـــوقه.. ولو حللتم خلاياه لوجدتم رفيف نوارســـه وشجو كروانه، صدى جبالـــه وهدير شـــطآنه، صفاء عسله ولذعة توابله ونفحات بخوره، بل وصورة معشـــوقه.. ولو حللتم نخاعه لوجدتم جوهر عقيدتـــه وحقيقة يقينه بل وتوحيد معبـــوده.. ولو حللتم مداده لوجدتم فيه دفقات جديدة من دمه إلخ.. كما ان الفنان من ناحية أخرى قد يشعر بالمنفى وهو داخل وطنه.

فالجمال الحقيقى ليس لعبة مسلية ولا جنونا وديعا وإنمـــا يتضمن جرعة من الخطر تزعزع أمـــرك الواقع وتخل اســـتقرارك فهو ينتـــزع مقاومتك لأنه يخاطـــب ذاتيتك الحميمة وكأنه قد خلق لك وحـــدك، يحضك علـــى التخلى عن حسابات الربح والخسارة ويحفزك على المخاطرة حتى تبصق على كل أشـــكال الخوف!!

إن الزمن الجميـــل مفاعل لتخصيب الخيـــال وتغيير الوجـــدان نحو الأرقى والأسمى والأرهف!!

فالفنـــان بطبعه متمـــرد لو احترم التقاليـــد بحذافيرها وتكبـــل بالقوانين حرفا حرفا ولو تقيد بالأعراف لما ابتكر شيئا!

وهكذا فإن مسئولية الفنان تحثه على اســـتقطار الرحيق من التجارب والمحن والألق مـــن القلق وتجاوز النكســـات والنكبـــات وتنقية الزمـــن من مختلف التلوثات وتطهيره من العوادم المتنوعة كأنه سيفون يميط القبح من الوجود أو طوفان مصغر يزيـــل الزيف من الحياة ويبشـــر بعهد جديد يصبح فيه الأجمل والأبهى والأصـــدق والأنفس متألقاً على الدوام!!

فيستشـــرف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ويعانق إيقاع الزمن فيراقص اللحظة بين مرآتين متوازيتين: الأزل والأبد..

من أشهر لوحات دالى

# جماليات الإبداع العربى والإسلامى

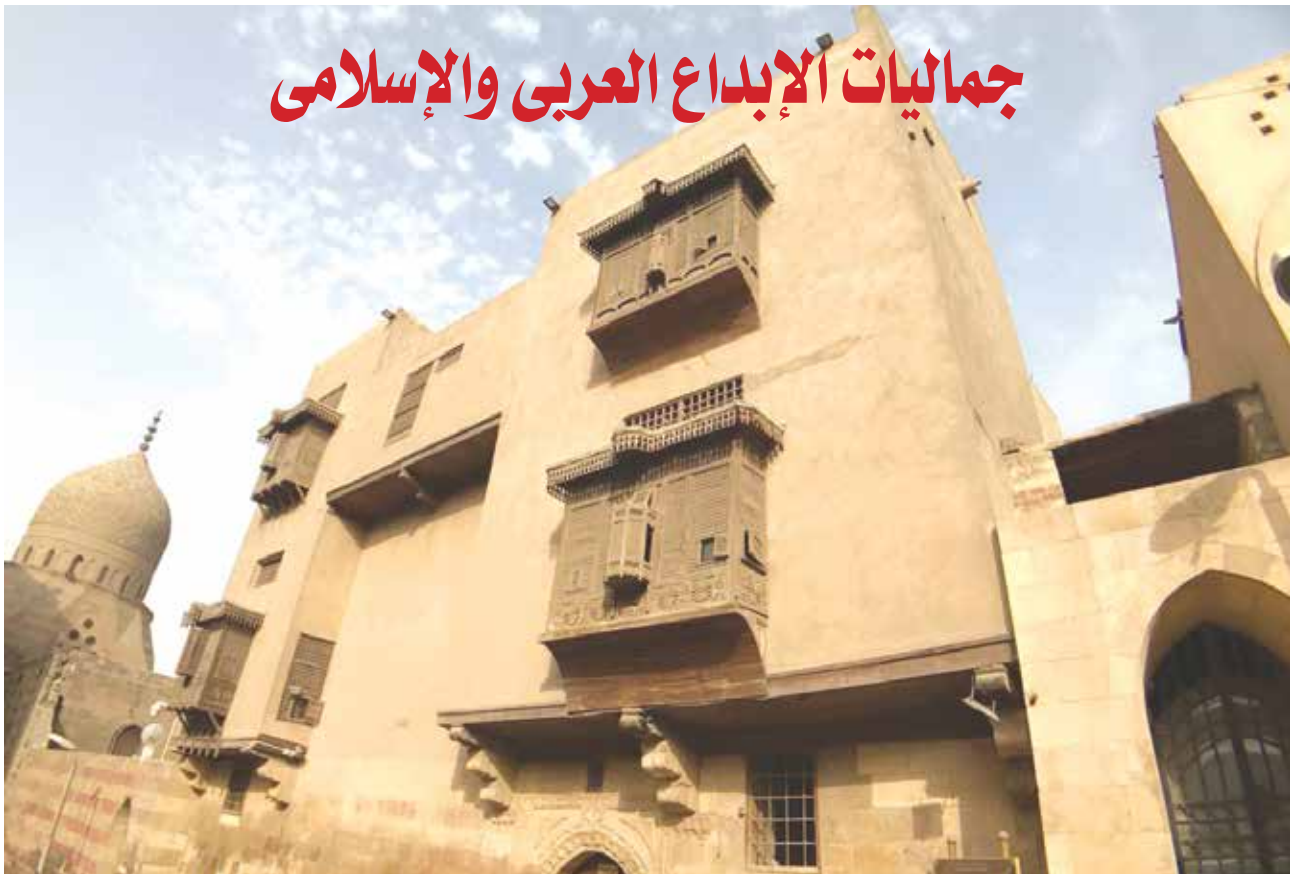

**قبل أن يتســـع مفهوم العمارة اصطلح القدماء على تعريف العمارة، في جانب منها، بأنها عقود الأبنية وكيفية إحكامها وطريق حسنها، كبناء الحصون المحكمة، وتنضيد المنازل البهية، والقناطر المشيدة وأمثالها، وأحوال كيفية شق الأنهار وإنباط المياه ونقلها من الأغوار والنجود ونحوها، وذكر ابن خلدون (ت 808هـ) أن صناعة البناء أول صنائع العمران الحضري وأقدمها .**

**أ. د. يوسف نوفل**
**شاعر وناقد**
**أستاذ النقد الادبى بجامعة عين شمس**
youssfnofal@yahoo.com

باتخـــاذ البيوت والمنازل للســـكن والمأوى فـــى المدن، وخصـــص باباً للســـكن والبناء فى مقدمتـــه عنوانه فصل الإشارة إلى أمهات الصنائع، كما تحدث المســـعودى (ت 346هـ) فى مروج الذهب، وابن الأثير(ت 630هـ) فـــى الكامل، وتحدثـــت كتب الرحلات كالوطواط (ت718هـ) فى موســـوعته مباهج الفكر ومناهج العبر فى القسم الخاص بالجغرافيا، وتحدث ابن قتيبة (ت 276هـــ) فى عيـــون الأخبار فى باب البناء والمنازل، وتحدث أبو جعفر البرقى الكوفـــى (ت274، أو 284هـ) فى كتابه المحاســـن، وابـــن عبد ربه (ت328هـ) فى العقد الفريد وغيرهم في: زهر الآداب وثمر الألباب، والموشى أو الظـــرف والظرفاء، والمســـتطرف فى كل فن مستظرف، وخصص أحمد بن يحيـــى التلمســـانى (ت 776هـ) كتابه سلوك السنن إلى وصف السكن، مخطوط، باريـــس، وفى المادة اللغوية لـــكلمة (سكن) ما يدل على أهميتها، وكذلك فى ورودهـــا فى القرآن الكريم، وقد تعددت أســـماء المنـــازل قديما، وتحدث ابن ســـيدة تفصيلا عن الدور وسماتها وأســـمائها وآثارها، وما فيها وحولها، وما يسْقف منها.

## تأثيـــر وتأثـــر

أفاد الفن الإســـلامى مـــن فنون الحضـــارات الســـابقة، واســـتوعبها بطريقته؛ فتأثـــر بالفن الساســـانى فـــى الإمبراطوريـــة الفارســـية تأثرا كبيـــرا، وبخاصة بمـــا كان فى قصور الساسانيين، وما عرف من فن النحت، وتشكيل المعادن، حيث كانت فنون ذلك العصر تتوزعها مدرســـتان: المدرسة

العراقية فيما بين النهرين، والمدرسة الفارسية فى بلاد فارس «إيران»، حيث تجلى الفن فى القصور الملكية، والعمائر، وفن النحت، والنقوش، والتماثيل، والمشغولات المعدنية من: عملات، وأطباق، وطاسات، وأباريق، وتماثيل، وزخرفة، وفى صور الطبيعة، والطيور، والحيوانات، والحياة اليومية، والخرافية، وغيرها مما أضافوه إلى ما ورثوه من فنون سابقة هيلنستية، وبيزنطية، كما تأثر الفن الإسلامى بالفن البيزنطي» نسبة إلى مدينة بيزنطة»، وذلك فى عصر الفنون من رمزية، وقد تجلى فى فن المنسوجات القبطية، وما فيها من زخارف.

وكذلك تأثر بالفن القوطى، وما عرف فيه من معالجة الأسقف، والنوافذ، والفتحات، والعقود المدبّبة، والأعمدة المركّبة من جملة أعمدة، وزخارف المشبكات، والنحت، والزجاج المعشّق بالجصّ، أو بالرصاص، ومن هنا نشط التفاعل بين الفنون السابقة، التراث العربى القديم منذ حضارة معين وسبأ وحمْير من بلاد اليمن، والحيرة والغساسنة فى الشمال، وعاد وثمود والأحقاف، من ناحية، والفنون الإسلامية، من ناحية ثانية، وآتى ثماره، منذ العصر الأموى، والعباسى، فى العمارة الإسلامية من: القصور، والقباب، والأقبية، والحنايا، والشرفات، وتصوير مناظر الطبيعة، والزخرفة، ورسم الطيور، والزخارف النباتية، والكتابية، والجامات المزخرفة بحبات مستديرة من اللؤلؤ، والفسيفساء، والعقود، والأعمدة، والتخطيطات المنتظمة، والمثمّنة، وعمارة المساجد، كما سنفصل فى موقعه.

هذا التفاعل، والتداخل مع التراث جعل الفن الإسلامى بقدْر ما هو متأثّر مؤثّرا، فرأينا كيف أثّرتْ العمارة الإسلامية فى عمارة الكنيسة الأوروبية فى العصور الوسطى، تأثيرا مباشرا أو غير مباشر، حصرها الدكتور عبد المنصف سالم نجم، وبخاصة فى القرنين: الحادى عشر، والخامس عشر الميلاديين، وبخاصة فى الأندلس، وصقلية، حيث طور الأوروبيون ما أخذوه عن العرب، وذلك عبْر طرق الحجّاج، والرحالة، والحروب، وبخاصة الصليبية، والأسْر، والتجارة، ومن مظاهر ذلك التأثير في عمارة الكنائس، تأثير المئذنة على أبراج النواقيس الأوروبية، واقتباسهم العقود المدببة فى تكوين القبو المدبب والمتقاطع، وفى تزيين النوافذ الدائرية المعقودة، واقتباسهم عقدة الفرس، والعقد المفصص، والتأثير فى نوافذ الكنائس والأعمدة المدمجة والمخلقة التى تشكل روافع الكنائس الأوروبية، واقتباسهم البريجات، والشرفات المسننة، تتويجا للكنائس، وتأثرهم بالقباب والأقبية الإسلامية، وتوظيف الحجر المشهر والرخام الأبلق، وتزيين الوجهات بالمقرنصات، والتشكيل بالخط العربى، وذلك كما فصّل القول الدكتور عبد المنصف سالم نجم فى كتابه تاريخ الفن والعمارة، المؤلف 2008.

وقد اهتم المتخصصون من الباحثين، والمستشرقين بجماليات الفنون الإسلامية، وكان من ذلك: اهتمام المعارض الأوروبية، ومنها معرض ميونخ للفن الإسلامى سنة 1910، وازداد الاهتمام بدراسة تلك الفنون، التى عبرتْ إلى أوروبا من خلال معابر عديدة على رأسها الأندلس وصقلية والبلقان عن طريق الحجاج والتجار والمغامرين، على تعدد مجالاتها.

## الزخرفة الطينية

اقترنت الزخرفة المرسومة والمجسّدة والبارزة: واقعية، وأسطورية منذ القدم بالمبانى الطينية، وبخاصة فى المناطق السهلية، منذ حضارات ما قبل الفخار، حيث زخرفة الكهوف، ثم المبانى، مع التلوين بالأصباغ النباتية والمساحيق، من ذلك ما نجده على سبيل المثال فى حضر موت، حيث مدينة تريم، وحيث قصور الأثرياء، وحيث يوجد نحو عشرين قصرا طينيا بها زخارف يونانية، ورومانية، حاملة ثقافات البحر المتوسط، وبرز رسامون ومهندسون، على نحو ما ذكر حسين أبو بكر العيدروس فى مقاله زخرفة المبانى الطينية فى حضر موت، تضم الجزيرة العربية العديد منها، ومقال فن الفخار والخزف ذوق وجمال واحتراف، للدكتورة أمينة عبد الله سالم على.

# جماليات الإبداع العربى والإسلامى

## جماليات الفن المعماري الإسلامى فى المشربية

تمثل المشـــربية المظهر الجمالى، والزينة الأصيلة فى البيت الإســـلامى، وهى الجزء البارز عن مســـتوى السمت الســـائد للحوائط والجـــدران المطلة على الشارع من البيوت، أو على الفناء الأوســـط للمنازل، زيادة فى مســـاحة الأدوار العليـــا منها، وهـــى من كلمة مشرفية، مع تحريف لحرف الفاء، حيث تشرف منها النســـاء مختبئات، أو هى من مادة «شـــرب»، حيث أوانى الشرب، حيث القلل الفخارية المبردة، ثم اتسع مفهومها ليشـــمل كل الأحجبة الخشبية ذات الزخرفـــة القائمة علـــى الخرط، فى فتحـــات النوافـــذ، أو فيما يفصل بين أجـــزاء المبنى المخصص للرجال، وللخرط التى تصنع من أجود الأخشاب، صناعة ماهرة- امتـــداد تاريخى قديم، لدى اليونان، والرومـــان، وفى البيوت والكنائس القبطيـــة، ثم طورها الفنان المســـلم، وخلع عليها الطابع الإسلامى البهيـــج، وذلك فى واجهـــات العمارة الإســـلامية من منـــازل، ومـــدارس، وسبل، أو أســـبلة، وبخاصة فى العصر المملوكى، حيث ظهر القاطوع الخشبى المنقول من مدرسة السلطان حسن إلى متحف الفن الإســـلامى بالقاهرة، وفى

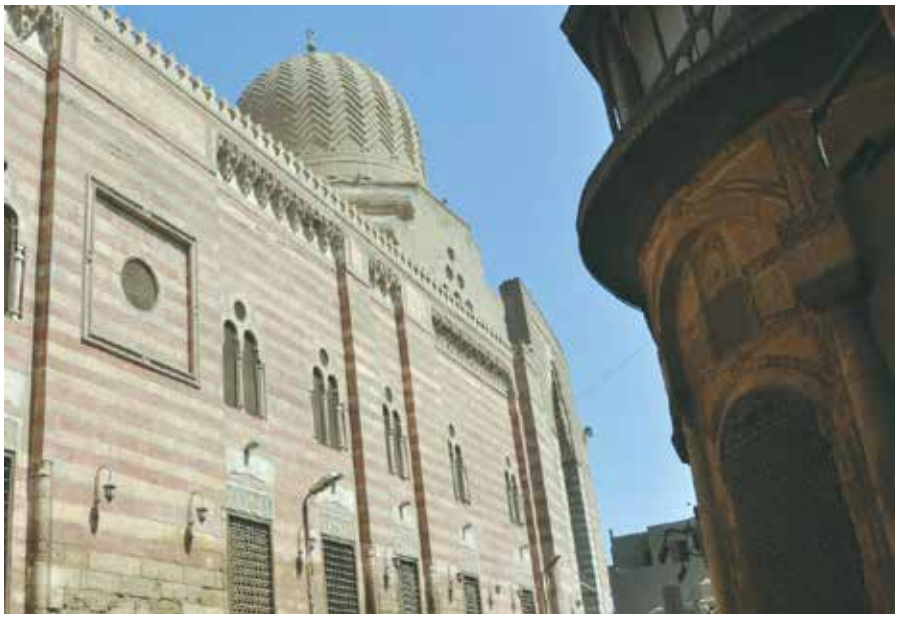

مجموعة المشـــربيات فى منزل زينب خاتون، وفى منازل القاهرة، ورشـــيد، وفوذة، فـــى العصـــر العثمانى، وفى العمارة الحجازية، مع اختلاف التسمية، حيث الروشـــن، أو روشـــان، تحريفاً للكلمة الفارســـية «روزن»، أى النافذة، أو الشرفة، وتجلى ذلك فى مدن: المدينة المنورة، وينبع، وجدة، والطائف. وفى اليمـــن تجلتْ فى مدينـــة صنعاء، وما حولها، حيث عرفت اليمن المشـــربيات الخشـــبية فى القرن الســـابع عشـــر الميلادى، تأثـــرا بالفن العثمانى، حيث عرفت بالشـــبابيك التركية، كما عرفت فـــى مدينة القـــدس، وغيرها من مدن فلسطين، وكذلك مدن أخرى كالمنامة، والمحرق فى البحرين، وطرابلس بلبنان، وســـواكين بالســـودان، وفى المغرب، وتصنع من خشـــب الزان، والأبانوس، والأرز، بفتح الهمـــزة، والجوز، والنبق، والبلـــوط، والتوت، والجميـــز، وهكذا صارت المشـــربية من الملامح الفنية الجمالية الإســـلامية، بذلك أقر الرحالة، والمستشـــرقون، والفنانـــون، وكتبوا ورسموا، ومنهم إبيرتس دافن، وديفيد روبرتـــس، وإدوارد وليم لين فى كتابه المصريون المحْدثون وعاداتهم، وآرثر ميلفيل، فى لوحته داخل البيت العربى. وقل مثل ذلك فى الأماكن المكتشـــفة فى وادى النطوف فى فلســـطين، وفى المريبط بسوريا، فى الألف السابع قبل الميلاد، حيث الاعتماد على الزخرفة على الحجارة، والاعتماد على الخط واللون.

# زرافة محمد على فى موكب قطر الندى

**تناقلت وسائل الإعلام خبر الفتاة الأمريكية التى نجحت فى اصطياد زرافة سوداء نادرة وقتلتها، خلال رحلة برية فى أفريقيا. وأثار هذا التصرف ردود أفعال غاضبة وساخطة، على هذا التصرف المتدنى المتوحش. وهذا التصرف الغريب والذى يجسد صورة متخلفة، لفتاة أمريكية ما هو إلا انعكاس لعنصرية عمياء طفحت على نفسية تلك الفتاة.**

**عادل عبدالصمد**

adelabdelsamed@yahoo.com

وهذه الصورة الشاذة استوقفتنى لأسترجع صورة أخرى عكسها، فى مطلع النصف الأول من القرن التاسع عشر، ذلك الزمن الذى هو رمز للاتصال الأوروبى بالشرق، زمن انبهار الغرب الذى شبع من واقعية الحضارة الغربية بسحر الشرق اللاهب لخيال المغامرين وقصصه الجميلة، صورة تجسد أحد فصول الالتقاء بين الشرق والغرب الذى لم يتوقف منذ قيام الثورة الفرنسية عام 1797.

صورة أول زرافة وصلت باريس، فى زمن الشغف الغربى بالشرق، وهو جزء من أثر الحملة الفرنسية على مصر، التى فتحت ذهن محمد على على القيام بتحديث مصر، ربما لأسباب حربية، أو أسباب حضارية، وفتح مجالات العلم والتنوير والصناعة واستخدم لتنفيذ مشروعه، الجنود السابقين والمبشرين، والتجار وحتى المغامرين، وحاول محمد على الاستفادة من النتائج العلمية التى نتجت عن الحملة، ومن رجالها، واعتمد محمد على، على مجموعة من العقول، منهم الأرمنى والإيطالى والفرنسى وكان أحدهم ذلك القنصل الفرنسى، من أصل إيطالى برناردیون دروفيتى الدبلوماسى والتاجر والذى كان يجيد تنفيذ رغبة الطبقة الأرستقراطية فى أوروبا، الشغوفة بحضارات الشرق.

## محمد على أهدى زرافتين لفرنسا وبريطانيا

وحكاية تلك الزرافة مثيرة وشيقة، تحمل كل عناصر الدراما البشرية ونسيجها بين الخيال والواقع، كإحدى حكايات ألف ليلة وليلة، تبدأ بالواقع الذى يؤكد أن القنصل الفرنسى فى مصر وأحد العقول التى اعتمد عليها محمد على والشهير بخفة دمه وذكائه ويدعى دروفيتى، علم أن أحد أعيان السودان واسمه موكر بيه أرسل إلى محمد على زرافتين صغيرتين، فنصح محمد على بإهداء ملك فرنسا شارل العاشر أروع وأجمل الزرافتين، ولم تكن فرنسا قد شاهدت زرافة حتى هذا التاريخ، وقرر محمد على إهداء الزرافتين إلى فرنسا وبريطانيا وطلب من القنصلين أن يختار كل منهما زرافته بالقرعة، وبعد أيام كتب القنصل الفرنسى دروفيتى إلى وزيره الرسالة التالية:

«أنا سعيد بإعلام سعادتكم أن القرعة على الزرافتين، كانت من حظنا، فقد حصلنا على الزرافة القوية والنشيطة، أما تلك التى جاءت من حظ بريطانيا فهى مريضة ولن تعيش طويلا»، وفعلاً ماتت زرافة بريطانيا بعد أشهر من هبتها.

وزرافة محمد على، هى بطلة قصتنا من خلال حكايتها المثيرة والتى سجل حكايتها الكاتب الأمريكى مايكل الين، وأصبحت تلك الزرافة أسطورة لها ألف حكاية وحكاية، وتتبع الكاتب هذه الزرافة، منذ وقوعها فريسة فى أيدى الصيادين فى سنار بالسودان، ثم نقلها إلى الإسكندرية، وركوبها البحر من الإسكندرية إلى مرسيليا، ومن مرسيليا حتى وصولها إلى باريس، وكيف استقبلها الفرنسيون، وأصبحت هذه الحكاية التى يربطها خيط واحد، هى مدخل الحديث عن حضارتين، وطرائف الحياة فى الشرق والغرب، مصر وفرنسا. نحن أمام صورة تستحق أن نتأملها بدقة ونشاهد من خلال سيناريو رحلة الزرافة، حدثاً تاريخياً تم تقديمه فى صورة جذابة، زرافة نادرة فى موكب ملوكى رهيب لمسافة 550 ميلا من مرسيليا إلى باريس كما لو كان موكب أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون وهى من أشهر النساء اللاتى لقبن بقطر

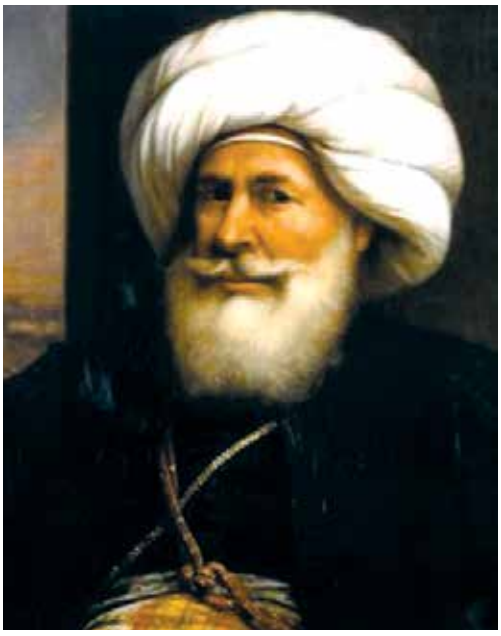

محمد على باشا

الندى فى تاريخ مصر، ويرجع ذلك إلى ما أحاط حفل زفافها من مظاهر الأبهة والعظمة حين تزوجت من الخليفة المعتضد بالله. ارتبطت أسطورة الجميلة الأفريقية التى سلبت عقول ووجدان الباريسيين بموكب وزفاف قطر الندى.

فى عام 1826 بدأت رحلة الزرافة الصغيرة، فوق الجمال وعلى المراكب النيلية ثم على السفن الشراعية بالبحر حتى وصلت إلى الإسكندرية، فى أوائل صيف 1826، وعلى مسافة ألفى كيلو متر من موطن ميلادها. أمضت الزرافة ثلاثة أشهر فى ساحة قصر محمد على المطل على البحر الأبيض المتوسط، ومع نهاية سبتمبر رتب دروفيتى لنقل الزرافة من الإسكندرية ونظم استقبالها فى مرسيليا. وكلف نقل الزرافة والفريق المرافق لها على السفينة، أى دى دوى فراتيللى، خزانة فرنسا 4500 فرنك أى 750 دولاراً أمريكياً فى ذلك الحين.

برناردينو دروفيتى قنصل عام فرنسا فى مصر

## تكريم لم يحظ به حيوان من قبل

كلف حسن وعطير بمصاحبة الزرافة طوال الرحلة وتضم حاشية الزرافة، ثلاثة أبقار حلوب وظبيين أرسلهما دروفيتى مع الزرافة وأرسل ابن أخيه ليقوم بمهمة الترجمة لحسن الذى لا يمكن الاستغناء عنه. وصنعت فتحة فى سطح السفينة الشراعية، تسمح للزرافة بالوقوف أسفلها مباشرة، وغطيت حافة الفتحة بالقش لحمايتها، من أية إصابة عند اضطراب البحر، وغطيت الزرافة بغطاء أشبه بالكانافاه لحمايتها من الشمس والمطر، وحظيت بتكريم لم يحظ به حيوان من قبل، وأبرزت السفينة الأهمية الملكية للزرافة برفع العلمين المصرى والفرنسى وأضافت المراسم العسكرية التى أداها جنود الجنرال بواييه جلالاً وعظمة على الوداع من الإسكندرية.

وشهد يوم الثلاثاء 21 أكتوبر 1826 أول موطيء قدم للزرافة فى فرنسا، واستؤجر الصيادون واستخدم قاربهم المرة تلو الأخرى، فى نقل الزرافة والظبيان والبقرات الثلاث الحلوب وحصان الجنرال بواييه من السفينة، خارج مرسيليا، ثم غادرت الزرافة مع حسن وعطير تحت حراسة مشددة، وتأهب السيد سالز وزملاؤه فى دراسة الزرافة الشابة من رأسها حتى قدميها، ووصفت التقارير الزرافة المصرية بالأفريقية الجميلة، وابنة المناطق المدارية، وتهافت كل سكان مرسيليا على رؤيتها. وفى 28 نوفمبر 1826 كتب أساتذة وإداريو المتحف الوطنى للتاريخ الطبيعى فى باريس والذى كانت الحيوانات الملكية جزءاً منه فى امتنان وفضول بالغين لحاكم مرسيليا: «إن الحيوان الذى أرسله باشا مصر، إلى الملك واحد من أسعد ما استطعنا أن نحوزه، فلثمانية عشر قرناً لم تر

خط سير رحلة نقل زرافة محمد على باشا من مصر الى فرنسا

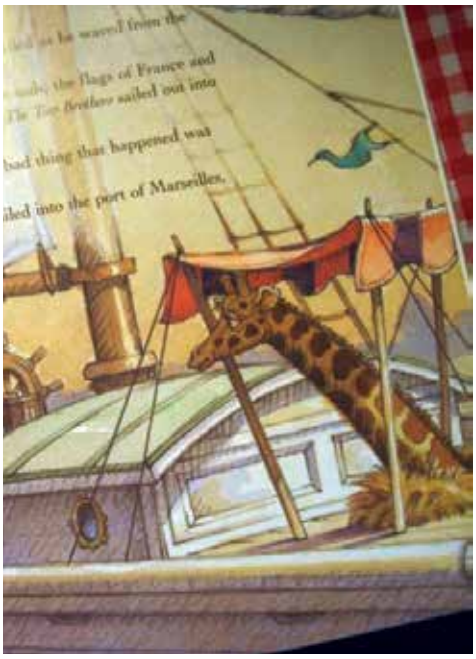

الزرافة فى طريقها الى فرنسا

## زرافة محمد على فى موكب قطر الندى

أوروبا المتحضرة واحدة منها» وفى جو الاحتفال بالزرافة، بدأ حاكم مرسيليا وزوجته فى ترتيب حفلات عشاء منتقاة، فى شكل أمسيات على شرف الزرافة. وكانت الزرافة التى حصلت على الجنسية الفرنسية ابنة شهرين، قصيرة القامة تم ترويضها على تناول اللبن، حيث كانت تحتاج إلى خمسة وعشرين لتراً من الحليب يومياً. وعندما حل الربيع، وتحسن الطقس بدأت رحلة الزرافة إلى باريس سيراً على الأقدام للقاء الملك شارل العاشر، وتم تكليف العالم الشهير جوفروا سانت هيلير المعروف بنظريته حول توازن الأعضاء ليكون على رأس موكب الزرافة، وتابعت القافلة السير، ومرت بجموع غفيرة كانت تزداد عدداً فى كل مدينة وقرية تمر بها، وسار الموكب وسط أبهة فاخرة، وجنرالات زينوا صدورهم بالريش، واعتلوا صهوات الخيول وتقدموا الموكب، أساتذة المتحف وأعيان الجامعة، حملوا عصيهم ذات الرؤوس الفضية وشعارات وظائفهم الثقيلة، واعتاد الأطفال شراء كعك الزرافة، أما البنات فقد صففن شعورهن على شكل تسريحة الزرافة. وتم وضع الزرافة فى حديقة النباتات فى إناء زجاجى مخصص عادة لنباتات البلاد الحارة، ثم أفرد لها مكان خاص مغطى بالحصر ومدفأة بواسطة موقد. وعاصرت الزرافة كلاً من الملك شارل العاشر والعالم جوفرو ولويس فيليب إمبراطور فرنسا وماتت فى بداية عام 1845 عن واحد وعشرين عاماً وحنطت، واحتلت مكاناً مرموقاً فى قسم الطبيعيات من متحف الحديقة.

**سنة ١٨٢٧م بعث محمد على باشا زرافة إلى ملك بريطانيا كهدية حيث لم تكن معروفة فى أوروبا**

## إذاعى من الستينات

# وداعًا أحمد سعيد

**رحل فى صمت وهدوء صاحب الصوت المدوى ولعله صاحب أعلى صوت فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى.. رحل أحمد سعيد الذى عبأ صوته جيلاً كاملاً ليس فى مصر وحدها ولكن فى العالم العربى من المحيط إلى الخليج.. جيل كامل استقبل الصباح كما استقبل المساء بصوته يستهل ويختتم برامج صوت العرب وهو يقول: «هذا صوت العرب الناطق بكلمتكم.. المعبر عن وحدتكم من قلب الأمة العربية المجيدة من القاهرة».**

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

وبالنسبة لى ولعدد كبير من جيلى أرى أنه من الظلم أن نقيم أحمد سعيد على أنه إعلامى فحسب.. فقد كان أحمد سعيد رجل ثورة ورجلاً من جماعة أرادت أن تنفث روح النهضة والتغيير فى الأمة العربية.. جاء ومصر ومعظم الدول العربية تخضع للاستعمار.

اختير هذا الشاب وهو لايزال فى أواخر العشرينيات من عمره لرئاسة إذاعة جديدة قدر لها أن تكون من أهم وأمضى أدوات مصر لتنفيذ استراتيجيتها الرامية لتعبئة الشعوب العربية لمحاربة الاستعمار وتحقيق الوحدة العربية فكان مثالا لما يمكن أن يحققه الشباب إذا مكن وإذا أعطى الفرصة لتحقيق طموحاته.

ما أن تولى الشاب الذى يملؤه الحماس مسئوليته فى عام 1953 حتى بدأت المعارك الكبرى التى خاضتها مصر من واقع مسئوليتها العربية.. كان أولها صدام مع الولايات المتحدة التى طرحت مشروع إيزنهاور، لملء ما أسماه بالفراغ فى الشرق الأوسط بحلف بغداد، وأعلنت مصر معارضتها للمشروع ورفضها للأحلاف. وكان لصوت العرب وأحمد سعيد دور السبق فى إفشال المشروع وإجهاض الحرب ثم سقوط العرش العراقى، وتبع ذلك قيام الوحدة بين مصر وسوريا، وطرد الأردن القائد العسكرى البريطانى للجيش العربى الأردنى، ثم دور مصر فى إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية بعد شهور قليلة واختيار فؤاد شهاب رئيساً للبنان رغم تفضيل الولايات المتحدة لخيار آخر فى وقت كان الأسطول السادس الأمريكى مرابطاً على سواحل لبنان.

ثم كانت معارك التحرر فى الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى والفرنسى فى الجزائر التى أذاعت البيان الأول لثورتها من صوت العرب.

ولعل من القصص التى تبين مدى تأثير أحمد سعيد على الثوار قصة الثائر الجزائرى الذى لقب نفسه باسم الكولونيل صوت العرب والذى حكى لى سفير للجزائر أن الثوار أذاعوا بياناً بتدمير موقع للجيش الفرنسى فنظم الجيش مؤتمراً صحفياً فى الموقع ليثبت كذب البيان الذى بث من خلال إذاعة صوت العرب فما كان من الثائر إلا أن هاجم الموقع رغم خطورة ذلك حتى لا تكون إذاعة صوت العرب كاذبة.

ثم كانت معركة إغلاق القواعد الأجنبية فى هويلس وبنزرت وعدن وكان صوت أحمد سعيد حافزاً ومعبئاً للمحاربين.

نعم كان الصوت عالياً وكانت النبرة حماسية ولعل المعلومات لم تكن دائماً دقيقة ولكن كان هذا سمة من سمات العصر فمن يذكر مبالغات أحمد سعيد لا يذكر مبالغات محطة صوت أمريكا التى كانت تبث من رودس وأن الشهداء كانوا يتساقطون فى معسكر كرتير فى عدن

الإذاعى أحمد سعيد

وجبال الأوراس فى الجزائر وعلى شواطئ القناة وفى بورسعيد وفى غزة.

ثم جاءت الكبوة الكبرى فى عام 67 فبعد التصعيد الهائل الذى قاده أحمد سعيد بصوته وبعد بيانات النصر التى أذاعها فى الساعات الأولى للحرب ظهرت الحقيقة المفجعة ومعها انتهت مصداقية أحمد سعيد وصوت العرب.

صب الجميع جام غضبهم على أحمد سعيد وحملوه مسئولية النكسة ونسوا أنه كان إعلامياً يذيع ما يأتيه من بيانات من القيادة.. نسى الجميع نبل الفكرة التى تحدث باسمها تحرير الوطن العربى وإخلاؤه من القوات الأجنبية والنفوذ الأجنبى وتحقيق الوحدة العربية.

ماتت الفكرة ومات الأمل فى الخامس من يونيو عام 67 ومن المفارقات أن يموت أحمد سعيد فى الخامس من يونيو بعد 51 عاماً من النكسة وكأن هذا اليوم كان تاريخ موته المعنوى والمادى ولعله مات مئات المرات كل يوم وهو يرى كل ما عاش من أجله ينهار وقد تشرذم العرب وتقاتلوا وعادت الجيوش الأجنبية والنفوذ الأجنبى والقواعد الأجنبية.

ولعله من المفارقات أيضاً أنه فى نفس الأسبوع الذى مات فيه أحمد سعيد وقع واحد من أبرز وأشهر إعلامى اليوم عقداً مع شركة عربية بعدة ملايين من الدولارات فيظهر الهوة الساحقة بين إعلام أمس الداعم للقضية الذى يعمل من وازع الإيمان والفكر وبين إعلام اليوم الذى يعمل من أجل جذب الإعلانات التجارية حتى صار عبداً لها.. فى يقينى أن أحمد سعيد الذى لم يتلق فى حياته أكثر من بضع مئات من الجنيهات ما كان ليقبل أن يعمل لصالح أنظمة من المؤكد أنها حاولت استقطابه مثل صدام حسين ولو عرض عليه الملايين لكن مثل أحمد سعيد لم يكن قابلاً للبيع.

لقد طرح أحمد سعيد «أمجاد يا عرب أمجاد» نشيداً للعرب ولكن بعد أن تقزمت آمال وأحلام العرب فإن هناك من يريد أن يطرح نشيد «مسكين وحالى عدم» نشيداً للعرب اليوم.

سفير
فخرى عثمان

# الفنانة د. رانيا علام (الى أين)

أقامت الفنانة د. رانيا علام خريجة كلية الفنون التطبيقية والحاصلة على درجة الدكتوراة من نفس الكلية وتتمتع بعضوية كل من نقابة المهندسين ومصممى الفنون التطبيقية والجمعية الأهلية للفنون الجميلة والجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية وكذلك مجلس إدارة اللجنة الوطنية المصرية للمجلس الدولى للمتاحف, وشاركت فى العديد من المؤتمرات العلمية للفنون فى مصر والأردن, وسبق لها أن أقامت 5 معارض فردية, وشاركت فى 56 معرضاً جماعياً دولياً ومحلياً, وحصلت على العديد من الجوائز والدروع والتكريمات ومنها أوسكار صالون النسجيات الأول, والمهرجان العربى للتميز الإعلامى كما شاركت كعضو لجنة تحكيم للفنون التشكيلية للأطفال بوزارة الثقافة, وشاركت فى تنظيم المعارض التشكيلية وكتابة العديد من المقالات الصحفية فى مجال الفنون.

لقد استوقفتنى كثيرا غالبية اللوحات بموضوعاتها المتنوعة فى الرؤى والفكر المتنوع الاتجاهات التى تعبر عن الواقع والخيال والفلسفة والحيرة والتفاؤل وغير ذلك من مفردات المخزون الوجدانى لها الذى تغلفه الأنغام الموسيقية الروحانية التى تدفع المتلقى للغوص فى أعماق الواقع بألوانه الرمادية التى ترفض اللونين الأبيض والأسود أو الانطلاق إلى الفضاء سعياً للراحة والهدوء وراحة البال وابتعادا عن الضجيج والصراخ على سطح الأرض الذى يفرز الصراع والظلم

# الفنان بكر الشعراوى (بين الخيال والواقع)

والتزييف والعداء والاستخفاف بالعدالة والقيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية والحضارية وكذلك القيم الجمالية التى أحاط بها الخالق الإنسان الذى كرمه للاستمتاع بها طوال رحلة حياته.

رأيت فى محتوى اللوحات المشقة فى محاولة الفنانة الانطلاق من الغوص فى ظلمات الأعماق تارة ثم الانطلاق إلى الفضاء الأكثر ضوءا تارة أخرى وأرجو لها التوفيق فى مزج النقيضين ودفع سحابة الظلام للاختفاء لاستقبال أضواء الفجر المشرق بكل الخير والقوة ورفاهية الإنسان المصرى الشامخ الذى أضاء بالأمس عقول البشرية.. أقول وبعد أن تجولت مع الفنانة فى الرحلتين أن الإنسان المصرى الذى يتمنى.. ويحلم.. ويتوقع..عليه مسئولية. وأمام الله عليه السعى والعمل والبناء والتصدى لأدوات الشر ومصادره حماية للوطن والمواطن بالإضافة إلى تعميق الوعى وتحقيق الوحدة الوطنية لبناء الغد الأكثر إشراقا وهو قريب وبإذن الله وتحت القيادة الوطنية التى وهبها الله لمصر.. وأعود إلى سؤال الفنانة.. وأقول إن الإجابة عند الله سبحانه الرحمن الرحيم.. له ما فى السموات والأرض وهو الذى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء..هو الواحد الأحد.. الذى يمتلك حروف الإجابة وبالخير ومن أجله بالسلام والأمان وهو على كل شئ قدير.

كل التحية والاحترام والتقدير للفنانة المتألقة .

**أقام الفنان بكر الشعراوى معرضاً لأعماله الفنية من اللوحات الزيتية فى قاعة زياد بكير (المكتبة الموسيقية بدار الأوبرا) وكان موضوع المعرض (بين الخيال والواقع) وقد افتتح المعرض الدكتور مجدى صابر رئيس دار الأوبرا.**

**والفنان حصل على ليسانس الحقوق جامعة القاهرة عام 1983 ومارس مهنة المحاماة وكذلك صناعة السينما وخاصة فى مجال الأفلام الروائية وهوايته الفن التشكيلى. والفنان يقيم ويعمل فى أستراليا ودرس (دورة) للفن التشكيلى فى أستراليا وشارك فى تصميم الجدران لمحطة مترو الأنفاق فى نيويورك, وعمل فى مجال تدريس الفن والرسم والألوان للأطفال فى أستراليا وشارك فى العديد من المعارض الفنية والأعمال الروائية والأدبية.**

**ولقد رأيت فى إبداع الفنان القانونى الطاقة الإيجابية فى التفوق فى مجال الإبداع الفنى بداية فى فن البورتريه بصفة خاصة وكذلك فى مجال المدرسة التعبيرية والرمزية وقد تعرفت على الفنان أثناء افتتاح المعرض وأدركت أن هواية الإبداع الفنى التشكيلى هو**

**عطاء سخى من الله للإنسان ويؤكد ذلك أن أعظم الفنانين العالميين لم يدرسوا الفن التشكيلى, وأن الكثيرين منهم قد تفوقوا على الفنانين الحاصلين على أعلى الدرجات العلمية فى مجال الإبداع ممن يتولون أعلى المناصب الوظيفية فى هذا المجال.**

**كل التقدير والتحية للفنان القانونى بكر الشعراوى الذى يمثل حركة الفن التشكيلى المصرى فى استراليا.**

# دبلوماسية الرياضة: مونديال 2018

**شهد مونديال روسيا مفاجآت متنوعة واهتماما كبيرا على مختلف المستويات وفِى معظم دول العالم كما برزت فيه دروس وعبر وظواهر منها ما هو جديد وغير ذلك، ومن واقع اهتمامى الشـــخصى واهتمام أسرتى وخدمتى الدبلوماسية فى سفاراتنا فى بريطانيا وبلجيكا وروسيا وهى دول تعشق كرة القدم يمكن قول ما يلي:**

إن روســـيا الاتحادية فى ظل قيادة الرئيس بوتين قد أثبتت أهمية الدبلوماسية الرياضية بشـــكل عام ودبلوماسية كرة القدم بوجه خاص فى تحسين العلاقات بين الدول على كافة المستويات وقد تمكن الرئيس بوتين من تحقيق نجاح روســـيا فى المجالات الأمنية فى ظل تنظيم العديد من المباريات فى مراحل مختلفة ما بين جروزنى عاصمة جمهورية الشيشـــان ذات الحكـــم الذاتى فى إطار روســـيا الاتحادية، وســـان بطرسبرج العاصمة الثقافية، وموســـكو العاصمة السياسية وغيرها كما شـــارك بعض رؤساء الدول مثل الرئيس الفرنســـى ماكرون ورئيسة كرواتيـــا فى حضور بعـــض المباريات النهائية. وأضحت لعبة كرة القدم تلعب دوراً رئيسياً فى العالم العربى وأفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية وآسيا وأمريكا الشمالية منذ أن قام البريطانيون بنشرها فى العالم منذ عـــام 1314. ويلاحظ أن حوالى 80 فى المائة من الفريق الفرنسى المكون من 23 لاعباً بمن فيهم اللاعبين الاحتياطيين من ذوى الأصول الأفريقية خاصة من الجزائر والمغرب والســـنغال ومالى والكاميرون وأنجولا . يشـــير ذلك إلى نجاح سياسة الاستيعاب والمساواة والاندماج الفرنسية خاصة فى مونديال عام 1998 الذى حصلت فيه فرنسا على كأس العالم لكرة القدم للمرة الأولى فى تاريخها.

واتصالاً بذلك فإنـــه يلاحظ أنه فى الوقت الذى شـــهدت فيه فرنســـا فرحة عارمة بالحصـــول على الكأس هذا العام 2018 بمساهمة فعالة من جانب لاعبين عرب وأفارقـــة إلا أن بعـــض المناطق الفرنسية قد شهدت احتجاجات صاخبة من جانب بعض الأفارقة المقيمين هناك احتجاجـــاً على ما وصفوه بتهميشـــهم وتردى أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية خاصة فى باريس وليون وبوردو.

**سفير د. يوسف الشرقاوى**

yelsharkawy@yahoo.com

## قضية الهجرة واللاجئين:

أعاد ذلك المونديال تســـليط الضوء على قضية الهجرة واللاجئين وسياسات الاتحـــاد الأوروبى وعمليـــات التوطين اللازمة وفقاً لقواعد القانون الدولى ذات الصِّلة خاصة مع تزامـــن ذلك مع غرق مركب محملـــة بالمهاجرين هجرة غير شرعية بالبحر المتوسط قبالة السواحل الأوروبية. ولقد نجح الرئيس الروســـى نجاحاً كبيراً فـــى الإعداد وتنظيم وإدارة هـــذا المونديال بالاشـــتراك مع الاتحاد الدولى لكرة القدم الفيفـــا من الناحية الأمنية والاقتصادية واســـتثماره سياحياً بدرجـــة كبيرة ووضع نظام تأشـــيرات وتسهيلات قنصلية أثناء فترة المونديال. كما لعـــب المونديـــال دوراً على صعيد تدعيم علاقات روســـيا مع دول الاتحاد الأوروبى حيث لـــم تقاطع دول الاتحاد الأوروبى هـــذا المونديال على الرغم من الخلافات بين الجانبين بسبب أزمة القرم وقضايا أخرى بل وســـاهمت فى تعميق علاقات الرئيس بوتين الشـــخصية مع الرئيس الفرنسى ماكرون الذى شارك فى حضور مباريات لفريق بلاده.

إن من الدلائل على نجاح روسيا أمنيا فى تنظيم المونديال هـــو تعامل جهاز الأمن الروسى بالدقة والسرعة والكفاءة مع واقعة اقتحام فتيات للشـــوط الثانى من مباراة فرنســـا وكرواتيـــا والتى تم ملاحظتها عبر شاشات التليفزيون حيث تمكن الأمن الروسى من إخراجهم وسرعة انتشار قوات الأمن بشكل رائع لمنع تكرار ذلك، ولعبة كرة القـــدم أصبحت عاملاً مؤثراً غير أيديولوجى على مستوى العالم وفِى داخل الدول نظراً لما تحظى به من تأييد وحماس شعبى وأضحت تقوم بدور فى صناعة الشـــخصيات والتأثير كقوة ناعمة فى التأثير عبر الدول وإثارة روح الحماس والتنافس والتضامن الشـــعبى غيـــر الأيديولوجى بصـــرف النظر عن اللون والجنس والدين. ومنهم من أصبح عضواً فى البرلمـــان، وجورج وايا الذى أصبح رئيســـاً للجمهورية فى انتخابات ديمقراطية فى ليبيريـــا مؤخرا. كما أن بعض الـــدول بدأت تلجأ إلـــى اللاعبين للاســـتعانة بهم فى حمـــلات مكافحة المخدرات ومنع الشـــباب من استهلاك وإدمان المخدرات مثلما تمت الاستعانة باللاعب المصـــرى الدولى محمد صلاح بوصفه قدوة ونموذج أخلاقى يحتذى به. وبالنســـبة لكرواتيا فقد لعب المونديال دوراً كبيراً لها على مستوى العالم خاصة مع وصولهـــا إلى الـــدور النهائى أمام فرنســـا بل وصار الكروات محل تقدير الكثير فى دول العالم والذين تحمسوا فى التأييد لصالحهم لأنهم استطاعوا تحويل الضعف إلى قوة وأصبح اســـم كرواتيا يتـــردد فى كل مكان وهـــى الدولة التى يقدر عدد سكانها بأقل من خمسة ملايين نسمة وأصبحت رئيسة كرواتيا معروفة للعديد من محبـــى الفريق الكرواتى فى العالم كما ساهم تواضع رئيسة كرواتيا وسلوكها الحضارى ومشاركتها فريقها فى الدعم المعنوى والتأييد فى روسيا.

وفيما يتعلق بالفريق اليابانى لكرة القدم فى المونديال فقد أعطت مشاركته دروســـاً فى اللعب النظيف وفِى الأخلاق الرياضية وقد مكن ذلك الســـلوك الفريق

اليابانى من التأهل للربـــع النهائى فى هذا الشأن على السنغال وذلك من خلال الاحتـــكام لمعيار البطاقـــات الصفراء بهدف تحديد من يتأهـــل لدور الثمانية بعد تعادل اليابان والسنغال فى النقاط والأهداف ولهذا أصبـــح الفريق اليابانى لكرة القدم هو أول منتخب يتأهل للدور التالى بفضل ســـجله الرياضى النظيف. ومن اللافت للنظر مشاركة منتخب دولة أيسلندا التى يقدر عدد سكانها بأقل من نصف مليون نســـمة فى المراحل الأولى لمونديال روســـيا ولها نجاحات دولية بالنسبة لفريق كرة اليد.

إن العالم فى مجال منافســـات كرة القدم أضحى يخرج مـــن هيمنة الدول العظمى كروياً والتى تشكل نظرياً مجلس الأمن الدولى الكـــروى للعالم دائماً وهى البرازيـــل والأرجنتين وبريطانيا وألمانيا وأسبانيا والبرتغال وأصبحت هناك دول صغيرة تعشـــق كرة القـــدم وتؤثر من خلالها تأثيـــرا كبيرا فى المجال الكروى وصناعته العلمية والتجارية والاستثمارية والنفسية من خلال علومها الكروية وعلم النفـــس الرياضى واســـتخدام المناهج العلميـــة والإدارة الحديثـــة وأخلاقهـــا الرياضية النظيفـــة. ولعبت التكنولوجيا الحديثة دوراً كبيـــراً فى 2018 عن ذى قبل من خلال تقنيـــة تتبع أداء اللاعبين بكافة أشكالها فضلاً عن استخدام تقنية الفار من جانب الحكم فى بعض الأحيان كى يتخذ قراراً رشيداً.

إن نجاح الـــدول الصغيرة وقدراتها علـــى التحدى وامتلاكها قـــدرات بدنية ومعنوية ونفسية كبيرة ومؤهلات علمية وفنية ومنظومة إدارية قد مكنها الدخول فى مراحل متقدمة لـــكأس العالم لكرة القدم وإن ذلك يمثل أثر الاقتداء أمام دول عربية وأفريقية وآسيوية أخرى للتأهيل لكأس العالم والمنافســـة على الدخول فى المراحل المتقدمة والنهائية ولَم يعد لتلك الدول أن تبحث عن عذر مثل دعوى حالة الفقر أو عـــدم وجود موارد للتأهل والحصول على كأس العالم.

## وضع استراتيجية علمية

إن لمصر قـــدرات يمكـــن أن يتم تطويرها لاســـتضافة كأس العالم على التراب المصـــرى والذى ســـيضم ٤٨ منتخباً وإن من مؤشـــرات ذلك خبرات مصر السابقة فى تنظيم القمم العالمية لملوك ورؤساء الدول والحكومات بالدقة والتأمين اللازميـــن فضلا عن الانضباط والإدارة الدبلوماسية والموضوعية والفنية والإعلامية والثقافيـــة لذلك، ويتوفر لدى مصر إمكانيات أخرى ضرورية من طرق ومواصلات وشركات اتصالات واستادات رياضيـــة فـــى القاهرة والإســـكندرية وبورســـعيد والســـويس وبرج العرب ويمكن البناء عليها من خلال وضع خطط مزمنـــة بدقة، مثلما نجحـــت مصر فى بناء قناة الســـويس الجديدة ومشروعات عملاقة تتعلـــق بمجـــالات متنوعة فى البنيـــة التحتية، لبناء اســـتادات جديدة ومنشئات رياضية متنوعة وفقا للمعايير الدولية المطلوبة، وقد أصبح لدى مصر عناصر رياضية عالمية وعالية المستوى مثـــل محمد صلاح وغيـــره محترفة فى أندية عربيـــة وأوروبيـــة وغيرها. وفى رأيى أن الأمـــر يتطلب لتنفيذ ذلك وضع استراتيجية علمية محددة وتوفير وسائل تنفيذها الماليـــة وغيرها بجداول مزمنة تتضمن رفع المستوى الرياضى خاصة على صعيد بناء القدرات البدنية والثقافية والفنية عالية المستوى إلى جانب تنفيذ ما يلزم من أجل بنـــاء الطالبات والطلبة فـــى المـــدارس والجامعات وتدشـــين الأكاديميات الرياضية اللازمة مع وضع القواعد والآليات القانونية اللازمة. وإننى على ثقة فى ضوء ما قدمته من مؤهلات ومقومـــات والتخطيط العلمى أن تتمكن مصر من تنظيم مونديـــال العالم لكرة القدم فى العقد القادم، مع أهمية تقويم تجربة مشـــاركة المنتخب المصرى فى مونديال روسيا وسبل الاستفادة من ذلك المونديال والدورات العالمية السابقة فى هذا الشأن أيضا من أجل تحقيق الهدف المطلوب.

تجدر الإشارة فى هذا الشأن إلى أن أول مونديال لكـــرة القدم قد انطلق فى أوروجواى عام 1930، وأن أول مشاركة لمصر فى كأس العالم كانت عام 1934 ومن أبرز اللاعبين حينذاك مختار التيتش الذى أطلق اســـمه تقديرا له على مسمى النادى الأهلـــى الرياضى، ومحمد لطيف الذى أضحى معلقا رياضيا كبيراً، وعبد الرحمن فوزى وقد حصل هذا الأخير على لقب أفضل جناح أيســـر فى كأس العالم عـــام 1934، وانتقل لاعبـــان مصريان إلى أنديـــة بريطانية كما احترف اللاعب إســـماعيل رأفت فى فرنسا وشارك فى تصفيات كأس العالم التى اســـتضافتها فرنســـا 1938. وأظهرت مـــا يمكن أن نســـميه بحالة محمد صلاح العديد من قصـــص النجاح المصريـــة فى الخارج واستمرت فى نفس الوقت فى المحافظة على جذورهـــا الأصيلة فـــى مصر من خلال العطـــاء الذى تقوم به وتظل حالة محمد صلاح مرتبطـــة بنبوءة الرياضى وأخلاقه الرفيعة وشـــخصيته البسيطة وحبه لأســـرته وقريته ومصـــر الغالية. اتصالاً بذلك ينظر إلى صلاح أحيانا على أنه المســـجل للأهداف والمنقذ لفريقه وهى ظاهرة أقترح النظر فى دراســـتها وأهمية العمل بنهـــج وروح الفريق، مع أهمية دراسة تسويق البطولات الرياضية ومسألة البث وقواعد المنافسة والاحتكار واقتصاديات قنـــوات الرياضة وقياس فعالياتها والاستثمار الرياضى وصناعته كأداة مهمة من أدوات القوة الناعمة لمصر ووسيلة للترويج السياحى وتوفير فرص عمل فى إطار التخطيط العام ومنظومة بناء القوة الشاملة والدولة الحديثة التى يقودها ويتولى رئاســـتها السيد الرئيس عبد الفتاح السيســـى وإنجازات البنية التحتيـــة العملاقة الناجحـــة وبناء قناة السويس الجديدة وغير ذلك.

# معرض فنى للإيحاء بصورة سياسية

**تجرعنا هزيمة 1967 بمرارة، لكننا لم ننكســـر رغم قسوتها. هذا كان حال المصريين (كنت وقتها ســـكرتيراً ثالثاً بسفارتنا فى بودابست) ولم يكن أمامهم من سبيل سوى استجماع قواهم، وترميم ما تحطم منها، استعداداً لاستئناف الحياة متطلعين لاسترداد ما فقد ومحو عار الهزيمة النكراء.**

انشغلت وزارة الخارجية بمسئوليتها فى إدارة المعركة الدبلوماســـية التى خاضتها مصر لإزالة آثار العدوان. ولم تكن المهمة هينة أو يسيرة، وقد شهدت من موقعى بسفارة مصر فى بودابست جانباً من تلك الجهـــود، ومنها الجولة التى قام بها وزيـــر الخارجية محمود رياض لدول أوروبا الشـــرقية، وتبعها بجولات أخرى لـــدول غرب أوروبا، هذا بخلاف تواجده شـــبه الدائم فى أروقة الأمم المتحدة بنيويورك، ما بين مجلس الأمن والجمعية العامة، ليشرح الأوضاع فى مصر، ويحشد التأييد لموقفها.

مـــرت علينـــا أعضاء الســـفارات المصرية بالخارج أوقات صعبة ثقيلة، كان علينا التغلب عليها، وتجاوزها بكل الســـبل المتاحة، متطلعين لمســـتقبل أفضل لبلدنا الحبيب، فبعد أن كنا نسير منتفخى الأوداج، منفوشى الريش نظن أننا أكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط، كما أفهمنا قادتنا، شعرنا بمهانة شديدة، وخيبة أمل وعدم ثقة فى أشياء كثيرة.

لقد فاضـــت الدموع من عينى لأول مرة وأنا رجل ناضج، عندما ســـمعت خطاب التنحى للرئيس عبـــد الناصر يوم 9 يونيو 1967، ولم يكن بكائى حزنـــاً على تنحيه، وإنما حزنـــاً على الوضع المؤســـف والمهين الذى وضع فيه بلـــدى. وأعتقد أن كثيراً من المثقفين تولد لديهم نفس الشعور.

لما انتهـــت خدمتى بســـفارتنا فى بودابست

**سفير يسرى القويضى**

ykouedi@yahoo.com

عـــام 1968نقلت إلى ديـــوان الوزارة بالقاهرة وكانت ظروف النكسة جاثمة على قلوبنا، بســـبب احتلال إســـرائيل لجزء عزيز من بلادنـــا، واندلاع حرب الاستنزاف وما صحبها من غارات شنتها الطائرات الإســـرائيلية على عمق مصر، وكانت سلوتى الشـــخصية الوحيدة أن أخلو بنفســـى، فى غير أوقات العمل، لأمارس الرسم والتصوير.

تجمع لدى فى عام 1970 مجموعة من اللوحات، فطرأت لـــى فكرة إقامة معرض مشترك مع زميلين دبلوماسيين، الفنان الســـكرتير الثانى عصام حنفى، والفنان السكرتير الثانى محمـــد نجيب مصطفى، وبدأنا وضـــع الترتيبات مع السفير عزالدين رفعت مسئول النشاط الثقافى بالنادى الدبلوماسى الذى كان خير سند لنا، وتوجهنا للقاء مدير مكتب وزير الخارجية السفير محمـــد رياض لتقديم الدعوة لوزير الخارجية محمود رياض ليفتتح المعرض.

صادفت الفكرة قبولاً وحماساً من السفير محمـــد رياض الذى أوضح لنا أن افتتاح المعرض يوفر فرصة سانحة ستســـاعد من الناحية السياسية داخلياً وخارجيـــاً، فصورة وزيـــر الخارجية المصرى وهـــو يفتتح معرضـــاً فنياً ســـيعطى صورة إيجابية تعكس الثقة بالنفس وتظهره يمارس نشاطاً ثقافياً واجتماعياً وليس منكباً فقط على عمله الدبلوماسى والسياسى.

تم الافتتاح فى مايو 1970بحضور وزير الخارجيـــة محمود رياض بنادى وزارة الخارجية، وهكذا قدر لمعرضنا الفنى أن يلعب دوراً فى معركة الصمود السياسى، وعندما أسترجع تلك الصورة من أرشيف الذكريات أشعر بزهو وغبطة كبيرين، فقد أســـهم معرضنا الأول بالنادى الدبلوماسى بدور (مهما كانت ضآلة هذا الدور) فى رفع المعنويات، وترســـيخ صورة وزير الخارجية الواثق من نفسه فى الفترة التى كانت تستعيد مصر خلالها ما فقدته من قوة، وتعيد ترتيب أوضاعها من أجل معركة الثأر والانتصار التى وقعت لاحقـــاً فى أكتوبر 1973.

## الرجل باحترامه لكلمته

# لا تنه عن خلق وتأتى مثله

**يقول الشاعر «لا تنه عن خلق وتأتى مثله.. عار عليك إذا فعلت عظيم».. وأكتفى بأن أقول «عيب عليك» لأن كلمة «عار» شديدة نوعاً ما.. وأياً ما كان الوصف، فإن كثيراً من الناس هكذا يفعلون.. يدينون تصرفاً ما لشـــخص ما، ثم إذا بهم يفعلون نفس الشىء الذى أدانوه لغيرهم.. ولا يطرف لهم جفن..**

**سفير د. فتحى مرعي**

والله جل جلاله يشـــير إلى هذا العيب فى قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مـــا لا تفعلون ★ كبر مقتا عند اللـــه أن تقولوا ما لا تفعلون» (الصف 2-3) أى يا أيها الذيـــن آمنوا لأى غـــرض تقولون بألســـنتكم ما ليس فـــى قلوبكم؟ تقولون شـــيئاً وتفعلون عكســـه أو تعملـــون خلافـــه، أو تضمرون شـــيئاً يختلف عمـــا تظهرون.. إن الله تعالى يحـــب أن يكون المؤمن ظاهره كباطنه.. هـــذا هو المؤمن الحـــق، وليس الإنســـان المخادع، الذى يدعى الكرم وهو شـــحيح، أو يدعى الصدق وهو كذوب، أو يدعى الصراحة وهو مداور مناور، أو أنه يحفظ العهود والوعود وهو يخلفها ولا يقيم لها وزناً.. مثل تلك الصفات تطعن فى صدقية الشخص، وما إذا كان يمكن الوثوق بما يقوله أو بما يعد به.. وهـــذه نقيصة لدرجة أن الله تعالى يقول فيها «كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» أى أن الله يبغض هذا الفعل بل يمقته أشد المقت.. والذى يتصف بذلك يقول عنه الناس إنه شخص «ذو وجهين» لا يمكن أن تأخذ كلامه على وجهه الظاهـــر.. بل تفتـــش فيه وتبحث وراءه، لتتبيـــن مواطن الصدق أو الكذب فيما قال، والمدى الذى ذهب إليه بين ما قاله وما عساه يضمره، وفى ذلك يقول رســـول الله صلى الله عليه وسلم «تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين، الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

الرجل ليس بشكله أو بمظهره، وإنما باحترامه لكلمته، وهناك مثل ألمانى يقـــول «الرجل كلمة» أى أن «كلمته واحدة» كمـــا يقول الناس عادة.. وأن أفعاله لا تناقض أقواله بل تصدقها.. هذا الشـــخص الذى ظاهره كباطنه، يعيش فى ســـلام مع نفسه، لأنه ينســـجم معها ولا يناقضهـــا، مواقفه واضحة لا لبس فيهـــا ولا غموض، وهـــذا يريحه ويريح من حولـــه لأنهم يثقون فى كلمته ووعـــوده، ويعلمون أنه لن يخلف وعداً قطعه على نفسه، وقد قال الله فيمن يخلفون وعودهم أو عهودهم «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحيـــن★ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولـــوا وهم معرضون★ فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون» (التوبة 77-75).. وهناك أمثلة لمن ينكر على الآخرين أشـــياء يأتيها هو نفسه، كأن ينعى على شـــخص كذب عليه أو نصب عليه أو تحايل عليه، وينعته بأقبح الصفات، ثم يتكشف أنه يفعل نفس الأشياء، وربما بصورة أكثر فجاجة وأشـــد نكراً مما أدان به الآخرين.. وهناك مثل شعبى يجسد هذا المعنى يقول «أسمع كلامك أصدقك، أشوف أمورك أستعجب»(!).

الإنســـان إما أن يكون محترماً بينه وبين نفسه، وكذلك بينه وبين الناس أو لا يكـــون.. والاحترام لا يتأتى من فراغ، أو من منصب، أو من ثروة.. هذه كلها لا تأتى بالاحترام، وإنما باحترام الإنسان لكلمته، وألا يكون منافقاً أو كذوباً، أو «ألعباناً» (بالعامية)!!

أبعدنا اللـــه عن أن نكون ذوى وجهيـــن، وأن يكون لنا وجه واحد، نقابل به الناس، ونقابل به خالقنا، ونختلى به مع أنفسنا.. آمين.

# شىء من الشعر عند الدبلوماسيين

**لعل الشـــعراء من الدبلوماســـيين العرب قد مزجوا أعمالهم بالأدب والشعر، وظهر كثير منهم فى بعض العواصم العربية والإسلامية فى العصر الحديث، منهم الشاعر اليمنى عبدالله بن يحيى العلوى الســـفير الأســـبق للإمام أحمد حميد الدين فى منظمة الأفروآسيوى بالقاهرة فى أواسط الخمسينيات، حيث انعقد المجلس وبعد أن أدلى كل سفير بكلمته، طلب الشاعر العلوى من أمين المجلس إلقاء كلمته شعرًا فطرح الأمين الطلب على أعضاء المجلس الذين استلطفوا ذلك فوافقوا فبدأ الدبلوماسى اليمنى الكلمة الشعرية حتى قوله:**

**فاروق صالح باسلامة**
**كاتب وشاعر يمنى**

وكانت فى الوفود غينية
كأنها من حسنها مصرية
ترمقها العيون بالتوالى
وبالأخص من سفير مالى

***

قـــال الـــراوى: إن واقع الجلســـة كان كمـــا قاله العلوى شـــعرًا إذ دَوَّى المكان بالتصفيق تلطفًا واستحســـانًا!! حيث فوجئ الجمع بمثـــل هذه الكلمة الدبلوماســـية التى ألقيت شـــعرًا فى جلســـة كان الإمتاع من الشاعر اليمنى الدبلوماسى عبدالله بن يحيى العلوى؛ قد ملأ الأسماع وجعل مثل ذلك قولاً شعريًّا يذاع!

فالبيان اللغوى عربيُّ الناصية فيقال للأديب أو الشاعر أوتى ناصية البيان! أى ألهمه الخالق الفصاحة فى القول والبيان فيه!! لذلك نجـــد أن العربية هى اللغة الشـــاعرة كما قال الأديب عباس محمود العقاد! فتمتزج فنية القول مع فصاحة الإلقاء، الشىء الذى يؤكد ما عرف ببحور الشعر التى اكتشـــفها العبقرى العربى الخليل بن أحمـــد الفراهيدى؛ يوم دخل سوق النحاس ليسمع دقة الرنة من الذى كان يضرب النحاس فاســـتقر فى سمع الخليـــل وعقله ميزان أو بحر الشـــعر! على مقتطفات أو تفعيـــلات إلخ.. ولم يقل أحد من النقـــاد أو غيرهم بوظيفية الشعراء العملية أو أن الشاعر لابد له من عمل وظيفى، فالشعر تعبير عن مشاعر وصاحبه شاعر إنســـانى لذلك نجد من الشعراء العامل والطبيب والمهندس فى حياتهم العملية والدنيوية لكسب الرزق اليومى! أما الشـــعر فهو نتاج الشاعر المعنوى وقريحته الشعرية هى الموهبة الوجدانيـــة، ومجازيًّا يقال عن ديوان أو دواوين الشاعر، الأعمال الكاملة.

ومن الشـــعراء الدبلوماسيين عمر أبو ريشة من ســـوريا، وعمر بهاء الدين الأميرى السفير السورى السابق ما قبل حكـــم البعث لكنه ترك الســـفارة وهو يقول:

نزعوا السفارة من يدى
فمضيت مرفوع الجبين
لم يرتفع شأنى بها
ورفعتها فى الرافعين

***

وتأمل هذا الشموخ العالى من شاعر دبلوماسى أو من دبلوماسى شاعر!! ترك النظام ذا البـــوق ليرتفع بعمله لا بمثل هذا العمل هو مرتفع لذلك قال:

لم يرتفع شـــأنى بها ورفعتها فى الرافعين!

***

أما الشاعر السعودى حسين عرب، فكان قد شغل وزيرًا للحج سنة 1960م لمدة ثلاث سنوات واضطر أن يترك هذا العمل كتقاعد مبكر فقال:

تقاعدتُ، عن عبء الوزارة راغبًا
وغادرتها، من قبل سن التقاعد
وما استكبرت نفسى، بلمع بريقها
وما الكبر من طبع العقول الرواشد
ومن أنا؟ إن أكبرت نفسى بمنصب
كبير، أعانى منه كل الشدائد
ومن يحمل العبء الكبير، أمانةً
فهمته الكبرى، بلوغ المقاصد

***

ثم يســـتطرد قائلاً عـــن المنصب الوزارى:

توقد إحساسى، بها وبجهدها
فأجهدت نفسى، قائمًا غير قاعد
كبار قضاياها وكل صغارها
أجاهدها، مسترسلاً، كالمجاهد
أكابدها، حتى أقضت مضاجعى
وناء بها جسمى، وأعيت سواعدى
وأسرعت لم أعثر، ولكن صحتى
تداعت، حتى وسدتنى وسائدى
ولم أحتجب خيرًا، على أى قاصد
ولم أرتكب شرًا، على أى كائد
وقـــد صنعت أخلاقـــى، وأرضيت خالقى
وحسبى منها ذاك، والله شاهدى

***

وعلى طـــول هـــذه القصيدة فهى تشـــرح التجربـــة العملية فـــى الحياة خاصة فى منصب وزارى شـــاغله أديب شاعر كحســـين عرب الراحل منذ بضع ســـنين فى مكة المكرمة. وثمة آخرون شـــعراء وأدباء أمثال هؤلاء الذين ألممنا ببعض مواقفهم الشـــعرية فى أعمالهم الدبلوماســـية والسياســـية كالدكتـــور عبدالوهاب عزام والأســـتاذ يحيى حقى والشاعر حسن عبدالله القرشى. والأديب غازى القصيبى والشاعر أحمد عبدالجبار والشاعر محمـــد باخطمة، إلى آخر من هنالك من الدبلوماسيين الشعراء والأدباء الدبلوماسيين العرب فى المشرق والغرب.

## مصارعة الثيران فى صيف أسبانيا

# مصارع الثيران يكسب 50 ألف جنيه فى العام الواحد

**كتب أمير الصحافة من مدريد إلى آخر ســـاعة فى 14 ســـبتمبر 1949 أى منذ قرابة السبعين ســـنة، فى العدد 777 من مجلته عن مصارعة الثيران فى أسبانيا التى هى أشبه بالأهرام وأبى الهـــول ومقبرة توت عنخ آمون ودور الآثار فى مصر، أى أنها الشـــئ الذى يجذب السائحين. . وأول ما يحرص السائح على مشاهدته فى أسبانيا.**

**شريفة محمد التابعى**

sherifa.eltabeikhairat@gmail.com


وتحرص مصلحة الســـياحة فى مدريد على الإعلان بكافة وسائل الدعاية عن حفلات مصارعة الثيران وأســـماء أبطال المصارعين وهى تنشر صورهم فى صحف أمريكا وأوروبا وتحيطهم بهالة من الإعجاب! .. وتوحى بنشـــر مختلف القصص والنوادر عنهم تماما ما تفعل إدارات الدعاية فى شـــركات هوليوود عن كبار كواكب السينما.

بل لعـــل مصلحة الســـياحة فى أسبانيا لا تعنى بالدعاية لمتاحف الفن العديدة وحفلات الرقص الأســـبانى أو المواكب والمواسم الدينية فى أشبيلية أو مراقص الباسك وحفلاتهم كما تعنى بالدعاية لحفلات مصارعة الثيران!

وقد يدخل وزير أسبانى إلى مطعم عام فـــلا يلتفت إليه أحـــد! ولكن إذا دخل أحد مشاهير مصارعى الثيران – ويســـمونه (طوريرو) لا (طوريادور) كما يكتبها خطـــأ معظم الكتاب – إذا دخل مطعما ما أو حفلة ما تلتفت إليه الأنظار وأســـرعت إليه حسان الحفلة ليحظين منه بكلمة أو ابتسامة!

هم إذن – هـــؤلاء (الطوريروس) – جمع طوريرو– أشبه بكبار كواكب السينما، بل هم أعظم مقاماً فى أسبانيا إذا قيس المقام بوفـــرة الأرباح.. وقد يدهش القـــارئ إذا عرف أن الطوريرو العـــادى أى الذى لم يبلـــغ بعد مرتبة الأبطال لا يقـــل دخله فى العام الواحد عن خمســـة ملايين بيزيتا أى خمسين ألف جنيه!

### مواسم المصارعة

ولمصارعـــة الثيران فى أســـبانيا مواســـم مختلفة فى المدن المختلفة.. تماماً مثل مواسم الأوبرا والتمثيل!

فكما أن الفرقـــة القومية مثلا فى مصر تمثل شـــتاء فى القاهرة وصيفاً فى الإســـكندرية فإن حفلات مصارعة الثيران تقام فى مدريد مثلاً بين مايو وسبتمبر وفى أشبيلية بين أواخر أبريل وأوائـــل مايو وفى غرناطة فى شـــهر يونيو وفى بامبلونا فى يوليو.

وأما فى سان سباستيان – المصيف الرسمى للحكومة الأســـبانية– فإنها تقام ابتداء من منتصف شهر أغسطس.

وأشـــهر مصارعى الثيران الآن هم لويس ميخـــل دومنجويـــن، وباكيتو يونيوز، وباريتا، وروفيرا، وهذا الأخير يبلغ دخله فـــى العام نحو مائتى ألف جنيه، وهو يعمل تســـعة شهور فقط ويستريح بقية العام.

ولا يحسبن أحد أنه يعمل كل يوم طيلة هذه الشـــهور التسعة، ذلك لأن حفلات مصارعة الثيـــران تقام ثلاث مرات فقط فى الأسبوع.

أى أنه يربح المائتى ألف جنيه عن عمله فـــى 112 حفلة، ولا تزيد الحفلة على ساعتين اثنتين!

وإذا مشـــيت فى الحســـاب إلى النهاية وجدت أنه يربح نحو ألف جنيه فى الساعة الواحدة!

ولكن مصارع الثيران يدخل حلبة المصارعـــة وهو يحمـــل حياته على كفه!.. خطر الموت – وأى موت– ماثل فى كل لحظة!

عثرة قـــدم.. أو أقل هفوة فى نقل القدم.. أو تقديم ساق قبل أخرى.. أو فى لفتة الرأس.. أو فى قياس المسافة بين الثور الهائج وبينه.

أقل هفـــوة... وإذا بالثور الهائج فوقه ينطحه بقرنيه... ويبقر بطنه!.. أو ينفذ بقرنيه من الظهر إلى الصدر.. أو يغرز أحديهما فى عنق الطوريرو!

ومـــن هنـــا كان أول درس يتلقاه مصارع الثور هـــو ( إن أول غلطة لك هى آخر غلطة لأنـــك لن تعيش بعدها لكى ترتكب غلطة أخرى)!

### أشهر مصارع

ولا يزال القـــوم هنا يتحدثون عن مانوليتى أشـــهر مصارع ثيران عرفته أســـبانيا فى العشـــرين عاماً الأخيرة وكيف لقى مصرعه فى لحظة النصر!

كان مانوليتـــى يربح فـــى العام الواحد أربعين ألف جنيه بسعر القطع الحالى.. ونحو ســـبعمائة ألف جنيه بســـعر القطع فى العام الماضى يوم لقى مصرعه تحت قدمى ثور!

وكان مانوليتـــى لايزال فى الثانية والثلاثين من عمره... يوم مات!

نزل مانوليتى إلى حلبة المصارعة

## مصارع الثيران يكسب 50 ألف جنيه فى العام الواحد

– وهى مستديرة ومساحتها نحو فدان – نزل وهتاف عشرات آلاف المعجبين يشق الفضاء.

وتغلب على الثور الأول.. ثم الثور الثانى، فلما كان الثـــور الثالث... وقد وصل مانوليتى إلـــى المرحلة الأخيرة ورفع ســـيفه القصير المستقيم لكى يغرزه بضربـــة واحدة فى عنق الثور.. ترددت يده.. ربما جزءا من ثانية!

ولعلـــه التعب! أو لعلها الشـــمس المتوهجـــة.. أو لعله صيـــاح حناجر خمسين ألف متفرج وهتاف إعجابهم الذى يصم.

ولكن يد مانوليتى ترددت جزءا من ثانية.

وهذا التردد الذى لم يدم أكثر من لمح البصر كان كافيا! فبينما كانت يده تهوى بالسيف تغرزه فى عنق الثور.. كان الثور يغرز قرنيه فى جنبه!

وسقط الاثنان معا!.. سقط الثور ومصارعه!

وحملوا مانوليتى إلى المستشـــفى وفتـــح عينيه فـــى حشـــرجة الموت وسألهم... لم يسألهم عن زوجته ولا عن طفليه.. ولا عن أمه وأبيه، بل سألهم:

– ولكن.. هل مات الثور؟

قالوا: نعم.. مات!

وارتسمت ابتســـامة الرضا فوق شـــفتى الطوريرو البطل ولفظ نفسه الأخير!

وبكته أســـبانيا مـــن أقصاها إلى أقصاها.. ولا تزال صورته الفوتوغرافية تباع حتـــى اليوم وتعلـــق فى صدر المطاعم والمقاهى والأندية!

والواقع أنه يندر أن يموت أحد من مصارعى الثيران حتف أنفه فمعظمهم يلقى منيته مبقور البطن أو مهشـــم الأضلاع! والسعيد الحظ بينهم من يترك العمل بعد أن يجمع ثروة طائلة ويفقد ذراعا أو ساقا!

### تكافؤ الفرص

ومع جسامة الخطر الذى يواجهه مصارع الثور فإننى أعتقد مع ذلك أن مصارعة الثيران هـــى نزال أو صراع ليس فيه مـــروءة ولا شـــهامة – إن جاز هذا التعبيـــر– إذ ليس فيه تكافؤ للفرص.

الخطر على الطوريرو جسيم نعم، ولكنه قد ينجو..

أما الثور فإنـــه يدخل الحلبة وهو مقضى عليه بالموت!

ليس هناك إذن تكافؤ فى الفرصة أمام (الطرفين)..

بـــاب النجاة مفتـــوح دائما أمام المصارع..

أما الثور فليس أمامه ســـوى باب الموت.

وقد يتغلب الثور على مصارعيه من الطوريرو إلى الميتادور والبيكادور.. وقد يقضى عليهـــم واحداً بعد الآخر.. ولكنه مع ذلك لن ينجـــو، لأن آخرين يحلون فى الحال مكانهم.. ولا يزالون بالثور حتى يقضوا عليه!

وهو بعد هذا وذاك مشـــهد فظيع يحبس الأنفاس ويحطم الأعصاب! ولقد عجزت أنا عن مشـــاهدة الحفلة حتى النهاية.. وانصرفت بعد نصف ســـاعة فقط بعد أن ســـجلت فيلماً سينمائياً وغادرت الحفلـــة والثور الثالث مثخن بالجراح والدماء تسيل من ظهره وعنقه على جلده الأســـود اللامع.. وفى ظهره ســـت حراب مغروزة... والطوريرو – وكان روفيرا– يحاوره قبل أن يقضى عليـــه نهائيا ويغرز فى عنقه ســـيفه المدبب القصير!

### رياضة عربية

ولقد كان المعتقد إلى أوائل القرن الماضى أن مصارعة الثيران (رياضة) أسبانية الأصل إلى أن تبين أنها عربية الأصـــل!.. وأن العرب هم الذين بدأوها ولقنوها للأسبانيين..

وفى متحف Prado فى مدريد قاعة

بالدور الثانى خصصت لبعض الرسوم والصور التى رسمها الرسام الأشهر جويا فى (العهد الأسود) وبعضهم يسمونه (الفن الأسود).

ويعتبر جويا من أشهر وأكبر رسامى العالم، وبعضهم يغالى ويضعه فى مرتبة واحدة مع ميخائيل أنجلو ورفائيل وتيسيان- وعلى كل حال فإن جويا يعد بين طليعة الرسامين الأسبان.. وقد اشتهر ونبه ذكره فى أواخر القرن الثامن عشر وتوفى فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر.

وجاء يوم سئم فيه جويا رسم صور الملوك والأمراء والعظماء.. وزهد فى حياة النعيم فانصرف عن جو المدينة والترف إلى.. الشعب وراح يرسم صورا مستمدة من حياة الشعب.

ولكنها كانت صورا أوحى بها خيال مريض!.. بل إن بعضهم يقول إن جويا كان أصيب بلوثة أو بما يشبه الجنون!.. كما إن هذه الصور جميعها رسمت بالقلم أو الفحم! لا بالزيت والألوان.

ومن هنا كانت التسمية (العهد الأسود) إشارة إلى جنون جويا أو (الفن الأسود) إشارة إلى قلم الفحم الذى رسمت به الصور، وبين هذه الصور رسم لا يزيد طوله على 30 سنتيمتراً وارتفاعه على 20 سنتى وهو يمثل حلبة مصارعة الثيران... وقد وقف فيها المصارعان – والطوريرو والميتادور– وكلاهما عربى.

وكلاهما كان يرتدى القفطان العربى وعلى رأسه العمامة الكبيرة، وإنى لأعجب – ومن مقتضيات فن مصارعة الثيران الخفة المتناهية التى ما بعدها خفة والرشاقة فى الحركة والثوب الملتصق بالجسد والساقين حتى لا تعوق ذيوله وحواشيه حركة المصارع– إنى لأعجب كيف كان الطوريرو العربى بعمامته وقفطانه ذى الذيول يستطيع محاورة الثور ومصاولته ومداورته!

## حفلات المصارعة

وذهبت إلى إحدى حفلات مصارعة الثيران وأنا أعلم أننى سأشهد شيئا تتقزز منه النفوس.. أو نفسى أنا على الأقل، ولكننى كنت أريد أن أسجل فيلماً سينمائياً لمصارعة الثيران وأضمه إلى مجموعتى من الأفلام!

وكان الحر شديدا – بل حر القاهرة فى يوليو أو أغسطس هو النسيم العليل بالنسبة لحر مدريد– ومع ذلك... وبالرغم من شدة الحر فقد امتلأت مدرجات مبنى المصارعة ويسمونه (سراى الثيران Plaza de Toros ) إلى آخرها ولا يقل عدد المتفرجين عن خمسين ألفا!.. وأجرة الدخول تتفاوت بين عشر ومائتى بيزيتا بخلاف الضريبة وهى 10٪.

والبيزيتا تساوى الآن قرشا صاغا أى أن إيراد الشباك من الحفلة الواحدة يبلغ أكثر من ستين ألف جنيه!!

وليس هناك سقف للمبنى أى أن المدرجات والحلبة مكشوفة تماما ومن هنا تختلف أسعار الأماكن حسب وقوعها فى الظل أو فى الشمس... وقربها أو بعدها عن الحلبة.

وبدأت الحفلة فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين بنفخ

# مصارع الثيران يكسب 50 ألف جنيه فى العام الواحد

الأبواق.. نفخاً ذا نغم خاص مثير!

## الموكب

ودخل من باب واسع فى صدر الحلبة موكب الطوريرو يتقدمه الطوريرو نفسه ومن خلفه الميتادورس وعددهم ستة، ومن خلف هؤلاء البيكادورس على ظهور الجياد وعددهم أربعة..

وفى مؤخرة الموكب البغال والقائمون عليها ومهمتهم جر الثور الصريع من قدميه إلى خارج الحلبة.

وطاف الموكب بدائرة الحلبة، والجمهور – أى عشرات الألوف– تصفق وتهتف لروفيرا وتقذفه بالزهور..

ثم انسحب الجميع وعادوا من حيث دخلوا، وبقى فى الحلبة الطوريرو والميتادورس وقد توزع هؤلاء فى جوانب الحلبة...

ونفخت الأبواق مرة ثانية.. وفجأة.. فتح باب فى جانب من الحلبة.. وانفلت منه ثور!

وجال الثور بنظره فى جوانب الحلبة، ثم وقف كالمأخوذ!!.. ولعله وهج الشمس أو هذه الجموع المحتشدة أو صياح الآلاف.

وظل الثور لحظات واقفاً يجول بنظره.. إلى أن تقدم منه الميتادور – أحد الميتادورس الستة– ولوح أمامه بمحرمته الحمراء– والمحرمة هنا ترجمة للكلمة الأسبانية Cape – واللون الأحمر كما هو معروف يهيج الثور ويستفزه ولهذا السبب تجد جميع جدران حلبة المصارعة قد طليت باللون الأحمر..

وما أن تقدم الميتادور ولوح بالمحرمة الحمراء.. حتى ثار الثور وزمجر ثم اندفع نحو الميتادور ورأسه منحن إلى أسفل يريد أن ينطح الميتادور.

ولكن الرجل بقى فى مكانه لا يتحرك حتى أصبح الثور على قيد خطوتين منه أو أقل ثم..

وهنا فن المصارعة ورشاقة المصارع.. ثم نقل الميتادور قدما وراء قدم واستدار نصف خطوة واحدة.. فإذا به قد تنحى عن طريق الثور الهائج.. وإذا الثور ينطح بقرنيه الهواء!

واندفع الثور فى طريقه ثم عاد واندفع إليه ميتادور آخر.. ثم ثالث ورابع.. وهلم، وكل منهم يلوح بالمحرمة الحمراء أمام عينى الثور... وكل منهم يستفز الثور ثم يفلت منه برشاقة، ودامت هذه العملية نحو خمس دقائق، وكان هياج الثور قد بلغ تمامه!

## البيكادور

وهنا نفخت الأبواق مرة أخرى ودخل البيكادورس على ظهور الجياد.. وقد أمسك كل منهم بإحدى يديه برمح طويل وباليد الأخرى أمسك بعنان الجواد... أما الجياد فقد عصبت عيونها حتى لا ترى الثور، وأسدلت على جانبيها عروض من الجلد السميك تحميها من قرون الثور حين يلتحم معها... ولكن يحدث أحيانا أن تكون نطحة الثور من العنف والقوة بحيث تقلب الجواد وفارسه أرضا كما حدث مرتين فى هذه الحفلة!

وتقدم ميتادور بمحرمته يحاور الثور حتى استدرجه نحو البيكادور ورفع البيكادور رمحه وغرز سنه فى ظهر الثور... ثم سحب الرمح وهو يقطر دما!

وإذ الثور يهجم على البيكادور.. تدافع نحوه الميتادورس بمحارمهم الحمراء يستدرجونه نحوهم بعيدا عن البيكادور.

وتكررت هذه العملية مرة أخرى ثم نفخت الأبواق..

وكان الثور هنا فى أشد حالات الهياج... وقد بدأ يهن قليلا ... وتقل سرعته فى الجرى.

ودخل الحلبة ميتادور وقد تخلى عن محرمته الحمراء وأمسك بكلتا يديه حربتين قصيرتين لا يزيد طول كل منها على 70 سنتى.

وحاور الثور وداوره ثم بحركة رشيقة وثب فى الهواء وبنفس الحركة غرزهما فى الثور وتركهما مغروزتين.

وهو عمل شديد الخطورة يتطلب خفة قدم وثبات نظر ويدا قوية كالحديد!

ودار الثور حول نفسه وهو يخور ويزأر.. ألما! ويحاول أن ينفض عن عنقه هاتين الحربتين المغروزتين.. وهذا الدم يسيل على جوانبه بغزارة.. ودخل ميتادور ثان... وغرز حربتين أخريين...

ثم ثالث... حتى بلغ عدد الحراب المغروزة ستا!

## ونفخ فى الأبواق... المرحلة الشاقة

وتقدم الطوريرو من الثور.. وهذه المرحلة هى أشق وأخطر مرحلة فى مصارعة الثور..

وتقدم وقد أرخى المحرمة الحمراء على طول ذراعه اليسرى.. يستفز بها الثور ويحاوره، بينما أمسك بيده اليمنى سيفه المستقيم القصير!

وخلا الميدان إلا من الطوريرو والثور.

والطوريرو البطل حقا معبود الجماهير حقا والذى يستحق الإعجاب حقا.. هو الذى يطيل فى محاورة الثور– أو فى عذاب الثور هذا وهو ثابت فى مكانه.. تستطيع أن ترسم حوله دائرة محورها متر واحد لا يتعداها!

يقلب محرمته أمام الثور فيندفع الثور، ولكنه ينقل قدما وراء قدم ويدور حول نفسه... فإذا به وراء الثور... أو إلى جانب الثور... ولكنه ليس أمام قرنى الثور..

هذا والدماء تسيل من جروح الثور العديدة.. ويسقط الثور ضعيفا... ثم

ينهض وهو أشد هياجاً من قبل!

إنهـــا الحيـــاة!.. والثـــور يحس بغريزته أنه صراع حتى الموت! ويقف الثور... ويحدق لحظة فى الطوريرو.. كأنما يريد أن يغافلـــه وينطح! ولكن الطوريرو... أخف قدما منه..

وتدور هـــذه العملية نحو خمس دقائق.. وصياح عشرات الألوف يصم الآذان! وهتافهم... وضجيجهم كلما أتى الطوريرو بحركة بديعة أعجبتهم!

ثم ينفخ فى الأبواق..

## الإجهاز على الثور

ويتقـــدم الطوريـــرو ليجهز على الثور...

وكأنما الثـــور يحس بأن هذه هى الخطوة الأخيرة...

وتنعكس الآية – وما أعجب غريزة الحياة– فإذا بالثور حريص على أن لا يقترب من الطوريرو.. بل يقف موقف الدفـــاع وقد حنى رأســـه، وقرناه إلى أعلى.. مستعداً لنطح من يقترب منه!

وعلى الطوريـــرو.. أن يتقدم وأن يهاجم.

ودورة أو دورتان سريعتان حول الثور... ثم هجم ســـريعاً.. ثم تراجع أسرع.. ثم مفاجأة تذهل الثور!

... وإذا بالسيف قد غاص فى عنقه حتى المقبض!

ويدور الثور المسكين حول نفسه.. أو قد يتقـــدم نحو الطوريـــرو يريد الانتقام.. ولكنه كان أصبح

## أضعف من أن يستطيع حراكاً!

وأخيراً يســـقط الثور... ويتمدد.. ولكنه لا يزال رافعاً رأسه وكأنما يودع نور الشمس! هذا والأبواق ينفخ فيها... والجماهير تصفق...

وتدخل البغـــال.. ويتقدم أحدهم ويضرب مؤخرة عنـــق الثور بقبضة يده... فيرتخى رأس الثور وتربط قدماه بحبل وتشده البغال إلى خارج الحلبة..

ثم يدور الطوريرو وهو شبه يعدو حـــول جوانب الحلبـــة ليتلقى تحيات الآلاف شـــاكرا برفع يديـــه، وتقذفه الجماهيـــر بالزهور وأحيانـــا بهدايا الحلوى والســـجاير التى يلتقطها أحد الخدم وهو يعدو وراءه.

وكثيراً مـــا تكون بين هذه الزهور والهدايا (رســـالة غرام) قد لفت حول ساق وردة!.. وفى الرسالة اسم الحسناء المعجبة... وعنوانها أو رقم تليفونها... أو موعد للمقابلة!

***

وبعد فترة استراحة قصيرة ينفخ فى الأبواق.. ويدخل ثور ثان.. وهكذا!

وعدد الثيـــران التـــى يصارعها الطوريرو فى كل حفلة ستة.

ولكننى انصرفت بعد الثور الثانى وقبيل الإجهـــاز على الثور الثالث.. لأن أعصابى لم تعد تحتمل مشهد الصراع بين الحياة والموت.

وغادرت الحفلة فى الساعة السابعة والربـــع.. مع إنها تدوم إلى الســـاعة التاسعة مساء.. والشمس لا تغرب هنا فى أسبانيا فى شهر يوليو قبل الساعة العاشرة!

# برنامج المكافآت
# BM REWARDS CLUB

- يتم احتساب نقاط مكافآت عن كل عملية شراء منفذة محلياً ودولياً ببطاقات بنك مصر المحددة بالبرنامج اعتباراً من الأول من يونيو ٢٠١٨
- النقاط المكتسبة يمكن استعاضة قيمتها بالعديد من الوسائل:
  - السفر حول العالم (تذاكر طيران - فنادق - تأجير سيارات)
  - قسائم شراء إلكترونية
  - الحصول على منتجات مميزة من خلال زيارة الموقع الإلكتروني لبرنامج المكافآت
  - شحن التليفون المحمول
  - يمكن تحويل النقاط الخاصة ببرنامج المكافآت إلى أي من برامج مكافآت الجهات الأخرى المُحددة بالبرنامج
- للتسجيل وإدارة النقاط يرجى زيارة الموقع الإلكتروني: www.bmrewardsclub.com

برنامج مكافآت bm

استخدم بطاقتك..
وتمتع بالمزايا

بنك مصر
BANQUE MISR
نعمل معاً لخير بلدنا

BM Phone 19888
بي إم فون
www.banquemisr.com
/BanqueMisr.1920 /banquemisr1920

# أجهزة Apple دلوقتي
# بالتقسيط مع CIB

اشتري أجهزة Apple من الموزعين المعتمدين وادفع
بالتقسيط على ١٢ شهر بدون فوائد مع بطاقة CIB الائتمانية.

CIB | Tradeline STORES | switch | iSHOP

العرض ساري حتى ٣٠ سبتمبر ٢٠١٨
تُطبق الشروط والأحكام


١٩٧٧٧ | WWW.CIBEG.COM | /CIBEgypt

بنك نثق فيه